



مجلة المصرفة

دورية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية التربية جامعة بني وليد

المدد الثالث عشر - يونيو 2020



جميع الحقوق محفوظة للجامعة

لا يسمح بإعادة إصدار المجلة أو تخزينها في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها أو استنساخها بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

المراسلات

مجلة المعرفة - جامعة بني وليد - كلية التربية - بني وليد
البريد الإلكتروني Almaban2014@gmail.com

مجلة المعرفة - جامعة بني وليد - كلية التربية بني وليد
رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية 302 / 2015

تنويه

الآراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

هيئة تحرير المجلة

المشرف العام:

د. عبد الله صالح الطاهر

رئيس التحرير:

د. أبوبكر علي ضو عبد العزيز

أعضاء هيئة التحرير

الاسم	الاسم
د. عبد السلام محمد الحاج	د. جمعة عبدالرحمن غيث
د. عبدالرحمن حسن عبدالرحمن	د. عبد الحميد على التليسي
د. مصباح ياقبة السوداني	د. على أبوعجيلة الزروق
د. مفتاح الفيتوري الجمل	د. سعيد الساعدي أغنية
د. عمر صالح محمود	أ. صالح عبدالرحمن أبو كراع

قواعد النشر

تهدف مجلة المعرفة إلى الإسهام في الحركة الفكرية والثقافية للمجتمع الليبي وتطويرها وتنميتها، وذلك بنشر البحوث والدراسات العلمية في مجال العلوم الإنسانية باللغات العربية والأجنبية، وكذلك نشر مستخلصات الكتب ومراجعتها، وعرض الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) التي يتقدم بها الباحثون والدارسون داخل ليبيا وخارجها.

وحرصاً من هيئة التحرير على استخدام الأسلوب العلمي في كتابة البحوث والدراسات التي تنشرها، وأخذاً بأسباب التيسير على الباحثين والقراء نأمل الالتزام بالقواعد التالية:

- (1) يجب ألا تكون البحوث والدراسات المقدمة قد سبق نشرها أو قدمت للنشر في مكان آخر.
- يفضل ألا يزيد عدد صفحات البحث عن (25) صفحة مطبوعة، على أن تكون المادة المقدمة للنشر من نسختين يشار إلى أرقام الهوامش ضمن المتن، ويشمل الهامش على البيانات الأساسية للمصدر أو المرجع والمتمثلة في أسم المؤلف كاملاً، عنوان المصدر أو المرجع كاملاً، رقم الطبعة أو المجلد أو الجزء إن وجد.
- بيانات النشر وتشمل مكان النشر، الناشر، تاريخ النشر، رقم الصفحة، على أن تسجل هذه الهوامش في أسفل أو في نهاية البحث.
- (2) اللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة وتقبل البحوث والدراسات المكتوبة بلغات أجنبية (حالياً إنجليزية وفرنسية) إذا كانت تشكل جزءاً من اهتمامات المجلة، على أن تكون مقرونة بملخصات باللغة العربية، ويستحسن كذلك أن ترفق الأبحاث باللغة العربية بملخصات باللغة الإنجليزية.
- (3) إذا كان البحث قدم في مؤتمر علمي لم تنشر أعماله، فإنه ينبغي الإشارة في أسفل صفحة العنوان إلى اسم المؤتمر ومكان وتاريخ انعقاده.
- (4) تخضع جميع الدراسات والبحوث المقدمة للنشر لمراجعات علمية من متخصصين ويبلغ أصحابها بالموافقة على النشر من عدمه، وفي الحالة الثانية فإن المجلة غير ملزمة بإرجاع البحوث غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.
- (5) لا تعبر البحوث والدراسات والمقالات المقدمة للنشر بالمجلة إلا عن رأي أصحابها ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة وأعضاء تحريرها.
- (6) يحق لأصحاب البحوث والدراسات المقدمة للمجلة الحصول على نسختين من العدد الذي تنشر فيه بحوثهم ودراساتهم.
- (7) لا تتولى المجلة نشر البحوث والدراسات التي لا تتعلق بمجالاتها كدورية متخصصة.

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

وهانحن نضع بين يديكم العدد الثاني عشر من مجلة المعرفة بعد طول إنتظار .

ونعذكم ببذل المزيد من الجهد والعطاء من أجل أن نرتقي بنشر البحث العلمي
المفيد والهادف .

وفي الأخير لايفوتنا شكر كل من ساهم في إخراج هذا العدد إلى النور ونعتذر
لسادة الباحث على تأخير.

والله ولي التوفيق

أسرة التحرير

المحتويات

أولاً/ البحوث العربية:

رقم الصفحات	عناوين البحوث
1	تخريج الفروع على الفروع عند المالكية وأثره في فقه النوازل الحوسين مصباح عمران مفتاح
22	المحددات السلوكية لدى أطفال التوحد وإدراك الآباء والأمهات لآثارها السلبية بالمنطقة التعليمية ترهونه المدينة د. الشارف عبد الكريم أحمد المرزوقي
46	اصول تربية الأسرة المسلمة من الكتاب والسنة د: إمعر محمد ميلاد أحمد
69	الإجراءات أمام القضاء الإداري دراسة تحليلية لأحكام الدعوى الإدارية في القانون والقضاء الإداري الليبي د. صبيحي مصباح زيد
93	الاستصحاب وحجّة العمل به د. علي سالم علي إسماعيل
111	الفصل 7: دور القيادة في التنمية المهنية للمرؤوسين للمؤلف: لوسياناموراموراو د. رمضان امحمد اجويلي كنان د عبد السلام محمد عبد السلام العود
130	العقلية والتنوير في الفكر العربي الإسلامي المعاصر حسن حنفي نموذجاً نبيل عبد الحميد الهادي الصواني
149	ظاهرة المثون والشروح والحواشي في التأليف النحوي د. محمد الهادي عامر
165	هندسة البيوت الفينيقية-البونية في شمال أفريقيا من خلال نماذج من مدينتي قرطاج وكركون إعداد: د. انتصار عمران عبد الله رحومه

182	دراسة علمية لليرقان كمرض وعرض في منطقة بني وليد ALI MUSBAH MOFTAH
198	أخلاق الواجب عند كانط (1724 – 1804) د. عبدالمنعم امحمد سالم
218	دور الأخصائي الاجتماعي في مواجهة مشكلة التكوين والبدايات باستخدام البرنامج لجماعات داررعاية الطفل د. انتصار السنوسي صالح
243	العوامل الاجتماعية المؤدية للطلاق في مدينة ترهونة دراسة ميدانية على عينة من المطلقات د. مصطفى خليفة إبراهيم
262	المعوقات التي تواجه قيام الدولة الليبية في مرحلة ما بعد 2011 (من منظور قياسي) د. فوزي عمر الجابري ، أ. خليفة صالح خليفة
283	واقع الإبداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد من وجهة نظر المعلمين والمعلمات. أ. صالح عبد الرحمن صالح أبو كراع

ثانياً / البحوث الأجنبية:

Research Titles	Number Pages
Electrodeposition n-Type Doping of CdTe-Grown by Two Electrode System G. E. A. Muftah	1

تخريج الفروع على الفروع عند المالكية وأثره في فقه النوازل

الحوسين مصباح عمران مفتاح
كلية العلوم الشرعية ، جامعة بني وليد

الملخص

يهدف هذا البحث لبيان حقيقة تخريج الفروع على الفروع وأثره في فقه النوازل المالكي. وتكمن مشكلة البحث في الإجابة عن عدة تساؤلات منها: ماهي حقيقة هذا النوع من التخريج عند المالكية؟ وماهي أنواعه وضوابطه وماهي أمثلة هذا النوع من التخريج في فقه النوازل عندهم؟.

وتتمثل أهمية البحث في أنه تناول تعريف تخريج الفروع على الفروع عند المالكية، وكذلك البحث في أنواع تخريج الفروع على الفروع، وفائدة هذا النوع من التخريج في فقه النوازل، وضوابط وشروط التخريج التي يجب أن يمتلكها ويتحلّى بها المخرّج، وكذلك إثبات أنّ التخريج هو أحد فروع الاجتهاد، وأنه أحد أهم الآليات التي يجب رد الاعتبار إليها ومراجعتها لتفعيلها في الاجتهاد خاصة في فقه النوازل.

وقد اعتمدت في بحثي هذا: المنهج التحليلي الوصفي، حيث أنه انسب المناهج في مثل هذه البحوث.

وقد توصلت إلى أنّ تخريج الفروع على الفروع عند المالكية من أهم الطرق للتعرف على أحكام النوازل.

الكلمات المفتاحية: تخريج، فقه النوازل، المالكية.

Abstract

In this study, takhrij which is furuu's on furuu was investigated and the effect of this assessment on the proprietorship was discussed. In the study, searched the answers of the questions of what the truth of the assessment is, what types it is seen, what the rules are and the extent to which it is related to the jurisprudence in the mansions. The study was not limited to the Maliki jurisprudence, but the utility to the Islamic jurisprudence of the sanction and the principles that the muharric must obey in order to determine it were also mentioned. In this context, it was emphasized that



the estimation is actually one of the branches of jurisprudence, and it has been pointed out that its function is in nawazil issues.

Keywords: Takhrij, Islamic Jurisprudence, Fiqh of Nawazil, Maliki's doctrine

المقدمة

إن ظهور تخريج الفروع على الفروع عند المالكية كان مصاحبا للمرحلة الأولى لتشكيل المذهب ونشأته، إذ إن كل ما نقل عن الأئمة المجتهدين من فروع فقهية، واجتهادات وفتاوى في الأحكام والوقائع كان غير شامل لكل ما يحتاجه الناس على مر العصور والأزمنة، وكذلك لا يجيب عن تساؤلاتهم في بعض الأمور التي قد تجدُّ لهم، بسبب نشأة الكثير من المعاملات والتصرفات والنوازل التي لم تكن موجودة في زمنهم مما جعل أتباع المذهب يلجؤون إلى استنباط آراء أئمتهم في الأحكام النوازل والوقائع الجديدة بناء على ما يشهها أو يشترك معهما في علة مماثلة من خلال تلك الفروع المنصوصة للأئمة والموجودة في كتبهم الفقهية.

ولذا فإن أهمية البحث تكمن في إثبات أنَّ التخرج هو أحد فروع الاجتهاد، وأنه أحد أهم الآليات التي يجب رد الاعتبار إليها ومراجعتها لتفعيلها في الاجتهاد خاصة في فقه النوازل. ويمكن سبب اختياري لهذا الموضوع أنَّ الدراسات المعاصرة المعنوية بجهود المالكية في هذا المجال قليلة سواء من الناحية التأصيلية أو التطبيقية، ولبيان مدى براعة المالكية في فقه النوازل واستخدامهم لمنهج التخرج الفقهي.

إشكالية البحث

إن تخريج الفروع على الفروع من أهم طرق التعرف على حكم النازلة فما أثر ذلك في فقه النوازل المالكي.

أسئلة البحث

وقد جاء هذا للإجابة عن بعض الأسئلة نذكر منها ما يلي : ما هي حقيقة تخريج الفروع على الفروع عند المالكية ؟ وما هي أنواعه وضوابطه، وما مدى فاعليته للوصول إلى حكم النازلة ؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث لبيان حقيقة تخريج الفروع على الفروع وأثره في فقه النوازل المالكي.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في إثبات أنَّ التخرج هو أحد فروع الاجتهاد، وأنه أحد أهم الآليات التي يجب رد الاعتبار إليها ومراجعتها لتفعيلها في الاجتهاد خاصة في فقه النوازل.

المصطلحات والمفاهيم

التخريج:

من المصدر خَرَجَ، والخاء والراء والجيم أصلاً، الأول بمعنى النفاذ عن الشيء والثاني بمعنى اختلاف لونين.

فأما الأول فكقولنا خرج يخرج خروجاً (1)، والمقصود به هنا هو: قياس المسائل المتفرقة للأحكام على ما يشبهها من منصوصات إمام المذهب في الفروع.

الفروع:

الفروع مفردها فرع من فَرْع يُفْرَع، تفريعاً فهو مُفْرَعٌ، والمفعول مُفْرَعٌ (2)، وفَرْعُ المسألة أي جعلها فروعاً أي شُعَباً (3)، ومن هذه التعريفات للفظ الفرع، يتبين لنا أنه جزء الشيء أو بعضه.

والمعنى المقصود هنا هو: استخراج حكم مسألة نازلة غير منصوص عليها، من نصوص المذهب، وما يجري مجراها.

النوازل:

قال ابن فارس: "(النون والزاي واللام): كلمة صحيحة، تدل على هبوط شيء ووقوعه" (4).

وعُرفت "النازلة" في "معجم لغة الفقهاء" بأنها: "المصيبة ليست بفعل فاعل، وهي الحادثة التي تحتاج لحكم شرعي" (5). والمقصود بها هنا هو: المسائل والوقائع الجديدة التي تتطلب اجتهاداً.

الدراسات السابقة

أثناء بحثي ودراستي لهذا الموضوع لم أقف على كتاب، أو بحث تناول هذا الموضوع بالجمع والدراسة، وإن كانت هناك بعض الأجزاء المتفرقة من هذا الموضوع، تناولتها بعض الكتب والرسائل، ومن هذه الكتب والرسائل التي استفدت منها في بحثي بصفة عامة:

(1) ابن فارس الرازي، 1399 هـ، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 175/2-176.

(2) انظر أحمد مختار عبد الحميد، 1429 هـ، معجم اللغة العربية المعاصر، ط 1، عالم الكتب مادة الفرع، رقم 3740.

(3) أحمد مختار عبد الحميد، المرجع نفسه، مادة الفرع رقم 3740.

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5 ص 417.

(5) الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، بدون، ط 3، دار الفكر،

مادة نزل، ج 4، ص 453.



1- التخرّيج في المذهب المالكي وأثره في حركة الاجتهاد، وهي محاضرات في الملتقى الدولي الثامن للمذهب المالكي، في الجزائر، 1433 هـ.

2- نظرية التخرّيج في الفقه الإسلامي، نوّار بن الشلي، وهي دراسة شاملة في التخرّيج الفقهي، غير أنها لم تركز على المذهب المالكي، من الناحيتين النظرية والتطبيقية.

3- التخرّيج في المذهب المالكي، تخرّيج الفروع على الفروع نموذجاً، للباحث نبيل طنطاني، غير أنني لم أتمكن من الاطلاع على هذه الدراسة.

منهجية البحث

اقتضت طبيعة البحث لاستخدام المهج التحليلي الوصفي، حيث أنه انسب المناهج في مثل هذه البحوث.

حدود البحث

هذه الدراسة سوف تكون مقتصرة على إيضاح حقيقة تخرّيج الفروع على الفروع في النوازل عند المالكية.

أدوات البحث

سيذكر الباحث كلام علماء المالكية في هذا النوع من التخرّيج، ونماذج تطبيقية لهذا النوع من التخرّيج.

المبحث الأول: مفهوم تخرّيج الفروع على الفروع

المطلب الأول: تعريف التخرّيج لغة

بما أن مصطلح تخرّيج الفروع على الفروع متكون من لفظي التخرّيج والفروع فسأتعرض لهما بالبيان والتوضيح.

إن لفظ مصطلح التخرّيج على الفروع يحتم علينا بيان الحقيقة اللغوية لكل واحد من اللفظين على حدة :

أولاً: تعريف التخرّيج :

من المصدر خرّج، والخاء والراء والجيم أصلان، الأول بمعنى النفاذ عن الشيء والثاني بمعنى اختلاف لونين.

فأما الأول فكقولنا خرج يخرج خروجاً(1).

والخروج: نقيض الدخول، وخرج يخرج خروجاً فهو خارج.

(1) ابن فارس الرازي، 1399 هـ، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 175/2-176

واخترجت الرجل، واستخرجته سواء، واخترجوه من السجن، أي: استخرجوه(1)، وفلان خرج فلان، إذا كان يتعلم منه، كأنه هو الذي أخرجه من حد الجهل.
وأما الأصل الآخر: فالخرج لونان بين سواد وبياض، يقال نعامه خرجاء وظليم أخرج. ويقال إن الخرجاء تبيض رجالها إلى خاصرتها(2).
وأرض مخرجة، وتخرجها أن يكون نبتها في مكان دون مكان، فترى بياض الأرض في خضرة النبات (3). وخرجت الراعية المرتع، إذا أكلت بعضا وتركت بعضا. وذلك من اختلاف اللونين (4).

وقد ذكر صاحب معجم اللغة العربية المعاصرة وجه المناسبة بين التخريج بمعناه الاصطلاحي وبين المصدر خَرَجَ في اللغة بأنه وجه تفسيري يساق للتدليل على صحة مسألة أو أمر ما أو قبولهما، وأن علم التخريج يحتمل عدّة معان منها: دراسة المبادئ المنهجية في تأويل النصوص وخاصة الدينية منها، وحسن التأويل وبراعة استخراج الوجوه لإظهار صحة المسألة(5).

وبهذا يتضح لنا أن التخريج في اللغة يدور حول معنى اظهار الأشياء والأمور، وهذا هو ما يقوم به المخرّج، حيث يقوم بإظهار انعدام الفوارق بين المسائل المتشابهة. ثانياً: تعريف الفروع :

الفروع مفرداتها فرع من فَرَع يُفرع، تفرعاً فهو مُفَرِّع، والمفعول مُفَرَّعٌ (6) وهو يدل على علوّ وارتفاعٍ وسموّ وسبوغٍ. والفرع هو أعلى كل شيء(7) وفَرَع المسألة أي جعلها فروعاً أي شُعَباً(8) وفَرَعُ المرأة شعرها وامرأة فرعاء إذا كانت كثيرة الشعر (9) وتفرعت أغصان الشجر إذا كثرت (10).

(1) الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، 159-158/4.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، 2 / 176

(3) الفراهيدي، العين، 4 / 159

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، 2 / 186

(5) أحمد مختار عمر، 1429 هـ، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، ، مادة خ ر ج رقم 1581

(6) المرجع نفسه، مادة الفرع رقم 3740

(7) الفراهيدي، العين، ج2 ص126

(8) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة الفرع رقم 3740.

(9) ابو بكر بن دريد : اللغة 1998م ، جمهرة ، تحقيق :رمزي منير ، ط7، بيروت، دار العلم للملايين، ج2 ص767

(10) ينظر: الجوهري، 1407هـ، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت، دار العلم للملايين، ص1258.



ومن هذه التعريفات للفظ الفرع، يتبين لنا أنه جزء الشيء أو بعضه، وهذه المعاني هي المقصودة من الفروع في اصطلاح التخرّيج حيث تطلق على مسائل جزئية تندرج ضمن أصول أو قواعد كلية.

المطلب الثاني: تعريف تخرّيج الفروع على الفروع اصطلاحاً

لم يهتم علماء المالكية المتقدمين بإعطاء تعريف لتخرّيج الفروع على الفروع، وإن وجدت عندهم لبنات وأثار عملية له في مراحل متقدمة من تاريخ المذهب المالكي لذلك سأحاول أن أوضح حقيقة هذا النوع من التخرّيج في النقاط التالية :

أولاً: تعريف ابن فرحون

إن ابن فرحون يعد أول من عرّف التخرّيج من المالكية وإن كان هناك من أشار إلى بعض لوازمه ومتعلقاته، كابن رشد الجدي، والليثي، والقرافي، والشريف التلمساني، وقد أتى تعريف ابن فرحون من قبيل تعريف الشيء ببيان أنواعه، حيث اهتم بإيضاح صور تخرّيج الفروع على الفروع بدل أن يكون فيه توضيح حقيقة هذا النوع من التخرّيج بشكل جلي، وذلك بأن يكون تعريفه موجزاً جامعاً لسائر صوره وأنواعه قائلا "اعلم أن التخرّيج على ثلاثة أنواع: استخراج حكم مسألة ليس فيها حكم منصوص من مسألة منصوصة.

النوع الثاني: أن يكون في المسألة حكم منصوص فيخرج فيها من مسألة أخرى بخلافه النوع الثالث: أن يوجد للمصنف نص في مسألة على حكم، ويوجد نص في مثلها على ذلك الحكم ولم يوجد بينهما فارق فينقلون النص من إحدى المسألتين ويخرجون في الأخرى فيكون في كل واحدة منهما قول منصوص وقول مخرج.(1)

والذي يتضح لنا أن هذا كلام أقرب للشرح منه للتعريف، لأنه يفتقر للإيجاز المطلوب في الحدود، وكذلك وصفه للآراء المخرجة في النوع الأول بالأحكام، ولا يستقيم هذا لأن الأحكام الشرعية لا تُستمد من قول الإمام بل تُستمد من قول المشرّع، كما أن كلاً من النوعين الثاني والثالث هما عبارة عن صورتين لنوع واحد، وهو تخرّيج الفروع المنصوصة على أخرى منصوصة وجعل كل صورة منهما قسيمة للنوع الأول فيه نظر.(2)

وهناك من عرّف هذا النوع من التخرّيج من أصحاب المذاهب الأخرى.

(1) ابن فرحون، 1990م، كشف النقاب الحجاب، تحقيق: حمزة أبو فارس وعبد السلام الشريف، ط1، بيروت، دار غرب الإسلامي، ص 104-105

(2) ينظر، صدام محمدي 2016م، تخرّيج الفروع على الفروع نماذج تطبيقية من تبصرة الليثي، الجزائر، ص 32.

فقد عرّفه الإمام ابن تيمية بأنه "نقل حكم مسألة إلى ما يشبهها والتسوية بينهما فيه (1). ومثل هذا التعريف نقله بنصبه بعض العلماء منهم المرداوي، في كتابه الإنصاف (2). وقد نُقل عن صاحب تهذيب الفروق قوله "التخرج في اصطلاح العلماء: تعرف جزئيات موضوع القاعدة من القاعدة المشتملة على تلك الأحكام بالقوة القريبة من الفعل" (3). إلا أن هذه التعريفات يصح أن يطلق عليها بأنها تعريفات للتخريج بشكل عام دون الخوض في أنواعه مع ملاحظة قصورها أيضاً عن ضبطها لحدٍّ جامع مانع للتخريج يشمل أفرادها ويضبط معناه.

ثانياً: تخريج الفروع على الفروع عند معاصري المالكية
كثرت التعريفات المعاصرة بين المالكية لتخريج الفروع على الفروع، غير أنها لم تأتينا بجديد بل كانت في جلها تدور حول تعريف ابن فرحون الذي ذكرناه سابقاً، وإن كان هناك اختلاف في بعض الجزئيات، نذكر من هذه التعريفات ما يلي:
فقد عرّف بأنه: "استخراج حكم مسألة نازلة غير منصوص عليها، من نصوص المذهب، وما يجري مجراها" (4).

- وعرف كذلك بأنه "تفريع الأحكام الشرعية العملية على نصوص المذهب وقواعده" (5). وعرف أيضاً بأنه "علم يتوصل به إلى معرفة رأي الأئمة: في الفروع الفقهية التي لم يرد بها نص عنهم وذلك عن طريق إلحاقها بما يشبهها من المسائل في الحكم أو في علة الحكم، أو عن طريق عمومات نصوص الإمام، أو على مسألة يخرج عليها بخلاف حكم المنصوص عليها" (6). ومن خلال التعريفات السابقة يمكننا الخروج بتعريف لتخريج الفروع على الفروع عند المالكية وذلك بأن يعرف بأنه (إلحاق مسائل جزئية بأخرى منصوطة جارية على قياس واحد).

(1) ابن تيمية، 1384هـ، المسودة في أصول الفقه، مصر، مطبعة المدني، ص 533

(2) الدهلوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ج 1 ص 6 و ج 12، ص 257

(3) محمد علي، 2010، تهذيب الفروق والقواعد الستة في الأسرار الفقهية وهي هامش على كتاب الفروق، السعودية، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ج 2 - ص 131

(4) نذير حماد، تخريج الفروع على الفروع عند المالكية دراسة تأصيلية مع نماذج تطبيقية، جامعة فلسطين، رسالة ماجستير، ص 219

(5) نوار بن الشلي، 1431هـ، نظرية التخريج في الفقه الإسلامي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط: 1، ص 62

(6) إسماعيل نقاز، تخريج القواعد المقاصدية وآليات النظر الإجرائية دراسة في المنهج، ص 292



المبحث الثاني: حكم تخريج الفروع على الفروع وفائدته للناظر في النوازل

المطلب الاول: حكم تخريج الفروع على الفروع

ربما يصعب لنا الحديث عن حكم تخريج الفروع على الفروع عند المالكية وذلك لقلة الأقوال والأدلة المصرحة بحكمه، ما دعاني إلى تتبع بعض المؤلفات الفقهية والأصولية التي تيسر لي الحصول عليها واستخلاص ما يوحى بجواز التخريج أو عدمه عند علماء المذهب لملأ هذا الفراغ التأصيلي.

ومن خلال ما استقرأته وتتبعته لأقوال المالكية في حكم التخريج، ظهر لي أن ابن العربي يعد نقطة فصل بين مرحلتين مختلفتين داخل المذهب المالكي، فيما يتعلق بحكم تخريج الفروع على الفروع وبيانها كالآتي:

أولاً: مرحلة ما قبل ابن العربي:

إن الإجماع يكاد ينعقد عند علماء هذه المرحلة على جواز تخريج الفروع على الفروع، لولا ما نسب لأبي الوليد الباجي غلطاً كما سيأتي (1) من قوله بعدم الجواز والاتفاق على جوازه ظاهر من كلامهم واستعمالهم للتخريج الفرعي داخل مؤلفاتهم، ولاتفاق معظمهم على جواز القياس على أصل هو فرع لأصل آخر. (2)

إذ يقول اللخمي: "فأنه لا خلاف عندنا في مسائل الفروع إن القول فيها بالاجتهاد والقياس واجب". (3)

ويقول ابن رشد الجدي: "واعلم أن هذا المعنى {قياس وتخريج الفروع على الفروع} مما اتفق عليه مالك وأصحابه ولم يختلفوا فيه على ما يوجد في كتبهم من قياس المسائل بعضها على بعض، وهو صحيح في المعنى وإن خالف فيه (4) مخالفون". (5)

وقد قال ابن رشد في موضع آخر: "إجراء {تخريج أو قياس} الأحكام على وجوهها واجب" (6).

(1) ينظر عبدالله بن الحاج الطوى، 1425هـ، نشر البنود شرح مراقي السعود، تحقيق: محمد بيب ط: 1، ج2، ص 632.

(2) ينظر الشريف التلمساني مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول، تحقيق أحمد خلف الله، مصر، الجزيرة للنشر والتوزيع، ص 162.

(3) أبو حسن اللخمي؛ التبصرة، 1432هـ، تحقيق أحمد نجيب، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج1 ص 959.

(4) إن المقصود به خلاف من خالف من خارج المذهب أو ما نقل عن الباجي من أنه حكم يفيد عدم تجويزه لتخريج الفروع على الفروع، على قول صاحب فتح الودود.

(5) ابن رشد الجد، 1408هـ، المقدمات الممهدات، تحقيق: محمد حجي، ط 1؛ بيروت دار الغرب الإسلامي، ج1 ص 39.

(6) ابن رشد، 1408هـ، البيان والتحصيل، تحقيق محمد حجي ط: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 6 ص 356.

ويعد من هذا القبيل تخريج الفروع على الفروع.

والأولى بنا في هذه المرحلة أن نتطرق إلى ما نسب للباجي من عدم إجازته لتخريج الفروع على الفروع (1)، وهذا مما يعد من أمثلة الخلط والوهم في نسبة أقوال العلماء إليهم، لوجود من نسب جواز تخريج الفروع على الفروع إليه، ومنهم ابن عرفة حيث يقول في أثناء رده على كلام ابن العربي في عدم تجويزه للتخريج فيقول: "وبقول التونسي واللخمي وابن رشد والباجي وأكثر الشيوخ بالتخريج من قول مالك وابن القاسم وغيرهما" (2). فذكر الباجي على أنه من إعلام التخريج إضافة إلى أنه قد نص بعض العلماء في أكثر من مسألة فرعية أنها من تخريج الباجي، مثل تخريجه للقول بأن الإمام يسلم تسليمتين، قياساً على أن الفذ يسلم تسليمتين (3). وتخرجه للقول بأن الأرز، والدخن، والذرة جنس واحد في الزكاة، تخريجاً على أنها صنف واحد في الربا (4).

ثانياً: مرحلة ما بعد ابن العربي:

في هذه المرحلة ظهر قول ثان بعدم الجواز، إضافة إلى القول الأول في المرحلة السابقة وبيانهما كالآتي:

أولاً: القول بعدم جواز تخريج الفروع على الفروع:

قبل هذه المرحلة لم يكن يعرف أي من أهل المذهب قول يفيد بعدم جواز تخريج الفروع على الفروع عند المالكية، وكان لقول ابن العربي السابق بأن التخريج على نص الإمام يعد من باب القول بغير علم (5)، تأثير في عدد من العلماء الذين أتوا بعده، وذهبوا مذهبه، غير أنهم قلة إذا ما قورنوا بمن أخذوا وتمسكوا بأصل المذهب، ومشهوره في المرحلة الأولى التي ذكرناها سابقاً.

(1) ينظر: محمد يحيى الولاتي، 1327 هـ، فتح الودود شرح مراقي السعود، المغرب المطبعة المولوية، ج1، ص 363.

(2) الخطاب الرعي، 1412 هـ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ط3،، دار الفكر ج6 ص 93.

(3) ينظر: ابن ناجي التنوخي، 1428 هـ، شرح التنوخي على متن الرسالة، تحقيق: أحمد المزيدي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1 ص 121.

(4) ينظر ابن إسحاق، 1429 هـ، التوضيح في شرح مختصر لابن الحاجب، تحقيق أحمد بن عبد الكريم، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ج5، ص 368.

(5) ينظر ابن العربي، 1424 هـ، الأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ج3 ص 201/200.



فقد وصف هذا النوع من التخرّيج ابن رشد الحفيد بوصف لا يكاد يدع مجالاً للشك على تحرّيمه، قائلاً: "وكفى بهذا {أي تخرّيج الفروع على الفروع} ضلاله وبدعة" (1). وكذلك يحمل تحذير المقرّي من تخرّيجات الفقهاء على عدم إجازته لتخرّيج الفروع على الفروع كما أنه ذكر في موضع آخر له بعدم جواز اعتماد الأقوال المخرّجة في التقليد ومنع أيضاً من ذكرها في الأقوال المختلف فيها (2).

وكذلك يقول ابن عبد السلام التونسي: "القول المخرج لا يقلده العامي ولا ينصره الفقيه؛ ولا يختاره المجتهد" (3). وهذا الكلام في حقيقته يدل على عدم تجويزه والمنع من الإفتاء بها. وقد نسب إلى ميارة الفاسي (4) أن مذهبه أنه لا يلزم أحد من المسلمين أن يقلد في النوازل والأحكام مذهبه، فمن كان مالكيّاً لم يلزمه المسير في أحكامه إلى قول مالك (5). وهذا الكلام ظاهر في عدم تجويز تخرّيج الفروع على الفروع.

ثانياً: القول بجواز تخرّيج الفروع على الفروع

وهذا المذهب هو امتداد للمشهور عن متقدمي المالكية وأهل المرحلة السابقة، فهو يعد مذهب أكثر علماء هذه المرحلة فقد قال القرافي ضمن كلامه عن مجتهد التخرّيج المستجمع لشرائط وأدوات التخرّيج: "فهذا يجوز له التخرّيج والقياس بشرائطه، كما جاز للمجتهد المطلق" (6). وكذلك فعل خليل بن إسحاق في رده. على كلام ابن العربي القاضي بعدم تجويز التخرّيج بقوله: "وفيه نظر والأقرب جوازه للمطلع على مدارك إمامه" (7).

وهذا ابن عرفة يصرح بأن المنع من تخرّيج الفروع على الفروع، يؤدي إلى تعطيل الأحكام لأن الفرض عدم المجتهد لامتناع تولية المقلد مع وجوده، فإذا كان حكم النازلة غير

(1) ابن رشد الحفيد، 1994م، الضروري في أصول الفقه تحقيق: جمال الدين العلوي، ط: 1، بيروت، دار العرب الإسلامي، ص 145.

(2) المقرّي أبو عبد الله، القواعد، ج 1 ص 348-349.

(3) ابن فرجون، كشف النقاب عن مصطلح ابن الحاجب ص 107.

(4) خليل بن إسحاق، 1429هـ، التوضيح في شرح المختصر لابن الحاجب، تحقيق أحمد بن عبد الكريم، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ج 7، ص 391.

(5) ينظر: محمد يحيى الولاتي، 1327 هـ، فتح الودود شرح مراقي السعود، المغرب، المطبعة المولوية بفاس المغرب، ص 363.

(6) ينظر شهاب الدين القرافي، 1994م، الذخيرة تحقيق محمد بو خبطة، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 10 ص 17.

(7) ينظر خليل بن إسحاق، التوضيح في شرح المختصر ج 7 ص 391.

منصوص عليه ولم يجز للمقلد المؤلّي القياس على قول مقلده في نازلة أخرى تعطلت الأحكام (1) ويظهر لي من كلام ابن فرحون أنه أميل لهذا المذهب (2).

المطلب الثاني: فائدته للناظر في النوازل:

إن الفائدة من هذا النوع للتخريج بالنسبة للناظر في النوازل، فإنه بواسطته يعرف أحكام المسائل الجزئية الواقعة والتي سكت عنها الأئمة إما لأنها لم يقع فيها سؤال في زمانهم، أو لأنها من الوقائع والنوازل الجديدة التي لم يرد عنهم فيها شيء (3).

وبذلك نستخلص: أن الناظر والمجتهد في استنباط أحكام النوازل قد يلجأ في كثير من الأحيان إلى تخريج تلك النوازل على أصول وفروع أئمة المذهب وذلك بسبب عدم وجود أدلة شرعية وقواعد فقهية واضحة الدلالة على أحكام تلك النوازل ولقلة وندرة أهل الاجتهاد المطلق القادرين على استنباط أحكام تلك النوازل من أدلة ونصوص الشرع مباشرة.

فحينها يضطر المجتهد والفقيه للنظر والبحث في الفروع الفقهية لأئمة المذهب لعله يجد فيها شواهد مشابهة لما جد من نوازل وواقعات ليعرف نوعها من حيث الحرمة أو الإباحة أو كونها مما وقع الخلاف فيه بين أئمة المذهب، وبفضل هذا التخريج سيباح للفقيه معرفة المستند والأصل الذي اعتمد إليه أئمة المذهب في حكمهم على هذا النظر لتلك النازلة والواقعة ومن ثم يقوم بتحديد هذا الحكم بأحد أنواع القياس المعبرة.

المبحث الثالث: ضوابط وشروط التخريج

المطلب الأول: ضوابط وشروط التخريج

إن التخريج الفقهي من المصادر المهمة التي تعيننا على معرفة أحكام النوازل، لكن للخوض في مثل هذا الفن يجب أن تتوفر مجموعة من الضوابط في المجتهد المخرج، من هذه الضوابط نذكر الآتي:

أولاً: تحديد المصادر المعتمدة في التخريج

ولفقهاء المالكية في اعتماد الكتب والأقوال المعتمدة في الإفتاء اصطلاح ساروا عليه فقالوا: يُفتى بقول مالك في الموطأ، فإن لم يوجد في النازلة، فبقوله في المدونة، فإن لم يوجد

(1) ينظر الخطاب مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ج6 ص 92.

(2) ينظر ابن فرحون، كشف النقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب، ص 104-109.

(3) ينظر: مسفر القحطاني، 2000م، منهج استخراج الأحكام الفقهية للنوازل، السعودية، جامعة أم القرى، ج2 - ص 540.



فبقول ابن القاسم فيها، وإلا فبقوله في غيرها، وإلا فبقول غيره في المدونة وإلا فبأقوال أهل المذهب، وعللوا ذلك بأن مالكا هو الإمام الأعظم وابن القاسم أعلم الناس بفقهاءه.(1)

فمثلاً كان أهل المغرب يعتمدون على مختصر ابن الحاجب، وبعد مجيء مختصر الشيخ خليل انصرفوا إليه، ولم يخلطوا به غيره، حتى صار مرجعهم الأول والأخير، واعتمدوه في الفتوى، وشرطوا لمن يفتي به أن يراجعه مرة كل عام.(2)

ثانياً: أن يكون المفتي شديد الاستحضار لقواعد المذهب:

ثالثاً: تحديد الأقوال المعتمدة في الفتوى:

رابعاً: مراعاة المقاصد الشرعية والاحتياط في تخريج الفروع على الفروع يجب على المجتهد أن يراعي المقاصد التي لاحظها إمامه في بنائه للفتوى ليتأتى له التخريج عليها.

خامساً: قصر التخريج على ما نص على علته، وتقييده بما لا يُخلطه بمنصوص المذهب إن التخريج على نصوص الإمام التي نص على علتها، يعد من أقوى وأسلم صنوف التخريجات الفرعية. لأن الإمام إذا نص على العلة يكون بذلك قد ربط بها الحكم وجوداً وعدمياً(3).

سادساً: ألا يكون النص المخرج عليه مخالفاً لما هو أولى من الأدلة إن عدم علم المخرج ببعض المنصوصات أحياناً أو عدم بذل الجهد المطلوب في التخريج. قد ينتج عنه اعتماد بعض النصوص الشاذة المخالفة لما هو أقوى من النصوص أو الأدلة، كأصول معتمدة في التخريج، لذلك يجب على مجتهد التخريج التأكد من أن قول إمامه المخرج عليه ليس مخالفاً للإجماع، ولا للقواعد ولا لنص ولا لقياس جلي سالم عن معارض راجح.

المطلب الثاني: شروط التخريج

أولاً: الشروط المعرفية التي لابد منها للمخرج:

(1)الونشريسي، أحمد الونشريسي، المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي 23/12.

(2)الحجوي، محمد الحجوي، 1396هـ ، الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي، ت: د. عبد العزيز بن القاري، ط1، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، القاري، ط المدينة المنورة 427/2.

(3) ينظر: محمد بن علي، تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، بيروت، دار المعرفة، ج 1 ص 218.

أ- أن يكون عالمياً بالفروع الفقهية الثابتة في مذهبه، محيطاً بنصوص المسائل من حيث الإطلاق والتقييد والخصوص والعموم.. لئلا يكون في النص ما ينافي مقتضى التخريج، فيذهب تعب في التخريج باطلاً، وأيضاً لكون تفاريع الفقه مصدراً من مصادر التخريج عنده، بخلاف المجتهد المطلق؛ فلا يشترط في حقه معرفة الفروع لكونها من ثمرة اجتهاده.(1)
ب- أن يكون عالمياً بأصول الفقه، متبحراً فيه، لا سيما باب القياس منه، فإنه كلما كان فيه أبرع؛ كان تخريجه أتم وأبدع.(2)

ج- أن يكون محيطاً بأصول المذهب وقواعده؛ وربما كان هذا الشرط داخلاً في الذي قبله - واشتراط العلم به راجع لكون الأصول التي بنى عليها المذهب؛ والقواعد الفقهية المقررة فيه؛ معدودة في مصادر التخريج.

د- أن يتقيد في تخريجه بقواعد المذهب وأصوله ما أمكنه ذلك، وإلا كان الأحسن التنبيه على ذلك؛ لأنهم قالوا فيمن يعمل بفتيا المخرج؛ أنه مقلد دونه(3)، ولا يكون مقلداً لإمامه إذا كان محل التخريج قاعدة أو نصاً ليس له، خصوصاً إذا كان ذلك بخلافه.

هـ- معرفة جملة صالحة من السنن، تؤهله لئلا يخالف السنة الصحيحة بتخريجه - وكذلك ما يتعلق بالكتاب

و- أن يكون عارفاً بمقاصد الشريعة.

هذه من أهم الشروط التي يجب توافرها في المخرج من الناحية المعرفية.

المبحث الرابع: أنواع تخريج الفروع على الفروع عند المالكية

المطلب الأول: أنواع تخريج الفروع على الفروع

من خلال تعريفنا لتخريج الفروع على الفروع وذكرنا لبعض الأمثلة له يتضح لنا أن هذا النوع من التخريج عند المالكية يدور حول ثلاثة أنواع وهي كالآتي:
النوع الأول: تخريج فرع غير منصوص على فرع منصوص

(1) أحمد عبد العزيز، نور البصر في شرح المختصر، طبعة حجرية، ص 5، 19

(2) محمد بن على السنوسي 1968م، بغية المقاصد في خلاصة المراصد (أو كتاب المسائل العشر)، ليبيا، وزارة الأعلام والثقافة، ص 61.

(3) انظر مثلاً أحمد بن حمدان الحارثي صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، ط 3، نشر المكتب الإسلامي، والإمام النووي، أبي زكريا معى الدين بن شرف النووي، المجموع شرح المذهب، تحقيق محمد نجيب، مطبعة المكتبة العالمية، ص 19.



إن هذا النوع يعد من أصعب أنواع التخريج وذلك لحصوله على كم وافر من تشعب المسائل، وإثراء مادة الفتاوى والنوازل (1). كما أن هذا النوع من التخريج يعد الأكثر استعمالاً وانتشاراً بين الفقهاء، لاعتماده القياس بالأساس، أو على اعتباره نوعاً من أنواع القياس. ويعتبر تعريف ابن فرحون الذي عرّف فيه تخريج الفروع على الفروع بقوله: ((استخراج حكم مسألة ليس فيها حكم منصوص من مسألة منصوصة)) (2)، هو الأساس في هذا الباب لقدمه واشتماله على حقيقة تخريج الفروع غير المنصوصة على المنصوصة، وهو بهذا قد جمع فيه شروط الحدود الجامعة المانعة، لولا أنه وصف الرأي المخّرَج بكونه حكم وقد سبق الكلام عن هذا.

ومن الأمثلة الدالة على هذا النوع:

- أ- القول بصحة صلاة من سلم بلفظ "السلام عليكم" بالتعريف والتنوين، وذلك تخريجاً على القول بصحة صلاة الأحسن في قراءة الفاتحة عجزاً عن تعلم الصواب لعدم المعلم أو لضيق الوقت مع قبوله للتعليم (3).
- ب- وكذلك القول بأن ولد الأمة في البيع له حكم الغلة تخريجاً على القول بأن المشتري يجبر به عيب النكاح (4).

النوع الثاني: تخريج قول ثان في فرع منصوص من آخر منصوص

وصفة هذا النوع أن يكون في المسألة حكم منصوص، فيُخَرَّجُ فيها من مسألة أخرى قول بخلافه (5).

ومثله أيضاً أن يكون في مسألة منصوصة حكم واحد، ومن أمثلته:

- أ- تخريج الخلاف – أي قولين أحدهما كان منصوصاً والآخر مخّرَج – في من اشترط شرطاً مفسداً للبيع كاشتراط الزيادة عن مدة الخيار المعتادة، تخريجاً أو قياساً على الخلاف

(1) برهان الدين النفاتي، 2008، تخريج الفروع على الفروع عند المالكية، المغرب، محاضرات الملتقى الثامن للمذهب المالكي، ص 456.

(2) ابن فرحون، كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب، ص 104 - 105.

(3) ينظر: شهاب الدين النفراوي، 1415هـ، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، ج1 ص 190.

(4) المازري، أبو عبد الله محمد بن علي، 2008 م، شرح التلقين، تحقيق مختار السلامي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج2، ص 700.

(5) ابن فرحن، كشف النقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب ص 104.

المنصوص في من أسلم في تمر سلماً فاسداً، فلما فسخ عليه وأخذ رأسماله أراد أن يأخذ تمراً مثل الذي مُنع منه، فقبل لا يجوز لأنه تابع للفساد المفسوخ، وقيل بالجواز. (1)

ب- تخريج قول ثان في حكم مسح المحرم على الخف، قياساً على الخلاف المنصوص في إجازة القصر لمن كان في سفر معصية. (2)

النوع الثالث: تخريج قول ثان في فرعين منصوصين نص فيهما على حكمين متضادين، وصفته أن يوجد نص في مسألة على حكم، ويوجد نص في مثلها على خلاف ذلك الحكم ولم يوجد بينهما فارق فينقلون النص من إحدى المسألتين ويخرجون في الأخرى، فيكون في كل واحدة منها قول منصوص وقول مخرج (3).

ومن أمثلة هذا النوع:

أ- القول بالخلاف في إجزاء نية الأداء عن نية القضاء، تخريجاً على الخلاف في إجزاء صيام الأسير لشهر شعبان لاعتقاده أنه شهر رمضان. (4).

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لتخريج الفروع على الفروع في النوازل

1- مثال ذلك ما أفتى به الشيخ محمد عليش في نازلة سئل عنها، في رجل أطلق بعيره على شاطئ بحر من غير عقل مخافة سقوطه في البحر - لإمكان التخلص مع عدم العقل -، فجاء آخر وعقله فسقط في البحر فتلف لعدم إمكان تخلص نفسه بسبب العقل . فهل عليه الضمان ولو ادعى أنه قصد بعقله الحفظ .

فأجاب : بأن عليه الضمان لتعديده وتسببه في تلف مال غيره، ولا يُسقط عنه الضمان دعواه قصد الحفظ بالعقل ؛ لأن العمد والخطأ في أموال الناس سواء.

وبين الشيخ عليش تخريج هذه المسألة ؛ على نصين، استعمل في الأول: قياس الأولى، وفي الثاني: قياس المساواة.

فقال : وضمانه في الفرض المذكور معلوم بالأولى ؛ مما ذكره : أن من فتح بابه فانكسرت جرة زيت أسندت إليه غير عالم بها، فإنه يضمنها. وبالمساواة، مما ذكره في من أطلق حيواناً قيد خوف شروده فشرده فإنه يضمنه (5).

(1) ينظر: ابن شاش، 1423هـ، عقد الجواهر الثمينة تحقيق: حميد لمحمد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج2 ص693.

(2) خليل بن إسحاق، التوضيح في شرح المختصر لابن الحاجب، ج1 ص227.

(3) ينظر، ابن فرحون، كشف النقاب الحاجب، مرجع سابق، ص105.

(4) ينظر، الجندي، خليل بن إسحاق، التوضيح في شرح المختصر، ج2 ص396.

(5) انظر: عليش، 1409هـ، 1989م، منح الجليل، د.ط، بيروت دار الفكر، ج2، ص168 - 169.



2- وكذلك ما خرج ابن رشد بالقياس على قول مالك وأصحابه في مسألة، هل يشترط في صحة الإحرام مقارنة النية للفظ التكبير، فقال: "وليس لمالك رحمه الله تعالى في ذلك نص، ولا عن أحد من أصحابه المتقدمين، ولو كان ذلك عندهم من فروض الصلاة لتكلموا عليه، ولما أغفلوا ذكره، ولا وسع أحد منهم جهله".

وقال ابن رشد في هذه المسألة: "والصحيح عندي على مذهبه ومذهبهم؛ أنه ليس من شرط صحة الإحرام مقارنة النية التكبير، أنه يجزئ أن تتقدمه بيسير، فإذا قام الرجل ولم يجدد النية مع الإحرام معاً نسياناً فصلاته تامة جائزة، لتقدم نيته قبل تلبسه بالصلاة؛ إذ لا يتصور من القائم للصلاة عدم النية لها، قياساً على قولهم في الغسل والوضوء، وعلى ما أجمع عليه أهل العلم في الصيام، للنص الوارد في ذلك عن النبي - ﷺ - (1). والحديث المقصود هنا هو (إنما الأعمال بالنيات)(2).

فقد خرج ابن رشد هذا الرأي لمالك وأصحابه قياساً على ما قالوه في الغسل والوضوء، وبهذا صح المثل للتخريج بالقياس.

3- خرج المازري على قول الإمام مالك في النجش(3) أن من أعطي مثل ثمن السلعة وهو لا يرغب فيها بل في أن يقتدي به غيره، فهو ناجش. وقال ابن العربي إن بلغها الناجش قيمتها ودفع الغبن عن صاحبها، فهو مأجور ولا خيار للمُبتاع فالأول ناطق النهي بمجرد القصد ولا أثر عنده لثمن السلعة، والثاني بنى الحكم على مراعاة مصلحة البائع بدفع ضرر الغبن عنه، لذلك جوز بعضهم ما كان يفعله ابن الأديب في سوق الكتب جرياً على مقتضى هذا القول فقد كان هذا الرجل مشهوراً بالخير والصلاح وكان إذا حضر السوق يستفتح للدلالين ما يبتون عليه نداءهم، ولا غرض له في شراء الكتب.

(1) محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة في الأحكام الشرعية والتحصيلات والمحكمات لأمهات مسائل المشكلات، تحقيق: د. محمد حيي، دار الغرب الإسلامي، ج 1، ص 122.

(2) خرجه البخاري، في صحيحه ن كتاب بدء الوحي، ج 1 ص 9، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ: إنما الأعمال بالنيات، حديث رقم "1907" ج 2، ص 1515.

(3) يرى مالك أن النجش المنهي عنه في السنة أن يعطيه في السلعة أكثر من ثمنها، وليس في نفسه اشتراؤها فيقتدي به غيره، يقول النبي ﷺ "لا تَلْقُوا الرِّكْبَانَ لِلْبَيْعِ، وَلَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَلَا تَصْرُوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ فَمَنْ ابْتَاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بَخِيرٌ النَّصْرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلِبَهَا أَنْ رَضِيَهَا امْسِكْهَا وَإِنْ سَخَطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ". الموطأ: كتاب البيوع: باب ما ينهي عنه من المساومة والمبايعة: ج 2، ص 684.

وفعله هذا لا يجوز على قول المازري؛ لأنه لم ينو بمساومته أخذ السلعة (1)، ولكن من جَوَزَها، فقد خرَّجها على قول من نظر إلى مصلحة البائع ودفع الغبن عنه.

4- سئل ابن محرز عن دخل سوق المرجان، فنودي على نحو القنطار منه حتى بلغ ثمنًا معروفًا، فلما وزن تأمله المشتري، فوجد فيه اختلافًا كثيرًا تتوقف إحاطة علمه به على مشقة كبيرة؛ لأن ذلك يحتاج

إلى تنقيته، والتميز بين أنواعه جودة ورداءة. فهل يجوز هذا البيع مع هذا الاختلاف المتباين جزافًا؟ فأفتي بأن المشتري بالخيار إذا اعتقد أن جميع المرجان على نحو ما رآه حين النداء عليه، فلما فرغ له وجد معظمه أبخس، فهو بمنزلة من اشترى سلعة على صفة، فظهر خلافها والأصل الذي خرَّج عليه هذه الواقعة ما ورد في المدونة "إذا اشترى حنطة فنظر إلى بعضها فرضيه ثم نظر إلى ما بقي، فلم يرضه، فإن كان الذي لم يرضه على صفة ما رضي لزمه الجميع لتساويه" (2).

5- سئل ابن رشد عن أخذ الأجرة على تعليم القرآن فأفتي بالجواز جريا على مذهب مالك ومعظم أهل العلم، ومما احتج به لذلك القياس، فقد الحق تعليم القرآن ببنيان المساجد في جواز أخذ الأجرة في العمل من قرية، فانه وصف طردي لا يؤثر في الحكم، يقول في هذا المقام "ومن طريق النظر والقياس أن هذا عمل لا يلزمه أن يعمل، فجائز أن يأخذ الأجرة على عمله، وإن كانت فيه قرية فخرَّج هذه المسألة على مسألة استئجار من يقوم ببناء المساجد وما أشبه ذلك (3)".

6- أورد القاضي عيسى ابن سهل في نوازله حادثة "بأن رجلا باع حانوتا ملاصقا لداره، وكان في الحانوت حفرة مرحاض لم يعلم بها المشتري عند العقد، فلما أراد البائع تنقيتها منعه المبتاع قائلا له: بيعك للحانوت بجميع حقوقه ومنافعه يقطع حقلك من الحفرة، فأفتي القاضي ابن زرب أن هذا العقد موجب بقطع حق البائع في الحفرة إلحاقا بهذه النازلة بمسألة

(1) يقول البرزلي في جامعة: "لعل هذا اشتهر عنه في سوق الكتبين أنه يستفتح ولا إرادة له، فيعلم بذلك المزايدون فيكون جائزا مطلقا على كل قول، وحصل فيها الشيخ ثلاثة أقوال: المنع مطلقا، والجواز ما لم يزد على قيمتها، أو أنه ماجور فيذلك"، البرزلي 2002م، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد الحبيب، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج3، ص، 273.

(2) البرزلي، جامع مسائل الأحكام، ج3، ص، 273.

(3) انظر: ابن رشد، 1407هـ، 1987م، الفتاوى، تحقيق: المختار بن طاهر التليبي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص



أصبغ في جامع البيوع فيمن باع عرصته السفلى وكان يجري عليه ماء عرصته العليا، فلم يبين ذلك فممنعه المشتري.

فقال اصبغ ذلك له ويصرف عنه، ولا يلزمه إلا أن يكون من الأمور الظاهرة التي تعرف ويعرفها المشتري إلا معدل لها وان الماء منصب إليها لا بد له منها، ولا مصرف له على الوجوه كلها بأسبابه إلى المصالح الشرعية(1)، وهذا تخريج منه لمسألة وقعت في زمنه على مسألة أخرى تشبهها.

7- ورد في الطرر(2)، من أحب من أهل الأسواق تسقيف ما بين حوانيتهم وأبى بعضهم فمن أحب فله ذلك، ومن أبى لم يجبر كذا في جميع الصناعات، ومن أحب فتح كوة فيه أو نزع تسقيفة لم يمنع من ذلك ونزلت ونصّ فيها بهذا، ويتخرّج على قول من يقول: يجب على كل أحد ما قبله من زوال الطين إذا كان يضر بهم عدم التسقيف أن يجبر على التسقيف من أباه؛ لأنه من الأمر العام في السوق(3).

8- خرّج ابن القاسم بطريق القياس مسألة بيع البيض المسلوق بالنبي متفاضلا على بيع اللحم بالمشوي أو المطبوخ منه بغير أبزار في المنع بجامع انتفاء الصنعة في السلق والنار(4).

والتخريج في هذه المسألة كان عن طريق إلحاق هذا الفقيه المرأة التي سقت زوجها فأصبح مجذوما بمن ضرب سنا فاسودت أو اخضرت في وجوب الدية بجامع زوال الحسن والجمال.

الخاتمة

(1) القرافي شهاب الدين بن أحمد، (د. ت.): الفروق مع حاشية إدرار الشروق على أنواء الفروق، بيروت، دار المعرفة، ج2 ص 107.

(2) هي التعليقات والحواشي القصيرة وبخاصة التي يكتبها الطلبة زمن الإقراء عن مشايخهم، وأصبح الاسم علماً على هذا النوع من المؤلفات، وتنسب إلى صاحبها كطرر ابن عات وابن الأعرج وغيرهما)) إبراهيم أحمد على محمد، 2000م، كتاب اصطلاح المذهب عند المالكية، ط1، الإمارات العربية، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية، ص 342.

(3) البرزلي: جامع مسائل الأحكام، ج4، ص 370.

(4) قال في البيض المسلوق بالنبي متفاضلا لا خير فيه ليس السلق صنعة، قال محمد بن رشد: هذا صحيح على أصله في المدونة في اللحمين ان النار فيها ليس بصنعة يبيع التفاضل في الصنف الواحد منها إذا شوي أو طبخ بغير ابزار، فالسلق في البيض كالشيء في اللحم بغير ابزار، ابن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة من الأشمعة المعروفة بالعتيبة، لمحمد العتيبي القرطبي، تحقيق: مجموعة من العلماء، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج1 ص 311، 312.

إن التخريج الفقهي طريقة من طرق التعرف على أحكام النوازل والمقصود به " هو استنباط الأحكام الشرعية العملية وما يوصل إليها من خلال آراء أئمة المذهب وقواعدهم"،

1- تخريج الفروع على الفروع جائز عند المالكية، وإن خالف في ذلك البعض.
2- ظهر لي من هذه الدراسة أيضاً إن من أسباب نمو المذهب واتساعه، هو التخريج الفقهي، فقد استطاع المخرجون بواسطته أن يسايروا تطوّر الزمن، وأن يجدوا للنوازل والحوادث أحكامها.

3- أنّ فقهاء المالكية اعتمدوا على التخريج، حيث كان له أثر بارز في فتاويهم، وكذلك تبخّر المتأخرين من علماء المالكية في مذهب الإمام مالك، والتزام أصوله وفروعه، فكان التخريج عندهم من أهمّ المسالك التي اتبعت في الإجابة عن النوازل.

4- تقييد عملية التخريج بمجموعة من الضوابط والشروط منها: أن يستجمع المخرج أدوات التخريج وشروطه، ومراعاة المقاصد الشرعية والاحتياط، وقصر التخريج الفرعي على ما نص الإمام على علته، وأن لا يكون النص المخرج عليه مخالف لما هو أولى من الأدلة.

إن موضوع التخريج الفقهي للنوازل موضوع واسع وكبير ولأهمية أقترح وأوصي بما يلي:

- 1- الاهتمام بتدريس فقه النوازل ومنهج تخريج أحكامها .
- 2- توجيه الباحثين إلى الاهتمام بدراسة النوازل المعاصرة وفقاً لطرق الاستنباط الصحيحة التي سار عليها الأصوليون والفقهاء .
- 3- توجيه الباحثين للاهتمام بالتخريج الفقهي للنوازل المعاصرة، وفقاً للضوابط والشروط المثلى لذلك .
- 4- الاهتمام بتحقيق المخطوطات المختصة بالفتاوى والنوازل والتي لا زالت حبيسة المكتبات في العالم .

5- أن تعرض موضوعات، لمرحلي الماجستير والدكتوراه، فيها دراسة لكتب النوازل، قائمة على التحليل والتطبيق، وبيان جهد العلماء في تخريج الأحكام، وذلك من خلال مصنف معين وموضوع معين من العبادات أو المعاملات، أو الأنكحة، أو الحدود والجنايات، وهكذا.

المصادر والمراجع

- 1- أحمد المزيدي، 1428 هـ، شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.
- 2- أحمد مختار عبد الحميد، 1429 هـ، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1.
- 3- ابن إسحاق، التوضيح في شرح مختصر لابن الحاجب، تحقيق أحمد بن عبد الكريم، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، 1429 هـ



- 4- البرزلي، 2002م، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق: محمد الحبيب، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1.
- 5- البخاري، 1413هـ، صحيح البخاري، موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، اسطنبول، ط2.
- 6- بكر أبو زيد، 1417هـ، المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل، دار العاصمة، ط1.
- 7- ابو بكر بن دريد، 1998م، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير، بيروت، دار العلم للملايين، ط7.
- 8- برهان الدين النفاتي، تخریج الفروع على الفروع عند المالكية، المغرب، محاضرات الملتقى الثامن للمذهب المالكي.
- 9- ابن تيمية، 1384هـ. المسودة في أصول الفقه، مصر، مطبعة المدني.
- 10- الجوهري، 1407هـ، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت، دار العلم للملايين.
- 11- الحجوي، محمد الحجوي، 1396هـ، الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي، ت: د. عبد العزيز بن القاري، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ط1.
- 12- أبو حسن اللخعي، 1432هـ، التبصرة، تحقيق: أحمد نجيب، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- 13- الخطاب الرعي، 1412هـ، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3.
- 14- خليل بن إسحاق، 1429هـ، التوضيح في شرح المختصر لابن الحاجب، تحقيق أحمد بن عبد الكريم، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث.
- 15- ابن رشد الحفيد، 1994م، الضروري في أصول الفقه تحقيق: جمال الدين العلوي، بيروت، دار العرب الإسلامي، ط1.
- 16- ابن رشد الجد، 1408هـ، المقدمات الممهدات، تحقيق: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1.
- 17- ابن رشد الحفيد، 1994م، الضروري في أصول الفقه، تحقيق: جمال الدين العلوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1.
- 18- ابن رشد، 1407هـ، الفتاوى، تحقيق: المختار بن طاهر التليلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 19- ابن رشد، 1408هـ، البيان والتحصيل، تحقيق محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2.
- 20- الشريف التلمساني مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول، تحقيق أحمد خلف الله، مصر، الجزيرة للنشر والتوزيع.
- 21- ابن شاش، 1423هـ، عقد الجواهر الثمينة تحقيق: حميد لمحمد، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- 22- شهاب الدين القرافي، 1994م، الذخيرة تحقيقك محمد بو خيزة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1.
- 23- شهاب الدين النفراوي، 1415هـ، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر.
- 24- صدام محمدي، 2016م، تخریج الفروع على الفروع نماذج تطبيقية من تبصرة اللخعي، رسالة ماجستير، الجزائر.
- 25- الطاهر أحمد الزاوي، بدون ت، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر، ط3.
- 26- عبد الله بن الحاج الطوي، 1425هـ، نشر البنود شرح مراقي السعود، تحقيق: محمد بيب، ط1.
- 27- ابن العربي، 1424هـ، الأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية.

- 29- ابن فارس الرازي، 1399 هـ، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.
- 30- الفراهيدي الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- 31- ابن فرحون، 1990 م، كشف النقاب الحاجب، تحقيق: حمزة أبو فارس وعبد السلام الشريف، بيروت، دار غرب الإسلامي، ط1.
- 32- القرافي شهاب الدين بن أحمد، (د. ت): الفروق مع حاشية إدرار الشروق على أنواء الفروق، لأبي 33- القاسم سراج الدين، المعروف بالشَّاط، وهامش الكتابين تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، لمحمد بن علي الحسين، بيروت، دار المعرفة.
- 34- المازري، أبو عبد الله محمد بن علي، 2008 م، شرح التلقين، تحقيق مختار السلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1.
- 35- محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة في الأحكام الشرعية والتحصيلات والمحكمات لأمّهات مسائل المشكلات، تحقيق: د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي.
- 36- محمد بن علي السنوسي، 1968 م، بغية المقاصد في خلاصة المراسد (أو كتاب المسائل العشر)، ليبيا، وزارة الإعلام والثقافة.
- 37- محمد علي، 2010 م، تهذيب الفروق والقواعد الستة في الأسرار الفقهية وهي هامش على كتاب الفروق، السعودية، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- 38- محمد عليش، 1409 هـ، 1989 م، منح الجليل، بيروت، دار الفكر، د. ط.
- 39- محمد يحيى الولاتي، 1327 هـ، فتح الودود شرح مراقي السعود، المغرب، المطبعة المولوية بفاس.
- 40- مرابط الشنقيطي، 1413 هـ، مراقي السعود، تحقيق: محمد المختار الشنقيطي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
- 41- مسفر القحطاني، 2000 م، منهج استخراج الأحكام الفقهية للنوازل، السعودية، جامعة أم القرى.
- 42- مسلم، 1413 هـ، صحيح مسلم موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، اسطنبول، ط2.
- 43- ابن ناجي التنوخي، 1428 هـ، شرح التنوخي على متن الرسالة، تحقيق: أحمد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1: اسم الشهرة، اسم المؤلف، (تاريخ النشر)، اسم الكتاب، (الطبعة)، مكان النشر، دار الناشر.
- 44- نوار بن الشلي، 1431 هـ، نظرية التخريج في الفقه الإسلامي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1.
- 45- النووي، أبي زكريا محي الدين النووي، المجموع شرح المذهب، تحقيق محمد نجيب، مطبعة المكتبة العالمية.
- 46- الونشريسي، أحمد الونشريسي، المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، بيروت، دار الغرب الإسلامي.



المحددات السلوكية لدى أطفال التوحد وإدراك الآباء والأمهات لأثارها السلبية بالمنطقة التعليمية ترهونه المدينة. (دراسة تحليلية)

د. الشارف عبد الكريم أحمد المرزوقي

جامعة الزيتونة ، كلية التربية / ترهونه

ملخص الدراسة :

تهدف الدراسة إلى التعرف على الأطفال الذين قد يكون لديهم اضطراب طيف التوحد بالمنطقة التعليمية ترهونه المدينة ، ومعرفة مدى ادراك الاباء والأمهات للآثار السلبية للمحددات السلوكية في المقياس المستخدم . واستهدفت الدراسة الاطفال المسجلين بمدارس رياض الاطفال للعام الدراسي 2019 - 2020 م . وقد بلغ مجتمع الدراسة (404) طفلاء منهم (204) ذكورا ، (200) إناثا . وتراوحت اعمارهم في سن ما قبل المدرسة [4 ، 5] سنوات ، وتم اختيار العينة بطريقة عمدية الاطفال المسجلين بسجل الاخصائي الاجتماعي بهذه المؤسسات ، والبالغ عددهم (46) طفلاء منهم (34) ذكورا ، (12) إناثا . واستخدم مقياس الطفل التوحدي من إعداد عادل عبد الله (2000) وبه ثمانية وعشرون محددات سلوكية للكشف عن اضطراب التوحد . بالإضافة إلى استمارة للأسئلة المفتوحة حول مدى ادراك الاباء والأمهات لأسباب المرض حسب رؤيتهم ، وكذلك معرفتهم للآثار السلبية لهذه الاعراض على الأسرة ومستقبل حياة الطفل المصاب . وتوصلت الدراسة إلى وجود أطفال يعانون من اضطراب طيف التوحد بالمنطقة التعليمية ترهونه المركز ، وقد بلغ عددهم [04] حالات ذكور فقط . وإن الآباء والأمهات مدركين أسباب هذا الاضطراب بأنها تتعلق بالناحية الفسيولوجية والعصبية ، ويعرفون أن عملية علاجه غير ممكنة في الوضع الراهن ، ومدركون الآثار السلبية المرتبطة به وفق المحددات السلوكية الواردة في المقياس المستخدم . وتم اتباع المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى ما تهدف إليه الدراسة .

المقدمة : يعرف القانون الأمريكي لتعليم الأفراد المعاقين Individual With Disabilities Education Act التوحد بأنه " إعاقاة تطويرية تؤثر بشكل ملحوظ على التواصل اللفظي وغير اللفظي، والتفاعل الاجتماعي، وتظهر الأعراض الدالة عليه بشكل ملحوظ قبل سن الثالثة من العمر ويؤثر سلبيا على أداء الطفل التربوي (الزريقات ، 2004 ، 69) .

وإن معرفة الأسباب الحقيقية لمشكلة الطفل التوحدي Autism من أهم خطوات العملية الوقائية ، وكذلك من أهم الوسائل في التشخيص والعلاج ، وقد أجريت العديد من الدراسات لهذا الغرض ، ولكن لم تتوصل هذه الدراسات إلا لمعطيات فقط عن أسباب هذا الاضطراب ، ولم تعطي التفسيرات النهائية لحدوثه ، ولذلك فإن السبب الرئيسي لمشكلة التوحد مازال مجهولاً (رياض 2008 ، 76) .

ومن الناحية النظرية يفترض أن الأسرة هي المسؤولة عن معرفة مدى استجابة الطفل لما يدور حوله من مثيرات منذ الأشهر الأولى؛ كما أنها تستطيع معرفة ما إذا كان الطفل قادراً على التركيز والانتباه والإدراك أم لا، وتحديد مستوى ذلك. وتستطيع أيضاً معرفة أوجه النشاط الذي يقوم به، وكذلك معرفة مدى قدرته على التعبير عن ذاته للحصول على حاجاته، ومتطلباته والتفاعل مع من حوله، ونوع السلوك الذي يقوم به ومعرفة درجة العجز لديه، وهذا ما يطلق عليه **المحددات السلوكية** لتشخيص اضطراب التوحد، والمستخدم على نطاق واسع لدى العديد من الباحثين إلا أنها في نطاق مقنن، وهذه المحددات ترتبط بآثار سلبية على الطفل المصاب ووالديه، ونرى أن إدراكها من قبل الوالدين سيجلب لهم الفرصة لأخذ التدابير اللازمة حيالها، ومن ثم التخفيف من شدة آثارها.

أما من الناحية التطبيقية فقد لا تستطيع الأسرة التعرف المبكر على هذا الاضطراب وذلك نظراً لعدم معرفتها لكثير من الجوانب المرتبطة به، وهذا الأمر يتطلب الاستعانة بذوي الاختصاص من أخصائيين ومؤسسات ومراكز خاصة تُعنى بتأهيل وتدريب وتعليم من يعانون من هذا الاضطراب، والحد من آثاره السلبية (المرزوقي، 2017، 106).

وهذه الدراسة ستتناول المحددات السلوكية التي من المفترض أن يدركها آباء وأمهات الأطفال الذين يعانون من اضطرابات نمائية حتى يتسنى لهم معرفتها، ومعرفة الآثار السلبية المترتبة عليها، وكيفية التعامل معهم، والابتعاد عن الاضطرابات النفسية التي قد تنتاب الأسرة من جراء وجود طفل يعاني من اضطراب التوحد بين أحضانها.

تحديد المشكلة: أن معلمي ومعلمات رياض الأطفال يستطيعون وبكل يسر الكشف عن جوانب القصور لدى الأطفال المسجلين لديهم، إلا أن عدم الماهم بالأعراض الفارقة للاضطرابات النمائية يجعلهم غير قادرين على تشخيص الاضطراب، ومعرفة أسبابه. ومن خلال زيارتي لمدارس رياض الأطفال بترهونه المدينة لغرض معرفة أهم المشكلات لديهم، وبالأخص في الجوانب النمائية؛ أكدوا لي أن بعض الأطفال لديهم بطء في الاستيعاب، وصعوبة في التواصل مع أقرانهم، ولا يستطيعون الحوار والتفاعل مع الآخرين، ويميلون للانطواء، وعدم المشاركة في المناشط التربوية والتعليمية المختلفة، ومنهم من لديه حركات نمطية، وآخرون لديهم نشاط زائد، وحركة مفرطة تعيق التعامل معهم بسهولة، وبعض الأطفال لديهم عدوانية، واللامبالاة، وغيرها من المظاهر السلبيه، وبالتالي رأيت من الضروري مناقشة إدارة هذه المؤسسات، والمكلفين بمهام الأخصائي الاجتماعي بها عن الاجراءات التي تم اتباعها لمعرفة المسببات وتشخيص هذه الاضطرابات، وخاصة الحالات التي تعاني من قصور وعجز في اللغة والتواصل والتفاعل الاجتماعي، ومن لديهم سلوكيات نمطية عشوائية متكررة، وهو ما يبرز اضطرابات نمائية لديهم وفي مقدمتها اضطراب التوحد؛ والعمل على معرفة المحددات السلوكية المرتبطة



هذا الاضطراب وفق مقاييس علمية مقننة ، ومعرفة مدى إدراك الآباء والأمهات لهذه المحددات والآثار السلبية المرتبطة بها. وتتحدد مشكلة الدراسة في السؤال التالي :
هل يعاني بعض أطفال رياض الأطفال بالمنطقة التعليمية ترهونه المدينة من اضطراب التوحد ؟

ويندرج تحت هذا السؤال الاسئلة الفرعية الآتية :

- ما هي المحددات السلوكية التي يتم من خلالها الكشف وتشخيص اضطراب طيف التوحد ؟
 - ما الآثار السلبية المترتبة عن المحددات السلوكية للأطفال المصابين باضطراب التوحد ؟
 - ما مدى إدراك الآباء والأمهات للآثار السلبية لاضطراب التوحد وفق المحددات السلوكية ؟
- أهمية هذه الدراسة : تكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن أعراض اضطراب التوحد لدى الاطفال المسجلين بمدارس رياض الأطفال بالمنطقة التعليمية ترهونه المدينة ، وكذلك معرفة المحددات السلوكية للأطفال المصابين بطيف التوحد ، والآثار السلبية المرتبطة بها ومدى ادراك الآباء والأمهات لهذه الآثار ، والعمل على الحد منها . كما تكمن أهميتها في العينة التي استهدفتمها حيث يُشكلون ثروة بشرية لا يستهان بها ، ومعرفة ما يعانونه من اضطرابات سيتيح فرصة توجيه وإرشاد معلمهم لكيفية التعامل معهم ، وتبصير أسرهم بمستوى الاضطراب ودرجته ، والآثار السلبية المرتبطة به ، والعمل على علاجها في وقت مبكر .
- ونطمح من خلال النتائج للوصول إلى توصيات نضعها بين يدي المختصين تتضمن الكشف عن الغموض المرتبط بهذا الاضطراب ، وآلية التعامل مع المصابين ، ووضع البرامج التدريبية والتعليمية التي ترفع من مستوى أدائهم ، وتفاعلهم مع الآخرين .

أهداف الدراسة / أولاً : الأهداف النظرية :

1. التعرف على الأطفال الذين لديهم أعراض اضطراب التوحد .
2. التعرف على المحددات السلوكية التي من خلالها يتم الكشف وتشخيص اضطراب التوحد .
3. معرفة مدى إدراك الآباء والأمهات للآثار السلبية المرتبطة بطيف التوحد .

ثانياً : الأهداف التطبيقية :

1. تطبيق مقياس يتضمن المحددات السلوكية لتشخيص اضطراب التوحد بمرحلة ما

قبل المدرسة (رياض الاطفال ، التمهيدي) .

تحديد المصطلحات / تعريف التوحد :

(١) التوحد : يعرف جوردان (2001) بأنه اضطراب لدى الطفل يتمثل في عدم مقدرة على التفاعل مع الآخرين ، ويُظهر صعوبة في التواصل مع الرفاق والمعلمين ومن يقومون برعايته : إضافة إلى ظهور أنماط سلوكية غير مألوفة (Jordan, 2001, 163).

(2) التوحد هو اضطراب نمائي معقد يُعد من الاضطرابات السلوكية ، يظهر بوضوح في السنوات الثلاث الأولى من حياة الطفل على شكل عجز يعيق تطوير المهارات الاجتماعية والتواصل اللفظي ، وغير اللفظي نتيجة خلل عصبي يؤثر على الطريقة التي يتم من خلالها جمع المعلومات ومعالجتها بواسطة الدماغ مسببة مشكلات في المهارات الاجتماعية واللغوية (أحمد سليم ، 2007 ، 7).

(3) وقد عرفته الجمعية البريطانية للأطفال التوحديين National Society for Autistic Children NSAC 1978 إلى أن اضطراب التوحد يشتمل على المظاهر التالية:

- اضطراب في معدل النمو والسرعة.
 - اضطراب حسي عند الاستجابة للمثيرات .
 - اضطراب التعلق بالأشياء والموضوعات والأشخاص.
 - اضطراب في التحدث والكلام واللغة والمعرفة (الزراع ، 2005 ، 17).
- التعريف الإجرائي :هو مجموع استجابات أفراد العينة لمعرفة ما إذا كانوا يعانون من اضطراب التوحد حسب المحددات السلوكية التي يتضمنها المقياس المستخدم .
- الآثار السلبية : تتمثل في النتائج المترتبة عن الإصابة باضطرابات نمائية مثل القصور في اللغة ، وعدم القدرة على التخاطب الهادف ، وبناء علاقات مع الآخرين والتفاعل معهم ، وكذلك حالة القصور في استغلال القدرات العقلية المعرفية ، بما يؤهل للتوافق الشخصي والاجتماعي ، واستيعاب المقررات الدراسية في الفترة الزمنية المحددة لها .
- المحددات السلوكية : هي الأعراض التشخيصية لاضطراب طيف التوحد المتمثلة في السلوكيات غير الهادفة القابلة للقياس والتقويم والتقييم من طرف القائمين على رعاية الأطفال المصابين وكذلك والديهم .

رياض الأطفال : هي مرحلة ما قبل المدرسة ، وتستهدف الأطفال في السنتين الرابعة والخامسة لغرض ادماجهم مع أقرانهم ، وتدريبهم على عدة مهارات أساسية ، وتأهيلهم لدخول المدرسة النظامية .

حدود الدراسة

الحدود البشرية : ستجرى هذه الدراسة على الأطفال المسجلين في مدارس رياض الأطفال والتمهيدي .

الحدود المكانية والزمنية : سيتم اجراء الدراسة في نطاق مكتب التربية والتعليم ترهونه المدينة خلال العام الدراسي : 2019 . 2020 م .

الحدود المنهجية : تتحدد بالمراجع التي سيتم الاستعانة بها في الاطار النظري والجزء العملي لتحقيق ما تهدف إليه الدراسة . مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي .



الاطار النظري للدراسة : يشير الدليل التشخيصي الخامس DSM- 5 (2013) إلى وجود عجز ثابت في التفاعل الاجتماعي ، والتعامل العاطفي ، والفشل في المحادثة ، وتدني الاهتمامات والتواصل اللفظي وغير اللفظي ، والشذوذ في التواصل البصري ولغة الجسد ، وعدم فهم الايماءات ، وعدم تطوير العلاقات ، وصعوبة في تعديل السلوك ، وعدم المشاركة في اللعب التخيلي ، وانعدام الاهتمام بالأقران وتكوين صداقات معهم ؛ وتستند كل ذلك على الشدة Level of Severity في اضطراب التوحد وفق مستويات في التواصل الاجتماعي ، والسلوكيات النمطية المتكررة :

المستوى الثالث : وهو الأشد من حيث العجز في مهارات التواصل اللفظي وغير اللفظي مما يؤدي إلى تدني شديد في الأداء ، ومحدودية في التفاعل الاجتماعي ، ولديه انعدام المرونة في سلوك نمطي متكرر ، ويعاني من صعوبة شديدة في التعايش والانسجام مع الغير ، والسلوك النمطي المتكرر يتداخل بوضوح مع الأداء في جميع النواحي ، ويحتاج إلى دعم كبير جداً

المستوى الثاني : يكون فيه العجز واضح في مهارات التواصل اللفظي وغير اللفظي ، مع استجابات اجتماعية شاذة ، ولديه تواصل اجتماعي غير لفظي غريب ؛ والسلوك النمطي المتكرر لديه يكون ظاهر للآخرين ويتداخل مع الأداء في جميع النواحي مع انعدام المرونة في السلوك وصعوبة التكيف مع الغير ، ويحتاج إلى دعم كبير .

المستوى الأول : يكون فيه صعوبة في بدايات التفاعل الاجتماعي مع استجابات غير ناجحة ، وتدني الاهتمام بالتفاعل الاجتماعي ، ومحاولته لتكوين أصدقاء عادة ما تكون غير ناجحة ؛ أما السلوك النمطي المتكرر تنعدم فيه المرونة كذلك بسبب التداخل مع الأداء في مجال واحد أو أكثر ، ولديه صعوبة في تغيير الأنشطة ومشاكل التخطيط والتنظيم والاستقلالية ، ويحتاج إلى دعم (DSM-5 ، 2013 ، 28) .

نسبة انتشار اضطراب التوحد : أن نسبة انتشار اضطراب التوحد لا يمكن تحديدها بدقة وذلك لغموض الاضطراب في أعراضه ، واختلاف المجتمعات ثقافياً واجتماعياً وتعدد المقاييس والاختبارات ، وعدم وجود محكات ومعايير تشخيصية لها ، وتداخل أعراضه مع عدد من الاعاقات الذهنية والعقلية الأخرى وعدم معرفة الأسباب الفعلية وراء الإصابة بهذا الاضطراب ، وعدم وجود برامج تدريبية تأهيلية أو تعليمية ذات جدوى للتغلب على الكثير من السلبيات المرتبطة باضطراب التوحد ، وتركيز مقاييس عدة على المحددات السلوكية دون غيرها من الاسباب .

ورغم ذلك توصلت الدراسات إلى أن النسبة العالمية لانتشار طيف التوحد تتراوح بين [5 - 15] لكل عشرة آلاف حالة وتشمل هذه النسبة جميع فئات التوحد ، وتبلغ عند الذكور مقارنة بالإناث [4 : 1] (الشامي ، 2004 ، 49) .

أعراض الطفل التوحدي (المحددات السلوكية) : إن الأعراض هي مؤشرات سلوكية ظاهرة قابلة للملاحظة والقياس ، وتمتاز بالثبات والتكرار حتى وإن اختلفت البيئة التي يعيش فيها أو تغير المحيطين بالطفل المصاب . وأعراض طيف التوحد لازالت في اطار محددات سلوكية ظاهرة يمكن لنا قياسها في بعض صورها التي تندرج في سياق الاختبارات والمقاييس المقننة ومن هذه المحددات ما يلي :

1. أداء حركات مكررة ونمطية بالأيدي أو الأصابع مثل اللعب بنفس اللعبة بشكل مكرر ونمطي .
2. التكرار في الكلام أو ما يسمى الكلام النمطي .
3. الاضطراب عند تغيير الروتين مثل الانتقال من مكان إلى آخر .
4. الاستجابة غير الملائمة للاستثارة الحسية ، مثل الحساسية المفرطة للصوت .
5. الصوت يكون غير معبر (كالصراخ) ولا يعكس الحالات الوجدانية أو العاطفية .
6. عدم وجود ردود فعل عما يجري حوله .
7. صعوبة التواصل اللغوي .
8. اضطراب التفاعل الاجتماعي .
9. نقص الانتباه وما يترتب عليه من عجز اللغة .
10. العجز عن التقليد واكتساب المهارات (حمودة 1991 : 75) .
11. يبدو الطفل وكأنه يعيش في عالم خاص .
12. إذا صدرت من الطفل بعض الإشارات أو الإيماءات فلا تكون لها معنى ولا مغزى .

ويشير عادل عبد الله (2000) في المقياس المستخدم بهذه الدراسة إلى المحددات السلوكية لتشخيص اضطراب الطفل التوحدي والتي تتمثل في : قصر الانتباه ، استخدامه لكلمات وترديدها دون معرفة معناها ، يبدى سلوك عدواني تجاه نفسه والآخرين ، ويقاوم التغيير في الروتين مهما كان بسيطاً ، وردود فعله غير عادية ، ولا يقلد أفعال الآخرين ؛ كما أنه مفرط السلبية ، ولا يستطيع تحديد الأشياء موضع اهتمامه ، ولديه قصور واضح على القدرة اللغوية ، ولا يتقبل أن يمسه أحد ولو كان والديه ، ولا يظهر إحساس بالألم ، ويعاني أيضاً من نقص واضح في القدرة على اللعب التخيلي ، وتنقصه القدرة على المبادأة وإقامة الحوار مع الآخرين ، لا يفهم التعبيرات الوجهية بشكل صحيح ، ويعاني كذلك من انشغاله بشيء واحد أو شخص واحد ، وعدم قدرته على اظهار عواطفه وانفعالاته تجاه الآخرين والتعبير عنها ، ولا يستطيع التفاعل مع القائمين برعايته ، ولا يستخدم الايماءات والإشارات بشكل مناسب ، وأساليب الاداء الحركي نمطية متكررة ، وإنهم ينشغلون بأجزاء من الأشياء ، وتنتابهم نوبات غضب وصراخ دون سبب واضح ، لا يكثر بما يقال له ؛ أي كأنه أصم ، ويفضل الانسحاب من المواقف والتفاعلات الاجتماعية ، ويعاني أيضاً من صعوبة بالغة في الاختلاط بالآخرين ، وعدم قدرته على التعلق



بالآخرين بما في ذلك أبويه، ولا ينظر إلى عيون الآخرين، ويحملك بعينه معظم الوقت، وينتقل بشكل ملفت من لعبة إلى أخرى (عادل، 2000).

الآثار السلبية لاضطراب التوحد

الآثار السلبية المرتبطة باللغة: تعتبر اللغة هي الوسيلة للتواصل مع الآخرين، والتعبير عن الذات، والحصول على المتطلبات والحاجات. ويتم اكتسابها بطريقة تلقائية وتدرجية؛ وحاسة السمع تعد الأساس لتعلمها، وبطبيعة الحال هناك مراكز في المخ لهذا الغرض يسهم في عملية تطويرها. إلا أن المصابين باضطراب التوحد لا تنطبق عليهم هذه القاعدة؛ فهم في نطاق الأسرة متاح لهم اكتساب اللغة، وحاسة السمع لديهم سليمة، ولكن المراكز المخية قد لا تقوم بوظيفتها على الوجه الأكمل.

الآثار السلبية المرتبطة بالسلوك: تتمثل الخصائص السلوكية في النشاط الذي يقوم به المصاب، والذي لا يرتقي إلى مستوى الفرد الطبيعي القادر على ادراك الواقع، والاستجابة الطبيعية للمؤثرات ومثيرات الحياة، والتعايش السلمي مع الآخرين ومشاركتهم في مناشطهم المختلفة، وامتلاكه لخصائص الشخصية الإيجابية وفي هذا السياق تشير سوسن الجبلي (2005) إلى الخصائص السلوكية للطفل المصاب باضطراب التوحد:

- (1) يفتقد الإحساس بالهوية الشخصية.
- (2) يتصف بالقصور في أداء بعض المهارات الحياتية.
- (3) ليست لديه استقلالية؛ بل اعتمادي ويعجز عن رعاية نفسه أو حمايتها أو إطعام نفسه؛ بل يحتاج لمن يطعمه أو يقوم بخلع أو ارتداء ملابسه.
- (4) لديهم ضعف الاستجابة للمثيرات الخارجية.
- (5) الفشل في اكتسابه اللغة وكافة طرق الاتصال الأخرى.
- (6) قصور في عمليات الإدراك الحسي وغيرها من العمليات العقلية الأخرى.
- (7) عدم تقديرهم للمخاطر التي يتعرضون لها.
- (8) يحب الإمساك والتفحص للأجسام الدقيقة كحبات الرمل أو بذور الأعشاب.
- (9) لا يشعر بشيء قد يسبب له الألم.
- (10) سلوكهم أكثر اتصافاً بالعدوانية مع أنفسهم ومع الآخرين (سوسن، 2005، 57).

وهذه الخصائص تمثل حالة فشل شبه تام في السلوك الهادف الذي من خلاله يستطيع حل المشكلات التي تعترضه في الواقع المعاش.

الآثار السلبية المرتبطة بالجانب الانفعالي: إن الخصائص الانفعالية لدى الطفل تنعكس على سلوكه؛ فتظهر لدى الطفل المصاب بالتوحد حالة من القلق دون معرفة المسببات على وجه الدقة وبالأخص عند تغير الروتين اليومي. كما أنه لا يدرك المخاطر التي قد تنتج عن تصرفاته، وينتابه شعور بالحزن غير المبرر، وتقلب المزاج، وسلوك عشوائي مع برود عاطفي شديد أي

يفتقد إلى الاستجابة لمشاعر العطف والانتماء للآخرين ، ويعتقد الأهل أن الطفل يعزف عن صحبة الآخرين ولا يهم بأن يكون وحيداً (أحمد سليم ، 2007 ، 6) .

الآثار السلبية المرتبطة بالخصائص المعرفية والأكاديمية : إن العمليات العقلية المعرفية لها أهمية بالغة في التعليم والتعلم ؛ لأنها تتمثل في القدرة على الانتباه ، والتعرف والاسترجاع ، والتذكر والفهم ، والإدراك ، والقدرة على التفسير والتأويل ، والمقدرة على الربط بين المفاهيم ، والاستجابة للمثيرات . ولكن المصابين بالتوحد لديهم اضطراب ناتج عنه قصور في العمليات العقلية المعرفية ؛ وقد تُظهر بعض الحالات تفوقاً في المهارات الميكانيكية ، والموسيقية .

ومعدل الذكاء لدى أطفال التوحد متدني مقارنة بمن هم في مرحلتهم العمرية ، فمن الملاحظ أن عمرهم الزمني لا يتوافق مع العمر العقلي ؛ فمن بلغ عمره عشرة سنوات قد يكون عمره العقلي ثلاثة سنوات . لأنهم فاقدي القدرة على استغلال إمكاناتهم العقلية مثل التفكير الفعال ، والتفكير التباعدي ، والقدرة على حل المشكلات ، والتغلب على صعوبات الحياة . كما أنهم يتصفون بشكل عام بالقصور في مهارات التقليد ويؤكد " روتر " (1978) أن نسب الذكاء لدى الأطفال المصابين بالتوحد تكاد تكون ثابتة حتى لو حدث تحسن في الجانب الاجتماعي نتيجة لأساليب التدخل ، ويبرر سبب أدائهم المنخفض على اختبارات الذكاء بأنهم يتجنبون الإجابة بالرغم من معرفتهم لها (حمودة ، 1999 ، 9) .

وهذا بطبيعة الحال يؤثر على القدرة الاستيعابية لأطفال التوحد ، فيصاب بحالة من الجمود الفكري والعقلي والمعرفي ينتج عنه تشوش الإدراك الحسي وصعوبة في تفسير المثيرات من حوله .

الآثار السلبية المرتبطة بالخصائص الاجتماعية : إن ما يميز الطفل المصاب بالتوحد ضعف التفاعل الاجتماعي نتيجة انعزاله عن الآخرين ، وعلاقات ضعيفة مع كل من الراشدين والأطفال ؛ كما تظهر عليه أعراض الانسحاب الاجتماعي والانطواء على النفس وعدم القدرة على إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين؛ كما أنه لا يستجيب للحمل والاحتضان ، ويتجنب الطفل الأكبر سناً وفي العادة النظر في وجه إنسان آخر ويمتنع بشكل خاص عن إقامة الاتصال البصري المباشر . إضافة إلى ذلك يعانون من حساسية الزائدة إزاء بعض المثيرات كالأصوات أو الروائح ، أو اللمس . وأطفال التوحد يعانون من اللامبالاة في تصرفاتهم ، ولا يُظهرون مظاهر الفرح والسعادة ، وهذه الآثار شملت جميع جوانب الشخصية لدى الطفل المصاب بالتوحد ، ولا تقتصر هذه الآثار عن المصاب فقط ؛ بل تلقي بآثارها على الأسرة وعلى رأسهم الأب والأم .

العوامل المسببة لإعاقة التوحد : إن اضطراب التوحد لا زال يكتنفه الغموض من حيث مسبباته فقد تعدد الدراسات بتعدد المهتمين والباحثين في هذا المجال إلا أن النتائج لم تكن جازمة في بيان الأسباب الفعلية المؤدية لهذا الاضطراب الذي جعل المصاب به غير طبيعي في سلوكياته التي تنم عن عدم قدرته على ادراك الواقع كما هو عليه بما فيه من مؤثرات ،



واستجاباته لا تندرج مع المثيرات والمتطلبات ، فتظهر مظاهر العجز في التواصل مع من حوله ، ولا يستطيع القيام بالمهارات الأساسية التي تُعد ضرورية للسير في ركب الحياة . ويشير قاسم إلى أن بعض الدراسات توصلت إلى مؤشرات ترتبط باضطراب التوحد منها : وجود تشوهات في حجم المخ ووظائفه ، وقد يكون سبب المرض عيباً خلقياً في الجينات ، ولديهم كذلك تشوهات في الناقلات العصبية ، وإن قشرة المخ لدى مرضى التوحد لا تعمل باستثناء الجزء الخاص بالعمليات البصرية وجزء من الذاكرة مع وجود عيوب في اللوزة ، وحصان البحر ، والمخيخ ، وإن أجسامهم لا تستطيع التخلص من المعادن الثقيلة كالزئبق وغيره ؛ مما يؤدي إلى تراكمها وحدوث تسمم في المخ ، وإن أغلب مرضى التوحد لا تتحمل أجسامهم الألبان ومنتجاتها والبيض ، ولا توجد لدي بعض منهم إنزيمات خاصة بهضم البروتينات والتي تتراكم في المخ ، وتسبب لهم الإسهال والاضطرابات المعدية ، وإن أغلب مرضى التوحد لديهم اختلالات في جهاز المناعة (قاسم ، 2001 ، 47) .

وفيما يلي أهم أسباب اضطراب التوحد التي توصل إليها بعض الباحثين :
أولاً / الأسباب الوراثية : أجريت العديد من الدراسات حول اثر العامل الوراثي في الاصابة بالتوحد مثل دراسة "نفين زوير" 1988 ، ودراسة "ليدا" 1993 ، ودراسة "هانت وشبرد" 1993 ، التي توصلت إلى أن هذا الاضطراب يرجع إلى أسباب جينية ، وذلك من خلال دراسات أجريت على التوائم المتماثلة وصلت نسبتها إلى (35 %) . ولكن هذه النتائج لم تحظى بتأييد بعض الباحثين لأن هناك حالات كثيرة مصابة بهذا الاضطراب وليس لديهم تاريخ مرضي لأسرهم ، وفي ذات السياق هناك دراسات أجرتها جامعة أكسفورد (2001) تشير إلى علاقة بعض مناطق الكروموزوم (2) ، (7) ، (16) في الاصابة بهذا الاضطراب (اسماعيل ، 2009 ، 38 - 39) .
ويؤكد الشامي أن الاضطرابات الجينية يمكن وراثتها من الوالدين لأن أحدهما أو كليهما يحمل الجين المسؤول عن ذلك الاضطراب ، وفي أحيان أخرى قد تحدث اضطرابات جينية لا تحمل جيناتها أي من الوالدين ، ولكنها تحدث نتيجة لوقوع اضطراب ما أثناء عملية الازدواج بين كروموزومات الاب والأم الذي ينتج عنه زيادة في عددها أو نقصها ، أو أن يقلب بعضها أو أن يحدف جزء منها ، ويؤدي الخلل إلى وقوع اضطرابات عدة ومختلفة تبعاً للكروموزوم أو الجينة المصابة ، وعليه فإن الاضطرابات الجينية ليست بالضرورة اضطرابات وراثية (الشامي ، 2004 ، 124) .

ثانياً / الأسباب الفسيولوجية : إن الدراسات الفسيولوجية أظهرت مؤشرات الاضطراب بأنها ترتبط بالجهاز العصبي ووظائفه الأمر الذي أدى إلى قصور أو خلل في الاعصاب الحسية والحركية ، والمعرفية على وجه العموم (الانتباه ، والفهم ، التعرف ، الاسترجاع ، الحفظ ، التذكر ... الخ) . وكذلك اضطراب مركز اللغة ، وعدم الاستجابة للمثيرات الخارجية رغم سلامة الحواس ، وخلل في مراكز الترابط بالمخ . اضافة إلى عدم التوازن الهرموني ، واضطراب كيمياء

الدماغ وعدم انتظام الشحنات الكهربائية به ، وأيضاً اضطراب وظائف المخ ، وعسر الهضم وغيرها . كل ذلك أدى إلى عدم الاتزان الانفعالي ، وعدم التوافق الشخصي والاجتماعي ، واضطرابات سلوكية أدت لمعاناة دائمة على الصعيد الشخصي . بل وامتدت هذه المعاناة للأسرة والمجتمع بشكل عام .

ثالثاً / الأسباب البيولوجية : وهي المتمثلة في بيئة الرحم مثل تناول الأم أدوية قد تؤثر على الجنين ، أو إصابتها بالحصبة الألمانية ، أو ضعف النمو قبل الولادة ، أو عسر الولادة وعدم استنشاق الأكسجين في الوقت المناسب ، أو نقص بعض الفيتامينات بعد الولادة أو قصور بعض الغدد في إفراز الهرمونات .

رابعاً / عوامل نفسية واجتماعية : إن العوامل النفسية والاجتماعية يمكن اعتبارهما نتيجة لاضطراب التوحد؛ فالمصاب لا يستطيع التفاعل مع الآخرين مقارنة مع من هم في سنه، ولا توجد لديه اهتمام بالآخرين وعدم مقدرته على مشاركتهم وجدانياً، ولا يقوم بالتواصل البصري، ولا يفهم الإيماءات في التفاعل الاجتماعي، ولا يستطيع فهم تعابير الوجه ، ولا يستطيع تطوير العلاقات مع الآخرين، وليس لديه قدرة على اللعب التخيلي، وسلوكه يغلب عليه التكرار والنمطية، ويميل إلى الروتين، ويفتقد للمرونة، ويشعر بحالة من القلق والتوتر، ويقتصر اهتمامه على أشياء معينة، ويظهر على سلوكه جمود التفكير، ولا يعبر عن آلامه حتى وإن كانت شديدة، وغير مدرك للمخاطر التي قد تصادفه في الحياة، ولا يميل إلى التدعيم من أجل تثبيت السلوكيات الإيجابية، ويعاني من الاعتماد على الأسرة أكثر من اللازم، وتنقصه الثقة بالنفس، ولديه عجز في التعبير عن حاجاته، ولا يتابع إشارة أصبع يشير إلى شيء ما، وتظهر لديه مظاهر العنف والتوتر مع الأقارب، ويتفادى الاحتضان والمعانقة، ويفهم عدم الرضا عن تصرفاته ولا يبالي، ويعاني من حالات إمساك معظم الأحيان، ولا تتم عملية الهضم بطريقة صحيحة، ولا يميز الطفل بين الواقع والخيال (الجابري . 2014 . 18) .

والآثار النفسية لهذه الاعاقة النمائية لا تقتصر على المصاب فقط ؛ بل تمتد إلى الأسرة التي تحتاج إلى معرفة آلية التعامل والتواصل معه ، وكيفية معرفة متطلباته وحاجاته ، وكيفية تعليمه وتدريبه أو تأهيله للعيش بشكل طبيعي شأنه شأن إخوته وأقرانه . وبالتالي تظهر مظاهر الاضطراب على الأسرة وتطرق جميع الأبواب للحصول على المساعدة اللازمة إلا أن الشعور بالإحباط يتزايد في كل مرة تصل فيها إلى طريق مسدود . فتصل إلى القناعة التي تتمثل في الرضا بالحد الأدنى من التأهيل الذي يجعله قادر على تعلم المهارات الأساسية الضرورية في الحياة .

تشخيص التوحد

إن عملية التشخيص تعتبر هامة لمعرفة جوانب القصور ، ودرجة اضطراب التوحد وشدته ، وبه تتحدد طريقة العلاج التي تُبنى على معرفة المسببات ؛ فالتشخيص هو التقييم العلمي الشامل لحالة مرضية محددة ، ويتضمن المعلومات والأعراض بنوعها (الكمي والكيفي) ويتم



بوسائل متعددة منها الاختبارات المقننة وغير المقننة، والمقابلة ودراسة الحالة والملاحظة و السجل المدرسي، والظروف العائلية، والسجل الطبي والتقييم العصبي، ويشير بدقة الى أسباب العلة المباشرة وغير المباشرة (ياسين، 1990، 105).

ولتحديد طبيعة الاضطراب الذي يعاني منه الطفل يجب على الأخصائيين التعرف على الأنماط السلوكية لديه، ومعرفة التشخيص الفارق؛ أي الذي من خلاله نستطيع التمييز بين اضطراب التوحد، والاضطرابات الأخرى التي يشترك معها في بعض الاعراض، وكذلك يجب فحص الطفل للتأكد من عدم وجود مشكلات جينية أو طبية مثل الفينيل كيتونوريا (PKU) ومتلازمة الكروموسوم الهش حيث يشترك هذان الاضطرابان مع طيف التوحد في بعض الحالات، ويمكن للمعلم أن يقوم بدور كبير في عملية التشخيص من خلال تدوين ملاحظاته حول السلوك العام للطفل لكونه يقضي معه ساعات عديدة في اليوم و بإمكانه أن يقيم سلوك الطفل ومقارنته مع الأطفال الآخرين ويلتمس مستوى تقدمه وانجازه بالمقارنة مع الأطفال الآخرين في صفه ويمكن أن يستخدم المعلم العديد من أدوات الملاحظة والاختبارات لتقييم مستوى نمو الطفل وانحرافه عن مستويات النمو الطبيعية؛ كما يمكن للأخصائي النفسي أن يقيم الوظائف العقلية واللغوية والحركية والمهارات الاجتماعية باستخدام الاختبارات الخاصة؛ فاختبارات الذكاء تستخدم في تقدير القدرات العقلية العامة والقدرة على التعلم فضلاً عن قياسها وتحديد لها لمستوى ذكاء الطفل؛ أما الاختبارات اللغوية فإنها تقيس الوظائف اللغوية و تستخدم لتوضيح الصعوبات الخاصة وتحديد درجة المعاناة وفي ذلك صعوبة لأن أطفال التوحد قد لا يستجيبون لأسئلة المقابلات أو الاختبارات والمقاييس بسبب الاضطرابات السلوكية والحساسية من الفشل، وانجازهم غالباً ما يكون غير صحيح ويكون سلوكهم إما الانسحاب أو العنف (سوسن، 2005، 58.57).

وعميلة التشخيص تتطلب التروي وعدم التسرع في اصدار الأحكام قبل النظر إلى الحالة من جميع الجوانب، وجمع المعلومات والبيانات يتم أخذها من الوالدين أو من معلمي الروضة، وضرورة استخدام الاختبارات والمقاييس المعتمدة في التشخيص وإجراء الفحوص الطبية اللازمة ابتداء من حاسة السمع، ويكون قرار التشخيص من فريق العمل (الطبيب، الأخصائي النفسي، الأخصائي الاجتماعي، وأخصائي التخاطب والكلام، الوالدين)؛ مع الأخذ في الاعتبار الاضطرابات التي تشترك مع اضطراب التوحد في الاعراض وهي:

التشخيص الفارق بين كل من إعاقة التوحد والتخلف العقلي :

ت	التوحد	التخلف العقلي
1.	يختفي سلوك التعلق تماماً لديهم بالرغم من تمتعهم بمستوى ذكاء متوسط .	يتعلقون بالآخرين ولديهم وعي اجتماعي محدود .
2.	لديهم القدرة على أداء المهام غير اللفظية . وخاصة ما يتعلق منها بالإدراك الحركي والبصري .	لا يتمتع الأطفال المعاقين عقلياً بمثل هذه القدرات أو المهارات .
3.	قد ينعدم وجود اللغة لديهم وحتى لو وجدت فاستخدامها يكون شاذاً .	المعاقين عقلياً لديهم قدرة لغوية واستخداماتهم للغة تتناسب مع مستوى ذكائهم .
4.	إنهم أكثر جاذبية من الناحية الجسمية ، وغيوب جسمية أقل .	تظهر لديهم تشوهات جسمية .
5.	يبدون بعض المهارات الخاصة ، مثل التذكر ، عزف الموسيقى ، ممارسة بعض ألوان الفنون .	لا يتمتعون بأي مهارة من التي ذكرت .
6.	سلوكياتهم نمطية شائعة مثل حركات الذراع واليد أمام العينين ، وكذلك الحركات الكبيرة مثل التأرجح .	في حين يختلف السلوك النمطي الذي يظهره الأطفال المعاقين عقلياً .

ثانياً : تشخيص الفارق بين كل من إعاقة التوحد وفصام الطفولة :

ت	التوحد	فصام الطفولة
1.	يظهر قبل العمر 2-3 سنوات .	يظهر بين عمر 15....30 سنة
2.	يصيب الذكور أكثر من الإناث بنسبة (4 : 1) .	يصيب الإناث والذكور على السواء .
3.	بينما لا تظهر الهلاوس والأوهام في حالات التوحد .	تظهر أعراض الهلوسة وأوهام التبيؤ .
4.	يعاني الغالبية العظمى من أفراد التوحد من القصور اللغوي والقدرة على التخاطب في الاتصال بالآخرين .	لا يعاني من قصور لغوي أو غياب القدرة على التعبير عن نفسه والاتصال والتخاطب مع الآخرين
5.	جامد الحس لا يعبر ولا يفهم الانفعال والعواطف ولا يتبادلها .	يكثر مريض الفصام من التعبير عن نفسه وإظهار عواطفه وانفعالاته .
6.	يتجنبون التقاء العيون .	من النادر أن يحدث هذا في حالات الفصام .

ثالثاً / التشخيص الفارق بين كل من إعاقة التوحد والذهان التكافلي :

ت	التوحد	الذهان التكافلي
1.	لا تظهر مظاهر الخوف لديه ، وعدم تقدير المخاطر .	الشعور بالفرع والذعر الشديد من جراء المواقف الجديدة في الحياة .
2.	لا يرغب في إقامة أي علاقة مع أي فرد ، كما أن مشاعره تكون متبلدة تجاه أفراد الأسرة .	يتماذى في تعلقه بالأم بدرجة أكثر شدة ويستجيب تجاه غيابها بغضب وعنف شديدين وبشعور بالغ بالتدمير والانهايار .



3.	يكون كلامه نادراً وغالباً ما يتسم بالتردد لما يسمعه من الآخرين.	كثير الكلام إلا أنه غير واضح وغير مفهوم .
----	--	---

رابعاً / التشخيص الفارق بين كل من إعاقة التوحد واضطراب اسبيرجر:

ت	التوحد	اسبيرجر
1.	تبدأ في الظهور في مرحلة الطفولة المبكرة .	يبدأ في الظهور خلال مرحلة المدرسة.
2.	يتسم بعدم رغبته في الكلام والاضطراب اللغوي الشديد .	كثير الكلام بل ولديه حماس للكلام وينتقل في الحديث من موضوع لآخر.
3.	تباين في الذكاء واضح في جانبه اللفظي والعملي .	3 - نسبة الذكاء قريبة من النسب العادية للذكاء.

خامساً / التشخيص الفارق بين كل من اضطراب ريت والتوحد :

ت	التوحد	ريت
1.	يصيب الأولاد والبنات	ينتشر أكثر بين الفتيات .
2.	حركات غير هادفة ، نمطية متكررة	يتميز بحركات يدوية هادفة وحركات غسيل اليدين

الأسرة والطفل التوحدي : إن الأسرة هي وحدة متكاملة لها ما ينظمها تلقائياً في نطاق المجتمع التي تعيش فيه ، وهي قد تؤثر في المجتمع وتتأثر به ، وتعتبر اللحظة التي يتم فيها الكشف عن إعاقة طفل في الأسرة من اللحظات الحاسمة في حياتها ، ولها أثارها النفسية والاجتماعية والاقتصادية ؛ والطفل لا يدرك الابعاد السلبية للإعاقة على مستقبل حياته ، وإنما الأسرة هي من تضع هذه السبلات نصب أعينها ، وبالتالي تبذل كل جهودها من أجل تجاوزها ، ويلتمسون المساعدة ، ويبحثون عن التدابير الكفيلة لوضع الطفل في الدائرة الطبيعية العادية .

وتشير نادية (2005) إلى أن الأسرة عند ملاحظتهم تأخر الطفل في الكلام ، وعدم مقدرته على التواصل والتفاعل معهم تظهر لديها الضغوط نفسية تتعلق بخصائص الطفل الذي يتصف بصفات معوقة لدور الأسرة ؛ كأن يكون الطفل معوقاً ذهنياً أو لديه إعاقة بدنية، هذه السلوكيات تعتبر مرهقة للأسرة ومحبطة لها، وبالدرجة الأولى الأم التي تعتبر المحور الأساسي لتربية الأطفال وتنشئتهم ورعايتهم ، وولادة طفل توحدي في الأسرة يؤدي إلى تغيير في النظام اليومي للوالدين كما يؤدي إلى تغيير الأدوار لأعضاء الأسرة ، ويفرض نوعاً من المعاملة الخاصة عليهم ، وتستغرق مطالب الرعاية الخاصة به أغلب الوقت ؛ كما تجهد الأسرة النفقات التي يتطلبها العلاج والتأهيل ، وشعورهم بالقهر والارتباك، ونقص الإحساس بالكفاءة، وتحمل المسؤوليات (نادية ، 2005 ، 32).

أما سوسن أشارت إلى الدراسات التي أظهرت الآثار النفسية السلبية المترتبة على وجود الطفل التوحدي في الأسرة بأن الوالدين هم أكثر عرضة للضغوط النفسية لأسباب قد تعود إلى طبيعة عملهم وعلاقاتهم الاجتماعية في البيئة التي يسكنون بها أو في مكان عملهم ؛ ويمكن ملاحظة ذلك

من خلال المظاهر السلوكية التي تبدوا على الوالدين كمشاعر الذنب ، الرفض المستمر للطفل ، الحماية الزائدة ، حبس الطفل في المنزل وعدم إظهاره للناس ، والانعزال عن الحياة الاجتماعية ، الشعور بالدونية والنقص ، الهروب من الواقع ، وعدم القدرة على تقبل أو مواجهة الحقيقة (سوسن ، 2005 ، 28).

الدراسات السابقة: إن الدراسات السابقة تكاد أن تكون نادرة التي اهتمت بالآثار النفسية للمحددات السلوكية ومدى ادراك الوالدين لها (حسب علم الباحث) في البيئة المحلية أو العربية أو الأجنبية ؛ وسأستعرض دراستين قد تكون قريبة من الدراسة الحالية .

دراسة بغش (2002) : هدفت الدراسة إلى التعرف على الأداء التشخيصي الفارق على مقياس المهارات الاجتماعية لمجموعة من الاطفال التوحدين والبالغ عددهم (25) طفلاً تتراوح أعمارهم بين (15.6) و نسب الذكاء لديهم (70.55) ومجموعة ثانية من الأطفال المعاقين عقلياً وقد عددهم (25) طفلاً. جمعهم من مركز أمل للإنماء الفكري [جدة] بالمملكة العربية السعودية ، وتم استخدام مقياس جودار للذكاء ، ومقياس الطفل التوحدي (بخيت ، 1999) ، ومقياس المستوى الاقتصادي الاجتماعي للأسرة (الشخص ، 1995) ، ومقياس المهارات الاجتماعية للأطفال المتخلفين عقلياً داخل حجرة الدراسة (هارون ، 1996) ، وكشف الدراسة عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الأطفال التوحدين والأطفال المعاقين عقلياً في المهارات الاجتماعية المتعلقة بتبادل العلاقات الشخصية وبأداء الأعمال ، وفي الدرجة الكلية للمهارات الاجتماعية لصالح الأطفال المعاقين عقلياً في الحالات الثلاث ، حيث كان الأطفال التوحدين الأضعف في مستوى المهارات الاجتماعية من أقرانهم.

دراسة Ali Samadi (2019) : تهدف الدراسة إلى معرفة معتقدات ومشاعر الوالدين حول طيف التوحد في مدينة طهران بإيران ، واستهدفت عينة قوامها (43) من والدي أطفال يعانون من التوحد . منهم (27 أم) ، و (16 أب) وتمت مقابلتهم في جلستين بمنزل كل منهم ، وكانت مدة الجلسة ساعتين تقريباً ، وتراوح أعمار الاطفال المصابين بين (3.17) عاماً ، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها : عندما سُئل الآباء عما إذا كانوا يعتقدون أن هناك مشكلة مع طفلهم أكدوا وجود مشكلة بنسبة (51.6٪) استخدموا عبارات مثل "بالطبع مائة في المائة ، أو نعم لديه العديد من المشكلات " ، أو " نعم لهذا السبب قبلت إجراء المقابلة " . كما أكد (46.5٪) منهم باستخدام "نعم" دون أي تعليقات أكثر. وثلاث الآباء (41.8٪) يعتقدون أن أطفالهم كانت المشكلة لديهم محدودة وإن أولى العلامات التي تثير قلق الآباء على طفلهم تأخير الكلام (30.2٪) ، وسلوك غريب ، ارتداد الرأس ، البكاء المستمر ، القلق (20.9٪) ، وكان العنصر الأكثر ذكراً هي المشكلات السلوكية مثل الأرق ، فرط النشاط ، ارتداد الرأس ، والبكاء المستمر ، وأكدن الامهات إنهن لا يشعرن بحنان الامومة معهم ، ويعتبرون كأنهم منفصلين عنهم تماماً وتوصلت الدراسة كذلك



بأنه لا توجد فرق ذو دلالة إحصائية بين عمر الطفل وحالة القلق لدى الوالدين وعوامل جنس الوالدين ، والتعليم ، والعمر تم اكتشافه.

منهجية الدراسة وإجراءاتها

منهج الدراسة : سيتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لأنه يتيح وصف الظاهرة في وضعها الراهن ، وتحليل البيانات الوصفية في صورة كمية بما يحقق أهداف الدراسة والإجابة على تساؤلاتها .

مجتمع الدراسة : يتكون مجتمع الدراسة من أطفال رياض الأطفال بالمنطقة التعليمية ترهونه المدينة للعام الدراسي : 2019. 2020 م : وبلغ عددهم (404) طفلاء ؛ منهم (204) ذكورا و (200) إناثا وتتراوح أعمارهم من [4-5] سنوات . والجدول رقم (1) يبين تفاصيل توزيع مجتمع الدراسة .

عينة الدراسة : استهدفت الدراسة مدارس رياض الاطفال التابعة لمكتب تعليم ترهونه المدينة ، وقد بلغ حجم العينة (46) طفلاء وطفلة ؛ منهم (34) ذكورا و (12) إناثا ، وتم اختيارها بطريقة عمدية ؛ من المسجلين لدى مكتب الاختصاص الاجتماعي بتلك المؤسسات ، وتم اختيار مدارس رياض الأطفال بالكامل . وجدول رقم (1) يبين تفصيل توزيع عينة الدراسة .

الجدول رقم (1) يبين مجتمع الدراسة وعينة الدراسة من حيث الجنس والمؤسسات التعليمية

ت	أسم الروضة المدرسة	مجتمع الدراسة			عينة الدراسة		
		ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
1	روضة القيس	58	45	103	5	15	10
2	روضة القيس (1)	40	53	93	3	10	7
3	روضة الزدهار	52	44	96	3	11	8
4	روضة أقرأ	54	58	112	1	10	9
	المجموع	204	200	404	34	12	46
	المتوسط	51	50	101	8.5	3	11.5
	الانحراف المعياري	7.75	6.68	8.45	1.29	1.63	2.38

أداة الدراسة : تم استخدام مقياس الطفل التوحدي إعداد (عادل عبد الله ، 2000) الذي قام بوصف عباراته بأنها تمت صياغتها في ضوء المحكات الواردة في وصف وتشخيص وتقييم هذا الاضطراب في الطبعة الرابعة من دليل التصنيف التشخيصي والإحصائي للأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية الصادر عن الجمعية الأمريكية للطب النفسي إلى جانب مراجعة التراث السيكلولوجي والسيكاتري حول ما كتب عن اضطراب التوحد .

تصحيح المقياس : يتألف هذا المقياس من 28 عبارة يُجاب عنها (بنعم) أو (لا) من جانب أحد الوالدين أو كلاهما، وتمثل هذه العبارات مظاهر أو أعراض اضطراب التوحد، ويعني وجود

نصف هذا العدد من العبارات (14 عبارة) على الأقل وانطباقها على الطفل تشير إلى أنه يعاني فعلاً من هذا الاضطراب. ودرجاته (نعم = درجة واحدة)، (لا = صفر) الدرجة الكلية للمقياس (28) والمتوسط (14).

صدق المقياس (الصدق الظاهري): تم عرض المقياس بعد صياغة عباراته على عدد من المحكمين من أساتذة قسم التربية وعلم النفس بكلية التربية بجامعة الزيتونة، وأكدوا أن المقياس يقيس ما وضع لقياسه ويمكن تطبيقه على البيئة اللببية.

صدق البنائي (الاتساق الداخلي): تم تطبيق الاتساق الداخلي للمقياس، وتم حساب مدى ارتباط كل عبارة بالدرجة الكلية للمقياس، وقد تراوحت معاملات الارتباط بين 0.67 إلى 0.89 [؛ مما يشير إلى صدق المقياس، وإن كل عبارة تقيس جانباً من اضطراب التوحد.

ثبات المقياس: لمعرفة ثبات المقياس بات من الضروري اختيار عينة (10) أفراد يتم تطبيق الاختبار عليهم تم تطبيقه مرة أخرى على نفس المجموعة بعد مضي ثلاثة أسابيع، وإيجاد معامل الارتباط بين التطبيقين، وتم اتباع هذه الخطوات وبلغ معامل الارتباط بين التطبيقين (0.79).

كما تم استخدام معادلة أو صيغة K 20 "كيودور وريتشاردسون" (20) التي من خلالها نصل إلى معامل التجانس، ويشير صلاح الدين أبو علام (2006، 164) إن هذه الصيغة يمكن الوثوق بها أكثر من صيغة [K 21] التي تعطي قيمة تقديرية لمعامل التجانس أقل من حقيقتها، وقد بلغ معامل التجانس وفق الصيغة K 20 (0.91) وهو ما يشير إلى ثبات المقياس.

الوسائل الإحصائية: تم استخدام البرنامج الإحصائي SPSS لإيجاد المعاملات الإحصائية التي من خلالها التحقق من الوصول إلى أهداف هذه الدراسة؛ والمعاملات الإحصائية هي: المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، معامل ارتباط بيرسون، وصيغة كيودور 20، والنسبة المئوية. عرض النتائج: يتم عرض نتائج الدراسة وفق المحددات السلوكية الواردة في المقياس المستخدم

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
1	مدى انتباهه قصير	12	26.09	34	73.91

يتضح من المحدد الأول أن الذين لديهم مدى الانتباه قصير بلغت نسبتهم (26.09 %) ويرجع السبب في ذلك إلى أن هناك حالات أخرى قد تشترك في هذا العرض مع اضطراب التوحد.

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
2	يستخدم الكلمات ويردها دون أن يعي معناها	06	13.04	40	86.96

ومن خلال هذه النتيجة يتبين أن عينة الدراسة ينطبق عليها هذا المحدد السلوكي بنسبة (13.04 %) وهي لا تنفي وجود أطفال لديهم اضطراب التوحد ضمن العينة.



م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
3	يبيدي سلوكيات عدوانية أو عنيفة فيخرج أو يؤذي نفسه أو غيره	52.17	24	47.83	22

وهذا المحدد السلوكي (العرض) يعني أن عينة الدراسة يبدون سلوكيات عدوانية تجاه أنفسهم أو الآخرين ، وهذه العدوانية قد تكون لفظية أو جسدية حيث كانت النسبة (52.17 %) وهي كبيرة تتطلب الوقوف عندها وفهم مسبباتها ، وخاصة أنهم لازالوا صغار السن ؛ أما من حيث أنها عرض لاضطراب التوحد ومحدد سلوكي له لا ينفي وجود حالات توحد ضمن هذه النسبة .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
4	يقاوم التغيير في الروتين أو في شيء حوله مهما كان بسيطاً	08.70	04	91.30	42

ويشير هذا العرض إلى وجود حالات تعاني من اضطراب التوحد ضمن عينة الدراسة ؛ حيث بلغت النسبة (08.70 %) وبالأخص لدى عدد قليل من الأطفال .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
5	ردود فعله للإحساسات المادية غير عادية (أقل أو أكثر من أقرانه)	17.39	08	82.61	38

ومن خلال هذه الاستجابة يتضح أن ما نسبته (17.30 %) لديهم ردود أفعال غير عادية حيال الاحساسات المادية ، ويشير إلى وجود طيف التوحد أو اضطرابات نمائية أخرى تجعل ردود فعل المصاب غير عادية .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
6	لا يقلد أفعال الآخرين	08.70	04	91.30	42

وهذا العرض يشير إلى المحددات السلوكية الرئيسة لاضطراب التوحد ، وقد بلغت النسبة (08.70 %) . حيث أن التقليد هو الوسيلة التي من خلالها يستطيع الطفل تكوين حصيلة لغوية ، ويكتسب العديد من الخبرات التي تربطه بواقع الحياة ومؤثراتها .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
7	يبدو مفرطاً في الفاعلية أو السلبية	21.74	10	56.22	30

وتشير هذه النتيجة إلى أن عينة الدراسة منهم من يعاني من السلبية بدرجة كبيرة. إذ بلغت النسبة (21.74) ، وهي تعتبر قليلة إلا أنها لا تنفي وجود حالات تعاني من اضطراب التوحد ضمن هذه النسبة .

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
8	غير قادر على تحديد الأشياء موضع الاهتمام	08	17.39	38	82.61

ويتضح من خلال هذه النتيجة أن بعض عينة الدراسة يعانون من عدم مقدرتهم على تحديد الأشياء موضع اهتمامهم ، ولا يستطيعون التركيز والانتباه اللازمين ، وبلغت النسبة (17.39) .

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
9	يعاني من قصور أو تأخر واضح في القدرة اللغوية	04	08.70	42	91.30

وهذا المحدد السلوكي من الأعراض الجوهرية لاضطراب التوحد ، وبلغت نسبته (08.70 %) ، وقد تكررت هذه النسبة في المحددات الأساسية لهذا الاضطراب ، مما يؤكد أن اضطراب التوحد قد يكون موجود فعلاً لدى بعض عينة الدراسة ، إضافة إلى اضطرابات نمائية أخرى لديهم .

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
10	لا يحب أن يلمسه أحد .	04	08.70	42	91.30

من خلال هذا العرض يتضح أن الأطفال الذين لا يحبون اللمس من أحد بما في ذلك والديهم قد بلغت نسبته (08.70) ، وها هي تتكرر النسبة ، وترفع لدينا درجة اليقين بأن بعض عينة الدراسة يعانون من اضطراب التوحد .

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
11	يظهر إحساساً مفزطاً بالألم أو يظهر وكأنه لا يحس بالألم .	05	10.87	41	89.13

ويتضح من ذلك أن بعض الأطفال في عينة الدراسة قد يُظهرون إحساساً مفزطاً للألم ، ومنهم من لا يُظهر هذا الإحساس ، وهو تناقض في المشاعر والأحاسيس ، وقد بلغت النسبة (10.87 %) وهي نسبة قليلة ولكن لا يمكن تجاهلها فقد تحمل مظهر من مظاهر التوحد لدى عينة الدراسة .

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
12	يعاني من تأخر أو نقص واضح في القدرة على اللعب التخيلي أو الرمزي ومن ثم لا يبدي مبادرات لذلك .	04	08.70	42	91.30



وتشير هذه النتيجة إلى تأخر أو نقص في القدرة على اللعب التخيلي، وكذلك التنميط الجنسي لدى الأطفال، وقد بلغت النسبة (08.70 %)، وهي تعتبر مؤشراً لاضطراب التوحد لدى بعض عينة الدراسة.

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
13	تنقصه القدرة على المبادأة أو إقامة حوار أو محادثة مع الآخرين.	04	08.70	42	91.30

ومن خلال هذا العرض يتضح أن بعض عينة الدراسة تنقصهم القدرة على المبادأة في الحوار ومحادثة الآخرين، وقد بلغا النسبة (08.70 %)، وهذه إشارة جديد، ومحدد واضح لاضطراب التوحد.

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
14	لا يفهم التعبيرات الوجهية بشكل صحيح	06	13.04	40	86.96

من هذه العبارة يتبين أن بعض الأطفال برياض الأطفال لديهم قصور أو عجز في فهم التعبيرات الوجهية بطريقة صحيحة، ووصل عددهم إلى (6) أطفال من إجمالي عينة الدراسة. أي بنسبة (13.04 %)، ورغم تدني النسبة إلا إنها لا تنفي وجود اضطراب التوحد لدى بعض أفراد العينة.

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
15	ينشغل بلعبة واحدة أو شخص واحد أو شيء واحد	04	08.70	42	91.30

من خلال هذا المحدد يتضح أن بعض الأطفال ليس لديهم تنوع في ألعابهم مما يشير إلى عدم قدرتهم على اللعب التخيلي من ناحية، ويمتاز بمدركات ضيقة، وقد بلغت النسبة (08.70 %).

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
16	غير قادر على إظهار عواطفه أو انفعالاته تجاه الآخرين والتعبير عنها	07	15.22	39	84.78

يتضح من هذه العبارة بأن بعض الأطفال غير قادرين على إظهار عواطفهم تجاه الآخرين، وتنقصه القدرة عن التعبير عن مدى حبه لأي شخص ولو كان والديه، وقد بلغت النسبة (15.22 %). مما يشير إلى حالة من التبلد العاطفي، وفقدان الحنان، والعطف والمداعبة، والمرح.

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
17	ليس بمقدوره التفاعل مع القائمين برعايته	06	13.04	40	86.96

وهذا المحدد يبرز حالة القصور في امكانية التفاعل اللفظي أو غير اللفظي مع القائمين برعايته بما في ذلك الوالدين أو بقية أفراد الاسرة أو المربين والمعلمين في مؤسسات رياض الاطفال ، وقد بلغت النسبة (13.04) ، وهي تخفي بين طياتها مشكلة لدى بعض عينة الدراسة من حيث اصابتهم بطيف التوحد .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
18	لا يستخدم الإشارات والإيماءات الاجتماعية بشكل مناسب لتنظيم تفاعلاته مع الآخرين	08.70	04	91.30	42

ويشير هذا العرض إلى عدم مقدرة بعض عينة الدراسة على استخدام الاشارات والإيماءات التي تساعدهم على التفاعل مع الآخرين بأكثر ايجابية ، وقد بلغت النسبة (08.70 %) .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
19	أساليبه في الأداء الحركي نمطية ومتكررة كالتصفيق أو ضرب الرأس في الحائط مثلاً.	08.70	04	91.30	42

وهذا المحدد السلوكي يشير إلى أن بعض الأطفال المسجلين في رياض الاطفال لديهم حركات عشوائية ونمطية متكررة كالتصفيق مثلاً ، وهذا يشير بوضوح إلى أنه يعاني من اضطراب طيف التوحد ، وبلغت نسبة الاطفال الذين يعنون من هذا السلوك (4) أي بنسبة (08.70 %) .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
20	ينشغل بأجزاء من الأشياء .	10.87	05	89.13	41

وهذه العبارة تبين أن بعض الاطفال لديهم اهتمام جزئي بالأشياء ، ويفتقدون النظرة الشمولية لما يدور حولهم ، وهذا ما يعتبر قصور في العملية الادراكية ، وقد بلغت النسبة (10.87 %) . مما يشير إلى عرض سلوكي لدى بعض الاطفال يبرز اضطرابات نمائية لديهم .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
21	تنتابه نوبات ضحك وصراخ وغضب غير مناسب دون وجود سبب واضح .	17.39	08	82.61	38

ومن خلال العبارة أعلاه يتضح أن بعض الاطفال لديهم نوبات من الضحك غير المبرر ، وقد تنتابهم نوبات غضب دون وجود سبب واضح لذلك ، وقد بلغت النسبة (17.39 %) .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
22	يتصرف وكأنه طفل أصم مع قدرته على السمع عادية .	10.87	05	89.13	41



هذا المحدد السلوكي الظاهر على بعض الاطفال يشير إلى اللامبالاة ، ويتجاهلون النداءات الموجهة لهم ، رغم أن حاسة السمع لديهم سليمة ، ولكن ردود افعالهم على المثيرات من حولهم قد تكون منعدمة ، وبلغت النسبة (10.87 %) .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
23	يؤثر الانسحاب من المواقف والتفاعلات الاجتماعية .	19.57	09	80.43	37

ويشير هذا العرض بأن بعض الاطفال لديهم رغبة في الانسحاب من المواقف والتفاعلات الاجتماعية كأن يشغل نفسه بأمور جانبية ليست لها قيمة أو الانسحاب النهائي لشعوره بحالة من القلق ، وقد بلغت النسبة (19.57 %) ، وهذا مؤشر على ان اضطراب طيف التوحد قد يشترك في بعض المحددات السلوكية مع اضطرابات نمائية أخرى .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
24	يجد صعوبة بالغة في الاختلاط بالآخرين .	13.04	06	86.96	40

وهذا العرض يبين أن بعض الاطفال يعانون من صعوبة شديدة في الاندماج مع الآخرين والتفاعل معهم قد بلغت النسبة (13.04 %) .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
25	غير قادر على أن يتعلق بالراشدين أو حتى بأحد والديه .	10.87	05	89.13	41

ويشير هذا المحدد السلوكي إلى حالة الجفاء الذي يفرضها الطفل المصاب على نفسه . حيث يبتعد عن الجميع بما في ذلك والديه ، وبلغت النسبة (10.87 %) .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
26	لا ينظر في أعين الآخرين وهو يتحدث إليهم .	08.70	04	91.30	42

وهذه من ضمن المحددات السلوكية التي تُظهر اضطراب التوحد ، وقد بلغت نسبتها (08.70 %) ، مما يشير إلى أن بعض الاطفال في عينة الدراسة لا ينظرون إلى أعين الآخرين أثناء الالتقاء بهم ، أو عندما يتحدثون إليهم .

م	العبارة	نعم		لا	
		النسبة	التكرار	النسبة	التكرار
27	مستسلم ويحلق معظم الوقت .	17.39	08	82.61	38

ويتضح من هذا العرض أن بعض الاطفال لديهم تبدل في المشاعر ، وحالة سكون قائم ، وابتعدت إلى جانبه ، وينظر بعينه إلى عدة أشياء في الحجرة مثلاً ولكنه لا يتفوه ولو بكلمة واحدة ولا يُظهر اعجابه للأشياء من حوله ، وبلغت النسبة (17.39 %) .

م	العبارة	نعم		لا	
		التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
28	سريع الانتقال من لعبة إلى أخرى وذلك بشكل ملفت .	05	10.87	41	89.13

ومن خلال هذه العبارة يتضح أن عملية الاستقرار لا تدوم طويلاً مع بغض الاطفال بمراكز رياض الاطفال ؛ فهم ينتقلون من لعبة لأخرى بشكل سريع ، وبلغت نسبة هؤلاء الاطفال (10.87 %).

تفسير النتائج / من خلال تساؤلات الدراسة :

السؤال الأول: هل يعاني بعض أطفال رياض الأطفال بالمنطقة التعليمية ترهونه المدينة من اضطراب التوحد ؟ من خلال نتائج الدراسة يتضح أن لدى بعض عينة الدراسة مؤشرات للاضطرابات النمائية . إلا أن عدد [4] أطفال كانت اجابات الآباء بنعم على جميع المحددات السلوكية الواردة في المقياس مما يدل على اصابتهم باضطراب طيف التوحد ، وبقية الاطفال لم تكن لديهم صعوبات في الكلام والمبادأة والتفاعل الاجتماعي ، والتعبير الانفعالي . وكذلك لم يعانون من الحركات النمطية ، أو النظر لعيون الآخرين ، أو التعبير عن الفرح ، ولا يمانعون في احتضان الوالدين لهم ، ولديهم انتباه جيد وردود أفعال مناسبة ، وغيرها من الخصائص الايجابية . وقد تم اعتبار مستوى الشدة للمحدد السلوكي معياراً وفق ما ورد في الدليل التشخيصي الخامس (DSM-5)؛ وبالتالي نعم يوجد اربعة أطفال يعانون من طيف التوحد حسب المحددات السلوكية الواردة في المقياس المستخدم .

السؤال الثاني: ما هي المحددات السلوكية التي يتم من خلالها الكشف وتشخيص اضطراب طيف التوحد ؟ المحددات السلوكية هي مجموع الأعراض والسلوكيات الظاهرة القابلة للقياس الواردة بمقياس الطفل التوحدي الذي أعده عادل عبد الله (2000)، وقد كشف عن وجود حالات توحد في عينة الدراسة .

السؤال الثالث : ما الآثار السلبية المترتبة عن المحددات السلوكية للأطفال المصابين باضطراب التوحد ؟ الآثار السلبية المترتبة عن المحددات السلوكية لدى الاطفال المصابين بالتوحد هي حالة القلق ، وعدم الانتباه ، وصعوبة التذكر ، وعدم المقدرة على الفهم والاسترجاع والربط بين المفاهيم ، وعدم القدرة على التفاعل مع أفراد الأسرة أو الأقران أو من يقومون بالإشراف عليه وكذلك عدم القدرة على التفاعل مع أفراد الأسرة أو الأقران أو من يقومون بالإشراف عليه ورعايته . كما أنه لا يستطيع تحديد الأشياء موضع اهتمامه ، وانسحابي في تفاعله الاجتماعي ، ولا يستطيع اللعب التخيلي أو الرمزي ، وألعاب التنميط الجنسي ، ولديه أيضاً حركات نمطية متكررة غير هادفة ، ولا يفهم الاشارات والإيماءات وتعايير الوجه والإشارات ، وعجزه ظاهر في اللغة اللفظية وغير اللفظية ، ولا يوجد لديه اتزان انفعالي ، واستقرار نفسي . وهذه الآثار



السلبية أكدت عليها دراسة بخش (2002) ، ودراسة الصمادي (2019) ، وغيرها من الدراسات التي أجريت من المهتمين بهذا الاضطراب .

السؤال الرابع: ما مدى إدراك الآباء والأمهات للآثار السلبية لاضطراب التوحد وفق المحددات السلوكية ؟: من خلال تطبيق المقياس المتضمن المحددات السلوكية وإجابة الآباء والأمهات عليه تبين أنهم مدركون للآثار السلبية المصاحبة للمصابين بطيف التوحد . فهم يشعرون بحالة من الحزن والأسى ، والقلق ، والاكتئاب ، والتوتر ، وحالة من التدمير والإحباط لعدم وجود علاج لهذه المشكلة . كما تم وصفها . ويزيد القلق لدى الوالدين كلما فكروا في مستقبل حياة الطفل وإمكانية التعايش مع الآخرين ، والتعبير عن احتياجاته ، وتدير شؤون حياته ، و" يرون أن حجم المشكلة كبير يتطلب الأمر فتح مراكز تأهيل لهؤلاء الاطفال إلى أن يتم ايجاد علاج لهم إن شاء الله " . وبذلك يتبين أن الآباء والأمهات مدركون تماماً للآثار السلبية المرتبطة بهذا الاضطراب ، ويعرفون أن أسبابه غير واضحة ، وقد اطلعوا على عدة صفحات ومواقع في الانترنت مما جعلهم يعرفون عنه الكثير .

التوصيات

- 1 - تهيئة الجو التدريبي للطفل لزيادة تركيزه وانتباهه وتقليل التشتت لديه .
- 2 - جعل الطفل أكثر اختلاطاً بالمجتمع سواء عن طريق الروضة أو المدرسة أو عن طريق زيادة الأقرباء أو الذهاب إلى مكان لعب الأطفال في الأماكن المفتوحة .
- 3 - عدم الشعور بالذنب تجاه وجود هذا الطفل في الأسرة مع التقبل لهذا الوضع .
- 4 - الابتعاد عن الانفعالات النفسية السلبية كالقلق والغضب أو الضرب والتوبيخ للطفل .
- 5 - التفاؤل مع الإصرار على تحسين أداء الطفل واستيعاب سلوكياته السلبية .

المقترحات :-

- 1 - ضرورة إنشاء مراكز رعاية خاصة باضطراب طيف التوحد والاضطرابات النمائية الأخرى .
- 2 - ضرورة تهيئة أخصائيين ومدرّبين في هذا المجال وتدريبهم بمركز الإعاقة على مختلف البرامج الأهلية بشكل عام .
- 3 - ضرورة إقامة الندوات حول هذا المرض أو هذه الإعاقة لتسليط الضوء عليها .
- 4 - ضرورة إقامة دورات تدريبية للوالدين الذين لديهم أطفال مصابين بهذه الإعاقة وذلك لغرض كيفية التعامل معهم .

المراجع

- ابراهيم عبد الله الزريقات (2004) ، *التوحد: الخصائص والعلاج* ، الطبعة الأولى ، دار الفكر، عمان .
- أحمد سليم النجار (2007) ، *التوحد واضطراب السلوك* ، الطبعة الأولى دار أسامة ، القاهرة .
- الجابري محمد (2014) ، *التوجهات الحديثة في تشخيص اضطراب طيف التوحد في ظل المحكات التشخيصية الجديدة* ، الملتقى الأول للتربية الخاصة (الرؤى والتطلعات المستقبلية) ، جامعة تبوك ، السعودية .

- الشارف عبد الكريم المرزوقي (2017) ، فاعلية برنامج تدريبي لتنمية بعض المهارات الأساسية لطفل التوحد ، مؤسسة طلال أبو غزالة للملكية الفكرية ، مجلة الباحث ، السنة الرابعة ، العدد الثاني عشر .
- أميرة طه بخش (2002) ، دراسة تشخيصية مقارنة في السلوك الانسحابي للأطفال التوحديين وأقرانهم المتخلفين عقلياً ، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، العدد (84) ، السنة (23) ، الأردن .
- سعد رياض (2008) ، الطفل التوحد ، الطبعة الأولى دار النشر للجامعات ، مصر .
- سوسن شاكر الجلي (2005) ، التوحد الطفولي (أسبابه ، خصائصه الشخصية ، علاجه) ، الطبعة الأولى ، مؤسسة دار علاء الدين للنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا .
- صلاح الدين محمود أبوعلام (2006) ، القياس والتقويم التربوي النفسي ، أسسه وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- عادل عبد الله محمد (2000) ، مقياس الطفل التوحد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة .
- محمد قاسم عبد الله (2001) : الطفل التوحد أو الذواتي ، الطبعة الأولى ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الأردن .
- محمود عبد الرحمن حمودة (1990) ، إعاقة التوحد ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر .
- عطوف محمود ياسين (1990) ، علم النفس العيادي (الاكلينيكي) ، الجزء الأول ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان .
- نادية إبراهيم أبو السعود (2005) ، الطفل التوحد في الأسرة ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، مصر .
- نايف بن عابد بن إبراهيم الزراع (2005) ، قائمة تقدير السلوك التوحد ، دار القلم ، عمان ، الاردن .
- نبية إبراهيم اسماعيل (2009) ، إشكالية الاضطرابات النفسية الاضطراب التوحد : مفهومه ، تشخيصه ، علاجه ، وكيفية التعامل معه ، مركز الاسكندرية للكتاب ، مصر .
- وفاء على الشامي (2004) ، سمات التوحد تطورها وكيفية التعامل معها ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، السعودية .
- American Psychiatric Association. (2013). Clinical-Rated Severity of Autism Spectrum Disorders and Social Communication Disorder. Washington, DC: American Psychiatric Association. Retrieved January 18, 2013.
- Jordan, R.(2001) Autistic spectrum disorders. London: David Fulton publishers.p163.
- Seyed Ali Samadi , (2019) ,Parental Beliefs and Feelings about Autism Spectrum Disorder in Iran Institute of Nursing and Health Research, Ulster University, BT521SA Colerain, Ireland; s.samadi@ulster.ac.uk; Published: 29 January 2020.



أصول تربية الأسرة المسلمة من الكتاب والسنة

د: إمعم محمد ميلاد أحمد

أستاذ: أصول التربية المساعد - جامعة : الزيتونة - كلية : التربية

فاتحة البحث

الحمد لله الذي كان بعباده خيراً بصيراً ، سبحانه وتعالى ، جرت مشيئته أن يخلق الناس من نفس واحدة ، وشاءت قدرته أن يجعل لهم من أنفسهم أزواجاً تسكن اليها ارواحهم ، وتستقر بها أحوالهم ، ثم اقتضت حكمته أن يجعل بينهم من المودة ما تقوم به الأسرة ومن الرحمة ما تدوم به العشرة ، قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (1).

والصلاة والسلام على خاتم رسل الله المبعوث من ربه هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإدنه وسراجاً منيراً ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة .

وبعد :

فهذه دراسة في أصول تربية الأسرة المسلمة ، نستقي موضوعها من صريح الكتاب وصريح السنة .

ومن خلال النظر إلى الواقع المؤلم يتبين لنا مدى أهمية التربية كعامل أساسي في تنشئة أسرة مسلمة تعمل لخدمة بيت إسلامي سعيد في الدنيا والآخرة ، يدفعها نحو العزة والرفعة ، ويسمو بها نحو القمة . قال تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) (2).

إن الإسلام الذي رضيه الله للناس ديناً تشريع كامل تناول كل جوانب الحياة ، ولما كان من أهدافه الأصلية بناء مجتمع سليم يعيش الناس فيه سعداء ، عني بتنظيم الأسرة عناية بالغة لأنها اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، فوضع لها نظاماً محكماً إذا سار الناس على هدية استقرت أمورهم وعاشوا في أمان .

ومن تتبع نصوص القرآن والسنة في ذلك يجد الشارع الحكيم رسم الطريق المستقيم لتكوين الاسرة الصالحة ، فبين طريق اختيار الزوجة وكيفية إنشاء عقد الزواج وطريقة المعاشرة الزوجية ، وأرشد كلا من الزوج والزوجة إلى ما لهما من حقوق على الآخر وما عليه من واجبات ، كما بين حقوق الأولاد قبل والديهم صغاراً وكباراً ، وما للوالدين عليهم من حقوق ،

(1)

وعندما نتأمل الواقع جيداً ، وننظر بشفافية أكثر ، يتضح لنا أن البذور إذا غنى بها خرج الزرع طيباً ، فكذلك الطفولة إذا أهم بها خرج لنا جيل صالح .

أن اساليب التربية الأسرية يجب استفادتها من الوحي العظيم القرآن الكريم والسنة المحمدية ، فهذه الشريعة جاءت بكل يصلح به البشر شئونهم ، ولاشك أن كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كفيلا بأن يكونا أداة عظيمة في تربية الأسرة المسلمة وارشادها نحو كل خير ، وهذا من المسلمات عند كل مسلم ، فابيت الأسرة هو المدرسة الأولى للإبناء ، والبيت هو اللبنة التي يتكون من أمثالها بناء المجتمع ، وفي الاسرة الكريمة الراشدة التي تقوم على دعائم المحبة والمودة و الرحمة والإيثار والتعاون والتقوى .

ومن هنا كان اختياري لعنوان بحثي (اصول تربية الأسرة المسلمة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) لما تعنيه قضية الأسرة في الإسلام من أهمية .

الهدف من البحث

إن الفرضية التي أسست لهذا البحث تقول : ((أن الأسرة المسلمة يجب أن تكون تربيتها تربية من كتاب رب العزة وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)) ، وما يمكن أن يتحقق لها في نهاية المطاف .

منهج البحث

أما منهجي في البحث فيعتمد على المنهج الوصفي أولاً القائم على وصف الواقع الذي تعيشه الأسرة المسلمة اليوم كما يصوره القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
ثم المنهج التحليلي القائم على تحليل عقبات التغيير وعوامله التي حدد أسسها ورسم خطوطها عملاً بقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (3) .

خطة البحث

أما خطة البحث فاقترضت طبيعته ومادته أن تكون على فاتحة البحث ونعني بها المقدمة ، ومبحثين وخاتمه .

أما فاتحة البحث فذكرت فيها سبب اختيار البحث وأهميته وأما المبحث الأول : كان في تربية الأسرة المسلمة ومكانتها في الإسلام .



(2)

والمبحث الثاني : كان في الوسائل الناجحة في التربية .

أما الخاتمة فقد احتوت أهم النتائج التي خرج بها البحث فالله أسأل أن ينفع بهذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ليكون ذخراً لصاحبه يوم لا ينفع مال ولا بنون . إنه على كل شيء قدير وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

(3)

المبحث الأول - تربية الأسرة المسلمة ومكانتها في الإسلام التربوية ومسئوليتها

العلماء والباحثين تعددت آراءهم في معنى التربية ، وبالرغم من تعددها فاءنها تصب جميعها في معين واحد ، ولكن التعريف الذي يميل إليه الباحث ويعتبره من أدق التعاريف للتربية هو ما ذكره البيضاوي رحمة الله في تفسيره : أن التربية ما أخوذه من كلمة ((الرب)) وهي ((تبليغ الشيء إلى كما له شيئاً فشيئاً)) (4).

من هنا نفهم أن العملية التربوية عملية طويلة المدى تحتاج إلى صبر واستمرارية ، وعدم استعجال النتائج قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (5).

فالله سبحانه وتعالى حمل الأبوين المسؤولية كاملة في تربية الأبناء ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، الأفلكلهم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) (6).

فمسئولية الوالدين تجاه تربية أولادهم مسؤولية عظيمة لا ينبغي إهمالها أو التغافل عنها . فالأسرة وحدة وظيفية تتكون من الزوج والزوجة والأبناء ، يرتبون برباط الدم ، وتجمعهم أهداف مشتركة ، قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَيْنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (7).

قال القرطبي رحمة الله في تفسيره لهذه الآية : الإنسان إذا بورك له ماله وولده ، قرت عينه بأهله وعياله ، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفه ونظر وحوطه ، أو

عنده ذرية محافظون على الطاعة ، معاونون له على وظائف الدين والدنيا ، لم يلتفت إلى زوج أحد ، ولا تمتد عينه إلى ماترى ، فذلك قرة العين وسكون النفس .

(4)

فدور الأم في تربية أولادها عظيم ، وأثر غيابها عن أولادها قد يكون أكثر من غياب الأب أحياناً ، لأن الأم الحصينة يمكن أن تملأ بعض الفراغ الذي يتركه الأب ، لذلك أمر الله النساء ، فقال : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) (٨) . وكلف الرجل بالإنفاق على المرأة ، لتستقر في البيت ، وتتفرغ لأولادها وزوجها وتنظيم بيتها ، وذلك هي مهمتها الأصلية .

ومن الأخطاء التربوية الخطيرة التي تهدد كيان الأسرة المسلمة بالانهيار ، وأخلاق الأبناء بالفساد إلقاء مسئولية التربية كاملة على عاتق الأمهات ، ضابنين أن تربية الأولاد إنما هي من اختصاصات الأمهات .

وتعتبر الأسرة المؤسسة التربوية الأولى التي يبدأ فيها الطفل حياته . وللأسرة المسلمة أهمية عظيمة في حياة الإنسان ، حيث أنها من ناحية تعتبر مصدر خبرات إيجابية ، زمن ناحية أخرى تعتبر المظهر الأول لإستقرار الطفل واتصاله بالحياة ، ويعرف عن طريقها معظم حاجاته .

إذن استقرار شخصية الفرد ، وتفاعله البناء مع الواقع الذي يعيش فيه يعتمد اعتماداً كبيراً على مايسود الأسرة من علاقات مختلفة . فالأسرة المسلمة لها وظائف تربوية يمكن ايضاحها في النقاط التالية :

(1) التربية الأخلاقية يتلقاها الطفل من داخل أسرته ، ويتلقى كيفية التعامل مع الناس ، وما يظهر من تصرفاتهم مع بعضهم ، وهذا يعود إلى جانب كبير منه لأسرتهم وأسلوب حياتهم .

(2) تتسم التربية بالاستمرارية ، فهي عملية مستمرة مدى الحياة ، وعلى ذلك نجد الطفل يقضي معظم حياته داخل الأسرة أكثر مما يقضيه في أي وسط آخر .

(3) الاحترام والتعاون والعطف والرحمة والود والتضحية ، كل هذه المعاني يتعلمها الطفل من الأسرة .

(4) عن طريق التنشئة الاجتماعية يتم إعداد الطفل للمشاركة في حياة المجتمع المحيط به .

(5) يجب على الأسرة مد أبناءها بطرق واساليب التكيف مع المجتمع الذي يتعامل معه ، حيث تجعله مستعداً لفهم ومعارك الحياة .



وصفوة القول أن جانباً كبيراً من التربية كعملية إعداد للحياة في الأسرة ، حيلت تقوم الأسرة بنقل خبراتها ومعارفها إلى أولادها جيل بعد جيل ، وعن طريقها يبدأ الفرد أولى مراحلها بالعالم الذي حوله .

(5)

من هنا يتبين لنا الدور الوظيفي التربوي الهام الذي تقوم به الأسرة كجماعة أولى في تشكيل الملامح الأساسية لنمط شخصية الإنسان ، ونمط علاقة ماحوله ، ونمط اتجاهاته وما يرغب فيه . من أجل ذلك ((تكون القيم التي يتشربها الإنسان متأثرة تماماً بنظرة أسرته إليها ، بل هي في الحقيقة تكاد تكون تجسيدا لها وتعبيراً عنها)) (9).

أي أن عملية تربية الفرد وتثقيفه في داخل العائلة ، هي انعكاس قيم ومعتقدات وأهداف تعبر عن تركيبه الاجتماعية محددة وتنبثق منها .

ونحن في الكلام عن تربية الأسرة هناك نقطة جديرة للإنتباه وهي يجب أن تكون للأب جزء من القوامة ، ولكن ثمة خوارق تضعف قوامة الرجل وليس له مكانته في الأسرة ، منها :

- اتهام الزوجة زوجها بأنه متشدد ومعقد ، فيرسخ هذا القول في أفكار الأبناء ، أو أن تعلن الزوجة أمام أولادها التذمر أو العصيان دون مراعاة لقوامة زوجها أمام أولادها .
- في بعض الأسر نجد الرجل ضعيف منقاد أمام زوجته ، وهذا راجع إلى نشأت المرأة في بيت تقوده المرأة ، فتغضب هذه الزوجة من زوجها بالإغراء أو التسلط وسوء الخلق ، واللسان المرتفع على رب الأسرة .

- المرأة في بعض الحالات تعرض أمراً ما على زوجها ، فيرفضه هذا الزوج ، فتخالفه خفية مع أولادها ، فيتعود الأبناء مخالفة والدهم والكذب عليه في بعض الأحيان .

على المرأة المسلمة المحافظة على أمور بيتها المعنوية بزوجها أن تسلم قيادة الأسرة إلى الرجل ، أباً كان ، وأخاً كبيراً أو خالاً أو عمّاً ، وعلى الزوجة أن تنقاد لأمر زوجها ليتربى الأولاد على الطاعة والأخلاق السامية الرفيعة ، وإن خالفه بعض الأبناء ، فيجب أن تخبر الأب ، ولا تخفي عليه ، لأن كثيراً من الانحرافات تحدث بسبب إخفاء الأم .

كل ما ذكرته آنفاً عن تربية الأسرة المسلمة وكيف تكون التربية من الوالدين ، سوف نتواصل في الحديث عن مكانة هذه الأسرة في الإسلام .

مكانة الأسرة في الإسلام

الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع ، وإذا تفككت عرى الأسرة ، وتطرق الفساد إليها ، كان له صدها في المجتمع بأسره .

(6)

عليه : حظلت الأسرة في المجتمع الإسلامي ، بقسط وافر من عناية شريعتها ، يناسب أهميتها في كيان المجتمع ، وأثرها في حياة الأمة ومستقبلها ، وما يكفل سلامتها من الفتن والخلافات ، ويوفر لها الحماية من عوامل التحلل والفساد ، كي تؤدي رسالتها الخطيرة في أمن واستقرار ، في إعداد جيل متربي على الأخلاق الحسنة .

(فالأسرة في مبدأ نشأتها كانت تقوم بجميع الوظائف الاجتماعية تقريباً في الحدود التي يسمح بها نطاقها ، وبالقدر الذي تقتضيه حاجاتها الاقتصادية والدينية والخلقية والقضائية والتربوية) (10) .
وسواء كانت الحدود التي تعنها كلمة الأسرة تقتصر على مفهومها القريب الذي ينحصر في الزوجين والأولاد ، أو تمتد إلى أبعد من ذلك ، بحيث تشمل الوالدين والأقربين ، وتسمى في هذه الحالة بالعائلة ، وأحياناً أخرى بالعميلة ، فإن الشريعة الإسلامية ، قد أحاطت بتعاليمها السامية ، ونظامها المحكم ، الأسرة في حدودها القريبة والبعيدة على السواء .
حددت شريعتنا الإسلامية السمحاء العلاقة بين الزوجين ، وبينت واجبات كل منهما قبل الآخر وحقوقه عليه ، ومسئولتهما في رعاية الأبناء ، ورعاية لأسرة ، كل ذلك بما يكفل للأسرة حياة آمنة مطمئنة ، في ظل التعاطف الصادق بين أفرادها ، والتعاون البناء لما فيه خير المجتمع ، وخيرى الدنيا والآخرة .

إن تكوين أسرة مسلمة وإقامة بيت سعيد هدف يسعى إليه كل إنسان ، وأمنية يود تحقيقها كل فرد ، لأن المنزل هو المأوى الذي يرجع إليه بعد كد وتعب ، فإذا أوى إلى بيت هانئ وعيش طيب بعد المكابدة فقد تحققت له السعادة المنشودة .

لأنك في أن بناء الأسرة ، هو أخطر بناء في كيان المجتمع ، بل في كيان الأمة بأسرها ، لأنه البناء الذي تتوقف على سلامته وصلابته سلامة المجتمع ، وعزة الأمة .

من أجل ذلك : عني النبي صلى الله عليه وسلم – فيما يتعلق بتكوين أسرة – بالحث على تحرى العناصر الطيبة من النساء ، واختيار ذوات الأصول الطاهرة ، فقال : ((تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء ، وانكحوا اليهم)) (11) .

والمعنى الذي يهدف إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، هو أن يحرص المسلمون في بنائهم للأسرة ، على اختيار الزوجة الصالحة ذات الأصل الطيب ، لأن أخلاق المرأة تتأثر غالباً بالبيئة التي نشأت فيها ، وتربت في أحضانها ، كما أن أبنائها يرثون عنها الكثير من أخلاقها وطباعها ، لذلك يندب اختيار المرأة الصالحة التي تعد أساساً لاختيار الزوجة ، ونحن في سياق الكلام عن الزوجة وكيفية اختيارها ، يجب أن نذكر صفات الزوجة الصالحة من الكتاب والسنة



(7)

والتي لابد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ، وتصبح الأسرة ذات أصل ودين ، ومتربية على تربية الإسلام .

أولاً : أن تكون صالحة ذات دين .

يندب اختيار الزوجة من بيئة متدينة ، حتى تنقل إلى أبنائها الطباع الكريمة ، والقيم الفاضلة ، ويوم تفشل في اختيار المرأة الصالحة سوف ينشأ النشء غير مستقيم ولا مهتد ولا مسترشد.

قال تعالى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (12) .

وقال تعالى : (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) (13) .

وقال تعالى : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) (14) .

فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : ((تنكح والمرأة لأربع : لمالها ولنسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك)) (15) .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أي النساء خير ؟ قال : ((التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره)) (16) . وقال صلى الله عليه وسلم ((خير النساء من

تسرك إذا أبصرت ، وتطيعك إذا أمرت ، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك)) (17) .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)) (18) . وقال رسولنا محمداً

صلى الله عليه وسلم ((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح)) (19) .

إذا تمعنا في تلك الآيات والأحاديث السالفة الذكر نجد أنها تدل على أهم صفات الزوجة المتدينة وهي :

1. صالحات بعمل الأعمال الخيرية مع الإحسان إلى الأزواج .

2. إطاعة الأزواج فيما لا يرضى الله .

3. محافظات على أنفسهن في حالة غياب الزوج .

4. مانحات أزواجهن السكن النفسي والراحة التامة في جميع الأمور .

(8)

5. الزوجة الصالحة تكون عوناً على الدين ، فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة على الدين ومشوشة له .

6. محافظات على أموال الأزواج في غيابهم .

7. متزينات إلى أزواجهن ، بحيث لا يرين أزواجهن إلا ما يسرهم من حسن الوجه ونظافة المظهر وتسلية الزوج .

فخلاصة القول : أن الزوجة الصالحة هي أعلى كنز يتحصل عليه المسلم ، في سعيه لخيري الدنيا والآخرة ، فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : لما انزلت (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) (20) . انطلق عمر ، وثوبان – رضى الله عنهما – إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يانبي الله : إنه قد كبر على اصحابك هذه الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ((الا أخبرك بخير ما يكتز المرء)) ؟ المرأة الصالحة ، التى إذا نظر إليها سرتة ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته (((21) . وفي رواية أخرى عن ثوبان رضى الله عنه قال : لما نزل في الفضة والذهب ما نزل ، قالوا : فأى المال نتخذ ؟ قال عمر : أنا أعلم ذلك لكم ، قال : فأوضح على بعير فأدركه وأنا في أثره ، فقال يارسول الله ، أى المال نتخذ ؟ قال : ((ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة)) (22) .

ثانياً : أن تكون حسنة الخلق .

المرأة حسنة الأخلاق أصل مهم في طلب تربية الأسرة ، والاستعانة على الدين ، فإنها إذا كانت سليطة ، بذية اللسان ، سيئة الخلق ، جاحدة للنعم ، كان الضرر منها أكثر من النفع ، قال بعض العرب :

لاتنكحوا من النساء ستة :

لا أنابة .

ولا منانة .

ولا حنانة .

ولا حداقة .

ولا براقة .

ولا شداقة .

(9)

أما الأنانة : فهي التي تكثر الأنين والتشكي ، وتنعصب رأسها كل ساعة ، فنكاح الممرضة ، أو نكاح المتمازضة لاخير فيه .

والمنانة : التي تمن على زوجها ، فتقول : فعلت لأجلك كذا وكذا .

والحنانة : التي تحن على زوج آخر ، أو ولدها من زوج آخر ، وهذا ما يجب ابتعاده .



والحدافة: وهي التي تكلف زوجها شراء حاجات فوق ما كلف به الشرع ، وكذلك ترمى إلى كل شيء بحدقتها .

والبراقة: يقولون: برقت المرأة ، وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده .
وأيضاً عن البراقة ، وهي أن تكون طوال النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ، ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع .

والشداقة: المتشدة الكثرة الكلام ، وهي الثرثرة في اللسان .
وهناك المرأة المختلعة ، والمبارية ، والعاهرة ، والناشزة .
فأما المختلعة: فهي التي تطلب الخلع (23) من زوجها كل ساعة من غير سبب .
والمبارية: المباهية بغيرها ، المفخرة بأسباب الدنيا .
والعاهرة: وهي التي قال الله تعالى: (وَلَا تُتَخَذَاتِ أَخْدَانٍ) (24) .
أي الفاسقة التي لا تعرف بخليل وخن .
والناشز: التي تعلق على زوجها بالكلام ، وزوجها ساكت وغير راضياً عنها .
مجمل القول في ما ذكرته ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في نكاح المرأة .
(10)

ثالثاً: أن تكون جميلة وحسنة الوجه .

فذلك أيضاً مطلوب ، وهو عنصر معتبر عند الاختيار ، دل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((تنكح المرأة لأربع ، وذكر منها: ولجمالها)) .
ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال أن الألف والمودة تحصل به غالباً .
وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر ، فقال: ((إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة ، فلينظر إليها ، فإنه أحرى أن يؤدم بينهما)) (25) ، أي: يؤلف بينهما ، من وقوع الأدمة على الأدمة . وهي الجلد الباطنة ، والبشرة: الجلد الظاهرة .
وإنما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف .

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل ، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنار ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنظرت إليها ؟)) قال: لا ، قال: ((فاذهب فانظر إليها ، فإن في أعين الأنصا شيئاً)) (26) .
وقال الأعمش رحمه الله: كل تزويج يقع من غير نظر فأخره هم وغم .
ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال ، وإنما يعرف الجمال من القبح .

والجمال بالنسبة للمرأة ما لم يكن محصناً بالنشأة الدينية والتربية القويمية والأصل العريق قد يصبح وبالأعلى عليها ، إذ يغري الفساق بالطبع فيها ، ويهون عليها التفريط بشرفها ، مما يؤدي في هوة الفاحشة دون مبالاة بما يعود على الأسرة من دمار .

يقول الغزالي رحمه الله في فصل عقده بعنوان : (ما يراعى من أحوال المرأة) : ((الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب ، إذ به يحصل التحصن ، والطبع لا يكتفي بالدميمة غالباً ، كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لايفترقان ، وما نقلناه من الحث على الدين ، وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال ، بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحيض مع الفساد في الدين ، فإن الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين)) (27) .
فالحاصل : أن الجمال هو أحد أهم أسباب حصول الألفة بين الزوجين .

(11)

وقد قيل : إذا كانت المرأة حسناء ، خيرة الأخلاق ، محبة لزوجها ، قاصرة الطرف عليه ، فهي على صورة الحور العين سوداء الحدقة والشعر ، كبيرة العين ، بيضاء اللون ، فإن الله سبحانه وتعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله : (خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) (28) . أراد بالخيرات حسنات الأخلاق . وفي قوله : (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) (29) . وفي قوله : (عُرُبًا أَتْرَابًا) (30) . العروب : هي العاشقة لزوجها ، المشتبهة للوقاع ، وبه تتم اللذة . والحور : البياض . والحوراء : شديدة بياض العون : إن المرأة كلما كانت جميلة المنظر ، عذبة المنطق ، قرت العين بالنظر إليها ، وأصغت الأذن إلى منطقتها ، فينفتح لها القلب وينشرح لها الصدر وتسكن إليها النفس ويتحقق فيها قوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (31) .

أن جمال الصورة تبليه السنون ولا يقبل النماء ، بعكس جمال الروح فإنه قابل للنماء والتألق وهو الجمال الذي امتدحه الله تعالى بقوله : (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ) (32) .

أن جمال الصورة قابل للتنازل بعكس جمال الروح ، فإنه لايقبل التنازل عنه أو التساهل فيه .
رابعاً : أن تكون المرأة ودود أو و لوداً
والودود : هي التي تقبل على زوجها ، فتحيطه بالمودة والحب ، وتبذل وسعها في مرضاته ورعايته وطاعته ، ليتحقق به الهدف الأساسي من الزواج وهو السكن .
وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد ضرورة مراعاة صفة الود في المرأة ، ومن هذه الأحاديث :



- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم)) (33).
 - وقال النبي صلى الله عليه وسلم ((نساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العثود)) (34) على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول : لا أذوق غمضاً (35) حتى ترضى)) (36).
 - فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أي النساء خير ؟ قال : ((التي تسره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمر ، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره)) (37).
- ومعنى هذا الحديث أن المرأة الودود تكون مطيعه لزوجها ، لا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره .

(12)

فالمراة الودود هي المراة التي يعهد منها : التودد إلى زوجها والتحبب إليه ، وبذل ما بوسعها من أجل مرضاته ، أما عن المراة الولود . قال عليه السلام : ((عليكم بالولود الودود)) (38). وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحببت امرأة ذات حسب وجمال ، ولكنها لا تلد ، أفأ تزوجها ؟ قال : لا ، ثم أتاه الثانية فنهاه ، ثم أتاه الثالثة ، فقال : ((تزوجوا الودود الولود ، فإني مكاثر بكم الأمم)) (39).

فعلى المسلم إذا أراد أن يتزوج أن يبحث عن النسل ولا يتزوج امرأة لا تلد ، وتعرف الولود بالنظر إلى كمال جسمها وسلامة صحتها من الأمراض التي تمنع الحمل أو الولادة .

خامساً : أن تكون بكرأ

قال تعالى : (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا) (40).

وفي البكارة ثلاث فوائد :

- أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في هذا الود ، وقد قال نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم : ((عليك بالودود)) (41). والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف .
 - أنها لا تحن إلا إلى الزوج الأول ، وأكثر الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً.
 - أن ذلك أكمل في مودته لها ، فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما ، وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر ، وبعض الطباع في هذا أشد نفوراً .
- وقد وردت في الحث على انتقاء البكر أحاديث عديدة منها :
- فقد أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : تزوجت امرأة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت النبي فقال : ((يا جابر ، تزوجت ؟)) قلت : نعم ، قال : ((بكرا أم ثيبأ ؟)) قلت : ثيبأ ، قال : ((فهلا بكراً تلاعها وتلاعبك)) (42).

- وفي رواية أخرى عند البخاري : ((فهلأ جارية تلاعبك ؟ وتضاحكها وتضاحكك))(43).
- وعن عبد الرحمن بن سالم بن عتبة عن أبيه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((عليكم بالأبكار ، فإنهن أعذب أفواهاً وأنقى أرحاماً وأرضى باليسير))(44).
- وفي صحيح البخاري عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، أ رأيت لو نزلت وادياً فيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجراً لم يؤكل منها في أمها كنت ترتع بعيرك ؟ قال : ((في التي لم يرتع منها))(45) ، يعني : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها .

(13)

وقد روى أن أهل الجنة كلما وطئ أحدهم امرأة ، عادت بكراً كما كانت فكلما أتاها وجدها بكراً (46) .

وقد أشار وتعالى إلى هذا المعنى بقوله : (لَمْ يَطْمِئُنْ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) (47) .

سادساً : أن تكون خفيفة المهر

المغالاة في المهر كرهتها شريعتنا السمحاء من جهة المرأة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً))(48) .

وقال أيضاً : ((أبركهن أقلهن مهراً))(49) .

وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت ، وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف . وأولم على بعض نسائه بمدين من شعير ، وعلى أخرى بمدين من تمر ومدين من سويق .

ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ، حملها هو إليه ليلاً فأدخلها هو من الباب ، ثم انصرف ، ثم جاءها بعد سبعة أيام ، فسلم عليها .

سابعاً : أن لا تكون من القرابة القريبة .

قال صلى الله عليه وسلم في الزواج من القرابة ((لاتنكحوا القرابة القريبة ، فإن الولد يخلق ضاويماً))(50) . ، أي نحيفاً . وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة ، فإن الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس ، إنما يقوي الإحساس بالنظر للغريب الجديد ، فأما المعهود الذي دام النظر إليه مدة ، فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثير به ، ولا تنبعث به الشهوة .

فهذه هي خصال الزوجة الصالحة التي تعد أساساً لاختيار الزوجة التي يبني عليها البيت بحيث تكون الأسرة متربية على اصول تربوية صحيحة نابعة من الكتاب والسنة .



وقبل الخروج من هذا المبحث من المستحسن أن أتحدث عن زوجات صالحات دات تربية إسلامية مع أزواجهن بحيث يكونون نموذجاً للاقتداء بهن .

(14)

النموذج الأول : استقبال أم سليم لزوجها أبا طلحة

من الزوجات من لاتكون في بيتها حين يرجع زوجها إليه فلا يجدها داخل منزله ، وسواء كانت الزوجة في عملها إذا كانت تعمل ، أو كانت عند جيرانها أو أهلها أو غيرهم ، فإن غيابها عن بيتها وقت عودة زوجها ، سترك أثره السلبي في نفس زوجها ، وأحياناً تكون الزوجة في منزلها حين رجوع زوجها ، ولكنها لا تحسن استقباله فتصرف عنه ، ولا تهتم بقدمه ، وقد يكون الحال أسوأ من هذا وذلك ، ولكن يكون الاستقبال . صراخ وشكوى وضيق وجه عابس غاضب ، ونفس حائقة تائرة ، وفي هذه الحالة يتمنى الزوج لو أنه عاد من حيث أتى !

ولنا في أم سليم مثلاً من أمثلة الصحابيات وحسن استقبالهن لأزواجهن فهذه الصحابية مات لها ولد وزوجها أبي طلحة رضى الله عنهم جميعاً ، وكان الولد مريضاً ، فلما عاد زوجها إلى منزله لم تعلمه بوفاته إلا بعد أن قدمت إليه الطعام ونال منها ما ينال الزوج من زوجته .

وهذه القصة جاءت في كتب الحديث كما يلي : كان لأبي طلحة رضى الله عنه ابن مريض ، فخرج أبو طلحة فقبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة إلى داره سأل زوجته عن صحة ابنه المريض . قالت له زوجته أم سليم : هو أسكن ما كان . فقربت إليه العشاء فتعشى ، ثم أصاب منها ، فلما فرغ قالت يا أبا طلحة عارية استعارها قوم ، وكانت العارية عندهم ماقضى الله ، وإن أهل العارية أرسلوا إلى عاريتهم فقبضوها . ألهم أن يجزعوا ؟ قال : لا . قالت : فإن ولدك قد فارق الدنيا قال : فأين هو ؟ قالت : ها هو ذا في المخدع . فكشف عنه واسترجع – قال :- إنا لله وإنا إليه راجعون – فلما أصبح ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثه بقول زوجته ، فقال : ((بارك الله لكما في غابر ليلتكما)) فحملت زوجت أبا طلحة في ذلك الليلة ، قال سفيان : فقال رجل من الأنصار : فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم من حفظة لكتاب الله .

لو نظرنا إلى هذه القصة من الناحية التربوية نجد أن هذه الزوجة تعامل زوجها معاملة ذات حكمه ، ولم تخبره وهو عائد بتعبه وقلقه ، وفي الوقت نفسه لم تكذب عليه . ثم ها هي ، قبل أن تخبر زوجها تقدم له العشاء الذي لم يكن ليأكل منه شيئاً لو أخبرته بوفاته ابنه ، ثم تجعله ينال منها ما ينال الرجل من زوجته .

فما أحوجنا إلى زوجات صالحات قانتات إلى أزواجهن وخاصة في هذا الزمان التي غابت فيه الزوجة المربية الصالحة إلا من رحم الله .

(15)

النموذج الثاني : شريح القاضي وزوجته الصالحة

في زماننا هذا كثر تسلط الزوجات على الأزواج ، وما هذا النموذج الذى اسرده لامرأة لا أظن أنه يوجد في هذا الزمان مثل لهذه المرأة التي سوف اتعرض لها بالحديث ، وإنما ذكرتها هنا للقتداء بها . وها هي الرواية .

روى (أن شريحاً القاضي قابل الشعبي يوماً ، فسأله الشعبي عن حاله في بيته فقال له : ((من عشرين عاماً لم أرما يغضبني من أهلي)) ، قال له : وكيف ذلك ؟ قال شريح : من أول ليلة دخلت على امرأتي ، رأيت فيها حسناً فاتناً ، وجمالاً نادراً ، قلت في نفسي : فلا تطهر وأصلي ركعتين شكراً لله ، فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء ، قمت إليها ، فمددت يدي نحوها ، فقالت : على رسلك يا أبا أمية ، كما أنت ، ثم قالت : الحمد لله أحمدته وأستعينه ، وأصلي على محمد و آله إنني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك ، فبين لي ما تحب فأتيه وما تكره فأتركه . وقالت : إنه كان في قومك من تتزوجه من نسأكم ، وفي قومي من الرجال من هو كفء لي ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله ، إمساك بمعروف ، أو تسريع بإحسان ، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولك .

قال شريح : فأحو جتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت : الحمد لله أحمدته وأستعينه ، وأصلي على النبي وآله وسلم ، وبعد : فإنك قلت كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظك ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا ، وأكره كذا وكذا ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها . فقالت : كيف محبتك لزيارة أهلي ؟ قلت : ما أحب أن يملني أصهاري ، فقالت : فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فأذن له ومن تكره فأكره ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء ، قال شريح : فبت معها بأنعم ليلة ، وعشت معها حولاً لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء فإذا بفلانة في البيت ، قلت : من هي ؟ قالوا : ختنك ((أي أم زوجك)) ، فالتفتت إلي ، وسألتني : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة ، قالت : يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالين : إذا ولدت غلاماً ، أو حظيت عند زوجها ، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدله فأدب ما شئت أن تؤدب ، وهذب ما شئت أن تهذب .



فمكثت معي عشرين عاماً لم أعقب علياً في شيء .
هكذا تكون تربية الأسرة المسلمة من الوحي العظيم الكتاب والسنة وهكذا فليكن الزوج داخل بيته مع زوجته .

(16)

وهكذا فلتكن الزوجات ، مع أزواجهن في المعاملة .
وهكذا فلتكن أمهات الزوجات مع زوج بناتهن .
قال تعالى : (وَلَلرِّجَالِ عَلَىٰ نَاصِيَةٍ ذَرْجَةٌ) (51) .
وقال صلى الله عليه وسلم : ((نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا أوديت أو أذت أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول لا اذوق غمضاً حتى ترضى)) (52) .

(17)

المبحث الثاني - الوسائل الناجحة في التربية

توطئة

الإسلام في أساسه نظام تربوي متكامل ، يتناول الكائن البشري بجوانبه الفكرية والروحية ، الجسمية والسلوكية . وهو يستهدف تحرير هذه الجوانب في الإنسان : تحرير العقل من الوهم والضلال ، وتحرير الجسم من الخضوع للذات والشهوات . وتستند التربية الإسلامية إلى القرآن الكريم ، والسنة النبوية . واستنادهما على هذين الأساسين : الأساس الإلهي ، والأساس النبوي ، جعلها تتسم بالتكامل والشمول في نظرتها للإنسان والمجتمع .
لقد كان للتربية ولا زال دور أساسي في تشكيل وتطوير حياة الفرد والجماعة . وفي كل مرحلة من مراحل التطور التي مرت بها المجتمعات البشرية ، سيطرت عليها أهداف معينة .
إن الحياة في المجتمع البشري المعاصر صارت تتسم بحركية في كل المجالات ، وأملت التغيير والتبديل ، في مذاهب الفكر ومناهج السلوك ، وما تشتمل عليه من معتقدات وعادات فردية واجتماعية . وصارت مظاهر هذا التغيير واضحة في الأسرة ، والمجتمع بمؤسساته المختلفة .
للمربي مكانته البارزة في التربية الإسلامية وذلك للور الأخلاقي الذي يقوم به . وقد ورد في كلام رب العالمين وسنة نبينا الكريم ما يشير إلى ذلك في قوله تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (53) .

وقال صلى الله عليه وسلم : ((الرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته)) (54) .

الوسائل الناجحة في التربية

أولاً: التربية بالقُدوة

يعتبر ديننا الإسلامي بناء الأسرة ، خير وسيلة لتهديب النفوس ، وتنمية الفضائل الإنسانية ، حيث تقوم الحياة في محيطها على التعاطف والتراحم ، والتضحية والايثار ، وحيث يتعود أفرادها تحمل المسؤوليات ، والتعاون في أداء الواجبات.

(18)

والقُدوة في التربية من أنجح الوسائل المؤثرة في إعداد الأبناء خلقياً ، وتكوينه نفسياً واجتماعياً ، ثم أن قيام الآباء بأود الأبناء ، والعناية بتنشئتهم ، وتحمل الشدائد في سبيل عيشتهم ومؤونتهم ، كل ذلك وما شابهه ، من موجبات رحمة الله تعالى وعفوه . ومن هنا كانت القدوة عاملاً كبيراً في صلاح الولد أو فساده ، فإن كان المربي صادقاً ، أميناً ، كريماً ، عفيفاً ، نشأ الابن على الصدق ، والأمانة ، والخلق ، والكرم ، والعفة .

إن الابن مهما كان استعداداً للخير عظيماً ومهماً كانت فطرته نقية سليمة ، فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الناجحة ما لم ير المربي في ذروة الأخلاق وقمة القيم ، ومن السهل على المربي أن يلحق الولد منهجاً من مناهج التربية ، ولكن من الصعوبة بمكان أيستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته ويقوم على توجيهه غير متحقق بهذا المنهج ، وغير مطبق لأصوله ومبادئه .

وحتى يكون الولد ناجحاً في تربيته ، ويكون قدوة لوالده ، فلا بد أن يقرب له صورة النبي صلى الله عليه وسلم في سمته وأقواله وأفعاله ، لأنه صلى الله عليه وسلم هو القدوة المطلقة لهذه الأمة .

ومن المعلوم أن التربية لها طريقتان : طريق نظري ، وطريق عملي فالطريق النظري : أن تربي الأبناء على الأخلاق الفاضلة وعلى العبادات وعلى كل ما يهمهم في أمور دنياهم وآخرتهم .

وأما الطريق العملي : فأن يكون المربي نفسه مطبقاً للعبادات والأخلاق الفاضلة ، تعاملهم بما هو أحسن حتى يتعود وامنه ما هو عليه من العبادات والأخلاق .

ومما ينبغي التنبيه عليه في أمر القدوة ألا يقع المربي في التناقض أمام أبنائه أثناء تربيته ، فعن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعيتي أُمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في



بيتنا فقالت : ها ، تعال أعطك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((وما أردت أن تعطيه ؟)) ، قالت : أعطيه تمرأ ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أما إنك لو لم تعطه شيئاً ، كتبت عليك كذبة)) (55) .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة في مجالات عدة ، ففي مجال العبادة والأخلاق والكرم والزهد والتواضع قد بلغت مراتب هذه المجالات أعلاها ، وكلما تعاقبت الأزمنة ، وتعاقبت العصور ، وجد الناس في عبادة وحلم النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الشاملة (19)

المثل الكامل ، والأسوة الحسنة ، لو اتبعناها كل أسرة مسلمة وتربت عليها لكان لها صلاح وفوز برضوان الله ، وإتباع لسنة صلى الله عليه وسلم .
أما عن قدوة العبادة :

■ عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، فقيل له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : ((أفلا أكون عبداً شكوراً ؟)) (56) .

أما عن قدوة الزهد :

■ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على حصير ، فأثر في جلده ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، لو كنت آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئاً يقيك منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ما أنا و الدنيا ، إنما أنا و الدنيا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها)) (57) .
أما عن قدوة الكرم :

■ كان صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، وكان أجود من الريح المرسلة ، فعن جابر رضي الله عنه قال : ((ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط ، فقال : لا)) (58) .

أما عن قدوة تواضعه :

■ كان صلى الله عليه وسلم يبدأ أصحابه بالسلام ، وكان آخر من يسحب يده إذا صافح ، ويحدث الصغير والكبير ، وكان يخيظ ثوبه ، ويخصف نعله ، وكان يأكل مع الخادم ويقضي حاجة الضعيف ، ويجلس على الأرض ، ولا يأكل متكئاً ، وكان في مهنة أهله .

فهذا قليل من كثير من أخلاق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والتي بها جذب قلوب الناس إليه ، فكان ذلك أدعى للتأسي والإقتداء به ، فوجب على المربي أن يتمثل صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يعلمها إلى أسرته إن كان ينبغي حقاً أن تكون أسرة ذات قدوة صالحة .

(20)

ثانياً : التربية بالموعظة

من أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الأسرة ومنهم الأبناء يجب إعدادهم خلقياً ونفسياً واجتماعياً ، وتربيتهم بالموعظة لما للموعظة من أثر كبير في تبصير الأبناء حقائق الأشياء ، وتحليمهم بمكارم الأخلاق وتوعيتهم بأمور شريعتهم ، وتوجد نماذج كثيرة من القرآن الكريم للتربية بالموعظة ، منها ما قصه كلام رب العزة علينا من خبر لقمان مع ابنه قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ يَا بُنَيَّ اقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تَصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (59) .

إن التربية المستمدة من القرآن الكريم على المربين أن يفهموا هذه الحقيقة ويعلموها إلى أولادهم ، وأن ينهجوا منهج القرآن الكريم في مواعظه وإرشاداته في إعداد أولادهم منذ الصغر ، إذا أرادوا لأسرتهم الخير والصلاح .

ثالثاً : التربية بالعادة (التعويد)

التربية بالعادة (أو التعويد) : نقصد بها تحويل صفة ما إلى عادة لازمة لا ينفك عنها ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((الخير عادة)) (60) .

وكلما كان تعويدك لطفلك قوياً استمر طفلك على ما عودته عليه لمدة أطول . فالطفل يولد على فطرة بيضاء صافية ، لقوله النبي صلى الله عليه وسلم : ((كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كمثل الهيمه تنتج الهيمه هل ترى فيها جدعاء

((؟ (61) .



وهنا يكون عامل التربية بالعادة مهماً لمواجهة تحديات البيئة المحيطة بالولد .
لذا ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعويد الأطفال منذ الصغر على تطبيق شعائر الإسلام ، من ذلك

(21)

قوله صلى الله عليه وسلم : ((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع)) (62) .
فواجب على الآباء ألا يهملوا هذا المبدأ التربوي الهام بحجة أن أطفالهم ما زالوا صغاراً ، فمن عود على شيء اعتاد عليه حتى يصير صفة لازمة له .

رابعاً : التربية بالملاحظة

الملاحظة هي المتابعة . ووقد حض الإسلام على متابعة الأولاد وتفقد أحوالهم ، من ذلك قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ) (63) .
من أسس العملية التربوية متابعة الأولاد باستمرار وملاحظة أفعالهم ، وكثير من المشكلات التي تنجم في مرحلة المراهقة هي نتيجة للتقصير في المبدأ التربوي ، فمثلاً تأخر الأبناء لساعات طوال من الليل خارج المنزل مشكلة ناتجة عن تقصير في المتابعة في مرحلة السنوات الأولى من عمر الطفل .

وعن عمر بن أبي سلمة قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصفحة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا غلام ، سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك)) (64) . فما زالت تلك طعمتي بعد .

ومن التربية بالملاحظة أن يلاحظ الأب ما يطالعه ولده من كتب ومجلات ، فإن وجد أنها تحوى طياتها أفكار الزيف ومبادئ الإلحاد ودسائس التبشير ، فلقم بمهمة المصادرة ، ثم إقناع الابن أن هذه الكتب وغيرها تفسد عليه إيمانه وإسلامه العظيم ، وأن يلاحظ من يصاحب أبنه من رفقاء ، فإن وجد أن الرفقة التي يصحبها هي رفقة إلحاد وقرناء زيف وضلال ، فعلى المربي أن يقطع الصلة بينه وبينهم وأن يجعله يجالس رفاق الخير الأمرون بالمعروف الناهون عن المنكر المقيمون لحدود الله .

ومن ملاحظة الجانب الأخلاقي في الولد أن يلاحظ المربي ظاهرة الصدق فيه ، فإن وجد الابن غير صادق في أقواله ووعوده ، ويظهر في المجتمع بمظهر المنافقين والكذابين ، فعليه أن يتولى أمر الولد في أول كذبة كذبها ، وأن يبصره طريق الحق والهدى ، كذلك على المربي أن يلاحظ ظاهرة

الأمانة في الولد ، فإن وجد الولد يمشي في طريق السرقة ولو في أشياء حقيرة فعليه أن يعالج ذلك بسرعة ، ولا يجعله مستمراً في سرقة ، وأن يفهمه أن هذا حرام وسوف يحاسبه به الله لأنه أخذ مال بغير حق .

وأن يلاحظ المربي أيضاً ظاهرة حفظ اللسان في الولد ، فإن وجده يتلفظ بالسباب ويتفوه

(22)

بالتشائم ، وتصدر من لسانه الكلمات الشنيعة والألفاظ القبيحة ، فعليه أن يعالج هذه الظاهرة بحكمة ، وأن يتعرف على الأسباب التي جعلت من ولده سليط اللسان ، ثم يبين له صفات الولد الخلق المؤدب الذي يحبه مجتمعه وتفخر به أسرته .

فعليك أخي المسلم اختي المسلمة أن تتبعوا منهج الإسلام في التربية بالملاحظة ، فإد أخذتم بأسسه وتعاليمه ، وسرتم على هديه وقواعده ، لأصبح أولادكم قرة عين لكم ولبنة صالحة في كيان المجتمع .

(23)

الخاتمة

أحمد المولى - عز وجل - على ما من به علي من إكمال هذا البحث الذي قضيت فيه هذه الرحلة العلمية التربوية الممتعة التي جعلتني أتجول بفكري في أصول تربية الأسرة المسلمة من وحي القرآن العظيم وسنة النبي الأمين محمداً صلى الله عليه وسلم ، فإن وفقت في عرضه - وهو ما أرجوه - فمن فضل الله وتوفيقه ، وله الحمد والمنة أولاً وآخراً ، وإن تكون الأخرى ، فحسبي أني بذلت ما في وسعي وأردت الخير ، وأستغفر الله من كل خطأ وزلل ، وأسأله - سبحانه - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل صالحاً ، ولوجهه الكريم خالصاً إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ثم إنني أختتم هذا البحث بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها ، والتي كانت على النحو الآتي :

- 1) إن الإسلام الذي رضي به الله للناس ديناً ، تشريع كامل تناول كل جوانب الحياة ، ونظم علاقة الإنسان بخالقه والناس بعضهم ببعض أفراداً وجماعات ، ولما كان من أهدافه الأصلية بناء مجتمع سليم يعيش الناس فيه سعادة عني بتنظيم الأسرة عناية بالغة لأنها اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، فوضع لها نظاماً محكمماً إذا سار الناس على هديه استقرت أمورهم وعاشوا في أمان .



- (2) إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة رسمت الطريق المستقيم لتكوين الأسرة الصالحة ، فبينت كل منهما طريقه اختيار الزوجة ، وأرشدت كلا من الزوجين إلى ماله من حقوق قبل الآخر وما عليه من وجبات .
- (3) إن التربية السليمة هي التربية التي تأخذ في الاعتبار حياة الإنسان الداخلية بأبعادها الفكرية والوجدانية ، وحياته الخارجية وما تنطوي عليه من تحديات ومثيرات . ونصب أعيننا دائماً تنمية داتية الفرد والمحافظة على أصالته .

(24)

- (4) إن مهمة التربية لا تقتصر على مجرد الأمر والنهي ، لا تقتصر على مجرد التوجيهات التي يلقيها الأب أو الأم على الابن ، بل إن من أفضل طرق التربية القدوة الحسنة ، أن يكون الآباء قدوة حسنة لأبنائهم ، فهذا من أفضل وأسرع طرق التوجيه في التربية .
- (5) أن البيت المسلم مدرسة لتخريج الأجيال المؤمنة ، إنه مدرسة تخرج العلماء والمبدعين والمجاهدين في سبيل الله ، فعلينا أن نكون معنيين بهذه البيوت ، لنخرج الجيل المؤمن ، الذي تكون به عزة الأمة ، وتسير به نحو طريق المجد .
- وصل اللهم وسلم وبارك على الحبيب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وآله وصحبه أجمعين : (وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (65) .

(25)

هوامش البحث

1. سورة الروم ، الآية : 19 .
2. سورة النحل ، الآية : 71 .
3. سورة الرعد ، الآية : 11 .
4. تفسير البيضاوي ، 1 / 51 - 52 .
5. سورة التحريم ، الآية : 6 .
6. رواه البخاري ، وحديث رقم 893 . ومسلم ، حديث رقم 1829 .
7. سورة الفرقان ، الآية : 74 .
8. سورة الأحزاب ، الآية : 33 .
9. سيد إبراهيم الجيار ، التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية ، القاهرة ، دار غريب للطباعة ، 1978 م ، ص 138 .
10. على عبد الواحد وافي ، الأسرة والمجتمع ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ط 7 ، 1977 م ، ص 15-16 .

11. رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي ، من حديث عائشة رضی الله عنها .
12. سورة الحجرات ، الآية : 13 .
13. سورة النور ، الآية : 32 .
14. سورة النساء ، الآية : 34 .
15. أخرجه البخاري ، حديث رقم 4970 ، ومسلم ، حديث رقم 3590
16. رواه ابو داود والنسائي .
17. أخرجه الطبراني ، 4 / 273 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (3299) .
18. رواه مسلم .
19. رواه الترمذي .
20. سورة التوبة ، الآية : 34 .
21. سبق تخريجه .
- (26)
22. أخرجه أحمد (22490) ، وابن ماجه (1856) ، وصححه الألباني .
23. الخلع هو أن يطلق الرجل زوجته على فدية منها ، وقد شرع لتفتدي المرأة نفسها من زوج لا تريد البقاء معه ، والرجل يعتاض عما أنفق في هذا الزواج ، وينبغي أن يكون العوض المالي الذي تدفعه المرأة لا يزيد عما قدمه الرجل من مهر .
24. سورة النساء ، الآية : 25 .
25. أخرجه أحمد ، حديث رقم 18162 ، وابن ماجه ، حديث رقم 1865 ، وصححه الألباني .
26. أخرجه مسلم ، حديث رقم 3550 .
27. الإمام أبي حامد محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط¹ ، 1999 م ، ج² ، ص 38 .
28. سورة الرحمن ، الآية : 70 .
29. سورة الرحمن ، الآية : 56 .
30. سورة الواقعة ، الآية : 37 .
31. سورة الروم ، الآية : 21 .
32. سورة النساء ، الآية : 34 .
33. رواه أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار : ((تزوجوا الودود الولود)) .
34. المرأة التي تعود على زوجها بالنفع .
35. أي : لا أدوق نوماً .
36. أخرجه الطبراني في الكبير ، 19 / 140 ، وصححه الألباني .
37. أخرجه النسائي ، حديث رقم 3231 ، وصححه الألباني .
38. سبق تخريجه .



39. أخرجه أبو داود ، حديث رقم 2050 . وصححه الألباني .
 40. سورة الواقعة ، الآيات : 35 – 37 .
 41. أخرجه أبو داود ، حديث رقم 2052 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ، حديث رقم 2940 .
 42. أخرجه البخاري ، حديث رقم 4949 .
 43. نفس المصدر ، حديث رقم 6024 .
 44. أخرجه البيهقي ، حديث رقم 13251 ، وابن ماجه ، وحديث رقم 1861 ، وصححه العلامة الألباني .
 45. أخرجه البخاري ، حديث رقم 4789 .
 46. روضه المحبين ، لابن القيم ، ص 245 .
 47. سورة الرحمن ، الآية : 56 .
 48. رواه الترمذي .
 49. رواه أحمد والبيهقي من حديث عائشة .
 50. معناه تزوجوا الغرائب ، قال : ويقال : اغربوا و لاتضبوا .
 51. سورة البقرة ، الآية : 228 .
 52. رواه الطبراني .
 53. سورة طه ، الآية : 132 .
 54. أخرجه البخاري في صحيحه ، وحديث رقم 853 .
 55. أخرجه أبو داود ، حديث رقم 4991 .
 56. أخرجه البخاري ، حديث رقم 4556 .
 57. سنن ابن ماجه ، حديث رقم 4109 .
 58. صحيح البخاري ، حديث رقم 5687 .
- (28)
59. سورة لقمان ، الآيات : من 13 – 19 .
 60. أخرجه الطبراني في الكبير ، 19 / 386 ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 651 .
 61. صحيح مسلم ، حديث رقم 6926 .
 62. أخرجه أبو داود ، حديث رقم 495 .
 63. سورة التحريم ، الآية : 6 .
 64. أخرجه مسلم ، حديث رقم 5388 .
 65. سورة يونس ، الآية : 10 .
- (29)

الإجراءات أمام القضاء الإداري

دراسة تحليلية لأحكام الدعوى الإدارية في القانون والقضاء الإداري الليبي

إعداد الدكتور/ صبحي مصباح زيد

عضو هيئة التدريس بقسم القانون العام- كلية القانون ترهونة

المقدمة

تكشف طبيعة العلاقات الإدارية عن مراكز قانونية غير مكافئة لإطرافها، فالإدارة في مركز قانوني أسى من المتعاملين معها، ومرد ذلك ما تتمتع به من امتيازات السلطة العامة لأجل تحقيق الغايات العامة.

وهذا التمايز في طبيعة العلاقات الإدارية ينعكس بدوره على طبيعة المنازعات الإدارية الدائرة حولها، فتميزها بطبيعة ذاتية خاصة عن المنازعات العادية؛ الأمر الذي حدا بالمشرع إلى التدخل لإقامة نوع من التوازن للعلاقة غير المتكافئة بين أطراف المنازعة الإدارية¹. فانظم المشرع الليبي المنازعات الإدارية بإجراءات خاصة ضمنها القانون رقم 88 لسنة 1971م بشأن القضاء الإداري².

ويهدف هذا البحث إلى التعرف على الإجراءات المتبعة أمام القضاء الليبي، من خلال دراسة المتطلبات اللازمة لوجود حق الدعوى، وتحريكها، وانعقاد الخصومة الإدارية، ونظرها والفصل فيها، وذلك باتباع المنهج التحليلي، بعرض نصوص القانون وأحكام القضاء الإداري، وفق خطة البحث التالية:

مطلب تمهيدي: يعرض لشروط وجود حق الدعوى

المبحث الأول: شروط حريك حق الدعوى

المبحث الثاني: انعقاد الخصومة الإدارية

الخاتمة

¹ راجع كل من: د. خليفة سالم الجبهي، أحكام ومبادئ القضاء الإداري الليبي، دار الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي - ليبيا، الطبعة الأولى 2009، ص 240، د. نواف كنعان، القضاء الإداري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2006، ص 356.

² القانون رقم 88 لسنة 1971م بشأن القضاء الإداري المعدل بالقانون رقم 53 لسنة 1973 وبالقانون رقم 6 لسنة 2003.



ويبقى الأمل معقود بأن تكون هذه المحاولة جادة رغم تواضعها، لتمثل إضافة إلى المكتبة القانونية، وتنال رضا المختصين، وتشبع فضول المطلعين، وما التوفيق إلا بالله رب العالمين.

مبحث تمهيدي

شروط وجود حق الدعوى

تبدأ الإجراءات أمام القضاء بدعوى أو طلب، والدعوى - في ذاتها - حق شخصي ذو طبيعة إجرائية يهدف إلى طلب الحماية القضائية لحق أو مركز قانوني تم الاعتداء عليه. أو على حد تعبير المحكمة الدستورية العليا، "... الحق في الدعوى هو حق يقوم مستقلاً عن الحق الذي تقام الدعوى لطلب اقتضائه"⁽¹⁾، إذ أن هناك فرقاً بين وجود حق الدعوى أساساً - بغض النظر عن مباشرته أو عدم مباشرته - وبين توافر شروط استعماله أو مباشرته، فليس بالضرورة أن من وجد له حق الدعوى يستعمله حتماً - خاصية الطابع الاختياري - لكن مباشرة حق الدعوى يستلزم وجود هذا الحق أصلاً⁽²⁾.

و يلزم لوجود حق الدعوى توافر شروط معينة إذا وجدت وجد حق الدعوى، وهذه الشروط عامة في كل الدعاوى؛ وهي المنازعة أو الاعتداء، والمصلحة، والصفة³.

أولاً/ المنازعة أو الاعتداء

بصفة عامة من الصعب تصور وجود دعوى بدون وجود نزاع أو اعتداء، فالشخص يمارس حقه ويتمتع بمركزه القانوني وفق مقتضى القانون طالما لم ينازعه فيه أحد؛ أما إذا وجدت المنازعة بالتجاهل أو الاعتداء على هذا الحق أو المركز القانوني، عندها يصير صاحب هذا الحق في حاجة إلى الحماية القانونية التي يوفرها القضاء، وسبيلها الدعوى، فلا دعوى بلا نزاع.

(1) راجع حكم المحكمة الدستورية العليا في القضية رقم 3 لسنة 14 ق. د، بجلسة 1993/2/6، سبق الإشارة إليه.

(2) راجع: د. الكوني على أبوده، قانون علم القضاء، النشاط القضائي، الخصومة القضائية والعريضة،

طرابلس ليبيا، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، الطبعة الثانية، 2003، ص 31.

³ أما إذا أراد صاحب هذا الحق - حق الدعوى - استعماله للدفاع عن حقه أو مركزه القانوني الذي تم الاعتداء عليه، أي طلب الحماية القانونية من المحاكم، فإن المحاكم يلزمها لنظر هذا الطلب بالإضافة إلى وجود حق الدعوى، توافر اشتراطات أخرى نص عليها المشرع. وهي شروط تتعلق بمباشرة حق الدعوى أمام القضاء، أو ما يعرف بإجراءات رفع الدعوى، وهذه - على خلاف سابقتها - تختلف من دعوى إلى أخرى وفق ما ينظمه المشرع من أحكام خاصة بكل دعوى. أنظر: للباحث، أساس دعوى عدم الدستورية (دراسة تحليلية لمضمون الدعوى في النظام القانوني الليبي)، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الاسكندرية، 2015، ص 179.

والنزاع حدث سابق على رفع الدعوى وبدء الخصومة، إذ هو بمثابة تصادم مصالح يجري خارج ساحة القضاء، بما مفاده أنه أمر لا يرتبط بالدعوى والخصومة، فهو في المنشأ سابق عليها، وفي المنتهى لاحق لها أيضاً. بمعنى أنها قد تنقضي بحكم، ولكنه يبقى قائماً بعدها⁽¹⁾ ولذا قيل - بحق - " أن الدعوى تجد مصدرها ووثيقة ميلادها في واقعة الاعتداء"⁽²⁾.

حيث يوجد حق الدعوى أو يثبت للشخص الذي نازعه غيره في حق له أو تم الاعتداء على هذا الحق أو المركز القانوني؛ وذلك بسبب ما ينتج عن المنازعة أو الاعتداء من ضرر مقتضاه الانتقاص من الحقوق أو مقتضيات المركز القانوني المعتبرى عليها، أو إهدارها بالكلية. وهكذا فإن واقعة المنازعة أو الاعتداء هي سبب الدعوى أو شرط وجودها، كونها تفرض الحاجة إلى الحماية القانونية، وهذه الحاجة للحماية القانونية تعبر في حقيقتها عن أمرين:

الأول: أن من وقع الاعتداء على حقه أو مركزه القانوني يكون قد اكتسب الصفة التي تخوله طلب الحماية القانونية، أي سلطة أو صلاحية رفع الدعوى.
الثاني: أن صاحب الصفة الذي يطلب الحماية القانونية يبتغي الوصول إلى غاية؛ هذه الغاية تتمثل في دفع الاعتداء عن حقه أو مركزه القانوني، وهي المصلحة المبتغاة التي من أجلها رفع المدعي دعواه⁽³⁾.

وبهذا التحليل يمكن تحديد شروط وجود الدعوى بالمنازعة أو الاعتداء، والصفة، والمصلحة. فهذه الشروط تعد مفترض أساسي لقبول أي دعوى قضائية، ولا تستثنى منها الدعوى الإدارية.

وتطبيق هذا النظر في مجال القضاء الإداري ينطلق من التصور الآتي:
إن تصرفات الإدارة من شأنها أن تمس بحقوق أو مراكز قانونية للأشخاص، فإن خرجت هذه التصرفات عن نطاق مبدأ المشروعية، صح وقتئذٍ وصفها بالاعتداء، ومن المعلوم أن نتيجة الاعتداء هو الضرر، ومن وقع عليه هذا الضرر في حقه أو مركزه القانوني اكتسب الصفة بمجرد وقع هذا الاعتداء، حيث يجوز له اللجوء إلى القضاء للمطالبة برفعه، ومصلحته في ذلك ظاهرة

(1) د. محمد باهي أبو يونس، انقضاء الخصومة الإدارية بالإرادة المنفردة للخصوم في المرافعات الإدارية، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2010، ص 7، 8.

(2) د. طعيمة الجرف، شروط قبول الدعوى في منازعات القانون الإداري، القاهرة، (بدون ذكر الناشر) الطبعة الأولى، 1956، ص 268.

³. راجع: رسالتنا للدكتوراه، مرجع سابق، ص 180.



جلية، وهي العودة إلى وضعه السابق على وقوع الاعتداء للتمتع بحقوقه أو مقتضيات مركزه القانوني في هدوء واطمئنان، وهذه هي الفائدة أي المصلحة التي يروجوها من رفع دعواه. وعلى هذا الأساس نستطيع أن نفهم -بسهولة- معنى المبدأ المستقر فقهاً وقضاء (لا دعوى بغير مصلحة)، وأن المصلحة هي مبرر وجود الدعوى بالنسبة لصاحبها⁽¹⁾.

ثانياً/ المصلحة

المشرع لم يعرف المصلحة بالرغم من اشتراطه ضرورة توافرها، تاركاً ذلك لعناية الفقه والقضاء، الأمر الذي أثار اتجاهات متعددة في تعريفها، وإشكاليات عديدة حول أوصافها وضوابطها ووقت تقديرها⁽²⁾.

والبحث فيما وراء شرط المصلحة يقود إلى أن واقعة المنازعة أو الاعتداء على الحق أو المركز القانوني أوجدت المصلحة لمن وقع عليه الاعتداء في حقه أو مركزه القانوني، واكتسب بذلك صفة تخوله طلب الحماية القضائية من خلال رفع دعوى ضد المنازع أو المعتدي، لمنع المنازعة أو دفع الاعتداء.

هذا المنع أو الدفع للمنازعة أو الاعتداء الذي توفره الحماية القضائية غاية المدعي من ورائه العودة إلى الأصل، وهو ممارسة حقه أو التمتع بمركزه القانوني كما كان عليه قبل الاعتداء في هدوء واطمئنان.

فالاعتداء على الحقوق أو المراكز القانونية لا بد أن تكون له آثار تمنع عملياً من ممارسة الحقوق المعتدى عليها، فتسلب المنافع المستقاة من تلك الحقوق أو تنتقص منها، أي تحول دون التمتع بمقتضياتها على نحو جزئي أو كلي، وكذلك المراكز القانونية، على النحو الذي كانت عليه قبل وقوع الاعتداء أو المنازعة، وبذلك يكون لطلب الحماية القضائية مقتضاه المبرر والمشروع، باعتبارها تحقق فائدة عملية - أي مصلحة - تتمثل في دفع الآثار المترتبة نتيجة الاعتداء على الحقوق أو المراكز القانونية.

ولذلك نجد الرأي الغالب في الفقه يعرف المصلحة بأنها: "الفائدة أو المنفعة العملية التي تعود على رافع الدعوى من الحكم له بطلباته كلها أو بعضها"⁽³⁾.

¹. راجع: أستاذنا الدكتور ماجد راغب الحلو، القضاء الإداري، مرجع سابق، ص 295.

⁽²⁾ مؤلفات قانون المرافعات المدنية والتجارية غنية بعرض هذه الإشكاليات، وعلى سبيل المثال، راجع: د. الكوني علي أعبوده، قانون علم القضاء، مرجع سابق، ص 33 وما بعدها.

⁽³⁾ راجع كلاً من: د. أحمد أبو الوفا، المرافعات المدنية والتجارية، الأسكندرية، دار الجامعة الجديدة، طبعة 2007، ص 121. د. أحمد هندي، قانون المرافعات المدنية والتجارية وتعديلاته المستحدثة،

هذه الفائدة أو المنفعة العملية التي هي غاية المدعي من دعواه تعتبر من أسس وجود حق الدعوى، ومن ثم شروط قبولها أمام القضاء « فالمصلحة مناط الدعوى ... ولا دعوى حيث لا مصلحة »، إذ بوجودها تكتسب الدعوى جديتها، وتجعلها جديرة بأن ينظرها القاضي، وبانتفاؤها تكون الدعوى كيدية أو عبثية مما يفقدها متطلبات الحماية القانونية، والتي لا تلفظ فقط الدعاوى الكيدية بل وحتى ذات المصلحة النافهة وقليلة الأهمية، أو مجرد المصلحة النظرية التي لا تحقق فائدة عملية – باعتبارها لا تترجم خصومة حقيقية فهي لذلك تبتعد عن مقتضيات الوظيفة القضائية في حل المنازعات – لما في ذلك من إثقال لكاهل القضاء مما يؤثر في حسن أدائه، وتأخير العدالة، وهذه كلها اعتبارات تتعلق بالصالح العام وتمس بالمصالح العامة للمجتمع⁽¹⁾.

ولم يخالف قضاء محكمتنا العليا هذا الاتجاه في تبرير ضرورة توافر شرط المصلحة في الدعوى الإدارية، بقولها: " المصلحة في دعوى الإلغاء يكفي توافرها عند رفع الدعوى لإثبات جديتها"²

ووفق هذا النظر يمكن تعريف المصلحة في الدعوى الإدارية بأنها: الغاية التي يسعى إلى تحقيقها من طالته في الحال أو الاحتمال تصرفات الإدارة المتصادمة مع مبدأ المشروعية. فالمدعي في الدعوى الإدارية غاية مطالبته القضاء الإداري بالتدخل تتمثل في رفع الضرر الحال أو محقق الاحتمال الذي ألحقته تصرفات الإدارة غير المشروعة بحقه أو مركزه القانوني.

وتوافر المصلحة في الدعوى الإدارية بمجرد وجود اعتداء على المراكز القانونية، وإن لم ترق لمرتبة الحق؛ هو مناط تمييزها عن المصلحة في الدعوى العادية التي تتطلب وجود اعتداء على حق شخصي للطاعن، وفي ذلك قضت محكمتنا العليا بالقول: "لا يلزم في دعوى الإلغاء أن تستند إلى حق كما هو الشأن في الدعاوى المدنية، وإنما يكفي أن يكون لرافعها مصلحة شخصية

الأسكندرية، دار الجامعة الجديدة، طبعة 2013، ص 163. أحمد السيد صاوي، الوسيط في شرح قانون المرافعات، مرجع سابق، ص 194.

(1) حول نفس المعنى، راجع: د. الكوني علي أعبودة، قانون علم القضاء، مرجع سابق، ص 33.

². أنظر: حكمها في الطعن الإداري رقم 3/1 ق، بجلسة 1970/3/8، مجموعة المبائ التي قررتها المحكمة العليا الليبية في أربعين سنة من 1953-1994، ج 2، اعداد- شحات ضيف الديجاوي، مطابع الثورة للنشر والتوزيع، بنغازي -ليبيا، ص 556.



مباشرة، مادية أو أدبية بأن يكون في حالة قانونية خاصة بالنسبة للقرار الإداري من شأنه أن يجعله يؤثر فيها تأثيراً مباشراً¹.

ويعتبر هذا المبدأ تطبيق لما نص على القانون رقم 88 لسنة 1971 م، في المادة (6) بقولها: (...) لا تقبل الطلبات المقدمة من أشخاص ليست لهم فيها مصلحة شخصية مباشرة). والمصلحة الشخصية المباشرة يصح أن تكون مادية أو أدبية أو روحية؛ فعلى سبيل المثال صدور قرار من الإدارة بفصل موظف، توجد لهذا الأخير مصلحة (مادية) للطعن عليه بالإلغاء، وتتمثل في أن القرار قد حرّمه من مورد رزقه، كما توجد له مصلحة أدبية تتمثل في أن إقصاءه عن وظيفته يصمّه بعدم الصلاحية لمباشرتها، وهو أمر يحط من كرامته وينال من سمعته⁽²⁾.

كما أن المصلحة الشخصية يصح أن تكون حالة، أي لدفع ضرر وقع فعلاً، كما يصح أن تكون محتملة، أي لمنع وقوع ضرر من المحتمل أن يقع إن ظل مصدره قائماً. وفي كل الأحوال، يكفي أن تكون المصلحة أياً كانت صورتها متوافرة وقت رفع الدعوى، ولا عبرة لاستمرارها أو انقطاعها بعد ذلك⁽³⁾.

ثالثاً/ الصفة

الصفة في الاصطلاح القانوني تعني السند الذي يسمح للمتقاضين بمطالبة القاضي بالفصل في موضوع النزاع. أو هي المركز القانوني الذي يتطلبه القانون الوضعي في المتقاضين للحصول على حكم قضائي ناجح، وتعني أيضاً السلطة والصلاحية التي يستطيع بموجبها الشخص مباشرة حق الدعوى⁽⁴⁾.

ولعل أفضل تعريف للصفة وأبسطها، هو تعريفها بأنها: "سلطة أو صلاحية الحصول على حكم في موضوع النزاع"⁽⁵⁾.

¹ . انظر حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 22/16 ق، بجلسة 1976/6/24، م، م، ع، س 12، ع 2، ص 38، وجكها في الطعن الإداري رقم 11/13 ق، بجلسة 1965/1/16، م، م، ع، س 1، ع 4، ص 12. راجع ملخص هه المبادئ وغيرها، أ. شحات ضيف الديجاوي، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 226-234.

² . راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 23/40 ق، بجلسة 1977/3/17، م.م.ع. س 13، ع 4، ص 41.

³ . حول تفاصيل أوفى، راجع: د. محمد عبد الله الحراري، الرقابة على أعمال الإدارة، 2010، ص 339 وما بعدها.

⁽⁴⁾ حول هذه التعريفات، راجع: د. الكوني على أعبوده، قانون علم القضاء، النشاط القضائي، مرجع سابق، الهامش، ص 38، 39.

⁽⁵⁾ د. الكوني على أعبوده، قانون علم القضاء، النشاط القضائي، المرجع السابق، ص 39.

فمن البديهيات أن القضاء سلطة مستقلة وظيفتها نظر الخصومات والفصل في المنازعات الدائرة بشأنها، وأن القاضي لا يتطفل على النزاع من تلقاء نفسه؛ بل هو جالساً على منصته في محراب القضاء، لا يوزع العدالة إلا على من يطلبها، وفي ذلك قول مأثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ قال: « في بيته يؤتى القضاء ».

ومن المنطقي جداً ألا يطلب تدخل العدالة، أي لا يباشر الدعوى أمام القضاء إلا من كانت له صفة مسبقة في هذه الدعوى، فالصفة من شروط وجود حق الدعوى، ولعل ما يعزز هذا القول؛ أن المدعي والمدعى عليه هما من أركان الدعوى في الفقه الإسلامي، ومن المعلوم أن ركن الشيء هو ما لا يقوم الشيء بدونه⁽¹⁾.

واعتبار الصفة شرطاً من شروط وجود حق الدعوى، أساسه المنازعة أو الاعتداء؛ فحق الدعوى ينشأ لصالح من يزعم أنه صاحب الحق أو المركز القانوني الذي وقع عليه الاعتداء. ومن ثم، فإن شرط الصفة لا يتوقف على المطالبة القضائية، بل هو سابق عليها، لأن من وجد له حق الدعوى قد يباشره أمام القضاء وقد لا يباشره. وعليه فإن الصفة تكتسب بمجرد حصول واقعة الاعتداء لمن وقع عليه هذا الاعتداء في حقه أو مركزه القانوني، وتخوله طلب الحماية القضائية، وذلك برفع دعوى ضد المنازع أو المعتدي لمنع المنازعة أو دفع الاعتداء. والصفة تثبت أيضاً بمجرد حصول الاعتداء لمن قام بهذا الاعتداء أو المنازعة ولو قبل دعوته إلى مجلس القضاء⁽²⁾.

ولعل ما يؤكد هذا النظر، هو تطلب المشرع ضرورة احتواء صحيفة الدعوى على اسم المدعي، واسم المدعى عليه، كإجراء جوهري تفتتح به الخصومة القضائية في كافة الدعاوى⁽³⁾. والدعوى الإدارية ليست استثناء من هذا الشرط⁽⁴⁾ - فهي دعوى على كل حال - والصفة فيها تعني: سلطة أو صلاحية الحصول على حكم في موضوع النزاع المتمثل في واقعة إعتداء الإدارة على حق أو مركز قانوني يكفله مبدأ المشروعية. وهي بهذا المعنى قد تثبت بمجرد حصول واقعة الاعتداء - الصفة المكتسبة نتيجة الاعتداء - وقد تثبت بحكم القانون، كما سنرى لاحقاً.

(1) حول أركان الدعوى في الفقه الإسلامي والفقه الوضعي، راجع ما تم عرضه في رسالتنا للدكتوراه، مرجع سابق، "الهامش" ص 77.

(2) حول نفس المعنى، راجع: د. الكوني علي إعبوده، قانون علم القضاء، مرجع سابق، ص 39، 40.

(3) انظر المادة (81) من قانون المرافعات الليبي، والمادة (63) من قانون المرافعات المصري.

(4) أنظر المادة (10) من القانون رقم 88 لسنة 1971 بشأن القضاء الإداري.



وعلى اعتبار أن الصفة من شروط وجود حق الدعوى، فلا بد من توافرها ابتداءً لقبول الدعوى ونظرها من القضاء. فهي شرط لقبول الدعوى الإدارية أمام القضاء الإداري، ومن خلالها يتم تمييز الجانب الشخصي للحق في الدعوى - لذات حق الدعوى - فالغاية منها على حد تعبير البعض عدم قبول الفضالة في التقاضي⁽¹⁾.

والذي تجدر الإشارة إليه، أن تلازم وجود المصلحة والصفة، بالنظر إلى ولادتهما معاً نتيجة الاعتداء، هو ما دفع جانب من الفقه إلى القول باندماجهما معاً والقول بالمصلحة الشخصية المباشرة، إلا أن هذا الاندماج ليس حتمي ولا دائم؛ حيث يقع عليه استثنائين، الأول: يتجسد في المثال التقليدي للتمييز أو التفريق بين المصلحة والصفة والذي يظهر -بوضوح- في الدعاوى التي ترفعها الأشخاص الاعتبارية، إذ أن صاحب المصلحة فيها الشخص الاعتباري، أما صاحب الصفة فهو ممثل هذا الشخص. والثاني: هو الصفة المقررة بحكم القانون، ومثالها نيابة إدارة القضايا عن الجهات الإدارية العامة أمام القضاء، فهي نيابة قانونية تستمدّها مباشرة من القانون رقم 1971/87 بشأن إدارة القضايا².

وهكذا فإن المصلحة والصفة تعتبر مفترض أساسي- شرط وجود- لقبول أي دعوى أمام القضاء، وبالإضافة إلى ذلك يتطلب المشرع في القانون رقم 88 لسنة 1971 م سلسلة من الشروط والإجراءات اللازم إتباعها لتحريك حق الدعوى الإدارية ابتداءً، وانعقاد الخصومة الإدارية على الشكل الذي يجعلها صالحة للحكم في موضوعها.

المبحث الأول

شروط تحريك الدعوى الإدارية

بحسب أحكام القانون رقم 71/88 م، فإن صاحب المصلحة الشخصية المباشرة يستطيع طلب حماية القضاء الإداري (المادة 6)، بموجب صحيفة دعوى تتوافر فيها الاشتراطات المنصوص عليها في المادة (10)، يودعها قلم كتاب المحكمة بعد توقيعها من محام مقبول للترافع أمام محاكم الاستئناف (المادة 9)، ومستوفاة للرسوم، على أن يكون ذلك في الميعاد القانوني لرفع الدعوى.

(1) د. الكوني على أعبوده، قانون علم القضاء، المرجع السابق، ص 18.

(2) . راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 39/40، بجلسة 1994/1/22، م، م، ع، س 30، ع 1، ص 25.

المطلب الأول

الشروط الواجب توافرها في صحيفة الدعوى

يجب أن تكون صحيفة الدعوى مكتملة البيانات، وموقعة من محام، ومستوفاة للرسوم القضائية المقررة على الطعون الإدارية.

أولاً- بيانات صحيفة الدعوى: وفق نص المادة (10) من القانون 71/88 م فإن صحيفة الدعوى أو الطعن، يجب أن تتضمن بيانات تتعلق بأطراف الدعوى أو الخصوم فيها- المدعي والمدعي عليه- وأخرى بيانات تتعلق بموضوع الطعن.

أ) البيانات المتعلقة بالخصوم: يجب أن تتضمن صحيفة الدعوى الإدارية اسم المدعي ولقبه ومهنته أو وظيفته، واسم من يمثله ولقبه ومهنته أو وظيفته ومحل إقامته أي موطنه، وكذلك اسم المدعي عليه ولقبه ومهنته أو وظيفته وموطنه. فنص المادة (10) استله المشرع بالوجوب قائلاً: (يجب أن تتضمن صحيفة الطعن عدا البيانات المتعلقة باسم الطالب ومن يوجه إليه الطلب وصفاتهم ومحال إقامتهم...).

ونصت المادة (12) على أنه: (يعتبر مكتب المحامي الموقع على صحيفة الطعن محلاً مختاراً للطالب كما يعتبر مكتب المحامي الذي ينوب عن ذوي الشأن في تقديم ملاحظاتهم محلاً مختاراً لهم كل ذلك إلا إذا عينوا محلاً مختاراً غيره).

وعلى هذا الأساس، فإن بيانات الخصوم التي يجب أن تحتوي عليها صحيفة الدعوى الإدارية، هي اسم المدعي أي رافع الدعوى ووظيفته ومحل إقامته، وكذلك الأمر بالنسبة لمن يمثله إن وجد، واسم المدعي عليه، وهي الجهة الإدارية التي أصدرت التصرف محل الدعوى¹، شريطة أن يتم اختصاصها عن طريق ممثلها القانوني بصفته، فإن كانت هذه الجهة لا تتمتع بالشخصية الاعتبارية العامة، أي لا تستقل بها، فإن الاختصاص يوجه إلى الممثل القانوني للجهة التي تتبعها، كما هو الحال في اختصاص قرار صادر من الكلية فإن الدعوى ترفع على عميد الجامعة بصفته⁽²⁾. وبالإضافة إلى ممثلي الهيئات العامة بصفاتهم، فإن إدارة القضايا تعتبر نائباً قانونياً عنهم ومن ثم لا بد من اختصاصها وتوجيه الإعلان إليها.

¹ . تتحدد الخصومة الإدارية بين الجهة الإدارية التي صدر عنها القرار الإداري أو صدر لصالحها بوصفها مسؤولة عنه ويخاصم القرار في مواجهتها من ذوي الشأن الذين لهم مصلحة حالة أو محتملة يمسها القرار، أنظر حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 22/10 ق، بجلسة 1976/6/3، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 208، 209.

² . راجع: د. محمد عبد الله الحراري، المرجع السابق، ص 356 وما بعدها.



ولعل الحكمة التي تغياها المشرع من وجوب توافر بيانات الخصوم في صحيفة الدعوى، هي تسهيل عملية الإعلان، وتعتبر هذه البيانات من الأشكال الجوهرية في التقاضي التي يترتب على تخلفها عدم قبول الصحيفة¹.

(ب) البيانات المتعلقة بموضوع الطعن: نصت المادة (10) من القانون 71/88 على أنه: (يجب أن تتضمن صحيفة الطعن عدا البيانات المتعلقة باسم الطالب ومن يوجه إليه الطلب وصفاتهم ومحال إقامتهم، موضوع الطلب وبياناً بالمستندات المؤيدة له وأن يرفق الصحيفة صورة من القرار المطعون فيه أو ملخص واف له).

وللطالب أن يقدم مع الصحيفة مذكرة يوضح فيها أسانيد الطلب...).
والمادة الثانية من ذات القانون نصت على أنه: (...يشترط لقبول الطلبات المنصوص عليها في البنود 2، 3، 4، 5، 6 وجميعها تتعلق بإلغاء القرارات الإدارية النهائية- من الفقرة السابقة أن يكون مرجع الطعن عدم الاختصاص أو وجود عيب في الشكل أو مخالفة القوانين واللوائح أو الخطأ في تطبيقها أو إساءة استعمال السلطة).

وهكذا فإنه يشترط لصحة صحيفة الدعوى أن تكون متضمنة بياناً لتصرف الإدارة المخالف لمبدأ المشروعية، وأوجه هذه المخالفة: فإذا كان هذا التصرف قراراً إدارياً وجب إرفاق صورة منه بصحيفة الدعوى، أو على الأقل ذكر ملخص واف له. ويكون ذلك بذكر رقم القرار وتاريخ صدوره، والجهة التي أصدرته، وموضوعه، ووجه مخالفته للقانون. والغاية من هذا الإجراء أو ذلك -إرفاق صورة من القرار أو ذكر ملخص واف له- كما بررتها المحكمة العليا هي نفي الجهالة، وهي نفسها في بيانات صحيفة الدعوى، والتي انتهت بخصوصها المحكمة إلى القول: "يدفع بطلان صحيفة الدعوى لنقص في البيانات الجوهرية، إذا كان الخطأ أو النقص في بيانات صحيفة الدعوى من شأنه أن يجهل بالمحكمة أو بالمدعي أو بالمدعي عليه أو بالمدعي به بطلت صحيفة الدعوى..."⁽²⁾.

¹ انظر: حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 3/1 ق، بجلسة 1970/3/8، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 248.

² راجع: حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 3/1 ق، بجلسة 70/3/8 م، مجموعة المبادئ، المرجع السابق، ص 248-249. وحكمها في الطعن الإداري رقم 26/26 ق، بجلسة 1982/2/9، المرجع نفسه، ص 218.

ثانياً- توقيع الصحيفة من محام: نصت المادة (9) من القانون 71/88 م على أنه: (يقدم الطعن بصحيفة تودع قلم كتاب المحكمة موقع عليها من محام من المقيدین بجدول المحامين المقبولين أمامها).

وجاءت المادة (12) فنصت على أن مكتب المحامي الموقع على الصحيفة يعتبر محلاً مختاراً للمدعي، كما يعتبر المحامي الذي ينوب عن المدعي عليهم محلاً مختاراً لهم، ما لم يعينوا محلاً مختاراً غيره.

ولعل الحكمة التي تغياها المشرع من وراء هذا الإجراء -توقيع الصحيفة من محام مقبول للترافع أمام محاكم الاستئناف- تبدو ظاهرة في التأكيد على أهمية الدعاوى الإدارية والخطورة الناجمة عنها، وفي نفس الوقت لضمان جديتها، حيث لم يشاء المشرع تركها لجمهور المتقاضين، بل جعلها لمن تتوافر فيه درجة معينة من الكفاية والخبرة القانونية.

ولقد بينت المحكمة العليا الأثر المترتب على تخلف هذا الإجراء، بقولها: "إن القانون رقم 71/88 قد عدد إجراءات رفع الدعوى الإدارية أمام القضاء الإداري بما يتلاءم وطبيعة هذه الدعوى، فنص في مادته التاسعة على أن يقدم الطعن بصحيفة تودع قلم كتاب المحكمة موقع عليها من محام من المقيدین بجدول المحامين المقبولين أمامها، وحددت المادة العاشرة البيانات التي يجب أن تتضمنها صحيفة الدعوى ومرفقاتها، كما بين في نصوصه الأخرى الإجراءات التالية لإيداع صحيفة الدعوى، وقد جرى قضاء هذه المحكمة على أن ولاية القضاء الإداري لا تقوم إلا باتصاله بالدعوى الإدارية اتصالاً مطابقاً للأوضاع المقررة قانوناً"⁽¹⁾.

ثالثاً/ سداد الرسوم المقررة على الطعون الإدارية:

يفرض قانون الرسوم القضائية رسم مالي مستحق على الدعاوى وفق اختصاص المحكمة، هذا الرسم واجب السداد لخزينة المحكمة، إلا أن جزاء تخلفه لا يصل إلى حد بطلان صحيفة الدعوى⁽²⁾، ولكن من شأنه تعطيل نظر الدعوى، حيث بإمكان قلم الكتاب عدم قيدها في السجل العام إلا بعد سداد الرسوم المقررة عليها، كما أنه بإمكان القاضي استبعادها من جدول الجلسات إلى حين سداد الرسوم.

¹. راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 28/14 ق، بجلسة 84/1/1 م، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 219.

². راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 24/21 ق، بجلسة 1980/12/17، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 256-257. راجع: أحكام المحكمة العليا بالخصوص، أشار إليها د. علي مسعود محمد، شرح قانون المرافعات، ص 366.



كما أنه ثمة أثر لسداد الرسوم على ميعاد رفع دعوى الإلغاء، حيث إن هذا الميعاد ينقطع بطلب الإعفاء من المرسوم - طلب المساعدة القضائية- ويبدأ ميعاد جديد اعتباراً من صدور القرار في مواجهته بقبول الإعفاء أو رفضه⁽¹⁾.

المطلب الثاني

ميعاد رفع الدعاوى الإدارية

تعتبر المواعيد من الأشكال الجوهرية في التقاضي، وهي كذلك في الدعاوى الإدارية، حيث يترتب على رفع الدعوى بعد الميعاد الذي حدده المشرع لرفعها عدم قبولها شكلاً؛ وفيما يلي ندرس ميعاد دعوى الإلغاء وميعاد دعاوى القضاء الكامل.

أولاً/ ميعاد دعوى الإلغاء:

نصت المادة الثامنة من القانون رقم 71 / 88 م، على أنه: (ميعاد رفع الدعوى أمام دائرة القضاء الإداري فيما يتعلق بطلبات الإلغاء ستون يوماً من تاريخ نشر القرار المطعون فيه أو إبلاغ صاحب الشأن به وينقطع سريان هذا الميعاد في حالة التظلم إلى الهيئة الإدارية التي أصدرت القرار أو الهيئات الرئاسية).

ويعتبر في حكم قرار بالرفض فوات وقت يزيد على ستين يوماً دون أن تصدر السلطات الإدارية قراراً في التظلم المقدم إليها، ويكون رفع الدعوى في هذه الحالة الأخيرة بعد ستين يوماً من تاريخ انقضاء مدة الستين يوماً المذكورة).

فميعاد الطعن بالإلغاء على القرارات الإدارية هو ستون يوماً من تاريخ نفاذ هذه القرارات في مواجهة المخاطبين بأحكامها، فالقرار الإداري يسري في مواجهة الإدارة من تاريخ صدوره، أما في مواجهة الأفراد فسريانه يبدأ من تاريخ علمهم به.

وهذا الميعاد من النظام العام لتعلقه بحجية الأوامر الإدارية وما يتعلق بها من المصالح العامة⁽²⁾. فالمشرع أراد بتحديد هذا الميعاد أن يوفق بين مصلحتين متناقضتين: إحداهما- مصلحة الإدارة التي يهملها تقصير مدة الطعن على قراراتها بالإلغاء حتى تستقر هذه القرارات والمنطلق في ذلك مبدأ استقرار الأوضاع القانونية.

¹. راجع: د. محمد عبد الله الحراري، الرقابة على أعمال الإدارة، مرجع سابق، ص 387-388.

². راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 3/6 ق، بجلسة 1957/2/26، مجموعة المبادئ، القضاء الإداري والدستوري، ج 1، ص 79.

وثانيهما: مصلحة الأفراد والذين يهمهم أن تكون مدة الطعن طويلة نسبياً حتى يتمكنوا من مخاصمة القرارات الإدارية الماسة بحقوقهم وحياتهم وطلب إلغائها، ومنطلقهم في ذلك مبدأ حماية الحقوق المكتسبة للأفراد⁽¹⁾.

وتأسيساً على أن ميعاد دعوى الإلغاء من النظام العام؛ فإن النتائج المترتب على ذلك هي⁽²⁾:

1. يتعين على دائرة القضاء الإداري أن تحكم من تلقاء نفسها بعدم قبول الدعوى إذا ما تبين لها أنها رفعت بعد الميعاد.
2. يجوز إبداء الدفع بعدم قبول الدعوى لرفعها بعد الميعاد في أية مرحلة من مراحل الدعوى حتى أمام محكمة النقض.
3. يقع باطلاً كل اتفاق بين الإدارة والأفراد من شأنه مخالفة هذا الميعاد سواء تعلق الاتفاق بمدة أو تقصره.

وفيما يلي، ندرس أسباب سريان هذا الميعاد، وحالات انقطاعه.

أ) سريان ميعاد دعوى الإلغاء:

لقد سلف القول: بأن القرارات الإدارية تسري في مواجهة الإدارة من تاريخ صدورها، وأساس هذا الإلزام علم الإدارة بالقرار باعتبارها هي من أصدرته، فلا بد أن تضرب المثل على احترام قراراتها (نظرية الإلزام الذاتي) أما الأفراد فتسري في حقهم القرارات الإدارية من تاريخ علمهم بها، وهذا أمر يفرضه المنطق قبل كل شيء، فالإلزام الشخص بما لا يعلم هو تكليف أو إلزام مستحيل، والقاعدة أنه لا تكليف بمستحيل.

ومتى كان ذلك كذلك، فإن تقرير المشرع في المادة (8) من القانون 71/88 م لميعاد دعوى الإلغاء بستين يوم تبدأ من تاريخ نشر القرار المطعون فيه أو إبلاغ صاحب الشأن به، يبدو أمراً منطقياً ومؤسساً، وكذلك الأمر بالنسبة لما قرره القضاء في أحكامه باعتبار أن علم صاحب الشأن بالقرار الإداري علماً يقينياً يجعله سارياً في حقه، ومن ثم صالحاً لحساب ميعاد الطعن بالإلغاء.

1. النشر: يخص النشر القرارات الإدارية اللاتحية، ووسيلته النشر في الجريدة الرسمية وفق ما اعتادت القوانين تقريره، ومن ثم فإن نشر هذه القرارات في غير الوسيلة التي حددها

¹. راجع: د. محمد عبد الله الحراري، المرجع السابق، ص 367.

². راجع أحكام المحكمة العليا بالخصوص، أشار إليها د. محمد عبد الله الحراري، المرجع السابق، ص 367-



القانون - وهي الجريدة الرسمية أو مدونة الإجراءات- وعدم نشره سواء من حيث الأثر القانوني، وهو جواز الطعن عليها بالإلغاء مهما طالت المدة.

وهكذا فإن ميعاد سريان دعوى الإلغاء في القرارات اللاتحجية هو اليوم التالي لنشرها في الجريدة الرسمية إذا نص القانون على ذلك¹، أما إذا لم ينص القانون على نشرها في الجريدة الرسمية، فلا بد من اعتماد وسيلة نشر تتيح فرصة العلم للكافة، أو على حد تعبير محكمتنا العليا " وجب أن يكون في جريدة أو نشرة معدة للأعلانات، ومن جهة أو شخص يختص بذلك"² كالنشر في إحدى النشرات المخصصة في وسائل الإعلام المختلفة.

وذلك لأن القرارات الإدارية اللاتحجية أو التنظيمية لا تخص فرداً بعينه، ومن ثم فإن العلم بها لا يتأتى إلا افتراضاً عن طريق النشر، وبذلك قضت المحكمة العليا فقالت: "... علم صاحب الشأن بالقرارات التنظيمية العامة أو اللاتحجية المنشورة في الجريدة الرسمية مفترض حصول العلم بها، وأن قرينة العلم المستفادة من النشر في الجريدة الرسمية مما لا يقبل اثبات العكس، وبحكم طبائع الأشياء فلا ينال العلم بهذه القرارات لا يتأتى إلا افتراضاً عن طريق النشر، ومن ثم يجرى ميعاد الطعن فيها من تاريخ نشرها، وهي الطريقة القانونية لافتراض حصول العلم بالقرار التنظيمي الذي لا يعني فرداً بعينه"³.

2. الإعلان: وهو وسيلة العلم بالقرارات الإدارية الفردية، فيبلغ الإدارة بقرارها للمخاطب بأحكامه بخطاب بريدي مسجل، أو مع علم الوصول، أو بواسطة محضر أو بالتسليم الشخصي لصاحب الشأن أو بإعلانه في لوحة الإعلانات بجهة العمل، جميعها وسائل قانونية تفيد إعلان القرار الإداري ومن ثم بدء سريانه في حق المخاطب بأحكامه من تاريخ الإعلان وبدء حساب مدة الطعن عليه من اليوم التالي لهذا الإعلان.

والإعلان المنجز أي الذي يحقق الأثر المقصود منه قانوناً، هو الإعلان الكاشف لجميع محتويات القرار ومضمونه، وعليه إذا اكتفت الإدارة بإعلان ملخص القرار وجب ألا يكون هناك شك حول مضمونه.

¹ انظر حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 20/10 ق، بجلسة 1976/6/3، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 594-595.

² انظر حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 2/3 ق، بجلسة 1956/11/28، المرجع نفسه، ص 596.

³ انظر حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 43/61 ق، بجلسة 1999/12/26، م، م، ع، س 33، 34، ص 48.

ويبسط القضاء الإداري رقابته للتحقق من توافر هذه المعاني المقصودة بالإعلان - صورته أو كقيته ومحتواه- جاعلاً عبء اثباته على عاتق الإدارة، وفي ذلك قضت المحكمة العليا بالقول: "... عبء اثبات إعلان القرار الإداري الذي يبدأ به ميعاد الطعن بالإلغاء يقع على جهة الإدارة، وتُقبل في هذه الخصوصية كل وسيلة تؤدي إلى إثبات جصوله، ولمحكمة القضاء الإداري في أعمال رقابتها القانونية، بحسب ما تستبينه من أوراق الدعوى وظروف الحال التحقق من قيام الإعلان وتقدير الأثر الذي يمكن أن يترتب عليه من حيث كفاية أو عدم كفاية العلم بمضمون القرار الإداري"¹.

3. العلم اليقيني: وهي نظرية استقرت عليها أحكام القضاء الإداري- الليبي والمقارن- ومقتضاها أن علم صاحب الشأن بالقرار الإداري علماً يقينياً يعتبر سبباً كافياً لبدء سريان الميعاد حتى وإن لم يحصل نشر أو إعلان لهذا القرار.

والمعنى المقصود بالعلم اليقيني هو الإحاطة بمضمون القرار وبكافة محتوياته إحاطة مؤكدة لا تقوم على المظنة والافتراض في تاريخ معين يمكن حساب الميعاد منه⁽²⁾.

وعليه، يجب أن تتوافر الشروط التالية في العلم اليقيني ليكون منجزاً في حساب الميعاد:

- أن يكون علماً يقينياً مؤكداً وناهماً للجهالة، وهذا لا يقيمه مجرد الظن والافتراض.
- أن تكون واقعة العلم اليقيني واضحة التاريخ حتى يمكن معرفة اليوم الذي يحسب منه الميعاد.

- أن يكون العلم اليقيني شاملاً لجميع محتويات القرار، ولا يكون كذلك إلا إذا كان صاحب الشأن قد علم يقيناً بمحتوى نص القرار وتعرف على أثر هذا القرار على مركزه القانوني.
- وعلى كل حال، فإن نظرية العلم اليقيني وإثباتها مسألة موضوعية خاضعة لتقدير القاضي، وإن كان ثمة وقائع أو قرائن تفيد العلم اليقيني -واعتبارها القاضي الإداري كذلك -ومثالها:

- اعتراف الطاعن بعلمه بالقرار المطعون فيه.
- قيام الطاعن بتقديم تظلم إداري من القرار.
- إزالة مباني مقامه على عقار تنفيذاً لقرار نزع ملكية أنكر الطاعن علمه به.
- قبول الطاعن للتعويض عن قرار نزع ملكية أو المنازعة في قيمته.

¹ . انظر حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 52/92 ق، بجلسة 2007/2/11، م، م، ع، س، 42، ع 1، 2، ص 149.

² . راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 13/11 ق، بجلسة 1976/6/10، م.م.ع، س، 13، ع 2، ص 31.



ب) انقطاع ميعاد دعوى الإلغاء:

استقرت أحكام القضاء الإداري على أن ميعاد دعوى الإلغاء ينقطع في أحوال ثلاثة وهي التظلم الإداري، ورفع الدعوى لمحكمة غير مختصة، وطلب المساعدة القضائية، والقوة القاهرة.

1. **التظلم الإداري:** بنوعيه (التظلم الولائي) و(التظلم الرئاسي) الأول يتقدم به من أضر به القرار الإداري إلى الجهة الإدارية التي أصدرت القرار والثاني إلى الجهة الرئاسية التابعة لها طالباً منها تعديل القرار أو سحبه أو إلغاءه يقطع ميعاد دعوى الإلغاء¹ بشروط أهمها:

- أن يقدم التظلم خلال ميعاد الستين يوماً المقررة للطعن.
- أن يكون المتظلم قد طلب في تظلمه تعديل القرار الإداري أو سحبه أو إلغاءه، أما مجرد المطالبة بتأجيل تنفيذ القرار أو مجرد معرفة أسباب ودوافع إصداره، فإنه لا ينتج أثره في قطع سريان ميعاد دعوى الإلغاء.

- أن يكون القرار المتظلم منه قابلاً للتعديل أو السحب أو الإلغاء من الجهة الإدارية التي أصدرته أو الجهة الرئاسية التابعة لها، أما إذا كان القرار لا يقبل ذلك، كما هو حال قرارات التأديب مثلاً، أو القرار السليم عموماً فإن التظلم منه لا يقطع الميعاد.

وهكذا، فإنه بتوافر هذه الشروط في التظلم ينقطع ميعاد دعوى الإلغاء، ويبدأ ميعاد جديد في السريان من تاريخ رد الإدارة على التظلم صراحة بالقبول أو الرفض. أما إذا اختارت الإدارة سبيل السكوت، فهنا يعتبر سكوتها بعد نهاية الستين يوماً من تاريخ تقديم التظلم قراراً ضمناً بالرفض، وفي هذه الحالة يبدأ حساب ميعاد دعوى الإلغاء من تاريخ انقضاء مدة الستين يوماً الأولى- التي بدأ حسابها من تاريخ تقديم التظلم- لمدة (60 يوماً) أخرى⁽²⁾.

2. رفع دعوى الإلغاء لمحكمة غير مختصة:

إذا رفعت دعوى الإلغاء في الميعاد المقرر قانوناً إلى محكمة غير مختصة، وكان ذلك على سبيل الخطأ المغتفر، كحالة تداخل الاختصاص وصعوبة تمييزها؛ فذلك من شأنه قطع ميعاد دعوى

¹ . راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 25/42 ق، بجلسته 1982/5/26، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 128، وحكمها في الطعن الإداري رقم 7/15 ق، بجلسته 1961/1/28، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 88، 89. وحكمها في الطعن الإداري رقم 16/6 ق، بجلسته 1971/5/16، المرجع نفسه، ج 2، ص 321.

² . راجع المادة (8) من القانون 71/88 م.

الإلغاء. وفي هذه الحالة يبدأ حساب ميعاد جديد (60 يوماً) يبدأ من تاريخ صدور حكم المحكمة بعدم الاختصاص أو تاريخ إعلان هذا الحكم لصاحب الشأن⁽¹⁾.

3. طلب المساعدة القضائية:

استقرت أحكام القضاء الإداري على أن الطلب الذي يتقدم به صاحب الشأن -الذي أضر به القرار الإداري ويريد الطعن عليه بالإلغاء- إلى دائرة القضاء الإداري طالباً إعفائه من الرسوم القضائية لدعوى الإلغاء التي يزمع إقامتها، سبباً قاطعاً لميعاد الدعوى شريطة أن يتقدم بهذا الطلب خلال ميعاد الستين يوماً من تاريخ علمه بالقرار.

وفي هذه الحالة -تقديم طلب المساعدة القضائية- ينقطع ميعاد دعوى الإلغاء ويبدأ حساب ميعاد جديد من تاريخ الفصل في موضوع طلب المساعدة القضائية.

4. القوة القاهرة: من المبادئ التي قررتها المحكمة العليا، أن ميعاد رفع الدعوى يقبل الوقف أو الانقطاع والقوة القاهرة من شأنها أن توقف ميعاد الطعن إذ يستحيل على صاحب الشأن مع قيامها اتخاذ الإجراءات اللازمة لرفع الدعوى².

ثانياً/ ميعاد دعاوى القضاء الكامل:

هذا النوع من الدعاوى الإدارية، وبحسب طبيعتها الحقوقية الشخصية، بالنظر إلى حقيقة موضوعها وفق مطلوب المدعي، كالدعاوى المتعلقة بالحقوق الوظيفية كالمرتبات والمزايا والعلاوات والمكافآت، وهي المعروفة بدعاوى التسوية أو الاستحقاق، والدعاوى المتعلقة بالعقود الإدارية، والدعاوى المتعلقة بطلب التعويض عن أخطاء الإدارة على أعمالها القانونية، جميعها دعاوى حقوقية شخصية ينظرها القاضي الإداري باعتبارها دعاوى قضاء كامل -لا قضاء إلغاء- ومواعيد رفعها خاضعة للأحكام والقواعد العامة المقررة في القواعد العامة بقانون المرافعات المدنية والتجارية والمتعلقة بتقادم الحقوق أو إلى ما يقرره المشرع من قواعد خاصة في قوانين أخرى³.

¹ راجع: د. محمد عبد الله الحراري، المرجع السابق، ص 387. وانظر: حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 31/50 ق، بجلسة 1986/6/29، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 226.

² راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 22/6 ق، بجلسة 1976/11/4، مجموعة المبادئ، المرجع السابق، ج 2، ص 594.

³ على سبيل المثال، راجع: حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 33/5 ق، بجلسة 1997/6/21، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 123، 124. وحكمها في الطعن الإداري رقم 4/80 ق، بجلسة 1996/6/29، م، م، ع، س 31، ص 52.



المبحث الثاني

انعقاد الخصومة الإدارية

تنعقد الخصومة الإدارية بإعلان صحيفة الدعوى إلى الجهة الإدارية المختصة، ثم يتم تبادل مستندات الدعوى. وباستيفاء هذه الإجراءات تمضي الدعوى إلى مرحلة تحضيرها وتجهيزها للحكم.

المطلب الأول

إجراءات انعقاد الخصومة الإدارية

تبدأ هذه المرحلة من الإجراءات بإيداع صحيفة الدعوى قلم كتاب المحكمة ثم قيدها وإعلانها، وبهذا الأخير تنعقد الخصومة وتبدأ مرحلة المواجهة بين الخصوم.

أولاً/ الإيداع والقيود والإعلان:

1. **الإيداع:** وهو أول إجراءات رفع الدعوى أمام المحكمة¹، ومقتضاه حسب نص المادة (9) من القانون 71/88 م، تقديم صحيفة الدعوى لقلم كتاب المحكمة، موقع عليها من محام من المقيدين بجدول المحامين المقبولين أمامها. ولتاريخ تقديم الصحيفة إلى قلم كتاب المحكمة، أهميته من ناحيتين، أولهما- معرفة ما إذا كانت الدعوى قد رفعت خلال الميعاد أم لا. وثانيهما- حساب مدة الإعلان.
 2. **الإعلان:** وهو الوسيلة المقررة قانوناً لإيصال واقعة أو أمر معين إلى علم المعلن إليه، وذلك بالكيفية التي يحددها القانون؛ وبذلك فإن هدف الإعلان هو إيصال واقعة رفع الدعوى- الصحيفة ومرافقاتها- إلى علم المدعي عليه.
 - وقد نصت المادة (11) على هذا الإجراء وحددت ميعاده فقالت: (تعلن الصحيفة ومرافقاتها إلى الجهة الإدارية المختصة وإلى ذوي الشأن في ميعاد لا يجاوز عشرين يوماً من تاريخ تقديمها). والذي يثبت أن الميعاد قد تم وفي ميعاده القانوني، هو إيداع الإعلان لدى قلم كتاب المحكمة، وبهذا الإجراء تنعقد فعلاً الخصومة.
 3. **القيود:** وهو قيد الدعوى في السجل العام للدعوى، وإن كانت بدايته بتقديم الصحيفة – قيد الإيداع- إلا أن التركيز ينصب على إيداع أصل ورقة الإعلان قلم كتاب المحكمة باعتباره الإجراء العاقد للخصومة، ومن هذا التاريخ تعتبر الدعوى قد قيدت في السجل العام.
- ثانياً/ تبادل مستندات الدعوى:**

¹ قررت المحكمة لعليا في الطعن الإداري رقم 3/1 ق، بجلسة 1979/3/8 أنه: تعتبر الدعوى مرفوعة بتقديم صحتها طلب التسجيل...، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 257.

بمجرد انقضاء مواعيد وإجراءات الإيداع والقيود والإعلان تنعقد الخصومة الإدارية، وتبدأ مرحلة الخصومة فعلياً وسجلاً بين الخصوم بتبادل مستندات الدعوى، هذا التبادل يفرضه تحقيق مبدأ المواجهة بين الخصوم، وهذا المبدأ يقوم على حقوق ثلاثة، وهي:

1. **حق الإطلاع:** ومفاده حق كل خصم في أن يطلع على ما قدمه خصمه من مذكرات ومستندات وفي وقت يكفي لتمام الإحاطة والإطلاع وإعداد الرد والدفاع.

وتأكيداً لهذا الحق استهل المشرع المادة (13) بقوله: (إذا بدأ للمدعي عليه أن يقدم دفاعاً فعلياً أن يودع قلم كتاب المحكمة خلال مدة الثلاثين يوماً من تاريخ إعلانه مذكرة بأوجه دفاعه مشفوعة بالمستندات التي يرى تقديمها...).

2. **حق الرد:** وهو حق مكفول للخصم الذي قدمت المذكرات والمستندات في مواجهته بالرد والتعليق على ما ورد بها من مسائل قانونية. وعلى ذلك يعتبر هذا الحق متمماً لحق الإطلاع؛ إذ لا فائدة للإطلاع بغير رد⁽¹⁾.

وقد نص المشرع على هذا الحق في ذات المادة (13) بقوله: (...وللمدعي أن يودع قلم كتاب المحكمة مذكرة بالرد مشفوعة بما يكون له من مستندات خلال أربعة عشر يوماً من انقضاء الميعاد المذكور...) وهذا الميعاد المذكور هو ميعاد الثلاثون يوماً الخاصة لحق الإطلاع.

3. **حق التعقيب:** ومعناه ببساطة الرد على الرد، فللخصم الذي تم الرد على ما قدمه من مذكرات ومستندات أن يعقب على هذا الرد، مفنداً ما انطوى عليه من دفاع ودفع.

وقد نص المشرع على هذا الحق -أيضاً- في ذات المادة (13) بقوله: (... فإذا استعمل الطالب حقه في الرد كان للمدعي عليه أن يودع مذكرة بملاحظاته على هذا الرد مع المستندات في ميعاد مماثل).

وهكذا، فإن المشرع ضمن مبدأ المواجهة بين الخصوم متجسداً في حقوق ثلاثة وخلال مواعيد محددة، وتبدو حكمة المشرع ظاهرة في جعله لميعاد الإطلاع أطول من مواعيد الرد والتعقيب، لأنه من غير المعقول أن نساوي بين من اطلع على أمر للمرة الأولى مع من له سابق علم به.

هذا وقد أجاز المشرع في المادة (14) لرئيس دائرة القضاء الإداري في أحوال الاستعجال أن يصدر أمراً غير قابل للطعن بتقصير المواعيد المنصوص عليها في المادة السابقة، ويبلغ الأمر إلى ذوي الشأن خلال أربعة وعشرين ساعة من تاريخ صدوره، وذلك بكتاب

1. د. محمد باهي أبو يونس، أصول المرافعات الدستورية، ص 28.



مسجل مصحوب بعلم الوصول، وتسري المواعيد المقصورة بالنسبة إلى الخصوم من تاريخ إبلاغهم بها.

والذي أراه أن تقصير المواعيد لابد أن تتم فيه مراعاة فلسفة المشرع في الفرق بين مدة الإطلاع ومدتي الرد والتعقيب.

المطلب الثاني

إجراءات تحضير الدعوى ونظرها

يسود هذه المرحلة الإجرائية الدور الإيجابي للمحكمة في مقابل دوراً سلبياً للخصوم، فالخصوم لا يقومون بأي إجراء في هذه المرحلة إلا إذا طلب منهم ذلك، سواء أكان الطلب من المستشار المقرر في مرحلة تحضير الدعوى وتجهيزها للحكم أم من المحكمة بالإذن لمحامي الخصوم بتقديم ملاحظات شفوية أو مذكرات تكميلية وهذا في مرحلة نظر الدعوى.

أولاً/ إجراءات تحضير الدعوى:

تبدأ مرحلة تحضير الدعوى بقيام قلم كتاب المحكمة خلال أربعة وعشرين ساعة من انقضاء المواعيد المقررة في المادتين (13، 14)، بعرض ملف الدعوى على رئيس الدائرة ليأمر بإحالاته إلى النيابة العامة لتودع مذكرة برأيها في الميعاد الذي يحدده⁽¹⁾.

وبعد أن تودع النيابة مذكرتها بالرأي في الميعاد الذي حدده الرئيس، يأمر هذا الأخير بإحالة ملف الدعوى إلى أحد المستشارين في دائرة القضاء الإداري ليضع تقريراً يشتمل على تحديد الوقائع والمسائل القانونية موضوع النزاع دون أن يبدي رأيه فيها⁽²⁾.

هذا وقد نصت المادة (16) على سلطات المستشار المقرر جاعلة له دوراً مهماً وسلطات واسعة في التحقيق تتمثل في الآتي:

1. يأمر باستدعاء الخصوم لسؤالهم عن الوقائع التي يرى لزوم أخذ أقوالهم فيها.
2. له أن يجري تحقيق في الوقائع التي يرى لزوم تحقيقها.
3. يستطيع أن يأمر بإدخال خصم آخر في الدعوى.
4. من صلاحياته تكليف الخصوم بتقديم مذكرات أو مستندات تكميلية، وغير ذلك من إجراءات التحقيق في الأجل الذي يحدده.

¹. راجع: المادة (1/15).

². راجع: المادة (2/15).

5. الحكم على المتسبب في التأخير عن تكرار التأجيل الذي سمح به المستشار المقرر بغرامة لا تجاوز عشرة دنائير⁽¹⁾.

ولقد جرى قضاء محكمتنا العليا على أن الأصل في هذه الإجراءات - إجراءات تحضير الدعوى - أنها قد روعيت أمام المحكمة، ما لم يثبت عكس ذلك. فإن ادعى العكس، وقدم المدعى صور من محاضر الجلسات، بسطت المحكمة العليا رقابتها على ما تم فيها من إجراءات، فإن ثبت لها مخالفة للإجراءات التي توجب قبل الفصل في موضوع الدعوى، إحالة الملف إلى النيابة العامة لتودع مذكرة بالرأي، ثم إحالة الملف على المستشار المقرر ليضع تقريره في الدعوى والإجراءات التي يقوم بها، نقضت الحكم وأبطلته⁽²⁾.

ثانياً/ تحديد جلسة نظر الدعوى:

بعد انتهاء المستشار المقرر من إجراءات تحضير وتهيئة الدعوى المنصوص عليها في المادة (16) يودع تقريره قلم كتاب المحكمة، فيقوم هذا الأخير بعرض ملف الدعوى على رئيس المحكمة ليحدد موعد جلسة لنظرها، ثم يقوم قلم كتاب المحكمة بتبليغ الخصوم بتاريخ الجلسة⁽³⁾.

والملاحظ على إجراءات تحديد جلسة نظر الدعوى أن المشرع لم يربطها بتواريخ محددة، فلم يتم تحديد ميعاد يلتزم خلاله المستشار المقرر بإعداد تقريره في الدعوى. وأيضاً لم يحدد المشرع ميعاد معين يجب خلاله على قلم الكتاب عرض ملف الدعوى على الرئيس: وإن كان من الممكن للرئيس أن يلزم الاثنين - المستشار المقرر وقلم الكتاب - بمواعيد محددة، إلا أن إلزامية الرئيس بميعاد محدد لم ينص عليها القانون، وهذا نعهه مثلب من شأنه تأخير الحسم في المنازعات مما يخل بالعدالة. وعلى أية حال؛ فإنه بعد أن يحدد الرئيس موعد الجلسة ويبلغ الخصوم بتاريخها، فإن الدعوى تصير جاهزة لنظرها والحكم فيها.

وإجمالاً للقول، إن إجراءات انعقاد الخصومة في الدعوى الإدارية وتحضيرها ونظرها تعد من الإشكال الجوهرية التي أوجها المشرع لاتصال القضاء الإداري بالدعوى الإدارية، وأكدت المحكمة العليا جاعلة البطلان جزاء مخالفته، أو هكذا قالت: "... وإن كان للقاضي الإداري أن يوجه الدعوى بما يراه ملائماً عند نظر الشق المستعجل فيها، إلا أنه إذا رأت المحكمة أن

¹. راجع: المادة (16).

². راجع: حكم العليا في الطعن رقم 39/40 ق، بجلسة 1994/1/22، م، م، ع، س 30، ع 1، ص 2 وما بعدها.

³. راجع: ذيل المادة (16).



تتصدى لموضوع الدعوى، فإنه يتعين عليها استكمال إجراءات تحضيرها التي نص عليها القانون رقم 88 لسنة 71 بشأن القضاء الإداري في المواد 13/ 15/ 16/ 18 لما في ذلك من ضمان لحقوق الدفاع وحسن سير العدالة.

وحيث إن القضاء بالتعويض يعد فصلاً في موضوع الدعوى، لا يجوز للمحكمة أن تتصدى له قبل استكمال إجراءات تحضيرها، على النحو المبين في المواد السالف ذكرها.

وحيث يبين من مدونات الحكم المطعون فيه، أن المحكمة وعند نظر الشق المستعجل من الدعوى، المتعلق بطلب وقف تنفيذ القرار المطعون فيه، وفي الجلسة المحددة لنظره جلسة بتاريخ 11/5/1993م قد تصدت للفصل في موضوع التعويض، وألزمت المطعون ضده الثالث "أمين اللجنة الشعبية العامة" بدفعه قبل أن تستكمل إجراءات تحضيرها؛ كالسماح للخصوم بتقديم مذكرات بأوجه دفاعهم، وإحالة الملف إلى النيابة العامة لإبداء الرأي، وإياع تقرير التلخيص، وتحديد جلسة لنظرها، مما تكون معه المحكمة قد خالفت القانون، بما يتعين معه نقض الحكم المطعون فيه¹.

ثالثاً/ الحكم في الدعوى الإدارية:

تحكم المحكمة في الدعوى بعد أن يتلو المستشار تقريره في الدعوى، ولرئيس المحكمة -الدائرة الإدارية- أن يأذن لمحامي الخصوم بتقديم ملاحظات شفوية ومذكرات تكميلية إذا رأى ضرورة لذلك وإذا رأت المحكمة ضرورة إجراء تحقيق باشرته بنفسها في الجلسة أو ندبت لذلك أحد أعضائها⁽²⁾.

أ) الطعن في الحكم الصادر في الدعوى الإدارية:

صدور حكم في الدعوى الإدارية من دوائر القضاء الإداري بمحاكم الاستئناف يجوز الطعن فيه بطريق التماس إعادة النظر أمام نفس المحكمة وفي المواعيد والأحوال المنصوص عليها في قانون المرافعات المدنية والتجارية، وفقاً للإجراءات المبينة فيه⁽³⁾.

كما يجوز الطعن أمام المحكمة العليا في الأحكام الصادرة من محاكم الاستئناف منعقدة بهيئة قضاء إداري وذلك في الأحوال التي حددها المادة (19) من القانون رقم 71/ 88 م، وفي معاد

¹ . انظر حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 53/42 ق، بجلسة 1994/12/24، م، م، ع، س 30، ع 1، ص 52، 51.

² . راجع: المادة (18).

³ . راجع: المادة (20) من القانون 71/88 م.

ستين يوماً من تاريخ إعلان الحكم، ووفق الإجراءات المقررة للطعن بالنقص المنصوص عليها في قانون المرافعات المدنية والتجارية. ولا يترتب على الطعن وقف تنفيذ الحكم إلا إذا أمرت المحكمة بغير ذلك¹.

ب) حجية الحكم الصادر في الدعوى الإدارية:

الدعاوى الإدارية نوعين هما: دعاوى الإلغاء ودعاوى القضاء الكامل، الأولى- دعاوى الإلغاء: طبيعتها عينية، فمحلها مخاصمة قرار إداري مخالف لمبدأ المشروعية، ولذلك تتعلق بالنظام العام، والحكم الصادر فيها حجة على الكافة. وفي ذلك تنص المادة (21) على أن: (تكون أحكام الإلغاء النهائية حجة على الكافة، وتكون صورتها التنفيذية مشمولة بالصيغة الآتية: على الوزراء ورؤساء المصالح تنفيذ هذا الحكم وإجراء مقتضاه).

أما الثانية- دعاوى القضاء الكامل: طبيعتها شخصية حقوقية، فمحلها حقوق يدعيها المدعي افتتأت عليها جهة الإدارة، ومن ثم الخصومة فيها بين المدعي والإدارة، وعلى ذلك فإن الحكم الصادر فيها حجته نسبية لا يتعدى أطراف الدعوى ولا يجاوز موضوعها طلباً وتأسيساً.

الخاتمة

ننتهي في ختام هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- 1- تستقل الدعوى الإدارية بإجراءات خاصة، ويجب احترام هذه الإجراءات لمن أراد لدعواه أن يقبلها القضاء الإداري وينظرها وينتهي إلى حكم في موضوعها، فالقضاء الإداري قرر عدم اتصاله بالدعوى الإدارية إلا وفق الإجراءات التي رسمها المشرع في القانون رقم 88 لسنة 71م، ففي هذا القانون تجد الدعوى الإدارية مصدرها الرئيسي.
- 2- يعد قانون المرافعات المدنية والتجارية مصدراً تكميلياً في الدعوى الإدارية.
- 3- تفرق الدعوى الإدارية إلى نوعين، الأولى: دعاوى عينية موضوعية، محلها أو موضوعها مخاصمة قرار إداري مخالف لمبدأ المشروعية؛ والأخرى: دعاوى القضاء الكامل، وهي بالنظر إلى موضوعها- وفق مطلوب المدعي- ذات طبيعة حقوقية شخصية؛ كدعاوى التسوية أو الاستحقاق، والدعاوى المتعلقة بالعقود الإدارية، والدعاوى المتعلقة بالتعويض عن أخطاء الإدارة عن أعمالها القانونية. فالأولى وهي دعوى الإلغاء بالنظر إلى

¹ . راجع حكم المحكمة العليا في الطعن الإداري رقم 28/17 ق، بجلسة 1983/12/25، وحكمها في الطعن

الإداري رقم 25/2 ق، بجلسة 1978/6/28، مجموعة المبادئ، مرجع سابق، ص 307-310.



طبيعتها العينية ميزها المشرع والقضاء بأحكام خاصة، فخصها المشرع بميعاد الستين يوم لرفعها أمام القضاء الإداري، وجعل الحكم الصادر فيها حجة على الكافة؛ أما القضاء فانزل شرط المصلحة فيها المنزلة التي تتفق مع عينية طبيعتها وتضمن جديتها، مقررًا أن شرط المصلحة الشخصية المباشرة في دعوى الإلغاء لا يتطلب أن يكون ثمة حق للطاعن مسه القرار المعون فيه، بل يكفي فيها مجرد أن يكون القرار الإداري الطعين قد أثر في الحال أو الاحتمال على مراكز قانونية يتمتع بها الطاعن.

قائمة بأهم المراجع

1. د. الكوني على أعبوده: قانون علم القضاء، النشاط القضائي، الخصومة القضائية والعريضة، طرابلس- ليبيا، المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية، الطبعة الثانية، 2003.
 2. د. خليفة سالم الجهي: أحكام ومبادئ القضاء الإداري الليبي، دار الفضيل للنشر والتوزيع، بنغازي - ليبيا، الطبعة الأولى 2009
 3. د. صبيحي مصباح زيد: أساس دعوى عدم الدستورية (دراسة تحليلية لمضمون الدعوى في النظام القانوني الليبي)، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة الإسكندرية، 2015.
 4. د. طعيمة الجرف: شروط قبول الدعوى في منازعات القانون الإداري، القاهرة، (بدون ذكر الناشر) الطبعة الأولى، 1956.
 5. د. علي مسعود محمد: شرح قانون المرافعات المدنية والتجارية الليبي وفقاً لأحدث التعديلات التشريعية والأحكام، زليتن-ليبيا، دار ومكتبة بن حمودة، الطبعة الأولى، 2014.
 6. د. ماجد راغب الحلو: - دعاوى القضاء الإداري، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2010.
 7. د. محمد باهي أبو يونس: انقضاء الخصومة الإدارية بالإرادة المنفردة للخصوم في المرافعات الإدارية، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2010.
 8. د. محمد عبد الله الحراري: الرقابة على أعمال الإدارة في القانون الليبي، "رقابة دوائر القضاء الإداري"، الزاوية- ليبيا، منشورات المكتبة الجامعة، الطبعة الخامسة، 2010.
 9. د. نواف كنعان: القضاء الإداري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2006.
- د. مجموعات الأحكام
- 1- مجموعة المبادئ التي قررتها المحكمة العليا الليبية في أربعين عاماً من أول إنشائها في 1953 إلى 1994، إعداد: شحات ضيف الديجاي، بنغازي، مطابع الثورة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2001
 - 2- مجلة المحكمة العليا "الليبية" أعداد مختلفة.

الاستصحاب وحجية العمل به

إعداد الدكتور: علي سالم علي إسماعيل

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وأنعم عليه بنعمتي: العقل والبيان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه و على سائر الرُّسل الكرام.

أما بعد:

فلقد امتنَّ الله تبارك وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة لا تحصى ولا تعد، قال تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) ⁽¹⁾ ومنها نعمة العقل الذي بواسطته يستطيع أن يميِّز بين الخير والشر والذي اعتبره الفقهاء آلة الشيء الذي يصير به الإنسان مكلفاً ومطالباً بالمأمورات وباجتناب المنهيات، فلقد اهتدى عن طريقه إلى التفكير في صنع الله ومخلوقاته، فاهتدى إلى معرفته تعالى، ووصل إلى استقباح القبيح وتحسين الحسن، يقول الشيخ السَّائِس: ((كانوا في الجاهلية يخلفون آباءهم على نسائهم فنهاهم الله عن ذلك، إلى أن قال: ((وكانت العرب تسمي هذا النكاح المقت، وتسمي ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتاً)) وهذا يدل على استقباح هذا الفعل)) ⁽²⁾.

فالعقل هو أحد الأدلة بعد الشرع التي اعتمد عليها الفقهاء، وصار جدل كبير بين أهل السنة والاعتزال في المسألة المعروفة بمسألة: التقبيح والتحسين العقليين، وبعد نزول القرآن وتشريع الأحكام، فالأدلة التي يحتج بها العرب جملة في مجال الاحتجاج: القرآن والسنة والإجماع والقياس وهي ما تعرف بالأدلة المتفق عليها، إلى جانب الأدلة المختلف فيها، ومنها الاستصحاب، هذا في جانب الاستدلال في المسائل الشرعية، أما في مجال اللغة والشعر، فكان الاستدلال إلى جانب الأدلة المتفق عليها: الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي إلى شعر المولدين والذي حدَّده أهل اللغة بالفترة التي برز فيها إبراهيم ابن هرمة ⁽³⁾ وهو آخر الحجج التي يحتج بها .

(1) النحل الآية 18.

(2) آيات الأحكام للسَّائِس 246/2.

(3) ينظر: الاقتراح في علم النحو للسيوطي 70/1.



فالاستدلال بالاستصحاب يجوز في حالة واحدة، وهي عدم وجود الدليل التي تدار عليه الفتوى، عندها يصير الاستصحاب هو المعوّل عليه في ترجيح حكم على آخر، أو إثباته، أو نفيه، أو الحكم بحرمة أو بکراهته، أو استحبابه⁽¹⁾.

وفي هذا الشأن ساق الإمام الزركشي قول الخوارزمي في الكافي فقال: ((وهو آخر مدار الفتوى، فإن المفتي إذا سئل عن حادثة يطلب حكمها في الكتاب، ثم في السنّة، ثم في الإجماع، ثم في القياس، فيأخذ حكمها من استصحاب الحال في النفي والإثبات، فإن كان التردد في زواله، فالأصل بقاؤه، وإن كان في ثبوته فالأصل عدم ثبوته، وهو حجة يفرع إليها المجتهد إذا لم يجد في الحادثة حجة خاصة ووقع الخلاف في استصحاب الحال في القسم الأول، والثاني، والثالث منه، وهذا هو السبب في اختياري لهذا الموضوع والكتابة فيه، وذكر أدلة فقهاء المذاهب المختلفة⁽²⁾ فكان البحث بعنوان:

الاستصحاب ويشتمل على مقدمة وثلاثة مطالب:

المقدمة:

المطلب الأول: تعريف الاستصحاب.

المطلب الثاني: صور الاستصحاب.

المطلب الثالث: آراء العلماء في حجة الاستصحاب.

- الخاتمة وتتضمن النتائج.

المطلب الأول: تعريف الاستصحاب

فالاستصحاب عرفه ابن منظور: بأنه لفظ مشتق من الصُّحبة نحو: (صَحِبْتُه الشيء جعلته له صاحباً، واستصحبته الكتاب وغيره)⁽³⁾.

- وعرفه الإمام الرّازي: بأنه لفظ مشتق من الصُّحبة نحو: (استصحبته الكتاب وغيره وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه)⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المستصفي للغزالي 585/1، البحر المحيط للزركشي، 17/6، الإبهاج في شرح المنهاج، للسبكي 170/3.

(2) المصدر نفسه.

(3) لسان العرب لابن منظور: أبو الفضل: جمال الدين محمد بن مكرم مادة: (صحب) 201/8.

(4) مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مادة: (صحب) باب: (سلم) ص: 356.

واصطلاحاً:

- عرفه الهانوي بأنه: (طلب صحة الحال للماضي، بأن يحكم على الحال بمثل ما حُكِمَ على الماضي، وحاصله إبقاء ما كان على ما كان، بمجرد أنه لم يوجد له دليل مزيل)⁽¹⁾.

- وعرفه الأرموي بأنه: (عبارة عن الحكم بثبوت أمرٍ في الزمان الثاني بناء على ثبوته في الزمان الأول حتى يقوم الدليل على خلافه)⁽²⁾ فيقال: (الحكم الفلاني قد كان فلم نظنَّ عدمه، وكل ما كان كذلك، فهو مظنون البقاء)⁽³⁾.

فالملاحظ على التعريفين اللغوي والاصطلاحي:

إفادتهما معنىً واحدًا وهو صحة الحال للماضي في الحكم حتى يرد الدليل على خلاف ذلك.

وهذه أمثلة تبين المراد:

أ- لو اشترى شخص سلعة ما، واشترط خلوها من العيب فوجد بها عيباً، وأراد ردّها على البائع، فالقول قول البائع، أخذاً بالبراءة الأصلية: لأن الأصل ثبوت السّلامة، ويلزم المشتري البيئة لأثبات دعواه.

ب- كما لو اشترى حيواناً بدّعى أنه مدرب يحسن الصّيد، فوجده غير ذلك، فرجّعه إلى البائع، فالقول قول المشتري، إلا إذا قام الدليل على خلافه: لأن الأصل في الحيوان عدم تعليمه، إلا إذا تدرب عليه، فعند حصول التنازع بين البيّعين استصحب حال الأصل، إلا بدليل⁽⁴⁾.

(1) اصطلاحات الفنون للهانوي، ص: 153.

(2) الحاصل من الحصول 1039/2، البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، 7/6، كشف الأسرار للبزودي 377/3.

(3) إرشاد الفحول للشوكاني، ص: 352.

(4) ينظر: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، للشربيني 36/4، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد 169/2.



ج- كما لو تزوج شاب فتاة على أنها بكر⁽¹⁾ فادّعى بعد الدخول بها أنها ثيب⁽²⁾ لم تقبل دعواه إلا بالبينة ؛ لأن الأصل في البكارة أنها صفة أصلية عند الولادة ، فتبقى إلى حين الدخول ، حتى يدل الدليل على خلافها.

هذا الحكم في نظر الفقهاء القائلين بصحة هذا الشرط ، فهم يجعلون لمن اشترطه الحق في فسخ العقد إذا تخلف هذا الشرط عندهم ، باستثناء فقهاء الأحناف فلم يجعلوا لفوات هذا الشرط أي أثر في العقد ، ولا يحق لصاحبه الفسخ إلا إذا زاد في الصّدق شيئاً على مهر المثل في مقابل الشرط ، كان له الحق في عدم دفع الزيادة عند فواته بإرش⁽³⁾ هذا العيب⁽⁴⁾.

وعرفه ابن القيم: ((بأنه استدامة ما كان ثابتاً ، ونفي ما كان منقياً ، أي : بقاء الحكم نفيّاً وإثباتاً حتى يقوم الدليل على تغيير الحال ، فهذه الاستدامة لا تحتاج إلى دليل إيجابي ، بل تستمر حتى يقوم دليل مغير))⁽⁵⁾.

ومثاله: أن ما ثبت ملكيته لشخص بدليل يدل على حصولها: كشراء ، أو هبة ، أو ميراث ، وما شابه ذلك ، فإنها تستمر حتى يثبت دليل يدل على نقلها إلى غيره ، ولا يعتد لمجرد احتمال البيع ، ونحو: المفقود يحكم بحياته خلال مدة معينة حتى يثبت ما يدل على وفاته ، وكذلك وصف الماء بالطهارة يستمر قائماً حتى يرد الدليل على خلاف ذلك ، بالتغير في اللون ، أو الطعم ، أو الريح⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: صور الاستصحاب:

(1) البكر: هي المرأة التي لم يسبق لها الزواج ، بمعنى أنها لا زالت عذراء ، ونحوه: البكر من الإبل ، ينظر مختار الصحاح للرازي ، ص: 61.

(2) الثيب: هي الموطوءة في القبل لا في الدبر بما ولو وطئت بزنا: ينظر: كشاف القناع على متن الإقناع 46/5.

(3) الإرش: الجراحة ديتها ، والجمع أروش مثل فلس وفلوس ، وأصله الفساد ، يقال: أرشت بين القوم تأيئاً إذا أفسدت ، ثم استعمل في نقصان الأعيان ؛ لأنه فيها ، ويقال: أصله ((ورش)) ، المصباح المنير للفيومي ، ص: 12.

(4) ينظر: المجموع شرح المذهب للنووي ، 378/17.

(5) إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية ، 339/1.

(6) ينظر: رسالة الاستصحاب للشيخ: علي الخفيف ، ص: 10 حجة القياس في أصول الفقه الإسلامي للدكتور: عمر مولود ، ص: 50.

الاستصحاب قال فيه علماء الأصول بالإطلاق، والتحقيق أن الاستصحاب له صور خمس:

أولاً: استصحاب العدم الأصلي:

وهو الذي تم نفيه بالبقاء على العدم الأصلي عن طريق العقل، بمعنى أنه لا يوجد دليل آخر من الكتاب والسنة والإجماع والقياس يدل على نفيه كنفي وجوب صلاة سادسة وصوم شهر شوال، فالعقل هو الذي دلّ على انتفاء ذلك، ولا مثبت للوجوب وبذلك بقي على الوجوب الأصلي لعدم ورود السمع به⁽¹⁾.

وينصرف إليه اسم الاستصحاب وهو ما يعرف بالبراءة الأصلية، وهي البقاء على عدم الحكم حتى يدل عليه: لأن براءة الذمة⁽²⁾ من لزوم الأحكام⁽³⁾.

فبراءة الذمة المراد بها حكم براءة ذمة المكلف من التكاليف المأمور بها شرعاً: كالصلاة والزكاة والصّوم والحج، لعدم البلوغ، فكل ما هو طعام وشراب مطلوب لتقوم به الحياة. ولا يوجد دليل يدل على الحظر يكون مباحاً لقوله تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوي إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم)⁽⁴⁾ ولا يكون كذلك إلا إذا كان الأصل في الأشياء الإباحة⁽⁵⁾ حتى يطرأ وفقاً للدليل ما يدل على الحرمة⁽⁶⁾ وهذا النوع حجة بالإجماع عند من يقول: لا حكم إلا بالشرع⁽⁷⁾.

ثانياً: استصحاب مقتضى العموم، أو النص إلى أن يرد المخصص، أو التناسخ، ولم يختلف أصحابنا في أنه حجة⁽⁸⁾.

(1) الإيهاج في شرح المنهاج للسبكي 3/168، 169، تشنيف المسامع للزركشي 3/418، 419 بتصرف.
(2) الذمة: العهد؛ لأن نقضه يوجب الذم وهي أيضاً: وصف يصير الشخص به أهلاً للإيجاب له وعليه، وهي أيضاً: نفس لها عهد، فالإنسان يولد وله ذمة صالحة للوجوب له وعليه. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ص: 826، التعريفات للجرجاني ص: 110، وتكون بالأمان وبالضمان، ومنه سعي المعاهد ذمياً وهي أيضاً ترجع إلى العهد. المصباح المنير للفيومي (كتاب الذال) ص: 200.

(3) الإيهاج في شرح المنهاج للسبكي، 3/168، 169.

(4) البقرة الآية 29.

(5) وهي الإذن بإتيان الفعل كيف ما شاء الفاعل. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ص: 78، التعريفات للجرجاني، ص: 12، الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص: 256.

(6) ينظر: إرشاد الفحول للشوكاني ص: 238، البرهان للجويني، 2/173، الإيهاج في شرح المنهاج للسبكي 3/169.

(7) ينظر مقاصد الشريعة لعلال الفاسي، ص: 129..

(8) الإيهاج في شرح المنهاج للسبكي 3/169، تشنيف المسامع للزركشي 3/419، المستصفي للغزالي 1/588.



ساق الزركشي الخلاف في تسمية هذا النوع بالاستصحاب فقال: ((فأثبتته جمهور الأصوليين، ومنعه المحققون، منهم إمام الحرمين (في البرهان)، وإلكيا (في تعليقه) وابن السَّمْعاني (في القواطع)؛ لأن ثبوت الحكم فيه من ناحية اللفظ، لا من ناحية الاستصحاب))⁽¹⁾ واختاره الشنقيطي في نشر البنود⁽²⁾ ونقله عن الأبياري من المالكية، وعن إمام الحرمين، واعتبره إمام الحرمين مناقشة لفظية فقال: ((ولو سَمَّاه استصحابا لم يناقش وليس مقصود الفصل منه بسبيل))⁽³⁾ خلافا لما ذهب إليه أبو زيد الدبوسي في قوله: (هذا قد يُعَدُّ من الاستصحاب؛ لأن دليل ثبوت الحكم عندي غير دليل بقاءه)⁽⁴⁾ ففي نظره: أن النص دل على ثبوت أصله، وبقاؤه دل عليه دليل آخر وهو عدم المزيل، فدل على أن دليل البقاء لا يصلح دليلاً على الثبوت، بحجّة انه لو كان كذلك، لما جاز النسخ؛ لأن النسخ يرفع البقاء والدوام، عارضه في ذلك إلكيا فقال: ((وهذا ليس بشيء))⁽⁵⁾ فوجهة نظر إلكيا: أن الدليل قد لا يقتضي الدوام، كالمقيّد بالمرة أو المطلق، ولا يقتضي التكرار، وبذلك لا يرد النسخ؛ لأنه قد تم بالمرّة الواحدة، أو أنه يدل على: التقرير والبقاء نصاً لقوله: ((افعلوه دائما أبداً)) وهذا في الاستمرار ظاهر. فهما دليلان: نص في الثبوت، وظاهر في الاستمرار، فهذا الثاني هو الذي يرد عليه النسخ، وصوّب إلكيا: إطلاق أبي زيد في قوله: (دليل الثبوت غير دليل البقاء) وأخطأ في قوله: (دليل البقاء عدم المزيل) فهذا ليس من الاستصحاب في شيء أ.هـ.⁽⁶⁾

ثالثاً: استصحاب: (حكم دلّ الشرع على ثبوته ودوامه لوجود سببه: كالملك عند حصول السبب وشغل الذمة عند قرض أو إتلاف، هذا إن لم يكن حكماً أصلياً، فهو حكم شرعي دلّ الشرع على ثبوته ودوامه جميعاً؛ ولولا أن الشرع دلّ على دوامه إلى أن

(1) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي 21/6.

(2) ينظر: نشر البنود للشنقيطي، 254/2.

(3) البرهان للجويني 735.736/2.

(4) البحر المحيط للزركشي، 21/6.

(5) المصدر نفسه.

(6) البحر المحيط للزركشي 21/6.

يوجد السبب المزيل أو المبرري لما جاز استصحابه ولا نعرف في الثلاثة خلافاً عندنا، ولهذا قال المصنف⁽¹⁾: (حجة مطلقاً)⁽²⁾.

مثاله: التزام المشتري بأداء الثمن بمقتضى عقد البيع، فإنه يكون في ذمته حتى يدل الدليل على الأداء، والزوج بالنسبة للمهر فإنه في ذمته، ودوام الحل في النكاح حتى يدل الدليل على الإبراء⁽³⁾ كالحكم بتكرير الأحكام عند تكرار أسبابها: كشهر رمضان، ونفقات الأقارب، وأوقات الصلاة: لأنه لما عرف حملة الشريعة، قصد الشارع إلى نصiha أسباباً، وجب استصحابها ما لم يمنع منه مانع، فإذا الاستصحاب عبارة عن التمسك بدليل عقلي، أو شرعي، وليس راجعاً إلى عدم العلم بالدليل، بل إلى دليل مع العلم بانتفاء المغيّر، أو مع ظن انتفاء المغيّر عند بدل الجهد في الطلب⁽⁴⁾.

رابعاً: استصحاب الحكم الثابت بالإجماع⁽⁵⁾ في محل الخلاف: وهو الاتفاق على حكم في أمر ما، أو في مسألة من المسائل الشرعية أو في غيرها، ثم تتغير صفة المجمع عليه، ويختلف المجمعون فيه، فيستبدل من لم يغير الحكم باستصحاب الحال⁽⁶⁾ نحو: إجماعهم على القول بصحة صلاة المتيّم لفقد الماء واختلافهم فيمن رأى الماء أثناء الصلاة، فإن المتيّم إذا فرغ من صلاته قبل رؤية الماء صحت صلاته إجماعاً، أما إذا رآه في أثناء الصلاة وفي هذه الحالة تكون صفة المجمع عليه، فهذا هو منشأ الخلاف، فهل تصح صلاته استحباباً للقول بصحتها إجماعاً لو لم ير الماء، أو تبطل صلاته مراعاة لتغير صفة الإجماع في ذلك قولان لجمهور الأصوليين:

- فالجمهور ذهبوا إلى القول بعدم اعتباره.

(1) عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي المعروف بالبيضاوي أبو سعيد ناصر الدين، من مصنفاته: (منهاج الوصول إلى علم الأصول، لب الباب في علم الإعراب) توفي سنة 685هـ، 1286م الأعلام للزركشي 110/4.

(2) الإيهام في شرح منهاج السبكي، 169/3 تشنيف المسامع للزركشي 419/3، 420.

(3) المصدر نفسه، ينظر: المستصفي للغزالي، 589/1.

(4) ينظر: إرشاد الفحول للشوكاني، ص: 238.

(5) الإجماع في اللغة: العزم والاتفاق، وفي الاصطلاح: اتفاق المجتهدين من أمة محمد (ص) في عصر على أمر ديني. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ص: 104، 103، التعريفات للجرجاني (باب الألف) ص: 41.

(6) ينظر: البحر المحيط للزركشي، 21/6.



- والإمام الشافعي وأبو ثور⁽¹⁾ وداود الظاهري ذهبوا إلى الاحتجاج به، واختاره الإمام الأُمدي وابن الحاجب والشوكاني⁽²⁾ والإمام الغزالي ذهب إلى القول: بأن استصحاب الإجماع في محل الخلاف غير صحيح⁽³⁾.

خامسا: الاستصحاب المقلوب:

- استصحاب الحال في الماضي، كأن وقع البحث في أن هذا المكيال، هل كان علي عهد الرسول(ص) فيقول القائل: (نعم إذا الأصل موافقة الماضي للحال، وكما إذا رأيت زيدا جالسا في مكان وشككت هل كان جالسا فيه أمس، فيقضي بأنه كان جالسا فيه أمس، استصحابا مقلوبا)⁽⁴⁾ والظاهر أنه لم يقل به أحد من الأصحاب إلا في مسألة واحدة⁽⁵⁾، تكمن فيمن اشترى شيئا وادّعه مدّع وأخذه منه بحجة مطلقة، فقالوا: ثبت له به الرجوع على البائع، بل لو ابتاع المشتري، أو وهبه، وانتزع الثاني: المتهم، أو المشتري منه، كان للمشتري الأول الرجوع أيضا، وهذا استصحاب للحال في الماضي، فإن البيئة لا توجب الملك ولكنها تظهره، فيجب أن يكون الملك سابقا على إقامتها، ويقدر له لحظة لطيفة، ومن المحتمل: الملك من المشتري إلى المدعي، ولكنهم استصحبوا مقلوبا، وهو عدم الانتقال منه فيما مضى استصحابا للحال⁽⁶⁾ والمالكية اعتمدوا هذا النوع في الوقف الذي لا يعرف بعد البحث أصل مصرفه، وشروط واقفه، فيصرف على نمط معين ويحكم باستصحاب هذه الحالة في الماضي حتى يثبت خلافها⁽⁷⁾.

المطلب الثالث: آراء العلماء في حجة الاستصحاب والعمل به وأدلتهم على ذلك:

اختلف العلماء في الاحتجاج بالاستصحاب عند عدم الدليل إلى مذاهب:

(1) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي وهو أحد أصحاب الإمام الشافعي ويكنى بابي عبد الله ويلقب بأبي ثور، من مصنفاته: (كتاب ذكر فيه: اختلاف مالك والشافعي، توفي سنة 240هـ ينظر: الطبقات الكبرى للسبكي 74/2، الأعلام للزركلي 30/1).

(2) ينظر: أصول الفقه للزحيلي ص: 55، الأصول التي اشتهر انفراد إمام دار الهجرة بها، الدكتور: محمد فاتح زقلام، ص: 97، 98.

(3) المستصفي للغزالي 589/1.

(4) الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي 170/3.

(5) وهذا القول للإمام: علي بن عبد الكافي السبكي (683.756هـ) تقي الدين ينظر: تشنيف المسامع للزركشي 427/3، والإبهاج في شرح المنهاج للسبكي 170/3.

(6) ينظر: تشنيف المسامع للزركشي 426، 427/3.

(7) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لعلال الفاسي ص: 130، أصول الفقه للدكتور: وهبة الزحيلي، ص: 556.

- المذهب الأول:

(كونه حجة وبه قال الأكثرون وهو مختار الإمام الرازي⁽¹⁾ وأتباعه منهم المصنف⁽²⁾ واختاره الرازي وهو قول المزني وأبي بكر الصيرفي من فقهاءنا)⁽³⁾.

- المذهب الثاني:

أنه ليس بحجة وبه قال الحنفية، كما نقله في الكتاب تبعاً لغيره وكثير من المتكلمين كأبي الحسين البصري⁽⁴⁾ والغزالي في قوله: (استصحاب الإجماع في محل الخلاف وهو غير صحيح)⁽⁵⁾.

المذهب الثالث:

وهو ما اختاره القاضي أبوبكر في كتابه التقريب والإرشاد:

(أنه حجة على المجتهد فيما بينه وبين الله تعالى، فإن لم يكلف إلا أقصى الطلب الداخل في مقدوره على العادة، فإذا فعل ذلك ولم يجد دليلاً، أخذ بنفي الوجوب، ولا يسمع منه إذا انتصب مسؤولاً في مجالس المناظرة، فإن المجتهدين إذا تناظرا وتذاكرا طرف الاجتهاد، فما يفيد المجيب قوله: لم أجد دليلاً على الوجوب، وهل هو في ذلك إلا مدّع، فلا يسقط عنه عهدة الطلبة بالدلالة، وهذا التفصيل عندنا حق متقبل)⁽⁶⁾.

(1) أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرّازي، المعروف بابن الخطيب، مفسر متكلم إمام في الأصول والتفسير، من مصنفاته: (المحصول في الأصول، مفاتيح الغيب في التفسير) توفي سنة 606 هـ وفيات الأعيان لأبن خلكان 4/249، 248.

(2) عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، المعروف بالبيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين، من مصنفاته: (منهاج الوصول إلى علم الأصول، لبّ اللباب في علم الإعراب)، توفي سنة 685 هـ الأعلام للزركلي 4/110.

(3) الإيهاج في شرح المنهاج للسبكي 3/170، 171، البرهان للجويني 2/735 المحصول للرازي 2/475، المختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب على حاشية الجرجاني ص: 284.

(4) الإيهاج للسبكي 3/171 ومن هؤلاء من جوّز به الترجيح لا غير، الإحكام للامدى 4/133، 132.

(5) المستصفى للغزالي 1/589.

(6) الإيهاج في شرح المنهاج للسبكي 3/171.



المذهب الرابع:

وهو قول جمهور الحنفية، والمالكية: أنه: ((حجة للدفع⁽¹⁾ لا للإثبات))⁽²⁾ أي: لإثبات أمر لم يكن⁽³⁾.

ولهذا قالوا في مسألة المفقود⁽⁴⁾ لا يرث ولا يورث منه، أما أنه لا يورث منه؛ لإبقاء ما لي ما كان، والأصل الحياة، وأما أنه لا يرث فباعتبار: أنه لم يكن مالاً لماله مورثه قبل هذه الحالة، والأصل دوامه، إذ في الحياة شك⁽⁵⁾.

وإلى هذا أشار المصنف⁽⁶⁾ بقوله: وقيل في الدفع دون الرفع، وهو حسن، وينبغي أن يخرج عندنا وجهاً مثله، فإنه لو بلغ مصلحاً لماله صالحاً لدينه ارتفع عنه الحجر، فلو عاد المفسق في الدين دون المال، فقال ابن سريج: يحجر عليه، كما يستدام به الحجر، وقال الجمهور: لا يحجر، ويخالف الاستدامة؛ لأن الحجر كان ثابتاً، والأصل بقاؤه⁽⁷⁾.

وها هنا يثبت الإطلاق، والأصل بقاؤه، فلا يلزم من الاكتفاء بالفسق للاستصحاب، الاكتفاء به لتترك الاستصحاب⁽⁸⁾، ومن هذا القبيل إذا ظهر لبن لبنت لم تبلغ سن

(1) الإجهاد في شرح المنهاج للسبكي 171/3.

(2) مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول في أصول الفقه 367/2.

(3) الاستصحاب عند الحنفية: هو حجة للدفع لا للإثبات؛ لأن الدليل الموجب لا يدل على البقاء، وورد عليهم بقاء الشريعة، وأجابوا: بأنه لا نسخ لشريعتنا بعد وفاة الرسول ص ينظر: شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح 101/2 وحكاية الشارح في البحر لمحيط 18/6 عن صاحب الميزان من الحنفية ينظر: ميزان الأصول للسمرقندي 932/2، 934، فوائدها الرحموت بشرح مسلم الثبوت لعبد العلي الهندي، 359/2، إرشاد الفحول للشوكاني 237.

(4) هو الغائب الذي لم يدر موضعه، ولم يدر أحي هو، أو ميت ينظر: كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ص: 1617، التعريفات للجرجاني ص: 222.

(5) قال في البدائع ((لأن الثابت باستصحاب الحال يصلح لإبقاء ما كان على ما كان، ولا يصلح إثبات ما لم يكن، وملكه في أحكام أمواله ونسائه أمر قد كان، واستصحبنا حال الحياة لإبقائه، وأما ملكه في مال غيره فأمر لم يكن، فتقع الحاجة إلى الإثبات، واستصحبنا الحال لا يصلح حجة لإثبات ما لم يكن)) ينظر: البدائع للکاساني 196/6.

(6) عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، المعروف بالبيضاوي أبو سعيد ناصر الدين تقدم تخريجه ص: 9 من هذا البحث.

(7) المذهب للشيرازي 437/1.

(8) ينظر: تشنيف المسامع للزركشي 420/3، 421، الإجهاد في شرح المنهاج للسبكي 171/3.

الرشد كبنيت تسع سنين فارتضع منه طفل صغير حرم ولا يمكن الحكم بلوغها؛ وسبب ذلك أن احتمال البلوغ قائم والرضاع كالنسب الاحتمال فيه كافياً⁽¹⁾.

الخامس: يصلح لترجيح فقط

أدلتهم:

- استدل القائلون بحجية الاستصحاب وهم الشافعية ومن تبعهم بدليلين:

الدليل الأول:

كون ما علم حصوله فيما مضى في الزمان الأول، ولم يظهر ما يدل على زواله، عمل به في الزمان الثاني ظناً لبقائه فيه⁽²⁾ ويترتب على عدم القول به ثلاثة أمور باطلة:

1. عدم ثبوت الأحكام الشرعية في عصره - صلى الله عليه وسلم- لجواز النسخ.

فالاستصحاب في جميع أحواله مفيد للظن، فإذا لم يكن كذلك، يكون بقاء الأحكام الشرعية مساوياً لجواز نسخها، وبالتالي ينتفي الجزم بثبوتها، وإلاً لزم الترجيح بلا مرجح.. -وهو باطل- وبذلك يلزم أن يكون دليل ثبوت الأحكام الشرعية في زماننا: هو اعتقاد استمرارها على ما كانت عليه في الماضي، وهذا الاستصحاب بعينه⁽³⁾.

2. لو لم يكن الاستصحاب حجة لما تقررت المعجزة؛ لأنها فعل خارق للعوائد يظهره الله على يد من يشاء من عباده مقرون بالتحدي، ولا يمكن حصول هذا الفعل إلا عند تقرير العادة، ولا معنى للعادة إلا العلم بوقوعه على وجه مخصوص في الحال يقتضي اعتقاد أنه لو وقع لما وقع إلا على ذلك الوجه وهذا هو الاستصحاب بعينه⁽⁴⁾.

3. لو لم يكن الاستصحاب حجة لتساوى الشك في الطلاق، والشك في النكاح؛ لاشتراكهما في عدم حصول الظن بما مضى، ويترتب على ذلك إباحة الوطء فيهما، أو حرمة فيهما، وهو باطل اتفاقاً، بل يباح الوطء للشاك في الطلاق دون الشاك في النكاح⁽⁵⁾.

(1) ينظر: روضة الطالبين 3/9 المذهب للشيرازي 201/2.

(2) ينظر: الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي 171/3.

(3) ينظر: المصدر نفسه 172/3 الإحكام في أصول الأحكام للآمدي 133/4، الوسيط في أصول الفقه للدكتور: وهبة الزحيلي ص: 559.

(4) الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي 171/3 بتصرف.

(5) ينظر: المصدر نفسه، 172/3 الوسيط في أصول الفقه، للدكتور: وهبة الزحيلي ص: 560، المدخل الفقه العام لمصطفى أحمد الزرقاء 240/1.



الدليل الثاني:

كون الباقي راجح على عدمه، وإذا كان كذلك، وجب العمل به اتفاقاً، ورجحان البقاء على العمل، وسببه: أن العدم يحتاج إلى سبب جديد يحدثه، ومالاً يفتقر إلى سبب يحدثه أرجح من المفتقر إليه، فيكون البقاء أرجح من العدم، والمتوقف على مقدمات أقل يكون أرجح من غيره⁽¹⁾ وقد اعتبر الأستاذ: محمد تقي الحكيم الاستصحاب ظاهرة اجتماعية، يصدر عنها الناس في مجتمعاتهم صدوراً تلقائياً في الظواهر الاجتماعية فقال: والذي يبدو لي أن الاستصحاب من الظواهر الاجتماعية ضمانه العامة التي ولدت مع المجتمعات ودرجت معها وستبقى ما دامت المجتمعات؛ لحفظ نظامها واستقامتها، ولو قدر للمجتمعات أن ترفع يدها عن الاستصحاب لما استقام نظامها، فالشخص الذي يسافر ويترك بلده وأهله وكل ما يتصل به، لو ترك للشكوك سبيلها إليه... ولم يدفعها بالاستصحاب لما أمكن له أن يسافر عن بلده، بل يترك عتبات بيته أصلاً، ولشلت حركتهم الاجتماعية وفسد نظام حياتهم فيها⁽²⁾.

وقد استدل القائلون بالجواز بقوله تعالى: (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكثا)⁽³⁾.

وجه الدلالة :

فقد دلت الآية على أن الإثبات مقدم على النفي، وأن الذي يثبت لا يجوز نقضه. يقول الشيرازي: ((متى أبطلنا ما دل عليه الإجماع، فقد نقضنا ما ثبت بالإجماع)).
وقول الشيرازي يدل دلالة واضحة على أن الإجماع حجّة، وما ثبت به لا يمكن نقضه بأي حال من الأحوال: كالإجماع على ميراث الجدة، والإجماع على أن عقوبة قتل العمد القصاص.

((والإجماع يقين، والخلاف شك، واليقين لا يزال بالشك)) كأن كان أحدنا متيقن من طهارته وشك في حصول الحدث، لكان الحكم لليقين ولا يزيله الشك، دلّ على ذلك

(1) ينظر: الإجماع في شرح المنهاج للسبكي 172/3، الوسيط في أصول الفقه الزحيلي ص: 560.

(2) الأصول العامة للفقه المقارن ص: 660.

(3) النحل الآية 92.

قوله - صلى الله عليه وسلم:- ((إن الشيطان يأتي أحدكم فينفخ بين إصبعيه فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً))⁽¹⁾

وجه دلالة الحديث:

كون الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمر أتباعه بالبقاء على الطهارة ومنعهم من الانتقال عنها بمجرد حصول الشك، ومسألتنا من هذا القبيل . واحتج الشيرازي أيضاً:

فقال: (ما أجمعوا عليه من الحكم لا يجوز عليه الخطأ، فلا يجوز تركه إلى ما يجوز عليه الخطأ، ألا ترى أن قول المجمعين لمَّا لم يجرِ عليه الخطأ، لم يجرِ تركه للقياس).

- واحتج أيضاً فقال: ((قول المجمعين حجة فوجب استصحابه في موضع الخلاف، كألفاظ صاحب الشرع)).

- واحتج فقال: ((الإجماع لا ينعقد إلا عن نطق وإن لم يظهر لنا؛ والاستدلال بالنطق في موضع الخلاف جائز، كجوازه في موضع الإجماع، فوجب أن يجوز الاستدلال بالإجماع في موضع الخلاف)) قيّد الشيرازي حصول الإجماع بالنطق وجوّز الاستدلال به في موضع الخلاف، تماماً كجوازه في موضع الإجماع، فوجب جواز الاستدلال بالإجماع في موضع الخلاف .

- واحتج أيضاً فقال: ((ما ثبت بالعقل من براءة الذمة يجب استصحابه في موضع الخلاف، وكذلك ما ثبت بالإجماع)).⁽²⁾

الرد على أدلة المجوّزين:

وهذا يعتبر جواباً علام ما استدلو به :

1. كون الآية في - محل الاستدلال - تقتضي المنع من نقض كل ما هو ثابت؛ وما حصل فيه الإجماع غير ثابت في موضع الخلاف، فما نقضنا شيئاً.

2. لا نسلم أن اليقين لا يزال بالشك، ومسألتنا لا يوجد فيها يقين؛ لأن اليقين حصل بالإجماع وقد زال قطعاً، بخلاف الواقع فلا معنى للبقاء على حكم اليقين مع تحقق

(1) أخرجه البخاري (كتاب الوضوء)، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين القبل والدبر، حديث رقم (177)، 379/1، ومسلم في (كتاب الحيض) باب الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته، حديث رقم (361)، 193/4.

(2) شرح التبصرة للشيرازي ص: 526.



- زواله، بخلاف ما قالوه من الحدث، فإنه مشكوك فيه، والطهارة يقين فلا تزال بالشك، ووزانه أن نتيقين زوال الطهارة بالحدث، فلا يستصحب حكم الطهارة⁽¹⁾
3. ضرورة القول: أن الإجماع غير موجود في مسألة الخلاف فلا يصح هذا القول.
4. وجواب آخر: وهو أن الإجماع لا يترك بالقياس؛ لوجود الإجماع، والقياس دونه (في الرتبة) فلا يجوز ترك أعلى الدليلين بأدناهما، وليس كذلك في مسألتنا؛ لأن الإجماع قد زال بوقوع الخلاف، فلا يجب البقاء على حكمه من غير دليل.
5. والجواب: أن قول المجمعين حجة ما دام قائماً، وبخلاف زال قول المجمعين، وبهذا فارق ما قسم عليه؛ لأن قول صاحب الشرع هنا قائم متناول لموضع الخلاف - وليس - من مسألتنا أن يرد اللفظ في موضع، فإنه لا يجوز استصحابه في موضع لا يتناوله ورود لفظ دال على معنى حكم، ثم ورد ما ينسخه؛ فإننا لا نستصحب حكم ذلك اللفظ بعد وجود النسخ، كذلك في مسألتنا بالاختلاف زال الإجماع، فلا معنى لاستصحاب حكم بعد زواله.
6. قد يصدر الإجماع عن لفظ فيجب البقاء على حكمه في حال الخلاف، وقد يصدر عن معنى، فلا يجب البقاء على حكمه، وليس لهم أن يحملوا ذلك على أحد الأمرين، إلا ولنا أن نحمله على الأمر الآخر.
7. إنما وجب استصحاب براءة الذمة؛ لأن دليل العقل في براءة الذمم قائم في موضع الخلاف، فوجب استصحاب حكمه، وليس كذلك ها هنا؛ لأن الإجماع الذي أوجب الحكم قد زال في موضع الخلاف، فوجب طلب الدليل على إثبات حكمه⁽²⁾

أدلة المانعين

أدلة المانعين:

استدل المانعون بعدة أدلة منها:

1. كون موضع الخلاف غير موضع الإجماع، فلا يجوز الاحتجاج بالإجماع من غير علّة، كما لو وقع الخلاف في مسألة لا يجوز الاحتجاج فيها بالإجماع في مسألة أخرى⁽³⁾.

(1) ينظر: التبصرة في أصول الفقه للشيرازي ص: 526، والبحر المحيط للزركشي، 331/4، واللمع للشيرازي 190/2.

(2) ينظر: التبصرة للشيرازي ص: 526، 527.

(3) ينظر: المصدر نفسه.

2. ولأن الإجماع غير موجود في موضع الخلاف، وما كان حجة لا يصح الاحتجاج به في الموضوع الذي لا يوجد فيه نحو: ألفاظ صاحب الشرع إذا تناولت موضعاً خاصاً لم يجز الاحتجاج بها في المواضع التي لا تتناولها، فكذلك ما هنا.
3. ولأن المستصحب للحال ليس معه في موضع الخلاف دليل من جهة العقل، ولا من جهة الشرع، ولا يجوز له إثبات الحكم، كما لو لم يتقدم موضع الخلاف إجماعاً⁽¹⁾.
4. ولأن الاحتجاج بالاستصحاب الحال في موضع الخلاف يؤدي إلى التكافؤ⁽²⁾؛ لأنه ما من أحد يستصحب حال الإجماع في موضع الخلاف إلا ولخصمه أن يستصحب حال الإجماع في مقابله وبيانه: ((أن من قال في مسألة التيمم إذا رأى الماء في أثناء صلاته لا تبطل؛ لأن أجمعنا على صحة صلاته، فلا يبطل الإجماع إلا بدليل، وقيل له: أجمعنا على اشتغال ذمته بفرض الصلاة ولا يسقط إلا بدليل))⁽³⁾ فكل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع: أن القول بالاستصحاب لا غنى عنه بالنسبة للمشرع في جميع مناحي الحياة المختلفة منها: حدوث النوازل التي تنزل بالأمّة، فإنها غير متناهية، والنصوص متناهية، وبالتالي فلو قلنا بعدم حجية الاستصحاب وعدم الأخذ به، لترتب على هذا القول تعطيل الكثير من المصالح المعتبرة التي تنزل عليها الأحكام كما أوضحنا ذلك فيما تقدم ذكره في هذا البحث.

الخاتمة:

وبعد الاستقراء لحيثيات الموضوع اسقراءً تاماً أصل إلى النتائج الآتية:

1. أجمع الفقهاء على الحكم للحال بمثل ما حكم على الماضي وحاصله: إبقاء ما كان على ما كان شرط عدم وجود دليل مزيل، نحو: الأصل في الإنسان الحرية.
2. أجمع الفقهاء أيضاً على عدم جواز الحكم بالاستصحاب في وجود الدليل مطلقاً من: كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس.
3. ضرورة استصحاب العدم الأصلي، وهو الذي عرف العقل نفيه بالبقاء على العدم الأصلي، كنفي وجوب صلاة سادسة، فالعقل يدل على انتفاء ذلك، لا لتصريح

(1) ينظر المصدر نفسه.

(2) التكافؤ والتعارض: التكافؤ: هو الاستواء، مختار الصحاح للرازي ص: 61، والتعارض معناه: التقابل على وجه يمنع كل واحد منهما مقتضى الآخر، ينظر: أصول الفقه، محمد أبو النور زهير 93/3.

(3) التبصرة للشيرازي، ص: 527، الإيهام في شرح المنهاج للسبكي، 169/3، 170، البحر المحيط للزركشي

22/6، 23، تشنيف المسامع للزركشي 426/3، والملح للشيرازي 989/2.



الشَّارِع، بل لأنه لا مثبت للوجوب، فبقى على الوجوب الأصلي، لعدم ورود السمع به، وهو ما يعرف بالبراءة الأصلية.

4. استصحاب مقتضى العموم، أو النَّص إلى أن يرد المخصَّص أو الناسخ.
5. يمكن القول بأن جميع أنواع الاستصحاب محل اتفاق بين الفقهاء، عدا النوع الرابع فهو محل خلاف بين الفقهاء: كالشيرازي والغزالي وأبي بكر الباقلاني، فهؤلاء ذهبوا إلى أنه ليس بدليل، خلافاً لأبي ثور، والمزني، والصَّيرفي، وداود، جميعهم أثبتوا استصحاب حكم الإجماع.
6. يمكن القول بأن الاستصحاب حجة لدى جميع الفقهاء، عدا الحنفية، وخالف في ذلك متأخروهم ووجهة نظرهم ضرورة الإثبات بحكم ثابت حصل في الماضي ليصح القياس عليه في الحاضر.
7. ضرورة القول بأن نافي الاستصحاب يطالب بالدليل لإثبات نفيه.
8. ضرورة القول بأن الاستصحاب المقلوب لم يقل به أحد إلا في مسألة واحدة تكمن: في ما لو اشترى أحد شيئاً وأدَّعاه مدَّع وأخذه منه بحجة مطلقة، فقالوا: ثبت له به الرجوع على البائع إلخ ما قيل في المسألة.

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية الإمام حفص عن عاصم رضي الله عنهما
1. الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1416هـ.
2. الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، تحقيق الدكتور سيدي الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة 1418هـ، 1998م.
3. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام الشوكاني ت 1255هـ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
4. الأشباه والنظائر في قواعد فروع فقه الشافعية؛ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد حسن، طبعة أولى 1419هـ، 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
5. اصطلاحات الفنون والعلوم للباحث العلامة محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة مكتبة لبنان، ناشرون.
6. أصول الفقه محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
7. الأصول العامة للفقه المقارن لمحمد تقي الحكيم طبعة بيروت.
8. أعلام الموقعين لابن قَيِّم الجوزية المتوفى سنة 751هـ، راجعه وعَلَّق عليه طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.

9. آيات الأحكام لفضيلة الشيخ: محمد علي السَّائِس، حَقَّقَه وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ الدُّكْتُور: عبد الحميد هنداوي الطبعة الأولى 2001م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
10. الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، دار الكتب، طبعة أولى، تحقيق أحمد محمد قاسم.
11. الاقتراح في علم النحو للسيوطي، الطبعة الأولى 1976م، مطبعة السعادة، القاهرة.
12. البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، قام بتحريره الدكتور: عبد السَّاتَّر أبو غدة، وراجعه الشيخ: عبد القادر، عبدالله العاني، الطبعة الثانية 1413هـ 1992م.
13. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، طبعة 2 سنة 1402هـ، 1982م.
14. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة 1406هـ، 1986م.
15. البرهان للجوويني 419، 478هـ، حَقَّقَه وَقَدَّمَهُ وَوَضَعَ فِهْرَسَهُ، الدكتور: عبد العظيم محمود الدبب، دار الوفاء، الطبعة الثالثة 1420هـ، 1999م.
16. التبصرة في أصول الفقه للشيخ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، ت 476هـ شرحه وحَقَّقَه الدكتور: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى 1980م.
17. تشنيف المسامع بجمع الجوامع، لتاج الدين السبكي المتوفى سنة 771هـ، لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي المتوفى سنة 794هـ، دراسة وتحقيق الدكتور: عبدالله ربيع، الدكتور سَيِّد عبد العزيز 1419هـ، مؤسسة قرطبة.
18. حاشية العلامة سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة 791هـ وحاشية المحقق السيِّد الشريف الجرجاني المتوفى سنة 756هـ، لمختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب المالكي المتوفى 646 مع حاشية المحقق الشيخ حسن الهروي على حاشية السيِّد الجرجاني.
19. الحاصل من المحصول: لتاج الدين أبي عبدالله محمد بن الحسين الأرموي الإمام الأصولي والفقيه الشافعي المتوفى سنة 653، تحقيق الدكتور: عبدالسلام أبو ناجي - رحمه الله - منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 1994م.
20. حَجَّية القياس في أصول الفقه الإسلام، الدكتور: عمر مولود عبد الحميد، منشورات جامعة قاريونس، 1409هـ، 1988م.
21. رسالة الاستصحاب للشيخ الخفيف.
22. شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه: الشرح للإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي المتوفى سنة 792هـ، والتنقيح مع شرحه المسمَّى بالتوضيح للإمام القاضي صدر الشريعة: عبدالله بن مسعود المحجوبي البخاري الحنفي المتوفى سنة 747هـ، طبعه وَخَرَّجَ آيَاتَهُ وَأَحَادِيثَهُ: خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية.
23. كشاف القناع على متن الإقناع، منصور بن يونس الهوتي الحنبلي ت 1051هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1، 1418هـ، 1997م.



24. كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام للإمام علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري المتوفى سنة 730هـ، الطبعة الثانية 1416هـ، 1995م.
25. كشف الظنون عن أسامي الكتيب والفنون؛ للعلامة المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطي الرومي الحنفي، الشهير بالملاً كاتب الجلي والمعروف بحاجي خليفة 1017، 1067هـ، دار الفكر.
26. المجموع شرح المهذب للشيرازي، لمحي الدين بن شرف النووي، طبعة مكتبة الإرشاد، جدة، تحقيق وتعليق، محمد نجيب المطيعي.
27. مختار الصحاح للرازي، عني بترتيبه محمود خاطر، مادة (صحب) باب (سلم) الهيئة المصرية للكتاب، طبعة 1988م، منشورات دار الهلال، بيروت، لبنان.
28. المدخل الفقهي العام لمصطفى أحمد الزرقاء، دار الفكر، الطبعة التاسعة 1967، 1968م.
29. مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول في أصول الفقه للعلامة منلا خسرو، طبعة 2002م، المكتبة الأزهرية للتراث.
30. المغني في أصول الفقه، للإمام جلال الدين أبي محمد عمر بن محمد بن عمر الخبازي 629، 691، تحقيق الدكتور: محمد مظهر، الأستاذ المشارك بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.
31. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها؛ للشيخ: علال الفاسي، مكتبة الوحدة العربية، بالدار البيضاء.
32. المنثور في القواعد، فقه شافعي، لأبي عبدالله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي الزركشي، ت 894هـ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م.
33. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1373هـ، 1955م.
34. لسان اللسان، تهذيب لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة 711هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1413هـ، 1993.
35. نشر البنود على مراقي السعود، لعبدالله بن إبراهيم الشنقيطي بإشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين الحكومة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
36. نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة 685هـ، تأليف جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين الأسنوي المتوفى 772هـ، تحقيق الدكتور: شعبان محمد إسماعيل، دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1420هـ، 1999م.
37. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس بن خلكان 608، 681هـ، الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
38. الوسيط في أصول الفقه للدكتور: وهبة الزحيلي، الطبعة الثانية مزيّدة ومنقحة 1388هـ، 1969م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

Chapter 7: The Role of Leadership in the Professional Development of Subordinates

Luciana Mourão Mourao

الفصل 7: دور القيادة في التنمية المهنية للمرؤوسين

للمؤلف: لوسيانا موراو

د. رمضان امحمد اجويلى كنان د عبد السلام محمد عبد السلام العود
كلية الاقتصاد والتجارة الخمس - جامعة المرقب كلية الاقتصاد والتجارة الخمس - جامعة المرقب

الملخص:

إن التطوير المهني مناسب للعمال أنفسهم و للمنظمات وكذلك للبلدان بمنظور أكثر دقة. وبهذا المعنى ، يهدف هذا الفصل إلى مناقشة تأثير القيادة في التطوير المهني للمرؤوسين ، مشيراً إلى أهمية أداء القيادة. لتحقيق هذا الهدف ، نتائج البحث قودمت حول العلاقة بين القيادة والتطوير المهني للمرؤوسين. تظهر الأبحاث في هذا المجال أن التطوير المهني يرتبط ارتباطاً مباشراً بالأنشطة اليومية للعمال ويجب أن يكون جزءاً من عملية أوسع للتعليم المستمر ، والتي تنتج عن إجراءات التعلم الرسمية وغير الرسمية. يعتبر النقاش المقترح لهذا الفصل أن التطوير المهني مرتبط بشكل مباشر بمزيج من العمليات الإدراكية والعاطفية والسلوكية التي تتضمن التعليم بدلا من النتائج المحددة لبعض إجراءات التعلم الرسمية أو غير الرسمية. وهكذا ، نناقش كيف يمكن للعلاقات القائمة مع القيادة في بيئة العمل أن تؤثر على التطور المهني للمرؤوسين إلى جانب نوع التعلم المقدم للعمال. هذه المناقشة يمكن ان تحول تركيز البحث - الذي يركز حالياً على أنماط التعلم - إلى التركيز على ممارسات القيادة لتطوير المهارات وما يترتب على ذلك من تقدم مهني للمرؤوسين.

الكلمات الرئيسية: التقدم الوظيفي ، القيادة ، التعلم في العمل ، التطوير المهني ، الدعم ، المرؤوسون

1- مقدمة:

في نهاية القرن العشرين ، قُدر أن المنظمات في الولايات المتحدة تنفق حوالي 55 إلى 200 مليار دولار سنوياً على تدريب القوى العاملة [1]. أدى هذا الاستثمار المرتفع في الاعمال إلى التطوير المهني وايضا دفع الطلب على البحث العلمي لفهم افضل لعمليات التعليم في العمل في القرن الحادي والعشرين [2].



أظهرت دراسة أجريت في الولايات المتحدة مع بعض أكبر الشركات الأمريكية التي يبلغ عددها 264 أن معظم المديرين التنفيذيين (62٪) يعتقدون أن بناء قوة عاملة ماهرة والحفاظ عليها هي أهم تحدٍ لهذا العقد [3]. على الرغم من أن هذا البحث ثم أجرته في بداية هذا القرن ، إلا أن هذا التحدي لتطوير والاحتفاظ بالقوى العاملة المؤهلة بشكل صحيح لا يزال موجودًا ليس فقط للمنظمات الأمريكية ولكن أيضًا كتحدٍ عالمي. في أوروبا ، البلدان ذات أعلى استثمار لكل موظف هي الدنمارك والسويد وهولندا وفرنسا وفنلندا وإيرلندا [4].

في البرازيل ، دراسة استقصائية شملت 1150 منظمة (القطاع العام والخاص والقطاع الثالث) حددت أن 42٪ من المنظمات تستثمر في أنشطة التدريب داخل أو خارج مكان العمل [5]. المؤسسات الكبيرة التي تضم أكثر من 100 موظف وأكثر من 20 عامًا في السوق و تقع في أكثر المناطق تطورًا في البلاد تتوافق مع الملف الشخصي الذي يعرض أكثر فرص التأهيل لعمالها. هذه النتائج تسمح بالربط بين نمو المؤسسة ومستوى الاستثمار في التطوير المهني للموظفين.

ومن نفس المنطلق ، تحدد دراسة [4] نمطًا في البلدان الأوروبية حيث توجد نسبة من الأشخاص المدربين في المنظمات التي تضم أكثر من 250 موظفًا أكبر من المنظمات التي يتراوح عدد موظفيها بين 10 و 50 موظفًا. وفي بولندا ، أكدت الأبحاث أن الشركات الصغيرة تمانع بشكل خاص في تدريب عمالها [3]. في المسح الذي أجرته الدراسة [6] ، مع 1992 شركة صغيرة ومتوسطة الحجم ، وجد الباحثون أن السدس فقط من المنظمات التي شملتها الدراسة أجرت تخطيط لعمليات التدريب. بالإضافة إلى ذلك ، فإن نسبة صغيرة من هذه المنظمات لديها ميزانية محددة لإجراءات التدريب. وبالتالي ، تشير هذه النتائج إلى أن الاستثمار في قيادة أكثر بصيرة والاستثمار في قيادة تركز على النمو التنظيمي يمكن أن يكون مفيدًا في تحويل القيمة المنسوبة إلى التطوير المهني للقوى العاملة في هذه الشركات.

في هذا الفصل ، ناقش تأثير القيادة في التطوير المهني للمرؤوسين ، مع الإشارة إلى أهمية أداء القيادة. تحديد أولويات متغيرات السياق (دور القيادة) تلاقي دعمًا في الدراسات السابقة التي تشير إلى مثل هذه الحاجة ، مما يشير إلى أهمية توسيع البحث للمتغيرات البيئية [7 ، 8]. علاقة المتغيرات بالسياق تظهر أيضًا بوضوح في الدراسات الخاصة بتصميم العمل ، والتي تم الاعتراف بها كوسيط للمتغيرات مثل القيادة والإنتاج وتقليل الوقت ووضع المهام وعقود العمل [9].

بالإضافة إلى ذلك ، هناك اهتمام متزايد من أن سياسات إدارة الأفراد تتماشى مع استراتيجية المنظمة وتقدر موظفيها. يحتاج القادة أيضًا إلى الاستثمار في تطوير الكفاءات الجماعية ، التي

ترتكز في السياق. لذلك ، أداء القائد يمكن أن يكون ذو علاقة كبيرة للتطوير المهني للمرؤوسين ، بما انه يمكن للقيادة وضع استراتيجيات للتأهيل ، بالإضافة إلى خلق بيئة تساعد علي للتعليم. لكن هذا طريق ذو اتجاهين ، بما ان تحليل قوائم خصائص التطوير المهني الفعال هو استراتيجية مهمة لتعزيز القيادة البصيرة [10] أو القيادة التحويلية أيضاً.

وبالتالي ، يناقش هذا الفصل دور القيادة في التطوير المهني للمرؤوسين ، مشيرالطرق مختلفة للقيادة للمساهمة في تأهيل فرق العمل. ولهذه الغاية ، تم تنظيم الفصل في أربعة أقسام. يعرض القسم الأول المفاهيم والعمليات الرئيسية المتعلقة بالتطوير المهني. يتحول القسم الثاني إلى القيادة ، مع عرض موجز للمفاهيم والنظريات في هذا المجال. يسرد القسم التالي هذين المتغيرين - القيادة والتطوير المهني - يناقشان كيف يمكن للقيادة المساهمة في نمو المرؤوسين. وأخيراً ، يتم تقديم الاستنتاجات مع ملخص لمحتواها واقتراح البحث المستقبلي حول هذا الموضوع.

2- التطوير المهني

يرتبط التطوير المهني ارتباطاً مباشراً بالأنشطة اليومية للعمال ويجب أن يكون جزءاً من عملية أوسع للتعليم المستمر [10]. يتوافق التطوير المهني مع نمو ونضوج المعرفة والمهارات والاتجاهات والمواقف المكتسبة طوال حياة العمال ، نتيجة التصرفات والإجراءات الرسمية وغير الرسمية للتعليم في العمل [8 ، 11].

تشير الدراسات السابقة إلى العلاقة بين التدريب الرسمي والتعلم في العمل والتعلم اليومي [12 ، 13]. لذلك ، ترتبط الأشكال المختلفة للتعليم الرسمي وغير الرسمي في العمل بتنمية رأس المال البشري [2] ، ويُنظر إليها على أنها مكملة لبعضها البعض. تتضمن عملية التطوير المهني أيضاً الخبرات والتجارب الشخصية التي تميز التعلم طوال الحياة المهنية [14].

وبالتالي ، يمكننا أن نعتبر أن التطور المهني مدعوم بنظرية التعلم التجريبي لكولب Kolb [15] ، التي تتميز بمنظور شمولي يجمع بين الخبرة والتصور والإدراك والسلوك. وفقاً لهذه النظرية ، فإن التعلم هو العملية التي من خلالها انشأت المعرفة من خلال تحويل التجربة إلى نموذج دوري للتعلم ، بناءً على أربع مراحل متتالية: الخبرة الملموسة والملاحظة الانعكاسية والمفاهيم المجردة والاختبار العلمي الفعال.

وفقاً لـ [15] ، تعتبر المراحل الأربع من دورة التعلم أن التجربة يتم بناؤها من خلال عمليات النية والإرشاد والادراك والفهم. في منطق هذا النموذج ، تدفع التجارب الملموسة إلى الفعل الانعكاسي المتعمد ، وتتحول إلى تصور تجريدي التي تسمح بتجربة الاختبار العلمي الفعال. وبالتالي ، فإن



عملية التطوير المهني تشمل الخبرة والملاحظة والتفكير والتحول. وبالتالي يتكون التطوير المهني من سلسلة من الأحداث والأنشطة المتعلقة بمهنة معينة ، وإنشاء أو تطوير مجموعات من المهارات والمعرفة والتصرفات و المواقف في مجالات الأداء للناس [16]. وهذا المعنى ، ينصب تركيز مفهوم التطوير المهني على مزيج من العمليات المعرفية والعاطفية والسلوكية ، التي تنطوي على استراتيجيات التعلم الرسمية وغير الرسمية طوال الحياة المهنية.

لذلك ، على الرغم من استخدام الدراسات السابقة لمفهوم الأنجلوسكسون للتطور المهني بشكل رئيسي لتحديد أنشطة التعلم المستحث induced learning [17] ، فإن المفهوم الأوسع يفهم أنه نتيجة طبيعية لأنواع مختلفة من التعلم في العمل. في هذه النظرة الأوسع لعملية التطوير المهني ، انها تنبع من إجراءات التعلم الرسمية أو غير الرسمية [18] ، التي ترتبط مباشرة بالتقدم الوظيفي [11]. وهكذا ، يشمل مفهوم التطوير المهني مجموعة متنوعة من الممارسات ، مثل: الأنشطة في المجتمعات العلمية [19] ؛ عمليات التدريب ، بما في ذلك العمل كمشرف أو مدرب أو قائد (توجيه ومراقبة تصرفات الطلاب أو المرؤوسين أو المهنيين الجدد) [20] ؛ التدريب واستراتيجيات التعلم غير الرسمي المنظم لتنمية المهارات [16 ، 21 ، 22] ؛ في التدريب أثناء الخدمة [5 ، 23] ؛ المشاركة في تجمعات التدريب [24 ، 25] ؛ المشاركة في عمليات التطوير المهني المستمر [5 ، 26] ؛ تعاون الأقران بوساطة الموارد التقنية [27 ، 28] ؛ البرامج الإرشادية [29] ؛ وبرامج الخاصة تطوير القيادة [10 ، 30].

ولكن اذا كان منطقيا من ناحية أن نقول أن التطوير المهني ينجم عن التصرفات الرسمية وغير الرسمية للتعلم في جهة العمل، فانه من ناحية أخرى ، فان النظرة المعاكسة لهذين المصطلحين ثم استهجانها، لأنه استقطاب مصطنع. في هذا الفصل ، لا نسعى إلى فصل مثل هذه المفاهيم أو إعطاء أهمية أكبر لأحدهما. نعتبر أن التعلم الرسمي وغير الرسمي يمكن أن يسهم في التطوير المهني ، على الرغم من التعلم الرسمي ، بشكل عام ، يتلقى تركيز أكثر في الدراسات السابقة [8 ، 31].

انه من المهم أن نأخذ في الاعتبار أن التعلم في العمل ينبع من تصرفات ومواقف مختلفة ، والعديد منها يتضمن على عمليات انعكاسية للعامل. دراسة [32] ، مع مجموعة واسعة من المهن والسياقات التنظيمية ، أظهرت أن استراتيجيات التعلم تساهم في التطوير المهني. النتائج لمثل هذه البحوث تظهر أن الاستراتيجيات الانعكاسية الجوهرية والغير الجوهرية للتعلم ، تتطلب المساعدة من الآخرين ، والتعلم عن طريق التجربة والخطأ هي مؤشرات على تصور التطوير المهني.

بالإضافة إلى ذلك ، استراتيجيات التعلم من خلال التجربة والخطأ تتطور بالخبرة العملية. وخلصت الدراسة أيضاً إلى أن ساعات التدريب تتطلب المساعدة من الآخرين وكذلك المستوى التعليمي هي مؤشرات علي تصور التطوير المهني.

لذلك تؤكد الدراسات السابقة ، أن التعليم في العمل يتأثر بالتصرفات و بالإجراءات المنهجية للتدريب والتطوير و بالتفاعل الاجتماعي والتعلم التجريبي. لهذا السبب ، يرتبط نموذج التعليم في العمل [33] بدراسة التطوير المهني ، حيث يأخذ هذا النموذج في الاعتبار الممارسة المهنية ويعالج الأبعاد المتعلقة بالمحتوى والحافز وسياق التعليم. المنطق المكون لهذا النموذج هو أن التعليم في العمل يفترض طابع تنمية المهارات وينبع من اكتساب المهارات التقنية والتفاعل بين الممارسة وعناصر هوية العمل.

وهكذا ، يسمح لنا الإطار النظري بالإشارة إلى أن التطوير المهني ينطوي على أنواع مختلفة من التعليم [11 ، 18] ويمكن اعتبار التعليم التجريبي أحد أكثر الأسس النظرية صلة به. لذلك ، يمكننا أن نعتبر أن التطوير المهني يعتمد على نظرية التعليم التجريبي [15] وعلي احدث النظريات حول التعليم في بيئة العمل ، والتي تأخذ في الاعتبار في نفس الوقت المتغيرات وسياق الأفراد [33-35].

هذه المجموعة من التعليم المتعلقة بالتطوير المهني تحدث طوال حياة العامل بأكملها مروراً بمراحل مختلفة. وبالتالي الاستراتيجيات التي تساهم في التطوير الوظيفي في بداية الحياة المهنية تختلف عن تلك التي تساهم في التطوير الوظيفي للذين هم في مرحلة الاندماج الوظيفي أو للذين لديهم بالفعل مهنة موحدة. بالرغم من أن عناصر مختلفة - مثل العناصر ذات السياق والعناصر الفردية والعناصر ذات الصلة - يمكن أن تعمل كحواجز أو كمحركات لعملية التطوير المهني للأشخاص ، فإن هذه العناصر لها تصرفات و إجراءات مختلفة طوال المراحل المهنية [15]

لذلك يرتبط التطور المهني باكتساب وتطوير الكفاءات التي تنطوي على العمليات المعرفية والعاطفية والحركية. ونتيجة لذلك ، هناك تغييرات مستمرة من حيث المعرفة (المعرفة) والمهارات (الدراية) والمواقف (معرفة كيف تكون) [36]. يجب أيضاً مراعاة أن عملية التطوير المهني تشمل أصحاب المصلحة المختلفين (العمال والمنظمات والمجتمع) ويمكن أن تكون مدفوعة (دافع) أو تكبح (حواجز) من خلال مجموعة من العناصر السياقية (فرص العمل ونوع المنظمة والدعم المتلقي من الأقران والمديرين ، وخصائص البيئة الاجتماعية الاقتصادية ، وما إلى ذلك) ، والعناصر الفردية (المبادرة ، والديناميكية ، والشجاعة للمخاطرة ، والتصميم ،



والمرونة ، وما إلى ذلك) ، أو العناصر العلائقية (شبكة العلاقات ، وفرق العمل ، وما إلى ذلك) [33]. يلخص الشكل 1 الجوانب المختلفة المتعلقة بعملية التطوير المهني.



بالإضافة إلى أنواع التعلم المختلفة ، قد تكون عملية التطوير المهني متميزة أيضًا بالمهنة. وبهذا المعنى ، من الضروري أن نفهم أنه إلى جانب المراحل الوظيفية والخصائص الفردية بأنه يمكن للمتغيرات الأخرى - مثل التكوين المهني - أن تؤثر على عملية التطوير للأشخاص. لذلك ، مساهمة القادة في التطوير المهني لمؤسستهم يجب أن تأخذ في الاعتبار الخصائص الفردية لكل مؤسس علي حدا. من المحتمل أن التصرفات و الإجراءات التي ستساهم في التطوير المهني للطبيب ليست هي نفسها التي ستساهم في تطوير مهندس أو محامي. تواجه القيادة تحديًا في تحديد العناصر الأكثر صلة بكل من مؤسستهم. يمكن لبعض أنماط القيادة أن تقدم الدعم لهذا النوع من التصرفات او الاجراءات مع التركيز على الأفراد وخصائص كل واحد ، كما نرى في الجزء التالي.

3- القيادة

تم تجديد الاهتمام بموضوع القيادة من خلال مجموعة من الدراسات التعبيرية التي تربط القيادة بالمواضيع الأكثر تنوعًا كما تُظهرهم تحليلات البعدي المتكرر meta-analysis [37-37]

[40]. القيادة تؤثر على أداء المنظمة ، وعلى عمليات التغيير، وعلى التزام الموظفين ورضاهم ورفاهيتهم. نظريات القيادة بدأت بنظرية السمات وجري تطوير نظريات أخرى متتالية ، مثل النظريات السلوكية ، ونظريات الطوارئ أو الطارئة ، والنظريات الإجرائية [41]. بمراجعة للنظريات الرئيسية حول هذه الظاهرة (من النظرية القائمة على التبع إلى النظريات الإجرائية ، التي تهيمن على هذا البحث) يمكن الاطلاع عليها في [1].

أدى هذا التنوع في النظريات إلى العديد من أنماط القيادة وتسمية متنوعة ، على سبيل المثال ، القيادة الكاريزمية / البيروقراطية [42] ، القيادة التبادلية و القيادة التحويلية [43 ، 44] ، القيادة الاستبدادية و القيادة الديمقراطية و القيادة الحكيمة (المتبصرة-الملمهة) و القيادة غير الموجهة [45 ، 46] ، القيادة الداعمة [47] ، القيادة الأخلاقية [48] ، نظرية التبادل بين القائد والاعضاء [49] (LMX). كل من هذه الأنماط له خصائص محددة ، على الرغم من أن بعض الانماط مشتقة من نظريات أخرى.

ويرافق هذا التنوع في النظريات والأساليب أيضاً مجموعة من التعريفات للقيادة. ولكن على الرغم من هذا التعدد المفاهيمي ، فإن عملية التأثير ومشاركة الناس غالباً ما تتكرر في تعريفات القيادة. وبالتالي ، فإننا نعتبر معلمة التعريف [50]: القيادة هي بنية معقدة ومتعددة الأوجه تؤثر على المهام التنظيمية والاستراتيجيات والثقافات ، بالإضافة إلى هوية و التزام فرق العمل.

هذا التعريف لـ [50] يركز على عملية التأثير والتفاعل للقيادة التي ايضاً تظهر في منظور [51] ، [52] من حيث التحول للقائد ، من عمليات التغيير القائمة على التعلم والمعرفة. بهذا المعنى ، على الرغم من أن نظريات القيادة الحالية تركز بشدة على العمليات [53] التي تشمل التبادلات بين القادة والمرؤوسين ، كونها أكثر شيوعاً في الأساليب الأكثر تكاملاً لنظريات القيادة [54] ، [55]. وبالتالي ، يمكن وصف القيادة بأنها عملية ذات تأثير اجتماعي ، بما انها توطد العلاقة بين مجموعات من الناس حول الأهداف الفردية أو الجماعية أو المؤسسية [56]. لذلك ، تتضمن القيادة التأثير على اتجاهات ومواقف ومعتقدات وسلوكيات ومشاعر الآخرين تجاه تحقيق هدف في موقف معين [56 ، 57]. في سياق مشابه ، يشير مؤلفون مثل [58] إلى أن المكونات الرئيسية للقيادة هي التأثير في الاشخاص والقيادة في الموقف ، وعملية الاتصال وكذلك تحقيق الأهداف. يمكن أن تكون هذه الأهداف من المنظمة أو المجموعة أو المتابع أو القائد. وبهذا المعنى ، سوف يؤثر القائد على سلوك المرؤوس من خلال الاتصال.

من بين أنماط القيادة المختلفة ، فإن ما يسمى القيادة الحكيمة والقيادة التحويلية [52] هي تلك التي تقدم أكبر مساهمة في ابراز دور القادة في التطوير المهني للمرؤوسين. يشمل مفهوم القيادة



الحكمة على الإدارة الاستراتيجية في عملية التفاعل والتكرار والعرض والمساعدة. وفقاً للعملية والمحتوى والسياق يوجد أنواع مختلفة من القيادة الحكيمة: المبدع - التركيز علي المنتج ؛ المبشر - التركيز علي السوق ؛ المثالي - التركيز علي المثالية ؛ التركيز علي - المنتج والمنظمة ؛ والتنبيؤ - التركيز على الخدمة [59]. نوع القائد الحكيم المرتبط بالتطوير المهني للمرؤوسين هو العراف (المتنبئ) ، الذي يستهدف مجموعة من الموظفين الذين تكون قدراتهم البارزة هي الذكاء والبصيرة والحكمة والإلهام.

تم تعريف القيادة الحكيمة (Visionary leadership) بأنها عملية ذات ثلاث خطوات محددة: (1) الرؤية (الفكرة) ، (2) الاتصال (كلمة) ، و (3) التمكين (التصرف). قد تكون الصورة البديلة للقيادة الحكيمة هي الدراما مع العمل والاتصال تحدث بالتزامن. لذا ، يتصرف القادة الحكماء على النحو التالي: التكرار (الفكرة) ، العرض (الرؤية) ، والمساعدة (العاطفة والتصرف) [59]. لذا ، يتصرف القادة الحكماء على النحو التالي: التكرار (الفكرة) ، العرض (الرؤية) ، والمساعدة (العاطفة والتصرف). من خلال تكرار الفكرة وخلق العرض لتلك الرؤية المستقبلية ، والتصرف بطريقة ملهمة للمرؤوسين من حيث بالتزامن مع العاطفة والعمل ، القائد الحكيم يخلق بيئة مواتية للتطور المهني. بشكل أكثر تحديداً ، قيل أن القادة الحكماء يحركون تصرفات تابعهم من خلال ربط الأهداف وأنشطة المنظمة بالمفهوم الذاتي والتسلسل الهرمي للقيمة لتابعهم، وكذلك من خلال ربط تابعهم بالمجموعة بحيث تصبح مصالحهم مندمجة مع مصالح المنظمة [60 ، 61]. إن أهمية اتصال رؤية القائد موضحة في كل من نظريات القيادة الحكيمة و القيادة التحويلية [61].

وبالتالي ، يتمتع القائد التحويلي (transformational leader) أيضاً بقدرة كبيرة على المساهمة في التطوير المهني لمرؤوسيه. يعمل القائد علي إنشاء أهداف مشتركة ويشجع على التجربة للحلول ، وتقديم تنازلات للسلطة والحفاظ على الاتصال المنظم الذي يؤدي إلى المشاركة الجماعية. وهكذا فإن القائد التحويلي يعمل في أنواع مختلفة من الإدارة ، وهي: إدارة الانتباه وإدارة المعني وإدارة الثقة وإدارة الفرد. يرتبط كل من هذه الأبعاد بأحد أبعاد باس Bass الأربعة [43] - الكاريزما والإلهام والتحفيز الفكري والاعتبار للأفراد - كما هو موضح في الجدول 1.

دليل عن البعد	بعد باس Bass	التصرف المتوقع للقائد	تركيز الإدارة
احترام القائد الذي يريد أن يقلد ويولد مستويات عالية من التوقعات في مرؤوسيه	جاذبية (كاريزما)	عبر عن أهدافك لتوضيح الغرض او الهدف	إدارة الانتباه

إدارة المعنى	تطوير اتصال فعال لأفكارك	وحي - الهام	الدرجة التي ينشط بها القائد المرؤوسين من خلال تقديم رؤية للمستقبل والأهداف والغرض
إدارة الثقة	الحفاظ على ثبات الغرض	التحفيز الفكري	تصرفات القائد المتعلقة بالتحفيز الفكري للمرؤوسين: حل المشكلات والتحديات والعقبات بطريقة إبداعية
إدارة الافراد	السعي لمعرفة كل فرد وتطوير مزاياه ومناقبه	التركيز علي الافراد	الدعم المقدم للتابعين ، منحهم الاهتمام للاحتياجات التنموية الشخصية

الجدول 1. الإجراءات المتوقعة من القائد التحويلي وفقاً للأربع أبعاد.

وهكذا ، في منطق القائد التحويلي هناك مشاركة جماعية حول الأهداف المشتركة. هذا يفضل التنمية المهنية لأن المرؤوسين يشعرون بأهمية مشاركتهم في بناء شيء ذي مغزى الذي يزيد من الالتزام الفردي.

4- القيادة والتطوير المهني للمرؤوسين

تدعم النظريات المختلفة للدراسات السابقة الصلة بين أنماط القيادة ومفاهيم التطوير المهني للمرؤوسين. و من ناحية أخرى ، تشير الدراسات في مجال التعلم في العمل إلى أن الدعم الاجتماعي - المستلم من المدير وزملائهم في العمل - له صلة بنقل التعلم إلى العمل [36]. من ناحية أخرى ، يربط مفهوم إدارة المعرفة بين أداء الإدارة بتنمية رأس المال الفكري للشركات. وهكذا ، [62] يعرف إدارة المعرفة بأنها عملية اعتناق المعرفة كأصل استراتيجي لتعزيز ميزة الأعمال المستدامة وتطوير منهج لتحديد والتقاط وتقييم وتحسين ومشاركة رأسها المال الفكري .

وبالتالي ، تم توجيه التركيز على إدارة المعرفة إلى مستوى فرق العمل [28]. كل تصرفات القادة وأعضاء الفريق والمنظمة تعمل كمحفزات لإدارة المعرفة. لذلك فإن أداء القيادة هو عنصر مقوي في توليد وتطوير وتبادل المعرفة في فرق العمل. بهذه الطريقة ، القيادة التي تشجع الثقافة الموجهة نحو التعلم والابتكار والاتصال المفتوح ستساهم في ديناميكية عمليات التطوير المهني للمرؤوسين [63]. وهكذا فإن أسلوب القيادة الموجه نحو التعلم والمعرفة يشجع الابتكار ومشاركة المعرفة وكذلك يشجع الاتصال المفتوح وتطوير الفريق [64].

بالإضافة إلى ذلك ، التفاعل الاجتماعي وقدرة القائد على التأثير على المرؤوسين تعتبر عناصر أساسية في نظريات القيادة [43 ، 50]. بهذا المعنى ، فإن أسلوب القيادة التحويلية - الذي يهدف إلى التأثير الإيجابي للمرؤوسين - يمكن ان يكون مرتبط مباشرة بعمليات التطوير المهني



والشخصي للمرؤوسين [52]. ولكن ما هي عناصر القيادة التحويلية التي ستكون موجودة في هذه العملية لصالح تطوير أعضاء الفريق؟ هل يمكن للقيادة الداعمة والقيادة التطويرية المساهمة في هذه العملية؟

ومن ناحية أخرى القيادة الداعمة هي تلك التي توفر الدعم العاطفي والمعلوماتي والفعال والتمثين للمتابعين [47] ، مع التركيز على الدعم العاطفي الذي يتضمن تقديم العطف ودليل على المحبة والعناية والاستماع. لذا ، فإن القيادة الداعمة مرتبطة بالقيادة الذين يعبرون عن اهتمامهم بالتابعين ويأخذون في الاعتبار احتياجاتهم وتفضيلاتهم عند اتخاذ القرارات.

من ناحية أخرى ، ترتبط القيادة التطويرية بالاعتبارات الفردية ، وهو أحد أهم أبعاد القيادة التحويلية. تتضمن هذه النقطة السلوكيات المحددة في الدراسات السابقة للتوجيه ، مثل الإرشاد الوظيفي ، والملاحظة الدقيقة للموظفين ، وتسجيل تقدم المتابعين ، وتشجيع المتابعين على حضور الدورات التقنية [33].

كل من القيادة التطويرية والقيادة الداعمة لها آثار علي التطوير المهني للمرؤوسين ، لكن التأثيرات ليست متساوية. أظهرت القيادة التنموية علاقات أقوى مع الرضا الوظيفي ، واليقين الوظيفي ، والالتزام العاطفي بالمنظمة ، واتساع دور الكفاءة الذاتية أكثر مما فعلته القيادة الداعمة [65]. وبهذا المعنى ، يمكن أن يحقق الاستثمار في القيادة التنموية نتائج أفضل للتطوير المهني لأعضاء فريق العمل.

ولكن بعيداً عن فهم نمط القيادة الذي يمكن أن يكون أكثر فاعلية في التطوير المهني للمرؤوسين ، من المهم أيضاً معرفة كيف يمكن للقيادة المساهمة في عملية التطوير هذه. اذا اخدنا بعين الاعتبار أن التطوير المهني يعتمد بشكل أساسي على الإجراءات الرسمية وغير الرسمية للتعلم في العمل ، فمن المهم أن تحفز القيادة هذين المجالين. من وجهة نظر إجراءات التعلم الرسمية ، كان هناك استثمار في الشركات الجامعية التي تنفذ وظيفة إنشاء مرجع نظري ومنهجي للممارسة التعليمية ، وتحديد الرؤية المهنية المطلوبة في المؤسسة والإرشادات التوجيهية التربوية للتربية للإجراءات المطلوب تطويرها [66]. وبهذا المعنى ، يمكن للقيادة توفير فرص التعلم للعمال من خلال مجموعة واسعة من إجراءات التدريب والتطوير ، بما في ذلك التحضير لمناصب مستقبلية جديدة.

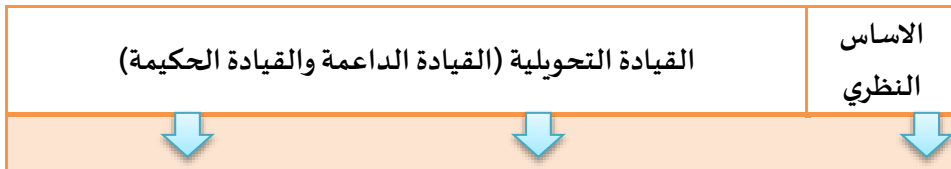
بالإضافة إلى التعليم الرسمي في مكان العمل ، يمكن للقيادة أيضاً تحفيز التعلم غير الرسمي من خلال إجراءات غير منهجية وتلقائية وطبيعية [67]. الدراسات السابقة في مجال التعلم داخل المنظمات تدعم الفرضية النظرية القائلة بأن الدعم النفسي والاجتماعي للزملاء والرؤساء

لاستخدام المهارات الجديدة والمبتكرة في إجراءات العمل اليومية للأفراد هو متغير مهم لدعم التعلم الطبيعي داخل المنظمات [33]. وفي هذا الاتجاه يمكن للقيادة تشجيع ثقافة التعلم كعملية تدريبية وتراكمية ومستمرة مع تجارب تعليمية منظمة [67 ، 68].

وهذا أمر مهم لأنه يقدر أن 90٪ من التعلم القائم على العمل يأتي من عمليات غير رسمية تخرج عن مناهج البرامج التعليمية [69]. وفي هذا الاتجاه فإن الأمر متروك للقيادة لفهم أن التعلم في العمل يمكن أن يحدث من سؤال يجيب عليه زميل أكثر خبرة ، من خلال الملاحظة اليومية ، أو قراءة الكتب والوثائق الخاصة بالمنظمة. وبالتالي ، يحتاج القائد إلى خلق بيئة عمل يمكن اعتبارها مساحة للإنتاج المستمر وتبادل المعرفة الجماعية ، بما أن هذا النوع من البيئة يوفر عملية غير رسمية للتعلم موازية لإجراءات نظام التدريب [10].

لذلك هناك ثلاثة مجالات أساسية يمكن للقيادة أن يعملوا من خلالها للمساهمة في التطوير المهني للمرؤوسين. يشمل المجال الأول الإدارة الاستراتيجية ويتعلق بتطوير بيئة عمل مساعدة علي التعلم والالتزام [2 ، 12-14]. هذه البيئة يجب أن تتماشى مع سياسات إدارة الأفراد التي تفضل مسارات التعلم وإدارة الأخطاء بفهم أنها تجلب التعلم وإدارة المعرفة. من المهم للقيادة أن يفهموا أهمية الاستثمار في الاتصال المنظم وأنظمة التكنولوجيا التي تعزز التعاون بين الزملاء. ولكن ربما يكون أحد أهم الجوانب هو أن يكون لديك أهداف مشتركة مع فرق العمل وتنفيذ التمكين الذي يؤدي إلى التزام الموظفين وتصور كل واحد من أهميته في المنظمة.

المجال الثاني يهتم بتشجيع إجراءات التعلم الرسمية ودور القادة هو التحفيز الفكري للفريق. يمكن أن تتم إجراءات التدريب والتطوير [1 ، 16] في طرائق مختلفة مثل التعليم عن بعد أو التعلم المباشر (وجه لوجه) أو التعليم المختلط ، ويجب أن تهدف إلى التحضير للوظائف الحالية للمرؤوسين وأيضًا للوظائف المستقبلية التي قد يشغلونها في وظائفهم. يجب تنويع استراتيجيات التأهيل [5 ، 33 ، 36] ، بما في ذلك التدريب أثناء الخدمة ، وبرامج التعليم المستمر ، وبرامج التوجيه. بالإضافة إلى ذلك ، من الصحيح أيضًا إنشاء مجتمعات الممارسة والسعي إلى تطوير شراكات مع الجمعيات العلمية من أجل تقديم تحديات مستمرة وإمكانيات النمو للموظفين.





مجالات لتصرفات القادة	تطوير بيئة مواتية للتعليم والالتزام	تشجيع التعلم غير الرسمي	محفز لإجراءات التعلم الرسمية
الجوانب المرتبطة	الإدارة الاستراتيجية	الالهام	التحفيز الفكري
السبل الممكنة للقيادة لدعم التطوير المهني للمرؤوسين	- وضع رؤية للمستقبل - مشاركة الأهداف - التركيز على الكفاءات الجماعية - تنازلات السلطة - التواصل المنهجي - ثقافة إدارة لأخطاء - النظم التكنولوجية - لتعاون الزملاء - إدارة المعرفة - مسارات التعلم	- استراتيجيات التأهيل - التدريب أثناء الخدمة - برامج التعليم المستمر - برامج التوجيه - شراكات مع الجمعيات العلمية - إنشاء مجتمعات الممارسة - التدريب على المهارات التقنية - التطوير للمناصب الوظيفية المستقبلية	- التعلم التجريبي - تجربة الحل - التفاعل الاجتماعي في حل المشكلات - تقييم الخبرات - المللموسة والملاحظة الانعكاسية - دعم استراتيجيات التعلم الشخصية - العمل في فرق متعددة التخصصات

الشكل 2. مساهمات القادة في التطوير المهني للمرؤوسين.

وأخيراً ، يشير مجال العمل الثالث إلى تشجيع التعلم غير الرسمي [15 ، 67 ، 69] والذي يجب على القائد أن يلهم المرؤوسين من أجله. ينتقل تعزيز التعلم غير الرسمي من إنشاء فرق متعددة التخصصات "التي تثرى جودة التبادل داخل المجموعة" إلى تقييم التجارب المللموسة والملاحظة الانعكاسية التي تميز التعلم التجريبي [15]. من المهم في هذا السياق أن يكون هناك حافز للتفاعل الاجتماعي والحلول التجريبية التي تفضل التعلم. يلخص الشكل رقم 2 المساهمات التي يمكن للقادة تقديمها في التطوير المهني للمرؤوسين ، مع الإشارة إلى القواعد النظرية ومجالات العمل والجوانب التي تنطوي عليها هذه العملية.

5- الخلاصة

في الوقت الحاضر هناك اهتمام متزايد لمجال التطوير المهني ويرجع ذلك أساساً إلى نتائجه الضمنية مثل احترام الذات والكفاءة الذاتية والتحفيز والرضا الوظيفي وإمكانية التوظيف [70] والأداء للواجبات الوظيفية المختلفة والمسؤولية [23] والزيادة التي توفرها في الرضا الوظيفي [71]. وبالتالي فإن هذا التطور وثيق الصلة بالعمال أنفسهم ومنظمات العمل والتنمية للبلد. ونتيجة لذلك الاستثمارات في الإجراءات الرامية إلى التطوير المهني قد تطورت في الساحة الدولية.

كما تمت مناقشته في هذا الفصل ، يجب أن يُفهم التطوير المهني على أنه بناء يتجاوز مجرد مجموع مجموعة من الدورات التدريبية التي يتم تنفيذها طوال الحياة المهنية لأنها عملية نضوج للقدرة الانعكاسية. لذا فإن الأهم ليس ما إذا كان التطوير المهني يأتي من عمليات التعلم الرسمية أو غير الرسمية. المهم هو أن مثل هذا التطور يتميز بأنه عملية متنامية من الوعي وإتقان "كيف تعرف" "know-how" داخل العمل. ويتجلى ذلك في الأبحاث المختلفة التي تشير إلى الممارسة الانعكاسية كعنصر مهم لعمليات التطوير المهني [26 ، 27]. لذلك بالإضافة إلى تعزيز أنشطة التدريب والتطوير لأنشطة محددة يجب على القادة تشجيع الرؤية الانتقادية والتأملية لفرق العمل المعني بها مع التوجيه المخطط عمداً. أنه من الضروري أيضاً أن يفهم القادة أن مكان العمل هو نظام اجتماعي معقد يتكون من زملاء الذين باستمرار ينظمون تعلمهم مع بعضهم [72]. وبالتالي ، إذا استثمر القادة في التفاعلات الاجتماعية ، فيمكنهم تعزيز التعلم غير الرسمي في العمل ، وتحويل ممارسة العمل اليومية إلى مكان للإنتاج المستمر للمعرفة الجماعية. لذا يمكننا أن نستنتج أن التطوير المهني للمرؤوسين مرتبط بشكل مباشر بأسلوب القيادة لأن هذا التطور يُفهم على أنه نمو ونضج للمعرفة والمهارات والمواقف المكتسبة طوال حياة العمال ، نتيجة لإجراءات التعلم في العمل. وتعتمد إجراءات التعلم في العمل على قرارات القيادة.

ولكن في حين أنه من المهم أن يتصرف القادة لتوفير فرص الدعم والتطوير لمرؤوسهم ، يجب توخي الحذر من أن القيادة لا تخلق تبعية غير صحية. الاعتماد على المرؤوسين يعيق نموهم واستقلاليتهم. لذلك ، تقدر مناهج القيادة الناشئة دور القائد في أدوار التدريب ، مع مفاهيم القيادة الذاتية والقيادة الفائقة وتعزيز القيادة [73]. لذلك فإن التحدي الذي يواجه قادة القرن الواحد وعشرين هو تعزيز وتشجيع التطوير المهني لمرؤوسهم بطريقة منسقة وفردية ولكن دون الحد من مبادراتهم وقدراتهم على الهندسة الذاتية لمهنتهم.



References

- [1] Salas E, Cannon-Bowers J. The science of training: A decade of progress. *Annual Review Psychology*. 2001;**52**:471-499. DOI: 10.1146/annurev.psych.52.1.471
- [2] Noe RA, Clarke ADM, Klein HJ. Learning in the twenty-first century workplace. *Annual Review of Organizational Psychology and Organizational Behavior*. 2014;**1**:245-275. DOI: 10.1146/annurev-orgpsych-031413-091321
- [3] Elbadri ANA. Training practices of polish companies: An appraisal and agenda for improvement. *Journal of European Industrial Training*. 2001;**25**:69-79. DOI: 10.1108/EUM0000000005438
- [4] Bassanini A, Booth A, Brunello G, De Paola M, Leuven E. Workplace Training in Europe. 2005. Discussion Paper 1,640. Available at: <http://ftp.iza.org/dp1640.pdf>
- [5] Mourão L. Oportunidades de qualificação profissional no Brasil: Reflexões a partir de um panorama quantitativo. *Revista de Administração Contemporânea*. 2009;**13**:136-153. Available at: <http://www.scielo.br/pdf/rac/v13n1/a09v13n1.pdf>
- [6] Wong C, Marshall J, Thwaites A. Management training in small and medium-sized enterprises: Methodological and conceptual issues. *The International Journal of Human Resource Management*. 1997;**8**:44-65. DOI: 10.1080/09585199700000040
- [7] Hill HC, Beisiegel M, Jacob R. Professional development research: Consensus, crossroads, and challenges. *Educational Researcher*. 2013;**42**:476-487. DOI:10.3102/0013189X13512674
- [8] Monteiro ACF, Mourão L. Desenvolvimento profissional: A produção científica nacional e estrangeira. *Revista Psicologia Organizações e Trabalho*. 2017;**17**:39-45. DOI: 10.17652/rpot/2017.1.12246
- [9] Parker SK, Morgeson FP, Johns G. One hundred years of work design research. *The Journal of Applied Psychology*. 2017;**102**:403-420. DOI: 10.1037/apl0000106
- [10] Guskey TR. Analyzing lists of the characteristics of effective professional development to promote visionary leadership. *NASSP Bulletin*. 2003;**87**:4-17. DOI: 10.1177/019263650308763702
- [11] Mourão L, Porto JB, Puente-Palacios KE. Construção e evidências de validade de duas escalas de percepção de desenvolvimento profissional. *Psico-USF*. 2014;**19**:73-85. DOI:10.1590/S1413-82712014000100008
- [12] Dobos A. Experiential learning for professional development in the civil service. *Procedia-Social and Behavioral Sciences*. 2014;**116**:5085-5090. DOI:10.1016/j.sbspro.2014.01.1078

- [13] Stewart C. Transforming professional development to professional learning. *Journal of Adult Education*. 2014;43:28-33. Available at: <https://search.proquest.com/openview/30e349c8d3e4c79fb9dd52a7186f96fd/1?pq-origsite=gscholar&cbl=28962>
- [14] Korthagen F. Inconvenient truths about teacher learning: Towards professional development 3.0. *Teachers and Teaching*. 2017;23:387-405. DOI:10.1080/13540602.2016.1211523
- [15] Kolb DA. *Experiential Learning: Experience as the Source of Learning and Development*. Englewood Cliffs: Prentice-Hall; 1984. p. 416
- [16] Mourão L. Treinamento e Desenvolvimento. In: Bendassolli PF, Borges-Andrade JE, editors. *Dicionário de Psicologia do Trabalho e das Organizações*. São Paulo: Casa do Psicólogo; 2015. pp. 663-669
- [17] Day J. Évaluer la formation continue des enseignants dans le contexte d'une école en changement en vue de favoriser le développement professionnel des acteurs et d'améliorer leur efficacité? In: Paquay L, editor. *L'évaluation des enseignants. Tension et enjeux*. Paris: l'Harmattan; 2004. pp. 87-119
- [18] Paquay L, Wouters P, van Nieuwenhoven C. A avaliação, freio ou alavanca do desenvolvimento profissional? In: Paquay L, Wouters P, van Nieuwenhoven C, editors. *A avaliação como ferramenta do desenvolvimento profissional de educadores*. Porto Alegre: Penso; 2012. pp. 13-39
- [19] Lauber TB, Taylor EJ, Decker DJ, Knuth BA. Challenges of professional development: Balancing the demands of employers and professions in federal natural resource agencies. *Organization Environment*. 2010;23:446-464. DOI: 10.1177/1086026610387760
- [20] Nash JM, Larkin KT. Geometric models of competency development in specialty areas of professional psychology. *Training and Education in Professional Psychology*. 2012;6:37-46. DOI: 10.1037/a0026964
- [21] Kock H, Ellström PE. Formal and integrated strategies for competence development in SMEs. *Journal of European Industrial Training*. 2011;35:71-88. DOI: 10.1108/03090591111095745
- [22] Bell BS, Tannenbaum SI, Ford JK, Noe RA, Kraiger K. 100 years of training and development research: What we know and where we should go. *Journal of Applied Psychology*. 2017;102:305-323. DOI: 10.1037/apl0000142
- [23] Shah SMH, Sultana N, Hassain KS, Ali I. Impact of professional development on the performance of secondary school principals: A managerial perspective. *International Journal of*



- Management. 2011;28:92-105. Available at: <https://search.proquest.com/openview/d8d03b19a7f3b05206b6e758851bb434/1?pq-origsite=gscholar&cbl=5703>
- [24] Bathmaker AM, Avis J. Becoming a lecturer in further education in England: The construction of professional identity and the role of communities of practice. *Journal of Education for Teaching*. 2005;31:47-62
- [25] Wenger E. Communities of practice and social learning systems. *Organization*. 2000;7:225-246. DOI: 10.1177/135050840072002
- [26] Walsh R, Craig A. Radiation therapists' and diagnostic radiographers' participation in continuing professional development and knowledge of regulatory body registration. *Journal of Radiotherapy in Practice*. 2016;15:150-160. DOI:10.1017/S1460396916000054
- [27] Wareing A, Buissink C, Harper D, Gellert Olesen M, Soto M, Braico S, Rainford L. Continuing professional development (CPD) in radiography: A collaborative European meta-ethnography literature review. *Radiography*. 2017;23:S58-S63. DOI: 10.1016/j.radi.2017.05.016
- [28] Cardoso L, Peralta CF. Gestão do conhecimento e equipes: Desenvolvimento de um instrumento de medida multidimensional. *Psichologica*. 2011;55:79-93. Available at: <http://hdl.handle.net/10316.2/5602>
- [29] Anagnou E, Fragoulis I. The contribution of mentoring and action research to teachers' professional development in the context of informal learning. *Review of European Studies*. 2014;6:133-142. DOI: 10.5539/res.v6n1p133
- [30] Keith DL. Principal desirability for professional development. *Academy of Educational Leadership Journal*. 2011;15:95-128. Available at: <https://www.abacademies.org/articles/aeljvol19no12015.pdf>
- [31] Malcolm J, Hodkinson P, Colley H. The interrelationships between informal and formal learning. *Journal of Workplace Learning*. 2003;15:313-318. DOI: 10.1108/13665620310504783
- [32] Haemer HD, Borges-Andrade JE, Cassiano SK. Learning strategies at work and professional development. *Journal of Workplace Learning*. 2017;29:490-506. DOI: 10.1108/JWL-05-2016-0037
- [33] Illeris K. Workplaces and learning. In: Malloch M, Cairns L, Evans K, O'Connor BN, editors. *The SAGE Handbook of Workplace Learning*. Londres: Sage; 2011. pp. 3245
- [34] Dochy R, Gijbels D, Segers M, Van den Bossche P. *Theories of Learning for the Workplace: Building Blocks for Training and Professional Development Programs*. London, England: Routledge; 2011. p. 168

- [35] Poortman C, Illeris K, Nieuwenhuis L. Apprenticeship: From learning theory to practice. *Journal of Vocational Education Training*. 2011;**63**:267-287. DOI: 10.1080/13636820.2011.560392
- [36] Abbad GS, Borges-Andrade JE. Aprendizagem Humana em Organizações de Trabalho. In: Zanelli JC, Borges-Andrade JE, Bastos AVB, editors. *Psicologia, Organizações e Trabalho no Brasil*. 2nd ed. Porto Alegre: Artmed; 2014. pp. 244-284
- [37] Montano D, Reeske A, Franke F, Hüffmeier J. Leadership, followers' mental health and job performance in organizations: A comprehensive meta-analysis from an occupational health perspective. *Journal of Organizational Behavior*. 2017;**38**:327-350. DOI: 10.1002/job.2124
- [38] Lacerenza CN, Reyes DL, Marlow SL, Joseph DL, Salas E. Leadership training design, delivery, and implementation: A meta-analysis. *The Journal of Applied Psychology*. 2017;**102**:1686. DOI: 10.1037/apl0000241
- [39] Ceri-Booms M, Curşeu PL, Oerlemans LA. Task and person-focused leadership behaviors and team performance: A meta-analysis. *Human Resource Management Review*. 2017;**27**:178-192. DOI: doi.org/10.1016/j.hrmr.2016.09.010
- [40] Mackey JD, Frieder RE, Brees JR, Martinko MJ. Abusive supervision: A meta-analysis and empirical review. *Journal of Management*. 2017;**43**:1940-1965. DOI: 10.1177/0149206315573997
- [41] Northouse PG. *Leadership: Theory and Practice*. Londres: Sage publications; 2018. p. 520
- [42] Gottlieb E. Mosaic leadership: Charisma and bureaucracy in exodus 18. *The Journal of Management Development*. 2012;**31**:974-983. DOI: 10.1108/02621711211259910
- [43] Stogdill RM, Bass BM. *Handbook of Leadership: A Survey of Theory and Research*. 3rd Revised ed. New York: Free Press; 1990. p. 800
- [44] Burns JM. *Leadership*. New York: Harper Row; 1978. p. 530
- [45] Hunt JB. Leadership style orientations of senior executives in Australia: Senior executive leadership profiles: An analysis of 54 Australian top managers. *Journal of American Academy of Business*. 2010;**16**:207-217. Available at: <http://hdl.handle.net/1959.13/1051376>
- [46] Lok P, Crawford J. The effect of organisational culture and leadership style on job satisfaction and organisational commitment: A cross-national comparison. *The Journal of Management Development*. 2004;**23**:321-338. DOI: 10.1108/02621710410529785
- [47] House RJ, Mitchell TR. *Path-Goal Theory of Leadership*. Seattle Dept of Psychology: Washington Univ; 1975



- [48] Brown ME, Treviño LK, Harrison DA. Ethical leadership: A social learning perspective for construct development and testing. *Organizational Behavior and Human Decision Processes*. 2005;97:117-134. DOI: 10.1016/j.obhdp.2005.03.002
- [49] Graen GB, Uhl-Bien M. Relationship-based approach to leadership: Development of leader-member exchange (LMX) theory of leadership over 25 years: Applying a multilevel multi-domain perspective. *The Leadership Quarterly*. 1995;6:219-247. Available at: <http://digitalcommons.unl.edu/managementfacpub/57>
- [50] Yukl G. Managerial leadership: A review of theory and research. *Journal of Management*. 1989;15:215-228. DOI: 10.1177/014920638901500207
- [51] Blake R, Mouton J. *The Managerial Grid: The Key to Leadership Excellence*. Houston: Gulf Publishing Co; 1964. p. 350
- [52] Bennis WG. *An Invented Life: Reflections on Leadership and Change*. Reading: Addison Wesley Publishing Company; 1993. p. 238
- [53] Garg AK, Ramjee D. The relationship between leadership styles and employee commitment at a parastatal company in South Africa. *The International Business Economics Research Journal (Online)*. 2013;12:1411-1436. DOI:10.19030/iber.v12i11.8180
- [54] Avolio BJ. Promoting more integrative strategies for leadership theory-building. *The American Psychologist*. 2007;62:25. DOI: 10.1037/0003-066X.62.1.25
- [55] Larsson G, Eid J. An idea paper on leadership theory integration. *Management Research Review*. 2012;35:177-191. DOI: 10.1108/01409171211210109
- [56] Spector PE. *Industrial and Organizational Psychology: Research and Practice*. 4th ed. Indianapolis: Wiley; 2008. p. 448
- [57] Hersey P, Blanchard KH, Ntemeyer WE. Situational leadership, perception, and the impact of power. *Group Organization Studies*. 1979;4:418-428. DOI:10.1177/105960117900400404
- [58] Tannenbaum W, Weschler IR, Massarik F. *Leadership and Organization: A Behavioral Science Approach*. Prentice Hall: Columbus-Ohio; 1961. p. 468
- [59] Westley F, Mintzberg H. Visionary leadership and strategic management. *Strategic Management Journal*. 1989;10:17-32. DOI: 10.1002/smj.4250100704
- [60] Bass BM, Riggio RE. *Transformational Leadership*. Mahwah: Lawrence Erlbaum; 2006. p. 282
- [61] Venus M. *Demystifying Visionary Leadership: in search of the essence of effective vision communication*. [thesis]. Rotterdam: Erasmus University Rotterdam; 2013. p. 218
- [62] Boomer J. Finding out what knowledge management is – And isn't. *Accounting*

- Today. 2004;**18**:9-22. Available at: <https://www.accountingtoday.com/news/finding-outwhat-knowledge-management-is-and-isnt>
- [63] Rhoades L, Eisenberger R. Perceived organizational support: A review of the literature. *The Journal of Applied Psychology*. 2002;**87**:698-714. DOI: 10.1037//0021-9010.87.4.698
- [64] Cardoso L. Gestão do conhecimento e competitividade organizacional: Um modelo estrutural. *Comportamento Organizacional e Gestão*. 2007;**13**:191-211. Available at: <http://www.scielo.mec.pt/pdf/cog/v13n2/v13n2a04.pdf>
- [65] Rafferty AE, Griffin MA. Refining individualized consideration: Distinguishing developmental leadership and supportive leadership. *Journal of Occupational and Organizational Psychology*. 2006;**79**:37-61. DOI: 10.1348/096317905X36731
- [66] Grossi MGR, Costa JW, CBJ S. Propostas pedagógicas no contexto da educação corporativa. *Revista Temas em Educação*. 2017;**25**:36-55. Available at: <http://periodicos.ufpb.br/index.php/rteo/article/view/22792>
- [67] Coelho-Jr FA, Mourão L. Suporte à aprendizagem informal no trabalho: Uma proposta de articulação conceitual. *Revista de Administração Mackenzie*. 2011;**12**:224-253. DOI:10.1590/S1678-69712011000600010
- [68] Watkins KE, Marsick VJ. Toward a theory of informal and incidental learning in organizations. *International Journal of Lifelong Education*. 1992;**11**:287-300. DOI:10.1080/0260137920110403
- [69] Conlon TJ. A review of informal learning literature, theory and implications for practice in developing global professional competence. *Journal of European Industrial Training*. 2004;**28**:283-295. DOI: 10.1108/03090590410527663
- [70] Yaacoub HK. Contexts for the professional development of part-timers. *Competitiveness Review*. 2012;**22**:434-451. DOI: 10.1108/10595421211266311
- [71] Mourão L, Monteiro ACF, Viana VR. A influência do desenvolvimento profissional e da identificação organizacional na satisfação no trabalho. *Psicotecnia*. 2014;**45**:198-208. DOI:10.15448/1980-8623.2014
- [72] Le Clus M. Informal learning in the workplace. *Training Development*. 2017;**44**:2829. DOI: 10.1080/158037042000225245
- [73] Davis K, Newstrom JW. *Human Behavior at Work: Organizational Behavior*. New York: McGraw-Hill; 1989. p. 640



العقلية والتنوير في الفكر العربي الإسلامي المعاصر

حسن حنفي نموذجاً

الاسم / نبيل عبد الحميد الهادي الصواني .

محاضر بقسم الفلسفة – كلية التربية زوارة – جامعة الزاوية .

ملخص البحث

الاتجاه الإصلاحية الجديد متمثل في (حسن حنفي نموذجاً) وينطلق هذا الاتجاه الإصلاحية الجديد من حيث توقفت المشاريع الإصلاحية السابقة له ، فهو يواجه أسئلة أكثر جذرية من الأسئلة السابقة التي لا تزال قائمة ، وبعيد النظر بالفكر الإسلامي من موقع هذه التحديات التي طرحها التحولات الكبرى التي حدثت علي صعيد الفكر الإنساني ، والتي شكل عصر التنوير الأوربي نقطة البداية لها، وهذا الاتجاه يخطو خطوة نوعية علي هذا الصعيد ، الا هي التأصيل والتنظير لبنا فكر عربي إسلامي معاصر . فهو يضع الأسئلة ويضع الإشكالات دون أن يغض النظر عن برامج الإصلاح (التقليدي) وهذا الاتجاه متسلح ومستفيد في ذلك من اطلعها علي الفكر الأوربي الحديث والمعاصر واحتكاكها المباشر معه .

المقدمة

الاتجاه الإصلاحية الجديد مطلباً ملحا يمليه واقع المجتمعات العربية من جهة فكرية وسياسية ، ومن جهة أخرى تحديات تاريخية ، فهذان العنصران (الواقع والتحديات) يجعلان من التنوير قضية مطروحة في الفكر العربي المعاصر ، يستمد مشروعيته التاريخية والفكرية منهما ، وإذا كان التنوير مهمة مطروحة علي صعيد الفكر الإسلامي ، ذلك لان الفكر العربي المعاصر ، فلا جدال في ان احد مبادئه هو الفكر الإسلامي ، ذلك لان الدين الإسلامي لايزال العنصر الفاعل والأكثر تأثيراً وحضوراً في المجتمعات العربية الإسلامية المعاصرة ، وأحد مكوناتها ، ويعتقد رواد الاتجاه الإصلاحية الجديد ، أن حقبة التخلف التي استمرت ما يقرب من عشرة قرون ، هي التي رسخت القراءة المهيمنة علي صعيد الفكر الإسلامي المعاصر ، الي انها باتت تبدو اليوم القراءة الوحيدة التي تمثل الإسلام الصحيح من بين القراءات العديدة الأخرى التي يتضمنها التراث الإسلامي ، فعمليات التحديث التي تحققت في البلدان العربية او في بعضها ، علي الصعيد أو ذاك ، حسب ما يري رواد الاتجاه الإصلاحية الجديد ومنهم المفكر (حسن حنفي) لم تحدث أي نقلة نوعية التي تجعل منها جزءاً من العالم الحديث ، بالتالي فالفكر الإسلامي المعاصر هو بالنسبة

إلى المفكر حسن حنفي ينتهي إلى الماضي بقضاياه وأدواته النظرية المنهجية ، أن الإصلاح الذي يحتاجه الفكر الإسلامي ، حسب ما يري (حسن حنفي) هو الذي يعيد للإسلام والإسلام إلى الحداثة وصولاً إلى إسلام عقلائي ، يقبل الآخر ويعترف به .

مشكلة البحث

الواقع والتحديات ، يجعلان من قضية الإصلاح قضية مطروحة في الفكر العربي المعاصر وبقوة ، وبستمد مشروعيته التاريخية والفكرية منهما .

والمفكر حسن حنفي لديه مشروع حضاري يقوم على تحديات الفكر الإسلامي ، وكذلك تنطلق في مشروعه من ذلك التحدي الذي يواجه المسلمون اليوم ومجتمعاتهم ، فهم يتطلعون إلى أن يصبحوا العرب جزءاً من عالم اليوم ، وهذا يقتضي ، حسب رأيه ، التصدي للقراءة الماثلة في مجتمعاتهم ، وذلك عن طريق إصلاح ديني ، هو بالنسبة لهم جعل الإسلام منفتحاً على الحداثة ، دون فصلة أو إقصائه عن المجتمع ، لكن لكل منهم رؤيته الخاصة .

يري المفكر حسن حنفي ، أن حقبة التخلف التي استمرت ما يقارب من عشرة قرون ، هي التي رسخت القراءة المهيمنة على صعيد الفكر الإسلامي ، التي باتت اليوم القراءة الوحيدة التي تمثل الفكر الإسلامي الصحيح ، على هذا بقت المجتمعات العربية الإسلامية بدون نقلة نوعية التي تجعل منها جزءاً من العالم الحديث ، وبهذا يري حسن حنفي ، جمود الفكر الإسلامي ، وتوقفه عند تلك المسائل التي طرحت في عصرة الأول ، وما أبقاها دون أي تطور أو مراجعة حتى الآن ، بالتالي فالفكر الإسلامي المعاصر هو بالنسبة لرواد هذا الاتجاه ينتهي إلى الماضي بقضاياه وأدواته النظرية المنهجية .

إهمية البحث :

إن أهمية الإصلاح الديني بالنسبة للمجتمعات العربية المعاصرة من المكانة التي يحتلها الدين فيها والدور الذي يقوم فيه ، مما يعني أن أسئلة الحداثة هو جزء من عملية التنوير وأحد تعبيراتها الفكرية ، وبالتالي فإن البحث في التنوير العربي من خلال الاتجاه الإصلاح الجديد في الفكر العربي الإسلامي المعاصر ، المتمثل في هذا البحث المفكر الدكتور حسن حنفي ، نموذجاً واحد رواد الاتجاه الإصلاحي الجديد الحديث والمعاصر

تساؤلات البحث:

- 1- ما الإصلاح الذي نحن بصددده ؟
- 2- هل هو إعادة قراءة اعلي ضوء ما شهده الفكر الإنساني من تطور ؟



- 3- هل الإصلاح عند حسن حنفي ، اجتهد وتأويل جديدين ؟
- 4- هل يمثل انقطاع مع الماضي ؟ وماهي حدوده الابستمولوجية ؟
- 5- هل الاتجاه الإصلاحية الجديد المتمثل في المفكر حسن حنفي نواة إصلاح جديد و تفتح المجال لذلك ؟

منهجية البحث : نظرا لطبيعة البحث وأهدافه تتطلب اتباع المنهج التحليلي النقدي .

أولا : حسن حنفي والعقلانية الغربية :

تعود قضية التنوير داخل الفكر العربي الحديث الي بدايات القرن التاسع عشر ، عندما حدث الاحتكاك مع الغرب ، حيث تعرف العرب آنذاك علي مستوى التطور والتقدم الذي حققه الغرب ، وعلي الفجوة التي باتت تفصلهم عنه علي المستوي الحضاري ، لقد توقف العديد من رجال الفكر العربي آنذاك أمام الوضع ، وطرحوا في هذا السياق سؤال النهضة العربية الحديثة : لماذا تخلف العرب وتقدم الغرب ؟ وكيف للعرب ان ينهضوا؟ وعبر الإجابات علي هذا السؤال بدأت بالظهور ملامح حركة تنويرية عربية حديثة ، عبرت عن نفسها بنسقين فكريين :

الأول : تيار الإصلاح الديني الإسلامي ، ممثلا بروادة الطهطاوي والافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا الذين انطلقوا من قناعة مفادها ان الإسلام هو الحل ، فمن خلاله ينهض العرب من جديد ويردمون الفجوة الحضارية التي باتت تفصلهم عن العرب والغرب ، ولكن ذلك يتطلب تخليص الإسلام من الشوائب التي لحقت به خلال القرون الماضية من جهة ، وإدخال إصلاحات الازمة عليا من جهة اخري .

وهذا يتطلب تقديم فهم جديد للأسلام يتناسب مع متطلبات العصر الحديث ، و في سبيل هذه الغاية اعادوا النظر في العديد من الأفكار الدينية .

ثانيا : التيار العلماني ، متمثلا برواده ، فرح أنطون ، شبلي شميل ، أديب إسحاق ، سلامة موسى ، طه حسين وقد كون هذا التيار مدرسة فكرية عملت علي تمثيل فكر الانوار الغربي واستيعابه علي اعتبار انه البوابة لدخول الحداثة ، مما يعني ان العرب ان يسلكوا الطريق الذي سلكه الغرب واوصله الي ما هو عليا من تطور وتقدم .

لعب كل من التيارين (الإصلاحية الديني والعلماني) دورا هاما علي صعيد تطور الفكر العربي الحديث ، وتغير الوعي الاجتماعي ، وفتح الافاق امام تبلور حركة تنوير عربية معاصرة ، وخلق تراثا فكريا يمكن البناء عليا ، الا ان فعلهما التنويري لم ينج في التحول الي فعل تنويري ذي بعد شعبي شامل وعميق ...

أما مفكرنا ممثل الاتجاه الإصلاحي الجديد (حسن حنفي) يري (تغير الوضع الاجتماعي القائم لبلد متخلف هو جزء من التطور ، والقضاء علي الاقطاع والسيطرة ونظم الحكم التسلطية أيضا هو جزء من التنوير ، فتحرير العقل وتحرير الشعب وجهان لشيء واحد) (1). بالتالي يري حنفي أن كونفوشيوس في الصين يمثل ((حركة تنويريه في الدين الصيني القديم)) (2) وتتبع أهمية الإصلاح

الديني بالنسبة للمجتمعات العربية المعاصرة من المكانة المتميزة التي يحتلها الدين فيها والدور الذي يقوم فيه ، فأن مرجعية الإصلاح الديني المطلوب هي الواقع العربي المعاصر ، مما يعني أن أسئلته الحداثه والديمقراطية وحقوق الانسان ، حيث يساهم في أذخار أبناء المجتمعات العربية في مجال الحياة السياسية ، ويدفعهم للانخراط في صنع حياتهم ومصيرهم ، من خلال القضايا المطروحة عليها اليوم والاتديات التي تواجهها ، وبهذا فان الإصلاح الديني هو جزء من عملية التنوير واحد تعبيراتها الفكرية ، وبالتالي فان البحث في التنوير عربيا من خلال الإصلاح الديني له مشروعيتة المعرفية ، بالإضافة الي مشروعيتة التاريخية ، وهذا سوف نتناول المفكر حسن حنفي ، ممثلا للاتجاه الإصلاحي الجديد في الفكر العربي الإسلامي المعاصر .

يتميز مشروع الإصلاح عند حنفي ببعده النقدي ، وهذه خطوه هامة يحتاجها الفكر الإسلامي المعاصر ، انطلاقا من افتراض أنه لا اصلاح او تطوير او تحديث لهذا الفكر دون القيام بعملية نقدية لمكوناته وللأسس التي يستند اليها علي ضوء الواقع المعاصر والقطيعة المعرفة التي أحدثها مع فكر وثقافة القرون الوسطي التي ينتهي اليها الفكر الإسلامي ، وعملية النقد عند حنفي تقوم علي أرضية قراءته للأسلام ، وكيف يفهمه من خلال النص المؤسس ؟

ينطلق حنفي نظريا في عمليته النقدية ، للتراث الإسلامي الماضي والحاضر ، للواقع المعاصر ، من أن الفكر أو الفلسفة هما نتاج واقع تاريخي محدد من حيث الزمان والمكان ، وهي نظام فكري ينشأ في عصر ، ويقوم به جيل ، ويخدم مجتمعا ، ويعبر عن حضارة ، وتتجلى عملية النقد عند حنفي من خلال دعوته المسلمين الي بلورة الموقف الحضاري المطلوب منهم اليوم ، والذي بحاجة له ، لمواجهة التحديات التي تحيط بهم ، فهو بهذا علي خلاف مع القوي الإسلامية الأصولية ، التي تري ان الموقف الحضاري الذي بلورة المسلمين في عصرهم الأول صالح لكل عصر ، وبالتالي فأن المسلمين ليسوا بحاجة الي ما يدعوا اليه حسن حنفي علي هذا الصعيد ، حيث يقول (موقفنا الحضاري اليوم ذو ابعاد ثلاثة تعبر عن ضرورته ، ولا حيلة لا احد فيها ، ولا يمكن تغافلها والا كانت الفلسفة بغير موضوع وبغير وطن) (1) . ويوضح الابعاد الثلاثة وهي :-

1_ لسنج ، تربية الجنس البشري ، ترجمة وتقديم وتعليق ، حسن حنفي ، دارالتنوير ، بيروت ، 1981 ، ص 218 .

2- حسن حنفي ، نحو تنوير عربي جديد ، محاولة تأسيس ، جريدة الاتحاد ابوظبي ، 26-9-2002.



- 1- الموقف من التراث القدم .
- 2- الموقف من التراث الغربي .
- 3- الموقف من الواقع الذي نعيش فيه .

يشرح حنفي هذه الابعاد ماذا يعني وما مبرراته ، ومن ثم تحدث عن أزمة هذا الموقف الحضاري ، التي تنشأ عندما يتم اغفال أحد هذه الأبعاد الثلاثة ، أو الأخذ ببعد علي حساب الآخر من جهة ، ويحدد حنفي الموقف الذي اتخذه من كل بعد من هذه الابعاد ، سواء أكان التراث القديم أو التراث الغربي ، أو الواقع المعاش للناس ، مقدما لنا قراءة نقدية للابعاد الثلاثة المكونة للموقف الحضاري الذي يدعوا المسلمين اليوم الي بلورته .

أن حنفي يرجع أزمة الموقف الحضاري علي مستوى بعده الأول (الموقف من التراث القديم) يقول : (نظرنا الي التراث القديم نظرة المستشرقين كأننا متفرجون عليه ولسنا أصحابه ، نعيب عليه قصوره وكأننا لسنا مسؤولين عنه ، نكرر ما قيل وتجمع ونجمع بين اجزائه ، وأقصى ما نفعله نشر المخطوطات دون تغيير او تطوير او إعادة اختيار ، في حين ان التراث القديم ليس منفصلا عنا ، بل هو جزء منا ، ونحن جزء منه ، كونا وأعطانا تصوراتنا للعالم ، وأمدنا بموجهات للسلوك ، ونحن مسؤولين عنه بقراءتنا مثل مسؤولية القدماء الذين ابدعوه) (2). ثم ينتقد بعض الممارسات الخاطئة اتجاه التراث ، التي تكرر الاختيارات النمطية القديمة التي تعارض في أهدافها ومنطلقاتها الظروف الجديدة التي نعيشها اليوم وكأن التراث جسم معين ، أي ممارسات الذين يقصرون الخيارات ، ونشأة ظروف جديدة تتطلب اختيارات بديلة .

هذا التعاطي مع التراث أدى الي الانقسام المسلمين الي فريقين حسب ما يري حنفي ، يقول (فريق يري صلته بالتراث صلته انقطاع ثم قطيعة ، وفريق آخر يري أن صلته بالتراث صلة اتصال ثم وصال ، الأول يري في التراث كل شيء والثاني لا يري في التراث أي شيء) (3). يعتقد حنفي ان تقديم قراءة نقدية للتراث الإسلامي يفرضه الواقع المعاصر للمجتمعات العربية (لأننا مجتمع تراثي ما زال وعيه القراءة الجديدة للنص القراني ، هي احدي الدعامات الأساسية لمشروع حسن حنفي الاصلاح ، تستمد أسسها من الواقع المعاصر ، الذي يحتل الأولوية في مشروعة ككل ، هدفها الأول والأخير مصلحة الناس ، والسلطة فيها للعقل ، فهو يعيد النظر بمستويات التحليل التقليدية هذا النص ويدخل مستويات جديدة انتجها الفكر الإنساني الحديث ، ومن خلالها يتجاوز اللغة القديمة لصالح لغة العصر ، هكذا يقدم حنفي قراءته الجديدة للنص .

1- حسن حنفي، موقفنا الحضاري، المستقبل العربي، بيروت، العدد 76، 1985/6، ص 66.

2- حسن حنفي، دراسات فلسفية، مصدر سابق، ص 13.

3- المصدر السابق، ص 11 المجتمعات العربية المعاص

ثانياً : حسن حنفي تجديد الخطاب الإسلامي .

عالج الفكر الحديث قضية النص ، بغض النظر عن نوعيته ، أدبية كانت أم قانونية أم دينية ، فهي من القضايا الرئيسية المطروحة علي هذا الفكر ، ويوجد بشأنها مصادر علمية عديدة ، وقد أسهم حنفي في ذلك ، ففي كتابه (دراسات فلسفية) وفي قراءة النص يمكن أن يعتمد علي طرق ثلاثة :

الأولي : هي الاعتماد علي التراث الغربي يستمد منه الباحث مادته العلمية ، مثل علم الهرمنوطيقا ، وفي علوم التفسير هناك مدارس فرنسية والمانية وبريطانية ، وهناك مادة إسلامية ومسيحية ويهودية وبوذية ، ويعتقد حنفي أن أخذ الباحثين العرب بهذه الطريقة سيؤدي الي إطالة (مرحلة النقل وتأخر مرحلة الابداع مادام أن معدل الإنتاج الثقافي في الغرب أعلي بكثير من معدل نقله الي الخارج الغرب ، وتصبح حضارة واحدة هي المبدعة والرائدة والمركز والحضارات الأخرى الناقلة والثابتة والمحيط) (1) .

الثانية : الاعتماد علي تراثنا القديم وما أفرزه من ناحية مادة علمية تكشف عن مناهج واتجاهات في التفسير ، وبراهه أن صعوبة هذه الطريقة تكمن في (أن الباحث قد يكرر ما قاله القدماء دون قراءة جديدة ، وأن قرأ فإنه قد يعتمد في قراءته علي علوم التفسير المعاصرة في الغرب فيسئ التأويل معاً ، كما تؤدي كثرة المصادر وتعدد الاحالات الي ايثار تراث علي اخر بالصورة مع أغفال الظروف القديمة أو المعاصرة التي نشأ منها كل تراث رغم أن ظروف عصرنا قد تغيرت) (2) .

الثالثة : الاعتماد علي منطق العقل الخالص وتحليل التجارب الإنسانية المشتركة لكل المشتغلين بموضوع النصوص أيا كان نوعها دون الإحالة الي تراثنا القديم أو الي التراث الغربي ، وهما غنيان بالمادة العلمية بهدف تجاوز مرحلة النقل الي

مرحلة الابداع ، ويعتقد أن (الاعتماد علي المصادر كنقطة بداية تفقد العمل الفكر وحدته الداخلية وبناءه العضوي ، وتجعل الباحث مجرد جامع المادة أو شارح وملخص لها ، وفي احسن الأحوال يكون ناقداً لها ، ويظل الموضوع ذاته خارج دائرة الاهتمام) (1) .

يري حنفي أنه الطريقتين الاولى والثانية يبقي الباحث في إطار النقل ، سواء أكان نقلاً عن التراث الغربي أو التراث القديم ، في حين أنه مطالب بالابداع . ومع انه يري أن هذه الطرق الثلاث قد لا تستبعد بعضها بعضاً ، ويمكن الجمع بينها من اجل الاستفادة من ميزة كل طريقة والاقبال من غيرها ، الا انه يعتقد بأنه (يصعب إيجاد موقف متوازن ومتعادل بين هذه الطرق الثلاث ومع ذلك تظل الطريقة الثالثة هي الثاني وهي الطريق الأفضل في مرحلتنا الحالية ، وتبقي الطريقتان الاوليان مجرد عاملين مساعدين نوجيها للقارئ وتأكيداً لوحدة فكرة بين النقل متعارف علي وابداع يخشي منه) (2)

1_ حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1987 ، ص 524 .



وقراءة النص عند حنفي الفهم ، والنص هو موضوع الفهم ، وهذه القراءة برأيه (تعادل نظرية المعرفة في الفلسفة التقليدية تحديدا العلاقة بين الذات والموضوع ، فالقراءة هي الذات والنص هو الموضوع ، وقراءة النص بمعنى فهمه تتضمن تفسيره وتأويله ويمكن أن يكون الفهم مباشرة بغير ما حاجة الي تفسير أو تأويل . فإذا استعصي الفهم البديهي المباشر نشأت الحاجة الي التفسير أي الي فهم من الدرجة الثانية اعتمادا علي منطق اللغة أو النص او ضرورة الموقف او روح العصر (3) . والتأويل يتم اللجوء اليه عندما ينشأ تعارض بين المعني المباشر للنص والوضع الجديد ، حيث أنه من خلال التأويل يخرج اللفظ من معناه الحقيقي الي المعني المجازي في حين أن الشرح عند حنفي (يتضمن كل ذلك : الفهم والتفسير والتأويل . الشرح هو العلاقة بين القراءة والنص ، والموضوع باعتبارها موقفا معرفيا شاملا) (4). يري حنفي أن للقراءة الفردية حالتين : القراءة الفردية والقراءة الجماعية ، فقد تكون من فرد لفرد ، كلاهما الي نفس الحضارة ، قراءة الحاضر للماضي ، وتواصلًا للتراث ، مثل قراءة ابن رشد للفارابي وابن سينا ... وفي هذه الحالة تكون القراءة تصحيحا وتجديدا لروح العصر عن طريق التأويل . وقد تكون القراءة من فرد ينتسب الي حضارة لفرد اخر ينتسب الي حضارة مغايرة ، وهي أيضا قراءة الحاضر للماضي وتواصلًا بين الحضارات ، مثل قراءة ابن رشد لأرسطو وبناء عليه يقول : (القراءة اذن عمل فردي وعمل جماعي ، عمل فردي داخل كل حضارة وعمل جماعي بين الحضارات ، من اكمال الموقف وإظهار البناء ... وفي كل الحالتين : القراءة الجماعية ، ليست القراءة مجرد شرح وتأويل للمقروء ، بل إعادة بناء له طبقا لتصور القارئ فردا او جماعة ، انها قراءة وتحليل ونقد وتصحيح وإعادة بناء من اجل اكمال او اطلشاف القانون) (5) وفي دراسته لقراءة النص يطرح السؤال التالي : ماهو النص ؟

وفي اجابته عن هذا السؤال ، يقول بأن النص بالنسبة له مجرد تدوين للفض وتسجيل له ولكنه يمثل سلطة توجيه وتقنين وتشريع ، فالنصوص الدينية كما يقول : (هي بالا صالة سلطة تصدر عن الوحي وطاعة الأنبياء ، ويظهر النص كسلطة في النصوص الدينية والقانونية اكثر ما تقتضيها النصوص التاريخية والنصوص الأدبية . لذلك تستعمل كشواهد في الخطاب في المجتمعات النصية التي لايزال النص يمثل فيها سلطة) (1).

1- حسن حنفي دراسات فلسفية ، ص 524 .

2- المصدر السابق ، نفس الصفحة

3- المصدر السابق ، ص 526 .

4- المصدر السابق ، ص 527 .

5- المصدر السابق ، ص 528 ، 5219 .

وهكذا فالنص الديني هو نص أمر ونهي ، في خطاب يقتضي الطاعة بآتيان فعل أو بالامساك عن فعل ، يتضمن توجيهاً عملياً أكثر مما يتضمن معرفة نظرية ، فهو أقرب إلى الأخلاق منه إلى المعرفة ، وبناء عليه يقول حنفي : (لذلك أرتبطت علوم التفسير بعلوم النفس والأخلاق وكأن مهمة النص هي الإصلاح والتغير ، والتخلي عن العادات السيئة واكتساب العادات الحسنة ، النص دعوة إلى الإصلاح في الأرض دون الفساد فيها ، لذلك كثرت قراءة النصوص في الخلايا والجماعات السرية) (2).

- اما الأسس والمباني النظرية التي تقوم عليها القراءة الجديدة للنص القرآني عند حنفي ، فهي :
- النص مجموعة من المتغيرات ، يقرأ كل عصر فيه نفسه ، فالعصر هو الذي يفسر النص في القراءة ، كما أن النص هو الذي يفسر العصر في التدوين .
 - النص في تدوينه وقراءته سلاح أيديولوجي ، خاصة في مجتمعات سلطوية فكرية وسياسية ، كل جماعة تري نفسها في النص ، وتسقط آمانياتها عليه ، تري فيه دفاعاً عن مصالحها وهجوماً على خصومها .
 - النص الديني ، يتميز عن غيره من النصوص ، يؤمن الناس به كموجة للسلوك وكمصدر للقيم ، وكمعيار للعالم وميزان للعمل .
 - النص قول صامت ، نطق ساكت ، حروف مرئية ، مدونه حرفيه ، والقراءة هي التي تحيله إلى معني وتجعله قولاً معلناً ، ونطقاً مسموعاً ، وتوجيهات عملية ومعارك سياسية واجتماعية .
 - يتغير معني النص حسب الأحوال النفسية للقاري الواحد ، وحسب الفروق بين الافراد ، وتبعاً للبيئات الثقافية والحضارات والعصور .
 - لا يوجد تفسير خاطئ وتفسير صحيح بل يوجد تفسير في انتقاء النص ، او في موضوع تطبيقه ، كما ان تعدد تفسيراته يعود إلى قصد مصالح المفسرين .
- تندرج هذه الأسس والمبادئ النظرية ، التي يستند إليها حنفي في قراءته الجديدة للنص القرآني في اطار قضية واحدة من قضايا النص الأساسية ، انها قضية كيفية تفسيره وفهمه وتأويله ، وهي قضية طرحت منذ العصر الأول للأسلام ولا تزال ، وهي قضية خلافية بين المسلمين ، تظهر البعد التاريخي للنص عند كل من يتعاطى معها ، وهذا البعد عند حنفي عندما يؤكد على ارتباط النص بالواقع الذي نشأ فيه ، وعلي انه يعكس ثقافة وقضايا ذلك الواقع ويتكلم بلغته ، بالتالي فان قراءتنا له لا بد أن تقوم على الواقع الجديد الذي ننتمي إليه ، بما يمثله من تطور وتقدم وتغير على جميع الأصعدة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية .

1- المصدر السابق ، ص 531

2- المصدر السابق ، ص 533.



لكن حنفي يحرص علي إضفاء مشروعية دينية علي كل ما يطرحه من أفكار وما ينادي به من مبادئ ، ولكن الأسس والمبادئ النظرية التي يستند اليها في قراءته الجديدة للنص القرآني ، مأخوذة من المناهج الحديثة ، وهي مناهج غربية ، فانه يعود الي التراث الإسلامي لكي يضيف عليها ذلك المشروعية الدينية ، ولهذه الغاية يعود حنفي الي العصر الأول للاسلام ، ليبين كيف ان القدماء تعاطوا مع النص حسب ظروفهم واحتياجاتهم ، وقرأوه وفقا لذلك .

يعطي حنفي في قراءته الجديدة الأولوية للواقع علي النص ، ويدعو الي إعادة النظر في علوم القراءن التي أنشأها القدماء ، وما تزال معتمدة لدي المسلمين دون دراسة ، لانها استمدت أهميتها المعرفية والتاريخية من العصر الذي ينتهي اليه ، وقد تفقد هذه الأهمية في هذا العصر ، أو تعود غير ذات فائدة ، فلا بد من دراستها .

ويدعم حنفي موقفه في قراءته الجديدة للنص القرآني ، حيث أعطي الأولوية للواقع علي النص ، علي عكس ما كان عليه الحال عند القدماء ، وما يزال سائدا عند عامة المسلمين ، يدعمه ببعض المبادئ التي يأخذها المسلمون بعين الاعتبار عند قراءتهم للنص القرآني ، وأهمها : أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، وحسب وجهة نظر حنفي لا بد من إعطاء معرفتنا لهذين المبدأين معاني جديدة غير تلك التي كانت عند القدماء ولا نزال نأخذ بها ، ويضيف : (اذا كانت أسباب النزول عند القدماء تعني معرفة الأصل حتي يتم عليه قياس الفرع ، فأنها تعني عندنا أولوية الواقع علي فكر ، واذا كانت معرفة الناسخ والمنسوخ عند القدماء تهدف الي معرفة الاحكام فأنها تعني بالنسبة لنا التطور في الزمان وإعادة صياغة احكام الأفعال طبقا لقدرات الانان وطاقاته) (1). اذا كان الفهم القرآني مشروطا بمعرفة أسباب نزوله ، وهذا ما يجمع عليه المسلمون ، فان حنفي يعطيه دلالة أخرى وهي أولوية الواقع علي الفكر ، أي أولوية الموقف علي النص ، حيث يقول : (لا يمكن فهم النصوص الا بالرجوع الي هذه المشاكل الاولي التي استدعت حلولها تم تدوينها في النصوص . وهذا ما سعي في تراثنا القديم ((أسباب النزول)) النص بالا موقف ، صورة بلا مضمون ، غطاء بلا أنية ، لفظ بلا معنى ، روح بلا جسد ، وتعني أولوية الواقع علي الفكر أي أولوية الموقف علي النص . فالموقف سابق علي النص لانه مصدره ، والنص تصدير وتدوين له . وبالتالي يفسر النص بالرجوع الي هذه المواقف الاولي ليس النص تعبيرا بلا ارض ولا وطن ، بل هو تسجيل موقف ، وافراز عصر) (2). ويرى ان الواقع هو المفسر للنص والمحدد لأوجهه التي يرتكن اليها . ويرى حنفي أن لقراءة النص مراحل عدة تبدأ بالذات وتنتهي بالموضوع ، وتبدأ بالداخل وتنتهي بالخارج ، ويشير الي ثلاث نقاط :

1- حسن حنفي ، موقفنا الحضاري ، المستقبل العربي ، بيروت ، العدد 5 ، 1981 ، ص 81 ، 90 .

2- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط 1 ، 1987 ، ص 543 .

الاولي : الالتزام بموقف فكل قراءة تبدأ بمعرفة شيء ما ، معرفة ما يحتاجه القارئ أولاً ، ماذا يريد ان يقرأ في النص ، وماذا يريد النص ان يقول له ، فالقاري هو الذي يقرأ النص .وهو الذي يعطيه دلالة ، والنص يتجاوب معه نظراً لاشتباهااته وأوجه ، وبالتالي فان القراءة غير الموجهة تحصيل حاصل لا تؤدي الي معني لان القاري يقرأ من غير ان يوجه النص نحو معني لتحقيق هدف ، فالمعني هدف قبل التحقيق ، والهدف معني متحقق ، القراءة أذن موقف ، والقاري صاحب الموقف (1) . وهذه نقطة مهمة يوضحها حنفي وهي أن قارئ يضع دائماً أمامه هدفاً يريد تحقيقه أو الوصول اليه من خلال قراءته للنص ، أي أنه ليس هناك قراءة بريئة بالمعنى الكامل لهذه الكلمة . وهذا ما لا تقرب به المدرسة الدينية التقليدية .

الثانية : هي التعبير عن مصالح الناس ، يقول حنفي : (ولما كان النص موضوعاً لصالح الغالبية العظمى من الناس خاصة النص الديني والنص القانوني فان تفسيره يكون لصالح هذه الأغلبية نفسها . واذا كان النص سلطة ، وكانت السلطة نوعين ، سلطة الحاكم وسلطة المحكومين ، وكانت سلطة الحاكم مستمدة من سلطة المحكومين لكونها عقد وبيعة واختيار فان تفسير النص يكون بالضرورة لسلطة المحكومين مصدر سلطة الحاكم ، واذا ما اختلفت السلطانان ، وعبرت سلطة الحاكم عن ارادته المشخصة أو عم فتنة أو طبقته فان سلطة المحكومين تتمايز عنها وتقف أمامها ، فتكون في المجتمع سلطتان ، كل منها تدعي الشرعية وتقرأ النص لصالحها) . (3) وهنا يضع حنفي النص لصالح الناس ، لصالح الأغلبية .

أما النقطة الثالثة فهي لغة الواقع الاحصائي ، يقول : (قد تكون القراءة تفسيراً للنصوص ولكنها قد تكون أيضاً تفسيراً للظواهر الاجتماعية والطبيعية ، طبقاً للمعني الاشتقاقي لكلمة ((آية)) (3) . ثم يخطو حنفي بقراءته الجديدة للنص القرآني خطوة هامة ونوعية ، قياساً الى القراءة الدينية التقليدية ، عندما يدخل المناهج الحديثة في قراءته ، مما يضئ مساحات للنص لا تدخلها القراءة التي تأخذ بالمنهجية الدينية التقليدية ، وهذا ما قام به التيار الإصلاحية الديني المسيحي الذي ظهر في أوروبا في بداية العصر الحديث ، فأسهم في تحديث الدين المسيحي ، وأوحد توافقاً بينه وبين القفزة التاريخية التي حققها المجتمعات الغربية عندما دخلت عصر الثورة الصناعية والانتقال الى الرأسمالية ، كتشكيكة تاريخية – اجتماعية جديدة علي أنقاض التشكيكية الاقطاعية القديمة التي كان الدين المسيحي أحد أركانها .

1- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، ص 543 .

2- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، ص 546

3- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، ص 546



ثالثا: حسن حنفي النظرة العقلانية .

يسعى حنفي من خلال قراءته الجديدة للنص القرآني الى التحرر من هيمنة القراءة الدينية التقليدية ، ويدعو الي أن تكون قراءة النص تقوم علي الإبداع وليس علي النقل ، ذلك لان التفسير الحرفي للنص هو موت له ، معتمدا في ذلك علي ما تحقق في العصر الحديث علي صعيد علم التفسير ، أن علم التفسير جامعا لعدة علوم مثل علم النفس وعلم الفقه وعلم الاجتماع ، كما أصبح عصباً لنظريات المعرفة والقيم علي حد سواء لقد أصبحت مهمة علم التفسير إقامة جسور بين الله والانسان ، بين الماضي والحاضر بين الذات والموضوع بين اللفظ والمعني ، بين العلم والدين ، بين الأسطورة والواقع ، بين الكتاب المقدس والدعاية وهذا يلقي الضوء علي المنحى العام لقراءة حنفي ، كيف يتعاطي مع قراءة النص وكيف ينظر اليه ، وما من شك ان قراءة حنفي تختلف علي القراءة التقليدية ، بأمرين أولهما استعمال المناهج الحديثة في القراءة ، وثانيهما إعطائه الأولوية للواقع علي النص ، ولكن هذه القراءة التي يقول بها حنفي هل هي جائزة من الناحية الفقهية ومن موافقة اهل الفقه والتفسير الديني الذين تناقلوا هذه القراءة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ، وهل يجوز لحنفي ان يدخل العلم الحديث وأدوات ومناهج حديثة الغربية ومناهج علمية استعملت في تفسير ظواهر تاريخية .

يري حنفي أن الإسلام هو الحل لمأزق التطور التاريخي ، الذي تعيشه المجتمعات العربية المعاصرة منذ قرون ، فمن خلاله تتمكن من تحقيق ذاتها وبناء حضارتها . والفكر الإسلامي مؤهل أن يقوم بدوره علي هذا الصعيد ، علي غرار ما قام به في عصره الأول ، ويرى أن التحدي المطروح علي المسلمين الان هو كيف يمكن الوصول الي نفس النتائج التي حققها هذا الفكر في ذلك العصر .

نجد أعمال الفكرية لحسن حنفي ، سواء كانت تحت اليسار الإسلامي او من العقيدة الي الثورة او التراث والتجديد ، فجميعها تهدف الي بلورة فكر إسلامي نهضوي للمجتمعات العربية الإسلامية ، ويعمل حسن حنفي علي الصعيد الفكري علي ثلاث مستويات ، او حسب تعبيره تتوزع طريقة أعماله علي المستويات الثلاثة (أولا المستوي العلمي ، ثانيا المستوي الثقافي ، ثالثا المستوي الشعبي) (1). وكما جاء في كتاب (حوار الأجيال) حول تردده في استعمال مصطلح محدد كعنوان لعمله الفكري : اليسار الإسلامي ، الثورة الإسلامية ، الإسلام السياسي ، والتراث والتجديد ... ويمرّحل حنفي تاريخ الحركة الإسلامية بثلاث مراحل :

1- حسن حنفي ، حوار الأجيال ، دار قباء ، القاهرة 1998 ، ص 476.

2-حسن حنفي ، حوار المشرق والمغرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1990 ، ص 243-3-حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، ص 208.

الاولي : فترة القرون السبعة الاولى للإسلام ، وكانت مرحلة ذهبية في التاريخ الحضارة الإسلامية ، ثم انهارت بعد الهجوم الذي قاده الغزالي علي الاتجاه العقلاني الإسلامي آنذاك .

الثانية : بدأت مع القرن السادس الهجري واستمرت حتي الرابع عشر منه ، وكانت مرحلة الشروحات والملخصات ، حيث أستبعد العقل الصالح والنقل .

الثالثة : التي نعيشها الان ، وقد بدأت منذ القرن التاسع عشر ، وهو يري أن (الحركات الإسلامية المعاصرة انما تعبر عن بداية مرحلة تاريخية ثالثة من تاريخ الحضارة الإسلامية) (2) . ويعتبر نفسه جزءاً من هذه الحركة وأحد تعبيراتها ، وأنه امتداد لتيارها الإصلاحية الذي نشأ في ذلك القرن .

ويتحدث حنفي عما يمكن ان يستلهمه المجتمع العربي في قيمه المستقبلية ونظمه وتشريعاته من مبادي الإسلام وروحة ، ويحددها علي النحو التالي : العقل ، الطبيعة ، الانسان ، الحرية ، المساواة ، التقدم ، ويبحث كلا منهما علي حدة ومن جانبيين ، الأول بعدها الإسلامي والثاني دورها في التنوير الأوروبي ليبين اصالة هذه المبادي الإسلامية قبل أن تكون قيماً لفكر التنوير الأوروبي ، حيث يقول : (هذه القيم الأساسية والمفاهيم النظرية لا شأن لها بفلسفة التنوير في الغرب ولكن الغرب حاول الاقتراب منها فوقع في حدود العنصرية والرومانسية ، بل هي أهم مقولات العلوم الإسلامية القديمة وخاصة عند المعتزلة والفلاسفة . وهي في نفس الوقت تعبر عن متطلبات الحاضر ، وتمتد جذورها عند القدماء) (3) . ويدعو حنفي الي تأسيس هذه القيم إسلامياً حتي لا يبقى الفكر الغربي مصدراً لها ، لا نه لا بديل عنها لاي نهضة عربية معاصرة ، وان لم تتأسس هذه القيم إسلامياً ، وان لم تعرض نفسها محلياً تعبيراً عن حاجات الامة فان

المجتمع سيضل يستلهم حاجاته من التراث الغربي رافضاً الفكر الإسلامي باعتباره علي نقيض ما يبحث عنه ، هكذا فعل مع التراث اليوناني عندما حولوه الي تراث محلي خالص ، فوجد المسلمون في فكرهم العقل والطبية ، والأخلاق والسياسة وهي القيم التي لا بديل عنها في اية نهضة معاصرة او تخطيط مستقبلي للدور الثقافي للفكر الإسلامي (1) . واضح ان حنفي يدرك أهمية هذه القيم بالنسبة لاي نهضة عربية معاصرة ، لكنه في الوقت نفسه لا يريد ابقائها في بعدها الغربي ، بل اسلمتها حتي يستطيع الفكر الإسلامي القيام بدور مستقبلي في اطار النهضة العربية المنشودة التي يتطلع اليها .

(ليست القيم الإسلامية وتصورات الإسلام الأساسية مجرد فلسفة نظرية او مذهب فلسفي يكتفي به الانسان ويقتنع به ، يملأ حياته ، ويعطيه الطمأنينة والسكون بل هو اعداد ذهني للإنسان لمواجهة تحديات عصرة ومشكلات جيله ، ويحدد له خطته وغاياته) (2) . وبالتالي فان



الفكر الإسلامي علي هذا النحو) فكر نضالي يقوم علي المواجهة كما كان في بدايته يقوم علي أسباب النزول أي أن الواقع سابق علي الفكر ، وان المشكلة الاجتماعية هي التي تتحدى الفكر ، وتطالبه بمقابلة التحدي بتحدي (3). والاجابة علي السؤال الذي طرحه حنفي وهو :- ما مدى ما يمكن ان يسهم به الفكر الإسلامي المعاصر في مواجهة قضايا العصر ومشكلاته وتحدياته ؟ يبين حنفي فيه أولا ان لا مكان للفكر الإسلامي المعاصر خارج الزمان والمكان ، او ان يقتصر علي المبادئ العامة دون تطبيقها في مجتمع بعينه في لحظة تاريخية محددة ، بالتالي فان الفكر مطالب بمواجهة قضايا العصر الأساسية للمجتمعات العربية التي يجملها بست نقاط وهي :- (4).

- 1- تحرير الأرض من الاحتلال والغزو .
- 2- الدفاع عن الحريات في مواجهة القهر .
- 3- العدالة الاجتماعية في مواجهة سوء توزيع الثروة .
- 4- التنمية الشاملة في مواجهة التخلف الحضاري .
- 5- اثبات الهوية ضد الاغتراب .
- 6- توحيد الامة في مواجهة التجزئة .ويوضح حنفي كيف يمكن ان يتم معالجة كل قضية من هذه القضايا الست اعتمادا علي الفكر الإسلامي أستشراق المستقبل الأفضل وارتداد افاقه ، وبيان الطرق المثلي لتحويل الأفكار الي واقع تطبيقي ، يقول (لقد استطاع الفكر الإسلامي القديم يقوم بنفس الدور المناط به حاليا ، فقد استطاع بقدراته الذاتية علي الخلق والابداع احتواء كل الحضارات القديمة وتمثلها ، كما استطاع التوحيد والانتشار فوق الحضارتين القديمتين (الفرس ، والروم) وورثة العالم القديم ، والإسلام اليوم في نفس الظروف والإمكانات والتحدي الأعظم بالنسبة لنا هو : هل يمكن الوصول الي نفس النتائج (5). يري حنفي أن هناك ثلاثة طرق يمكن من خلالها أن يقوم الفكر الإسلامي بالدور المناط به حاليا ، الطريق الأول : طريق التنظيمات السرية ، الطريق لثاني : الخروج العلنيوعصيان

النظم القائمة هذان الطريقان مسدودان وغير مرغوب فيهما ، اما الطريق الثالث :

هو الطريق المفتوح ويدعوا الي الاخذ به وهو : طريق الشرعية والعمل من خلال النظم القائمة . ولكنه يشترط (أن يتم ذلك من خلال رؤية تاريخية ، ومشروع طويل يتحقق في عدة أجيال ، وليحكم اليوم من شاء ، فما ضاع خلال قرون طويلة لا يعود الا بجهود عدة أجيال بناء علي خطة محكمة ورؤية تاريخية (1). وهذه الرؤية والخطة المحكمة يتمثل بعضها براءة في الاتي :

1- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، ص 209.

- 2- المصدر السابق .
 - 3- المصدر السابق ص 210
 - 4- المصدر السابق ، ص 210 – 217.
 - 5- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، ص 218.
 - 1- مشروع إعادة بناء التراث.
 - 2- حرية الفكر .
 - 3- المحافظة علي المقاصد الشريعة .
 - 4- الإصلاح في الأرض لا افساد فيها .
 - 5- استقلال المؤسسات الدينية .
 - 6- ابطال مظاهر النفاق الديني من أجهزة الاعلام وجهاز الدولة .
- يري حنفي (نظريات الإسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية معروفة ، وليس المهم إعادة عرضها ، تبرئة للذمة ، وتعويضاً عن مآسي العصر ، بل المهم هو بيان المسافة بينها وبين الواقع وتغير هذا الواقع بالعقل حتي يقترب من المثال . وان تغير الواقع خطوة واحدة نحو العقلانية أو الطبيعة أو الحرية أو الانسان أو المساواة أو التقدم لا قرب الي الإسلام من عشرات النظريات فيها ومئات الآراء حولها) (2). ويؤكد حنفي علي أن طريق التغير الذي يتطلب الدعاة ، والتنظيمات الشعبية ، والمؤسسات التعليمية والثقافية طويل ولكن لا بديل عنه . أذن لا مفر من الحوار المفتوح أمام الناس بين أصحاب الحقوق وأدعيائها . ومن ثم لا مناص من حرية الفكر الذي بدونة لا يجهر بحق ، ولا يقال صدق ، ولماذا الخوف والعيش في الظلام ؟ وبماذا تنفع الدنيا ؟ اليس المال والبنون زينة الحياة الدنيا والآخره خير وابقى ؟
- يتوضح مما سبق لحنفي أمران ، الأول : أن همه الأساسي هو تغير الواقع الذي تعيشه المجتمعات العربية المعاصرة ، لصالح واقع أفضل وأحسن ، تحتقق هذه المجتمعات من خلاله ذاتها وتبني حضارتها . الثاني : أن الفكر الإسلامي مؤهل بإمكاناته الذاتية لان يقوم بالدور الذي قام به فكر الانوار الأوروبي في نقل المجتمعات الأوروبية الي الحداثة ، وبناء حضارتها الحديثة . وهذا نجد ما يقدمه حنفي من اصلاح هو برنامج سياسي قبل أي شيء آخر ، ولهذا يعطي الفكر الدور الثقافي في عملية التغير ، قياسا علي ما قام به فكر الانوار الأوروبي ، ويعتقد المبادي والقيم التي تضمناها هذا الفكر ، وشكلت الأساس الثقافي للحضارة الغربية الحديثة ، موجود في الفكر الإسلامي ، وان بين فلسفة التنوير الاوربية والإسلام علاقة وطيدة علي الصعيدين التاريخي والفكري ، ويقول : (يمكن القول بلا ادني مبالغة ان الإسلام كان سببا من أسباب فلسفة التنوير واحدي روافدها التاريخية) (3)



- 1- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، ص 219
- 2- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، ص 227.
- 3- لسنج ، تربية الجنس البشري ترجمة وتقديم حسن حنفي ، دار التنوير ، بيروت ، 1981 ، ص 206.

وللتأكيد علي صحة رأيه يجري مقارنه ما بين الفكر الاعترالي وفلسفة التنوير ، بين من خلالها اشتراكهما في اثبات حرية الانسان ومسؤولية الفردية ، والدعوة الي اعمال عقلية ، والفكر الاعترالي يمثل التيار التحرري امام الاشعرية المحافظة ، كما تمثل فلسفة الانوار التيار التحرري امام الارثوذكسية المسيحية ، ويرى أن الإسلام يمثل نموذجاً للدين المستنير الحالي من المؤسسات الدينية ، مبادئ وقيم تقوم عليها فلسفة التنوير ، وبناء علي ذلك يصل الي القول : (الحقيقة أن الفلسفة التنوير في القرن الثامن عشر ودعوتها الي العقل والحرية والتقدم والمساواة دعوة إسلامية خالصة) (1) . وفي اطار مشروعه الفكري يتوقف حسن حنفي عند قضية التراث ، ويرى أن هناك نموذجين للتعامل معه ، ولكل منهما عيوبه . النموذج الأول : النموذج التراثي ، ان التعامل مع التراث والنظر اليه علي انه البديل ، وهذا ما تدعوا اليه القوي الإسلامية الأصولية ، ويذكر عيوب رئيسية لهذا النموذج وهي :-

الأول - يؤخذ التراث علي انه غاية في ذاته وليس مجرد وسيلة لتحقيق غاية أخرى هي تقدم الشعوب ونهضة المجتمعات فالتراث قيمة في حد ذاتها يحرص عليها ، ولا يمكن تناولها بالنقد او التغيير ، التراث مصدر القيم ...

الثاني : يكون التراث مستقلا عن الواقع وليس جزءا منه أو موجهاً له ، فهو فكر وواقع ، عقيدة وشرعية ، تصور ونظام ، دين ودنيا ، مصحف وسيف الخ .

الثالث : التراث كل لا يتجزأ يؤخذ كله أو يرفض كله لا يقبل الترفيع أو التوفيق مع تراث آخر مغاير ، التراث وحدة واحدة لا بداية له ولا نهاية ، يبدأ من ذاته ويعود الي ذاته ، منه البداية والية المنتهي .

الرابع : يكون التراث خارج التاريخ والزمان والمكان ، حقيقة أبدية لا تتطور أو تتغير ولا يخضع لتأويل أو تفسير أو وجهة نظر .

الخامس : الواقع كله مدان ، ولا يمكن تطوره أو إصلاحه بل هدمه من الأساس حتي يبدأ البناء الجديد علي أسس راسخة .

1- لسنج ، تربية الجنس البشري ، ص 211.

2- حسن حنفي ، التراث والتغير الاجتماعي ، شؤون عربية ، عدد 5 ، تموز 1981 ، ص 81 ، 83.

اما النموذج النموذج الثاني ، او النموذج اللاترائي ، في مقابل النموذج الترائي ، فيعتبره حنفي ردة فعل عليّة ، فهو العكس (يقطع الصلة بالقديم لبناء الجديد علي أسس من العلم والمعرفة والجهود الإنساني الخالص بعد اكتشاف عورات التراث وعدم ثباته امام العلم الجديد ، فالتقدم نحو الجديد مرهون بالتخلص من القديم) (2) والغرب الحديث هو المثال علي هذا النموذج ، والا ان حنفي يري ان النموذج اللاترائي عيوبه الخاصة أيضا ، ويتحدث عن عيوب النموذج اللاترائي وهي :-

الأول : يحدث تغير في السطح لا في العمق ، وفي العرض لا في الجوهر ، وفي الأطراف لا في المركز

الثاني : يحدث تغير في الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما يحدث تغير في الأبنية الاجتماعية دون أن يقع تغير مواز في أنساق القيم .

الثالث : يحدث التقدم في الخارج في مظاهر الحياة المدنية من صناعة وزراعة وعمران ولكن علي أساس من التخلف من الداخل .الرابع : ونتيجة لذلك يحدث أنفصام في الشخصية الوطنية ، وتتجاوز فيها طبقتان من الثقافة ، الطبقة الاولى تاريخية متصلة محافظة اصيلة ، والطبقة الثانية حديثة منقطعة تقديمية مستوردة (1) . وينتقل حنفي الي نموذجة كبديل عن النموذجين السابقين ، ويقول عنه (النموذج الثالث هو (إعادة بناء التراث) أو أحياء التراث او تجديد التراث ، وهو النموذج الذي تحاول المجتمعات النامية صياغة وتبنيها بالرغم مما هو حادث الان من وقوع في الخطابة او الانتقائية من الخارج فأذا كان النمط الترائي يضحي بالتغير الاجتماعي من أجل المحافظة علي التراث وكان النمط اللاترائي يضحي بالتراث من أجل احداث التغير الاجتماعي فان نمط تجديد التراث او احيائه او إعادة بنائه طبقا لحاجات العصر هو الذي يحفظ من التراث دوافعه علي التقدم ويقضي علي معوقاته وهو القادر علي احداث التغير الاجتماعي بطريقة ارسخ وابقى واحفظ له في التاريخ من الانتكاسات والردة وحركات النكوص) . يشير حنفي الي ان من الممكن ان تثار عدة محاذير حول مشروعة التراث ، وهو يعتقد ان من السهل ايضاها والتخلص منها ، ذلك لان (إعادة بناء التراث تصور علي دقيق للمرحلة التاريخية للمجتمعات التراثية علي غرار المجتمعات النامية حتي يمكنها ان تحقق اكبر معدل للتنمية وتقضي علي



معوقات التقدم من الجذور وحتى تأمن الانتكاسات وحركات الردة والثورات المضادة وهي مهمة عدة أجيال حتي يتم محو الامية وتجنيد الجماهير ، فالبواعث مرحليا قد تكون بديلا من التصورات ، ولا يوجد حتي نظري الا اذا أتيح عنه نفع عملي علي مايقول الاصوليون القدماء (2)

1- عزيز العظمة ، قراءات وتعليقات دراسات فلسفية ، سلسلة كتاب قضايا فكرية ، القاهرة ، الكتاب الثامن ، أكتوبر 1989 ، ص 331.

كما انه ينفي شبهة ان إعادة بناء التراث انما يخضع لانتقائية عشوائية ، ويطالب أصحابها بإيجاد معايير نظرية خالصة وثابتة ، مستندا الي ان إعادة بناء التراث (تخضع لمقاييس المصالح المرسله وتحقيق النفع لجماهير الامة ، وهذه يجدها الفقهاء الذين هم بمصطلح العصر علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد بالديهم من لغة الأرقام والتحليل الكمي للواقع . فمقياس جلب المنافع ودفع المضار مقباس شرعي تقاس به الاحكام ... ولايهم صحة التأويل النظري بل مقدار ما يقدمه من نفع عملي) (3) . ويرد علي الذين يرون في إعادة بناء التراث ادخال الدين ذاته في اللعبة السياسية ، بقولة (والحقيقة ان هذه الشبهة تقوم علي تصور خاطئ للتراث عملية تاريخية صرفة تتعامل مع نتاج تاريخي ... فالتراث نتاج انساني خالص ليس له صفة القداسة او الالهوية) (4). مما تقدم نجد حسن حنفي يعمل من اجل معالجة الإشكالية الفكرية التي تواجه الفكر العربي والإسلامي لاصلاح هذا الفكر إشكالية التأسيس لهضبة عربية علي أسس إسلامية استنادا الي النص الديني مع المحافظة علي بنيتية الاصلية ، وقد كانت دراسته في الغرب واحتكاكه بالآخر ومعايشته له ذات تأثير إيجابي علي وعية ونمط تفكيره ، فهو كما يقول عنه اركون (بقي دائما مؤيدا للتواصل المفيد والمخصب مابين الفكر الإسلامي والفكر الغربي) .

ويري عزيز العظمة أن حنفي (يتركز في نقطة يلتقي فيها تياران أساسيان في الفكر والمخيلة العربيين تيار مراجعة التراث والقراءة التاريخية الداحضة له في سبيل اقامة حاضر ومستقبل في توافق مع متطلبات العصر ، ومع المخيلة شبه السلفية ، التي تتمنطق بمفهوم الاستمرارية التاريخية علما لها ، والتي تدرج المراجعة التاريخية النقدية للتراث في اطار الاضرار علي الاستمرارية مع هذا التراث ، وفي حدود تضاد متخيل مع الآخر ، بين الانا والآخر أي الحضارة العربية الإسلامية ، والآخر أي الغرب) (5). وفي اطار هذين التيارين يندرج مشروع حنفي الفكري ، وقد استطاع ان يتبوا موضعا متميزا في الفكر العربي المعاصر .

الخاتمة

مشروع حسن حنفي هو احد أوجه المشاريع الفكرية علي الصعيد المعرفي ، باتجاه الغفليية التنويرية من اجل تأسيس نهضة عربية إسلامية تتضمن أفكار يمكن ان يؤسس عليها ويستند اليها وتطورها لبلورة اتجاه إصلاحي جديد ، يلي احتياجات المجتمعات الغربية المعاصرة ويستجيب للتحديات التي تواجهها ، محاوره مستمدة من ذلك ومن ابرز تلك الأفكار :

- 1- حسن حنفي ، التراث والتغير الاجتماعي ، شؤون عربية ، عدد 5، تموز 1981، ص 83.
 - 2- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، مصدر سابق ، ص 150.
 - 3- المصدر السابق ، ص 151.
 - 4- محمد اركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، 1986، ص 181
- أولاً: المسلمون هم الذين ينتجون اسلامهم ، فعالة من حالهم ، فقد نجح رجال الفكر الإسلامي في عصرة الأول ، في جعله احد المقومات الأساسية للحضارة العربية الإسلامية ، وبعدها الثقافي ، حيث ، تصدوا بجدارة للتحديات التي واجهتهم ، وتعاملوا بشكل إيجابي مع الآخر الذي احتكوا به ، وانفتحوا علي ثقافة الحضارات التي وصلوا اليها .
- ثانياً: كل دين متضمن منظومه من العقائد المقبولة ، بصفتها حقائق لا يجوز المساس بها ولا نقاشها ، وهي غير خاضعة لاي تسأل نقدي للعقل ، والتيار الاصولي حول التجربة التاريخية للإسلام الي عقيدة ، وبذلك أضفي عليها نوعاً من القداسة ، وبهذا وسع الحقل المقدس في الفكر الإسلامي ليضيق الحقل العقلي فيه .
- ثالثاً: تكاد تجتمع المشاريع الفكرية علي ان العقلانية هي طريق التقدم ، وتعم العقلانية قضايا الثقافة والمنهج والتراث ، ومناهج القراءة والتأويل بين الثقافية العربية والغربية ، وأشكال الهوية والعلمية ، والشرق والغرب .
- رابعاً: العقلانية هي احدي ركائز المشروع الحضاري العربي ، حيث يتم تحقيق العقل في الترشيده ، وهي ليست مجرد رؤية ، بل هي ممارسة في شتي نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية .
- خامساً: يحرص الاتجاه الإصلاحي الجديد علي المصالحة بين القديم والحديث ، مثل هذا المنهج الذي يربط بين الماضي والحاضر ، يفتقر الي وضوح مفاهيمه ، هل هو تجديد بمعني الفهم الجديد للإسلام من خلال معايشة المسلم لحياته ؟ ام هو مصالحة بين القديم والجديد ؟ وهل المصالحة تعني التنسيق ام الترميم ؟ .
- لعل الدارس للنهضة العربية والحداثة في الثقافة العربية تقع في اطار السهل الممتنع فيسي سهلة ، لان جوانبها المتعددة أصبحت واضحة بعد مئات السنين من بدء النهضة الاوربية وقرنين من الارهاصات النهضة العربية وما تابعها من حركات تنوير وإصلاح ، وغيرها من المفاهيم



الحديث ذات مضامين نسبية ، فهي مفاهيم متداخله ومتشابكة ومختلطة المعاني ومختلفة النشأة والتكوين والتأثير ، ولهذا فأن الحامل الاجتماعي الضروري للنهضة والحدثة لم ينشأ ولم ينضج في البلدان العربية ويؤدي دورة التاريخي ..

المصادر والمراجع :

- 1- حسن حنفي ، نحو تنوير عربي جديد ، محاولة تأسيس ، جريدة الاتحاد ، ابوظبي ، 26 ، 9 ، 2002م
- 2- لسنج ، تربية الجنس البشري ، ترجمة ، حسن حنفي ، دار التنوير ، بيروت ، 1981م.
- 3- حسن حنفي ، موقفنا الحضاري ، المستقبل العربي ، بيروت ، العدد ، 76 ، 6 ، 1985م.
- 4- حسن حنفي ، دراسات فلسفية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط1 ، 1987م.
- 5- حسن حنفي ، حوار الأجيال ، دار القباء ، القاهرة ، 1998م.
- 6- حسن حنفي ، حوار المشرق والمغرب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1990م.
- 7- حسن حنفي ، التراث والتغير الاجتماعي ، شؤون عربية ، عدد5 ، تموز ، 1981م.
- 8- محمد اركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، ت هاشم صالح ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، 1986م.
- 9- عزيز العظمة ، قراءات وتعليقات فلسفية ، سلسلة كتاب قضايا معاصرة ، الكتاب الثامن القاهرة ، أكتوبر ، 1989م.

ظاهرة المَثُون والشُّروح والحَوَاشي في التَّأليف النحوي

د. محمد الهادي عامر

يتناول هذا البحث ظاهرة المَثُون والشُّروح والحَوَاشي وأسباب ظهورها، وقد بدأ البحث بنبذة موجزة عن عصري المماليك والعثمانيين لاشتبهارهما بهذه الظاهرة التأليفية، ثم تناول البحث تعريفاً بمفردات العنوان، بعد ذلك تطرق إلى تاريخ المَثُون ووقت ظهورها وأنواعها، وأشهر المَثُون المنظومة، وأشهر علمائها، وعرض لأشهر المَثُون النحوية المنثورة وأبرز علمائها. ثم ذكر أسباب هذه الظاهرة في الدرس النحوي، والدوافع التي دفعت العلماء إلى الاختصار فيما يسعى بالمَثُون مما اضطرهم إلى الشُّروح التي استغلت ظهور الحواشي. وقد ناقش هذا البحث العيوب التي أخذت على هذه الظاهرة مناقشة موضوعية، ودافع الباحث عن هذه الظاهرة وبين أنَّها جزء من تراث هذه الأمة الذي لا يستغني عنه الدارس مهما بلغ في العلوم والمعارف.

المُقدمة

كانت كتب النحاة القدامى تُؤلف لتتضمن ما اهتموا إليه من حقائق نحوية، وحرص أصحابها على استيفاء البحث في كل مسألة بذكر جميع ما يتصل بها، ولو على سبيل الاستطراد، حتى اكتمل وضع علم النحو ونضجت أبحاثه وتمت مسائله، وحينما جاء من يريد الإضافة لم يجد إلا شرح من سبقوه، وتوضيح مما يصعب فهمه، وإضافة من خلاف من طارئ بين النحاة وما عرضه العلماء من علل وتأولات وشواهد، فازدادت التأليف اتساعاً، وتشعبت الأبواب النحوية، وكثرت المسائل الخلافية، وتنوعت العلل والتأويلات العقلية. مما دفع إلى ظهور فريق ثالث سعى إلى اختصار الأبواب، وتقريب المسائل من أذهان المتعلمين فألفت المَثُون المنظومة التي ظهرت في القرن السابع الهجري حتى بدت تشكل ظاهرة متميزة في منظومة التأليف النحوي أدت إلى ظهور شُروح لها أكثر اتساعاً ثم بُرُوز حَوَاشي عليها أوجبتها ظروف التبیین.

وقد رأيت أن أدرس هذه الظاهرة، وأسباب ظهورها مبيناً أشهر علمائها، وقيمتها العلمية بالحديث عن عصري المماليك والعثمانيين لُبُروز هذه الظاهرة التأليفية، وموضحاً المآخذ التي أخذت عليها، ثم مناقشاً ما قيل عن هذا الشكل التألفي وذلك تحت المباحث الآتية المسبوقة بالتمهيد الذي تناول نبذة تاريخية عن عصري المماليك والعثمانيين متبعاً المنهج الوصفي لهذه الظاهرة.



التمهيد

لعل من المناسب الحديث عن هذين العصريين من الوجهة التاريخية قبل الحديث عن ظاهرة المُتون والشُّروح والحواشي في علمي النحو والصرف، أو في سائر العلوم. فبعد سقوط بغداد أصبحت المكتبات العربية فيها خاوية، وبعد النكسات التي سببها زوال سلطان العرب عن الأندلس أصبح الملجأ الوحيد للعلماء مصر والشام، وترسخت قيمة هذا الملجأ بعد دحر المغول، والانتصار عليه في عين جالوت.

وكانت (شجرة الدر)¹ قد وضعت قبل هذا أساس سلطنة المماليك، وهي من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، اشتراها أيام أبيه، وحين ولدت له ابناً أعتقها وتزوجها، وكانت قوية الشخصية، تدبر الملك عند غيابه ومات مقتولاً سنة 647هـ وأخفت أمر موته، لأنّ المعارك مع الصليبيين كانت ناشبة، وقد حكمت ثمانين يوماً، ثم تنازلت بعدها لوزيرها وزوجها الثاني عز الدين أيبك، وبذلك بدأ الحكم المملوكي سنة 648هـ.

وينقسم المماليك إلى قسمين: مماليك بحرية، ومماليك برجية. أمّا المماليك البحرية فهم الذين حكموا من سنة 646هـ إلى سنة 784هـ وكان أصلهم من الحرس الذين اشتراهم الصالح الأيوبي، وأسكنهم في ثكنات بجزيرة الروضة في النيل، وكان أكثرهم من الترك والمغول. وأمّا المماليك البرجية فهم الذين كانوا في أول أمرهم حرساً خاصاً للسلطان قلاوون، وكان بعضهم أرقاء شراكسة، وسموا بهذا الاسم لأنهم كانوا يقيمون في أبراج القلعة بالقاهرة. وقد حكم هؤلاء مصر في سنة 784هـ إلى سنة 923هـ.

وقد أفلح المماليك في تطهير مصر والشام من بقايا الغزو الصليبي، وصدوا جيوش المغول بقيادة هولاكو وتيمور لنك، وفي التفاف الحركة الفكرية والحضارية حولهم ثم في التفافهم هم حول ما بقي من أثر الخلافة العباسية في بغداد.

وكان من أهم ما قُدِّم من نشاط ثقافي في هذا العصر كثرة التأليف الموسوعية، ووضع الشُّروح والملخصات للمُتون العلمية التي ظهرت في العصر المتقدم، وذلك كله يشهد بعظمة هذه الأمة التي لم تتنازل عن العلم والثقافة والإبداع حتى في أحلك ظروفها. وبذلك مهدت دولتهم سبيل استقرار الأنظمة السياسية إلى ن سقطت دولتهم بمجيء السلطان سليم العثماني سنة 923هـ.

¹ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط1، 1413هـ. 1992م، 320/6، والأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، ط17، 158/3.

فغلبهم على أمرهم، وقيام خلافة إسلامية غير عربية، وهي خلافة العثمانيين الذين احتلوا الشام ومصر، وظهرت الدولة العثمانية التي كبرت واتسعت حتى سنة 1341هـ.²

ويُعد عصر المماليك عصر الازدهار الكامل للدراسات النحوية واللغوية في مصر والشام، فقد امتلأت بالنحاة القادمين من بغداد بعد احتلالها على يد المغول سنة 656هـ، ومن الأندلس بعد احتلالها من الفرنجة سنة 897هـ³، مما جعل المصنفات النحوية فيعصرهم تبلغ الذروة كما وكيفاً، وظهرت الموسوعات كما ظهرت المتون والشُّروح والحواشي، وكان الملوك والسلاطين من المماليك خير عون للعلماء الذين لجئوا إلى مصر والشام وهم يحملون ما بقي من الثروة العلمية العربية، ويحفظون البقية الباقية من تراث الإسلام في بغداد والأندلس. وبهذا أصبحت مصر في عهد المماليك موئل الحضارة الإسلامية، وبغية القاصدين، موطن الدرس والبحث، ونشط التأليف فيها في جميع العلوم.

ولشعور المماليك بنقص أحسابهم، ولأنهم دخلاء يحاولون استكمال مهابتهم بغرس ما يثمر النفع للبلاد، ثم كان حادث بغداد والأندلس، فناصروا اللغة العربية؛ لأنها لغة الدين والشعب، وأنَّ علماءها لم يلقوا أمامهم موطناً يعيشون فيه، ويجدون مبتغاهم من الهدوء ونشر العلوم، والإفادة والاستفادة إلا القطرين، وأنَّ العلماء بدورهم قد رأوا إقفار البلاد من المكتبات العربية، يقول السيوطي (ت 911هـ): وقد ذهب جُلُّ الكتب في الفتن الكائنة من التتار وغيرهم، بحيث ان الكتب الموجودة الآن في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا يجيء جمل جمل واحد.⁴ وفي هذا العصر فقد طفق المؤلفون يُنشئون المُتون، ومن هنا بدت الحاجة إلى الشُّروح والمُتون والحواشي، وأقرب الأمثلة لهذا شروح كافية ابن الحاجب، وابن مالك، وكافيته، ومغني اللبيب لابن هشام وتوضيحه، وبعض حواشيها.

وهذه المؤلفات التي كانت غزيرة المادة العلمية من الجهة النحوية لم يعيها إلا ما شأها في الشُّروح والحواشي من كثرة بيان اللهجات العربية لكثير من الكلمات مما يمت إلى فقه اللغة بسبب وثيق ومن محاولة أخذ القاعدة النحوية من مادة الكتاب المعلق عليه، ويظهر أنَّ الحامل لهم على الإكثار من المتون حُبهم في سرعة تلافي ما ضاع من كتب النحو، والمُتون كفيلة بجمع ما كثر من القواعد في موجز الكلام.

² ينظر النجوم الزاهرة، 328/6.

³ ينظر تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف: جرجي زيدان، منشورات دار كتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، 10/3.

⁴ المصدر السابق، 120/3.



وبذلك سقطت آخر الدويلات المحلية التي نشأت على أنقاض الخلافة العربية الإسلامية، وتمهد السبيل لقيام دولة إسلامية غير عربية، هي خلافة الأتراك العثمانيين الذين احتلوا بلاد الشام ومصر.

أما عهد الأتراك العثمانيين فحدث فتور عقلي وهبوط علمي، وشمل الأقطار التي كانت تحت حكمهم، ومن الحق القول أن الدراسات النحوية في هذا العصر قد طرأ عليها عهد جديد تميز النشاط فيه بالحواشي وإن كان بعضها يظهر فيه التأثير بالبيئة الأعجمية، وخلوه من الإضافة والتجديد، واقتصاره على الجمع والإعادة.

وسنحاول فيما يأتي الكشف عن الدوافع والأسباب التي أدت إلى تميز عصر المماليك بالظاهرة التأليفية المعتمدة على سلسلة المٌتون والشُروح والحواشي، فضلاً عن عرض شامل لأهم المؤلفات، ولأشهر مؤلفيها.

المبحث الأول: التعريف بالمتن والشرح والحاشية:

المتن: هو مصطلح يُطلق عند أهل العلم على مبادئ فن من الفنون جمعت في رسائل صغيرة خالية من الاستطراد، والتفصيل، والشواهد، والأمثلة إلا في حدود الضرورة.

الشرح: هو عمل يتوخى فيه توضيح ما غمض من المٌتون وتفصيل ما أُجمل منها، وهو يتراوح بين الطول والقصر، والسُهولة والعسر.

الحاشية: هي إيضاحات مطولة دعت إليها ظاهرة انتشار المٌتون والشُروح، وقد قصد منها حل ما يستغل من الشرح، وتيسير ما يصعب فيه، واستدراك ما يفوته، والتنبيه على الخطأ والإضافة، وزيادة الشواهد.

ولعل من البديهي القول بأن المتن سابق للشرح والحاشية فهذه كلها آثار للمتن وعمل عليها. وإذا أردنا أن نضع تاريخاً لبداية المتن لابد أن نُنبه على أنه نوعان على أنه نوعان: متن منظوم، ومتن منثور، وكل منهما يشترك في طبيعته مع الآخر في الميل إلى الاختصار، والخلو في كل ما يؤدي إلى الاستطراد والتفصيل، وقلة ذكر المذاهب والخلافات، وندرة وجود الشواهد فيها إلا في حدود الضرورة.

المطلب الأول: المتن المنظوم:

ظهر هذا النوع من المٌتون عند العرب في القرن الثاني الهجري، وكانت له أصول عند اليونان، نجده عند (هوميروس) في ملحمة التاريخية (الإلياذة)، وقد بدأ ظهور هذا النوع من المٌتون عند العرب حين اتسعت معارفهم، وتنوعت لديهم الثقافات، وإحساسهم بحاجتهم إلى نوع خاص يُعينهم على حفظ المعلومات ونقلها، فاستعانوا بالشعر الذي امتلكوا ناصيته؛ لأنه يُشكّل وسيلة

مشوقة، ويسهل على المتعلمين حفظه، ويؤكد أحد الباحثين أن الأرجوزة الأموية تُعد أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربية، وأنَّ أراجيز العجَّاج ورؤية تُعدُّ شعراً تعليمياً؛ لأنَّها مُتُون لُغوية منظومة في اللغة نفسها من حيث هي لغة نظمها لتُمَدِّ الرواة بالألفاظ الغريبة، والأساليب الشاذة والنادرة، وتزودهم بالشواهد، والأمثال الماثورة، والألفاظ.

ثم تتابعت المنظومات العلمية عبر العصور حتى عصر المماليك الذي اتسعت فيه موضوعاته فشمل كل العلوم، ومنها النحو، وأقبل الناظمون على النظم ليجسروا على الطلاب سُبُل الإلمام بالمعارف وحفظها، فجاءت على سبيل المثال منظومتا ابن مالك (الكافية الشافية) و(الخلاصة الألفية)⁵ ومنظومة الشاطبي في القراءات. وهذا يُعد عصر المماليك العصر الذهبي في نظم العلوم المتعددة، وتُعزى أن أقدم منظومة في النحو كانت للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ).

قال خلف الأحمر (ت 180هـ) وحروف النسق خمسة، وتُسمى حروف العطف، وقد ذكرها الخليل في قصيدته في النحو:

فا تسق وصل بالواو قولك كله وبلا وثم فليست تصعب
الفاء ناسقة كذلك عندنا وسبيلها رحب المذاهب مشعب
ومهما يكن من شك في نسبتها للخليل فإنَّ هذه المنظومة مازالت تُعدُّ أول منظومة في النحو، ثم تتابعت بعدها المَثُون المنظومة، فنظم أحمد اليشكري (ت 370هـ) أَرْجُوزة في النحو، وقد قال في مطلعها:

والوزن في الغزاة والرماة في الأصل عند جملة الرواة
فُعله ليس لها نظير في سالم من شأنه الظهور
وآخرون فيه قالوا فَعَلَّة كما تقول في الصحيح جملة
ثم صنف الحريري (ت 516هـ) أَرْجُوزته النحوية (ملحة الإعراب وسنحة الآداب) منها:⁶
أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول شديد الحول
ياسائلي عن الكلام المنتظم حداً ونوعاً وإلى كم ينقسم

⁵ ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي فلاح الحنبلي، دار الفكر، 1414هـ. 1994م، بيروت. لبنان 339/5، والنجوم الزاهرة، 21/7.

⁶ ينظر الأعلام، 177/5، وتاريخ آداب اللغة العربية، 4/1.



وافهمه فهم من له معقول نحو: سعى زيد وعمرو متبع

اسمع هديت الرشدا ما أقول حد الكلام ما أفاد المستمع

مع أنَّ هذه الأرجوزة النحوية لم تنل حظاً عند الدارسين المعاصرين مثل ألفية ابن مالك فإنَّ لها شروحات كثيرة منها:

شرح الحريري نفسه، وشرح الكافية، والتسهيل وشرحه، وشرح الجزولية لابن مالك (672هـ)⁷، وشرح للمقدسي الحنبلي (759هـ)⁸، وشرح ألفية ابن مالك في النحو، وشرح ألفية ابن مُعطي للأندلسي الهواري الضرير (780هـ)⁹، وشرح للشهاب الرملي (842هـ)، وشرح السيوطي (911هـ) لمغني ابن هشام، وشرحه لشواهد¹⁰، والرماني (384هـ) له شرح كتاب سيبويه، وشرح مقتضب المبرد، وشرح أصول السراج، والرعي (439هـ)¹¹ له شرح الإيضاح، وشرح مختصر الجرمي. والأعلم (473هـ) له عدة شروح، منها: شرح شواهد سيبويه وشرح ديوان زهير، وابن البادش (528هـ)¹² صنف شروحات منها: شرح المقتضب للمبرد، والزمخشري (538هـ)¹³ أشهر شروحه شرح ابن يعيش، وشرح الأندلسي، وابن الدهان (569هـ)¹⁴ له شرح الإيضاح والتكملة لابن علي، وابن الأنباري (577هـ)¹⁵ الذي خلف مُصنفات متنوعة، فمنها نزهة الألباء في طبقات الأدباء، شرح فيه تراجم النحاة من الإمام علي إلى شيخه ابن الشجري وغيرها.

⁷ شذرات الذهب، 339/5.

⁸ المصدر السابق، 188/6.

⁹ معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية، تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1414هـ. 1993م.

بيروت. لبنان، 3/ 83، تاريخ آداب اللغة العربية، 268/6

¹⁰ الأشباه والنظائر في النحو، تأليف: جلال الدين السيوطي، وضع حواشيه: غريد الشيخ، منشورات محمد علي بيضاوي دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط/1، 1422، 2001، 6/1.

¹¹ ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق: د يوسف علي طويل، د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط/1، 1419هـ. 1998م، 3/295.

¹² كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة: حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، 1423هـ. 1992م، 2/1379.

¹³ ترجمته في انباه الرواة على انباه النحاة، تأليف: جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، حيفا، بيروت. لبنان، 1413هـ. 1992م، 2/265، ومعجم الأدباء أو ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تصنيف: أبي عبد الله الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط/1، 1411هـ. 1991م، 1/126.

¹⁴ ينظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تأليف: محمد الطنطاوي، تعليق: عبد العظيم الشاوي، ومحمد الكردي، ط/1، 1387هـ. 1968م، ص 177.

¹⁵ المصدر السابق، ص 178.

وبعد الحريري نظم الحسين البغدادي (ت600هـ) متناً في النحو، ثم تتابعت المتون النحوية المنظومة حتى وصلت ذروتها في القرن السابع الهجري أثناء عصر المماليك، واتسعت رقعتها، وكثر الناظمون لها، وكان من أبرز هؤلاء النظام لها: حاشية ابن معط (ت638هـ)¹⁶، سماها (الدرة الألفية) التي أولها:

يقول راجي ربه الغفور يحيى بن معط بن عبد النور ولها شروح منها: شرح محمد الأندلسي البكري (ت685هـ) سماه بالتعليقات الوافية، وشرح ابن الخباز الاربلي (ت637هـ) الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية، وشرح ابن الوردي (ت749هـ) سماه (ضوء الدرر)¹⁷، وابن الحاجب (ت646هـ)¹⁸، وابن مالك (ت672هـ)، ومن هذه المنظومات منظومة لنجم الدين الخضراوي (ت663هـ)، وأرجوزة لابن شامة (ت665هـ)¹⁹، ومنظومة لشهاب الدين الخوالي (ت693هـ)، وأرجوزة لأبي حيان الأندلسي (ت745هـ)، سمّاها (نهاية الإغراب في التصريف والإعراب)²⁰، ومنظومة لعلاء الدين طبريس (ت749هـ)، وقد جمع فيها بين ألفية ابن مالك ومنظومة ابن الحاجب سماها (الطرفة)، ومنظومة ابن الوردي (ت749هـ)²¹ المسماة ب(التحفة الوردية)، وأرجوزة في حكم (لو) للسبكي (ت756هـ)²²، وشرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك في النحو للمالقي (ت771هـ)²³ وأرجوزة (المقصود والممدود) لشمس الدين الهواري (ت780هـ) وله شرح ألفية ابن مالك في النحو، وشرح ألفية ابن معطي²⁴، ومنظومة لتقي الدين الواسطي البغدادي (ت781هـ)²⁵، وألفية لشعبان الأتاري (ت828هـ) المسماة ب(كفاية الغلام في إعراب الكلام)، وأرجوزة لشهاب الدين الدمشقي (ت854هـ)²⁶، وألفية في النحو لعبد العزيز المكناس (ت

¹⁶ ينظر حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د علي محمد عمر، مكتبة الخانجي،

اللقاهرة، ط/1، 1428هـ. 2007م، 1/505.

¹⁷ ينظر كشف الظنون، 156/1.

¹⁸ ينظر الأعلام، 24/4.

¹⁹ المصدر السابق، 54/2.

²⁰ ينظر المعجم المفصل في اللغويين من العرب، إعداد: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، 1997م، ط/1،

1418هـ. 1979م، 2/256.

²¹ الأعلام، 67/5.

²² ينظر شذرات الذهب، 180/6.

²³ ينظر معجم المؤلفين، 236/3.

²⁴ المصدر السابق، 83/3.

²⁵ ينظر شذرات الذهب، 271/6.

²⁶ النجوم الزاهرة، 9/1.



748هـ)²⁷، وألفية في النحو والصرف والخط للسيوطي (ت 911هـ) جمع فيها بين ألفية ابن مالك، وألفية ابن معيط سماها (الفريدة) ثم شرحها وسمّاها (المطالع السعيدة)، إنَّ هذا الثبوت الذي تضمن أهم المنظومات في عصر المماليك يدل على نجاحها ورواجها، وقد تصاعد هذا النجاح في عصر العثمانيين، ومع ذلك فقد كان فيها الجيد المفيد، والطريف المبتكر، وما زال هذا النجاح محل اهتمام الدارسين حتى اليوم.

ومن أشهر المتون النحوية المنظومة في عصر العثمانيين:²⁸ أرجوزة لعصام الدين الاسفراييني (ت 951هـ) المسماة ب (الألغاز النحوية)، ومنظومة لإبراهيم الكرمانلي (ت 1016هـ) المسماة ب (الفرائد الجميلة)، وهي نظم لشافية ابن الحاجب، وأرجوزة للفارسي (ت 1018هـ) المسماة ب (جوامع الإعراب وهوامع الأدب)، وهي نظم لجمع الجوامع وشرحه للسيوطي²⁹، وألفية في النحو لعلي بن محمد الأجهوري (ت 1066هـ)، ومنظومة نحوية لحسن العطار (ت 1250هـ)³⁰، ومنظومة في (الأخبار بالظرف) لمحمد الدمياطي (ت 1287هـ)³¹، ومنظومتان لناصف البازجي (ت 1288هـ) المنظومة الأولى تسمى ب (الخزانة في علم الصرف)، والثانية تسمى (جوف الفرا في علم النحو)، ومن المنظومات التي ظهرت في أواخر العصر العثماني: أرجوزة للطهطاوي (ت 1302هـ) المسماة ب (نظم المقصود)، نظم فيها المقصود في الصرف المنسوب لأبي حنيفة، ومنظومة للمختار بون الشنقيطي (ت 1300هـ) نظم مشهور الجامع بين التسهيل والخلاصة (ألفية بن بون)، ومنظومة لسعيد الحضرمي (ت 1322هـ) المسماة ب (الذرة اليتيمة) في علم النحو، وخلف بن حيان الأحمر (ت 1802هـ)³² له متن منشور. ويجدر بنا بعد سرد لأهم أسماء المتون النحوية المنظومة، وأسماء ناظميها أن نذكر أهم خصائص هذه المتون فهي موجزة العبارة تتصف باختصار الشديد، ويطغى فيها التلميح على التصريح، ويأتي فيها الإيجاز لما تفتضيه الأوزان الشعرية من تقديم أو تأخير أو حذف. وقد اختار أكثر الناظمين لها بحر الرجز لأنه أوفى بحور الشعر نغماً، وأكثرها مطاوعة في تفاعيله، واختاروا المزدوج من الرجز.

²⁷الأعلام، 21/4.

²⁸ الممارس النحوية، تأليف: الدكتور شوقي ضيف، ط/11، دار المعارف. القاهرة.

²⁹ ينظر الأعلام، 64/5.

³⁰ ينظر عجائب الآثار في التراجم والأخبار للعلامة المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي، تحقيق: الأستاذة: حسن محمد، وعمر الدسوقي، والسيد إبراهيم سالم، دراسة وتقديم: د. أحمد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012م، 233/4.

³¹ ينظر المدارس النحوية، ص 362.

³² ينظر الأعلام، 310/2.

المطلب الثاني: المتن المنثور:

اشتهرت المتن النثرية في تاريخ العلوم عامة، وفي تاريخ النحو خاصة، وهي متون اعتمدها الدارسون مع مرور الأجيال يشرحونها، ويعلمونها وما زالت حتى اليوم مرجعاً لأصحاب كل فن من فنون المعرفة، ونجد أنَّ أول ظهور متن نحوي منثور كان في القرن الثاني الهجري لخلف الأحمر البصري (ت 180هـ) حين ألف كتابه الوجيز (مقدمة في النحو)³³. وبهذا تكون بداية المتن المنثور والمنظوم واحدة تقريباً إذ لم يفصل الخليل الذي ينسب إليه متن المنظوم عن خلف الأحمر إلاّ عشر سنوات.

ثم ألف ابن كيسان (ت 299هـ)³⁴ متناً نحوياً سماه (الموفقي في النحو)، (و) المحتار في علل النحو)³⁵، وألف أبو جعفر النحاس (ت 338هـ) كتاباً سماه (التفاحة)، (و) تفسير أبيات سيبويه)، (و) شرح المعلقات السبع)³⁶، وكتب ابن فارس (ت 395هـ)³⁷ مقدمة في النحو، ثم جاءت بعده مقدمة لابن بابشاد (ت 469هـ)³⁸ ثم مقدمة للمجاشعي (ت 479هـ)، ومقدمة لأبي موسى الجزولي (ت 607هـ)³⁹ والمطرزي (ت 610هـ)⁴⁰ الذي ألف متناً نحوياً سماه (المقدمة)، وشرف الدين العمري (ت 988هـ) الذي له نظم الأجرومية⁴¹، ويعي العمري (ت 989هـ) له أرجوزة في النحو⁴².

واستمر التأليف في المتن النحوية المختصرة في عصر المماليك كما كثر شُراح هذه المتن. ومن أشهر ما ألف في هذا العصر من المتن الكافية لابن الحاجب (ت 646هـ)⁴³، والمقدمة الأجرومية في النحو للصنهاجي (ت 723هـ)⁴⁴، والمقدمة الأزهرية للأزهري (ت 905هـ)، وله شرح

³³ المصدر السابق، 2/310.

³⁴ ينظر الأعلام، 5/308.

³⁵ ينظر نشأة النحو، ص 198، ووفيات الأعيان لابن خلكان، 1/117.

³⁶ الأعلام 1/208.

³⁷ ينظر النجوم الزاهرة، 4/213.

³⁸ الأعلام، 2/40.

³⁹ ينظر إنباه الرواة، 1/378.

⁴⁰ ينظر نشأة النحو، ص 178.

⁴¹ ينظر المعجم المفصل، 8/178.

⁴² المصدر السابق، 8/175.

⁴³ شرح الرضي على الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، ط 2، 1996م، 1/6.

⁴⁴ ينظر المعجم المفصل، 6/62.



الأجرومية، وشرح قواعد الإعراب لابن هشام، لكنَّ المقدمة الأُزهرية لم تحظ بما حظيت به المقدمة الأجرومية من الشهرة والانتشار، ويمكن القول بأن يندرج تحت اسم المتون كل كتاب قديم اختصره مؤلفه وأخلاه من الخلاف وكثرة التعليقات، من ذلك كتاب (الجمال في النحو) للزجاجي (ت 339هـ)⁴⁵، و(الجمال في النحو)و(المغني في شرح الإيضاح. لعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)⁴⁶.

طبيعتها: أجمع الباحثون على القول بأنَّ للمتون طبيعة لا تفارقها وهي الاختصار مع أنني أرى خلاف ذلك أحياناً، فكما تكون المتون مختصرة قد تكون عندي من أمهات الكتب، ويؤيد ذلك ما هو موجود في الشروح والتعليقات على هذه الأمهات وأيضاً يُعد دليلاً على أهمية هذه الكتب وعظم منزلتها، فكتاب سيبويه يُعد متناً نحويّاً، على الرغم من أنّه كبير في حجمه الموسوعي، لكنَّ إقبال العلماء عليه عبر التاريخ وكثرة شروحه يسوّغ عندي تسميته متناً.

كما يقول الشيخ محمد عرفة: "لم يُخدم كتاب في العربية مثلاً خُدم (الكتاب) لسيبويه، ولم يوضع على كتاب من الشروح والحواشي وتفسير الشواهد مثل ما وُضع على الكتاب، ومقتضب المبرد، وأصول بن السراج" فهذه كلها يمكن أن تُعد متوناً لأنّها ضبّطت أصول العلم بدقة وإحكام من جهة، ولكثرة الشروح عليها من جهة أخرى"

أما الشروح فقد وضعت بقصد استيفاء كل مسألة، وذكر ما يتصل بها من جميع النواحي، وقد دعا إلى هذه الشروح العجز عن الإتيان بعلم جديد من مصنف جديد، مما جعل المصنفين يتجهون إلى شرح متون المتقدمين.

المبحث الثاني: الظواهر المصاحبة لبعض المتون في العصور المتأخرة:

1. ظهور نوع من المتون النحوية يبحث في موضوع واحد بإيجاز مثل: كتاب الشدا أحكام كذا لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ)، وكتاب أحكام كل ما تدل عليه للسبكي (ت 756هـ).
2. تصنيف بعض الكتب على شكل أسئلة وإجابات عنها في النحو مثل: كتاب الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية للراعي الأندلسي (ت 853هـ)⁴⁷.
3. قيام بعض المؤلفين من أصحاب المتون بشرح متونهم من كتاب شذرات الذهب للأزهري (ت 905هـ) في شرحه المقدمة الأُزهرية.

⁴⁵ ينظر نشأة النحو، ص 149.

⁴⁶ ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة

الخانجي بالقاهرة، ط 1/، 1426هـ. 2005م، 101/2.

⁴⁷ ينظر شذرات الذهب، 279/7.

المطلب الأول: طبيعة الحواشي: دعت الضرورة إلى تصنيف الحواشي بعد تصنيف المٌتون وتصنيف الشُّروح عليها، وقد بدأت ظاهرة الحواشي في عصر المماليك، وانتشرت في عصر العثمانيين وأصبحت طابعاً لتدريس العلوم، ومنهجاً من مناهج التأليف فيه. ومن هنا يمكن القول بأنَّ المٌتون والشُّروح كانت ظاهرة مميزة لعصر المماليك حيث أظهرت الحياة العلمية فيه، وحققت كثيراً من النفع المتوخى منه، وقد تعمق رسوخ ظاهرة المٌتون والشُّروح في القرن العاشر حين ظهرت في صورة منهج تألفي ذائع. ذلك أنَّ الحواشي كانت أيضاً لبعض عبارات الشُّروح ومسائلها تجلي ما عباراتها من غموض، أو تكمل ما فيها من نقص. ولو حاولنا أن نضع بداية واضحة للحواشي النحوية والصرفية نجد أن القرن الثامن هو بداية هذا النمط التألفي، ويُعد من أوائل أصحاب الحواشي على المؤلفات النحوية ابن الضائع (ت 776هـ) ⁴⁸ في حاشيته على كتاب مغني اللبيب لابن هشام، ثم تتابع بعده أمثال محمد ابن جماعة (ت 819هـ) ⁴⁹ له حواشٍ كثيرة منها: حاشية على شرح التوضيح، وحاشية على مغني اللبيب، وحاشية على ألفية ابن مالك، وأخرى على شرح الشافية للجاربردي، ثم جاء أحمد الشمني (ت 872هـ) ⁵⁰ الذي له حاشية مشهورة اسمها (المنصف من الكلام على مغني ابن هشام)، وحاشية لجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) اسمها (السيف الصقيل في حواشي ابن عقيل) ⁵¹، وحاشية على شرح شذور الذهب لابن هشام، ثم جاء بعد هؤلاء شهاب الدين العبادي (ت 994هـ) بحاشية في النحو على شرح ابن الناظم للألفية، وهو ممن اشتهر بكثرة حواشيه في الفقه، وأصوله، والمعاني، والبيان ⁵²، ثم جاء الشنواني (ت 1019هـ) ⁵³ الذي كثرت حواشيه وخاصة في النحو أشهرها: حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام، وحاشية على شذور الذهب لابن هشام، وحاشية على شرح التوضيح لابن هشام، وحاشية على شرح الفاكي لمُتن القطر لخالِد الأزهري، وله حاشية على شرح الأجرومية سماها (الدرة الشنوانية على شرح الأجرومية في علم العربية)، وبدر الدين الغزي (ت 1000هـ) له ثلاث شُروح منتورة ومنظومان ⁵⁴.

⁴⁸ ينظر المصدر السابق، 6/248، ونشأة النحو، ص 354.

⁴⁹ ينظر شذرات الذهب، 7/139، ونشأة النحو، ص 240.

⁵⁰ شذرات الذهب، 7/314.

⁵¹ ينظر كشف الظنون، 1/152.

⁵² ينظر الأعلام، 4/97.

⁵³ ينظر نشأة النحو، ص 225.

⁵⁴ ينظر كشف الظنون، 1/153.



بعد ذلك تتابع أصحاب الحواشي فجاء الدنوشري (ت 1025هـ)⁵⁵ ثم الحفني (ت 1178هـ)⁵⁶ فالسجاعي (ت 1197هـ)⁵⁷، فالكفراوي (ت 1202هـ)⁵⁸، ثم جاء محمد الصبان (ت 1206هـ)⁵⁹، فالدسوقي (ت 1230هـ)⁶⁰ الذي له حاشية على المغني⁶¹، فالأمير (ت 1232هـ)⁶²، فالعطار (ت 1250هـ) له منظومة نحوية، وحاشية على شرح الأزهري للشيخ خالد⁶³، فالخضري (ت 1287هـ)⁶⁴.

المطلب الثاني: أسباب ظهور المتون والشروح والحواشي:

نشأ هذا اللون من النظام التأليفي وتطور لأسباب أهمها:

1. الرغبة الشديدة في التسهيل؛ ليتمكن تعلم القواعد وتيسير حفظها واستيعابها، وتقريب الحقائق إلى أذهان المتعلمين في مراحلهم المختلفة.
2. ضبط أصول العلم بدقة وإحكام؛ وذلك بجمع مادته بعبارات موجزة.
3. شدة حرص العلماء على سرعة تلافي ما ضاع من الكتب خاصة بعد احراقها في بغداد في فتنة هولاء.

4. الحرص على حفظ المتون، وأن تقوم بدورها الفعال في مسرح التعليم.

ومن هنا يمكن القول بأن هذه الألوان من التصانيف ظهرت ثم ازدهرت في العصور المتأخرة؛ لأنها جاءت بعد عصور سابقة عاش فيها العلماء يُحَقِّقُونَ وَيُؤَلِّفُونَ ويجتهدون، فخلفوا ثراءً ضخماً متكاملًا. وحينما اطلع عليه المتأخرون، أدركوا أنَّ أن ليس لديهم زيادة علمية، يقول ابن خلدون: "واعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته، كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك، وحينئذ يسلم له منصب التحصيل، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها، ومراعاة طرقها،

⁵⁵الأعلام، 197/4.

⁵⁶المصدر السابق، 135/6.

⁵⁷ينظر تاريخ الجبرتي، 85/3.

⁵⁸الأعلام، 1205/2.

⁵⁹ينظر المصدر السابق، 297/6.

⁶⁰تاريخ الجبرتي، 231/4، والأعلام، 17/6.

⁶¹ينظر تاريخ الجبرتي، 231/4.

⁶²الأعلام، 71/7.

⁶³ينظر تاريخ الجبرتي، 233/4، وتاريخ آداب اللغة العربية، 5/1.

⁶⁴حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، شرحها وعلق عليها: تركي فرحات، منشورات محمد علي

بيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط 1، 1419هـ 1998م، 2/1.

ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرد لها، فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل⁶⁵ وقد أدّى هذا بالعلماء إلى الاختصار، ثمّ شرح وتوضيح ما بأيديهم من المختصرات. هذه الأسباب التي ذُكرت هي الكامنة وراء ظهور المُتون، وبروزها في منظومة التأليف النحوي، التي أدت إلى ظهور الشُّروح عليها، في صورتها المُختصرة، كما في شرح ابن عقيل، أو ممزوجاً به كما في شرح الأشموني، ثمّ نشأت بعد هذا الحواشي بدافع تحسين نظام التعليم الذي كان أساسه تدريس الكتاب، فأخذ المعلم يُعالج المباحث التي يتضمنها المتن والشرح، ويُحاول مُعالجة وإزالة ما فيها من غُموض أو قُصور، أو نقص، فيكتب ما يعن له على حاشية الشرح، ثمّ أخذ الشُّراح والمُعلّقون يأتون بتعليقاتهم على الحواشي، ويُحاولون إتمام النقص.

المبحث الثالث: المُتون والشُّروح والحواشي في الميزان:

لهذا النظام التأليفي عند بعض الباحثين والنُقّاد نقائص وعُيوب، وعليه ماأخذ، منها:

1. الإيجاز المُخل، وهو كما يرون من أكبر عيوب هذه السلسلة التأليفية.
2. في المُتون تشتيت للمتعلم بين تحصيل الحقائق وتدليل ما في المتن من صعاب، وإتمام ما فيه من نقص يقول ابن خلدون في مقدمته: "ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم، يُولعون بها ويُدونون منها برنامجاً مُختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن...وهو فسادٌ في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل؛ وذلك لأنّ فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد...ثم فيه بعد ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتراجم المعاني عليها، وصعوبة استخراج المسائل من بينها..."⁶⁶
3. المُتون دليل واضح على أنّها إفراز عصر أحدث فيه العقول، وانعدم فيه الإبداع، أمّا الشُّروح والحواشي فإنّ مؤلفاتهم تنسم بصعوبة الأسلوب.
4. المُتون لا يُستفاد منها كثيراً في مجال التطبيقات النحوية، أمّا الشُّروح والحواشي فهي تُكثر من التعرض لقضايا المنطق والكلام.
5. هذه المنظومة التأليفية حوت قواعد متحجرة؛ لأنّها لم تستطع أن تضيف إلى مباحث النحو جديداً يجعله مزدهراً، وأصبح همّ العلماء تلخيص هذه القواعد، ثمّ شرحها، ووضع الحاشية عليها.

⁶⁵ مقدمة ابن خلدون، منشورات دار مكتبة الهلال، ط/ 2000م، الفصل السابع والعشرون، ص330.

⁶⁶ المصدر السابق الفصل الثامن والعشرون، ص331.



هذه هي العيوب التي تُسبب إلى هذه الظاهرة التأليفية في جميع العلوم، وقد ركزت هذه العيوب على جعل هذين العصرين عصري تخلف وانحطاط.

أمّا مصنفو هذه الكتب فقد قالوا فيهم إنهم متصفون بغلبة العجّة عليهم، وقلة إمامهم بالأساليب العربية القديمة.

وذهب المنتقدون كذلك إلى أنّ عيب الحواشي يكمن في أنّ أكثرها انصرف إلى الصيغ والألفاظ. هذه خلاصة ما انتقد به بعضهم هذا النمط التأليفي.

ويمكن القول في الدفاع عن هذا النمط التأليفي، وفي بيان مزاياه مع الردّ على ما سُقناه عنهم من العيوب:

أولاً: أنّ العيوب التي رآوها في هذا النمط من التصنيف، ليس في رأيي عيباً حقيقياً؛ لأنّ الفرق شاسع بين من يحصل العلم بيسر، وبين من يحصل عليه بكدٍ ومشقةٍ، وأنّ هذا النمط التأليفي في منهجه يرمي إلى غاية تعليمية متميزة. جاء في بعض الروايات أنّ الجاحظ اعترض على الأخفش الأوسط قائلاً: "أنت أعلم الناس بالنحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما لنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها؟ وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟ فقال: أنا رجل لم أضع كتبني هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الموضع الذي تدعوني إليه، قلْتُ حاجتهم إليه فيها، وإنّما غايي المناولة، فأنا أضع بعضها هذا الموضع لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لم يفهموا، وإنّما قد كسبت في هذا التدبير إذ كنت إلى التكبس ذهبت"

إنني أرى أنّ ما ذهب إليه المنتقدون لهذا النظام التأليفي، وزعموه غموضاً وتعقيداً ليس في حقيقة الأمر سوى عمق لم يستطيعوا فهمه، ولنا في قدامى العلماء إسوة حسنة؛ لأنّهم صبروا على ما في المتون من غموضٍ وتعقيد، وعمدوا إلى إزالتها، وإيضاح أو إكمال ما فيها من نقص.

أمّا الإيجاز فإنّه يُعد عيباً إذا كان القصد منه الحفظ، إنّه في الحقيقة طور طبيعي في تاريخ التأليف، إذ لا بد من أن يعقب طور التوسع طور يُقرّب لطلاب العلم تناول مسائل العلم، ويجمع لهم حقائق العلم في مُتونٍ يسهل حفظها.

ثانياً: أمّا ما زُعم من تشتيت المُتون ذهن المتعلم فالردّ عليهم كما قال الشيخ محمد عرفة، فهو يرى أنّ العلم إنّما "يمتاز بفهم الغامض وإدراك البعيد وحل المستغلق، وذلك لا يكون إلّا بتعويد المرء على شيء من الصعاب، ليُتمرّن عقله على حل ما يماثلها"

ثالثاً: إنّ القول بأنّ العصر الذي كثر فيه هذا النظام التأليفي هو عصر انحطاط، هو قول يدفعه الواقع التاريخي، فكُتبت التراجم حكّت لنا ما كان للعلوم في عصر المماليك من ازدهار وانتشار. والمُطالع لفهارس المخطوطات يجد الكثير مما ينطق بما حفل به عصر المماليك

خاصة من ألوان المعارف. إن هذين العَصْرَيْن هُما اللذان أخرجَا ابن الحاجب، وابن مالك، وابن هشام، والسيوطي، وغيرهم من أشهر النحويين الذين لا يستطيع أحد من المنصفين أن يُنكر فضلهم العميم فضلاً عن أثرهم العظيم في الدرس النحوي.

رابعاً: إنَّ القول بأنَّ هذه المؤلفات لم تُضف جديداً وإنَّما هي قواعد مُتَحَجِّرة، كان هُـمُّ العلماء شرحها فحسب، في حقيقة الأمر هي ثروة علمية حفلت بالمعارف المفيدة، والآراء السديدة، إضافة إلى ذلك فإنَّ هذه المنظومة التأليفية حفِظت نصوصاً من أصول ومصادر لم تصلنا غير أسمائها.

وخلاصة القول عندي إنَّ المَثُون والشُّروح والحوَاشي والمنظومات النحوية وشُّروحها قد انتظمت في إطار عام مُتنوع، وأنَّ هذا الأسلوب التألفي يُشكِّل جزءاً كبيراً من التراث الذي لا يستغني عنه الدارس في العلوم والمعارف.

المصادر والمراجع

1. الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، ط/ 17.
2. الأشباه والنظائر في النحو، تأليف جلال الدين السيوطي، وضع حواشيه: غريد الشيخ، منشورات محمد علي بيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط/ 1، 1422 هـ. 2001 م.
3. إنباه الرواة على أنباه النحاة، تأليف: جمال الدين القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، حيفا، بيروت. لبنان، 2004 م 1430 م.
4. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، 1413 هـ. 1992 م.
5. بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة لجلال الدين الأسيوطي، تحقيق: د. علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/ 1، 1426 هـ. 2005 م.
6. تاريخ آداب اللغة العربية، تأليف: جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت. لبنان، 1992 م.
7. عجائب الآثار في التراجم والأخبار للعلامة المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي، تحقيق: الأستاذة: حسن محمد، وعمر الدسوقي، والسيد إبراهيم سالم، دراسة وتقديم: د. أحمد زكريا الهيثية المصرية العامة للكتاب، 2012 م.
8. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، شرحها: تركي فرحات، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط/ 1، 1419 هـ. 1998 م.



9. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/1، 1428هـ. 2007م
10. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي فلاح الحنبلي، دار الفكر، 1414هـ. 1994م، بيروت. لبنان.
11. شرح الرضي على الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس بنگازي، ط/2، 1996م.
12. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، الناشر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
13. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة: حاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، 1413هـ. 1992.
14. المدارس النحوية، تأليف: الدكتور شوقي ضيف، ط/11، دار المعارف القاهرة.
15. معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلى معرفة الأريب، تصنيف: أبي عبدالله الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط/1، 1411، 1992م.
16. المعجم المفصل في اللغويين من العرب، إعداد: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، 1997م، ط/1، 1418هـ. 1997م.
17. معجم المؤلفين تراجم مصنفی الكتب العربية، تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1414هـ. 1993م، بيروت. لبنان.
18. مقدمة ابن خلدون، منشورات دار مكتبة الهلال، ط/2000م.
19. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن، قدم له: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط/1، 1413هـ. 1992م.
20. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تأليف محمد الطنطاوي، تعليق: عبد العظيم الشاوي ومحمد عبد الرحمن الكردي، ط/1، 1387هـ. 1968م.
21. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، حقق أصوله: د. يوسف علي طويل، ود. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، ط/1، 1419هـ. 1998م.

هندسة البيوت الفينيقية-البونية في شمال أفريقيا من خلال نماذج من مدينتي قرطاجة وكركون

إعداد: د. انتصار عمران عبدالله رحومه.
قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة طرابلس.

مقدمة:

من الأخبار المتواترة في العالم القديم أن المهاجرين من مدينة صور الفينيقية الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط كانوا قد تحركوا لأسباب اجتماعية، وسياسية نحو الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، آخذين في تأسيس المستوطنات، والمدن مثل قرطاج، وأوتيكا... وغيرها. هذه المدن، سرعان ما نمت وتطوّرت، وسمحت لإمبراطورية قرطاج - عاصمتهم الجديدة- بالسيطرة على الحركة التجارية في كامل الحوض الغربي للبحر المتوسط. وليس هذا وحسب، بل كانت كذلك تسيطر على الطرق التجارية باتجاه الداخل الأفريقي.

من جانب آخر، تشير المصادر التاريخية المختلفة إلى مدى الثراء الذي اكتسبه الفينيقيون ومن بعدهم البونيون في الحوض الغربي للبحر المتوسط بفعل تجارتهم المزدهرة، وقد انعكس هذا الثراء على كافة نواحي الحياة في المدن الفينيقية-البونية في شمال أفريقيا على وجه الخصوص. فالأطلال الباقية من المباني الفينيقية-البونية مثل المعابد والمنازل/البيوت تشير إلى ذلك، وهي تشير أيضاً إلى وجود علاقة بين تصميم المباني الفينيقية-البونية في شمال أفريقيا مع نظيراتها في شرق المتوسط، وهو أمر لا يثير الاستغراب باعتبار أنهم ينتمون لنفس الحضارة، ولنفس التكوين الاجتماعي. وفوق ذلك، تجدر الإشارة هنا، إلى أن المعلومات حول البيوت الفينيقية-البونية هي قليلة للغاية، وهو أمر يمكن تفسيره بسبب الدمار الذي لحق بالعديد من المدن الفينيقية-البونية بسبب الرومان، كما أن الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع كانت، ولا تزال شحيحة للغاية.

من هذا المنطلق، يعد موضوع هندسة البيوت الفينيقية-البونية في شمال أفريقيا بشكل عام، واحداً من الموضوعات المهمة التي يجب أن تحظى باهتمام واسع بين الباحثين في مجالات التاريخ، والآثار، والهندسة المعمارية، وذلك لسببين اثنين، أولهما أن هذه البيوت -بغض النظر على شكلها، وحجمها- تكشف عن مدى التطور الذي اكتسبه فن الهندسة المعمارية الفينيقية في المنطقة. وثانها يتعلق بالوظيفة التي أدتها تلك البيوت في حياة الفينيقيين ومن ثم البونيين في شمال أفريقيا، فالبيوت احتوت على العديد من العناصر التي يمكن الاعتماد عليها في



دراسة الجانب الحضاري للفينيقيين من أهل قرطاج، وغيرها من المدن في شمال أفريقيا، ولعل أهم هذه العناصر -على سبيل المثال- هو النقائش التاريخية التي ازدانت بها الجدران، والتي تعتبر مصدراً رئيساً لتتبع تكون المجتمعات، ولغاتها، وديانها، وأشكال الحياة فيها، فالنقائش الفينيقية، والبونية، وكما يقول عبد الحفيظ الميار هي مصدر لا يرقى إليه الشك، وهو ما جعلها من أهم مصادر التاريخ الفينيقي⁽¹⁾.

تهدف هذه الورقة إلى تناول موضوع البيوت الفينيقية-البونية في شمال أفريقيا آخذين نماذج من مديني قرطاج وكركوان، من حيث تخطيطها، وتصميمها، وأشكالها المختلفة، معتمدين على ما توفر في السجلين التاريخي والآثاري من معطيات ومعلومات. في محاولة للإجابة على السؤال التالي: كيف كان الشكل الذي عليه البيت الفينيقي-البوني؟ وكيف هو شكل المحتوى الاجتماعي الذي أشار إليه؟ وقد أتبعنا هذه الورقة خطوات المنهج التاريخي الذي يعتمد على عرض، وتحليل المعلومات، والأحداث وربطها، وإيجاد العلاقات التي تربط بينها، وصولاً إلى نتائج محددة، وقاطعة، مدعومة بمصادر ومراجع يتم مقارنتها، ومقاربتها، وتقييمها.

بناءً على ذلك، قسمت هذه الورقة إلى المحاور التالية: الموقع الجغرافي لمدينتي قرطاج وكركوان وأثره على تطورهما الحضاري، تخطيط وتأسيس البيت الفينيقي-البوني، البيت الفينيقي-البوني ومحتواه الاجتماعي.

أولاً: الموقع الجغرافي لمدينتي قرطاج-كركوان وأثره على تطورهما الحضاري.

تميزت مدينة قرطاج بموقعها الاستراتيجي الفريد، حيث تشير المصادر إلى أنها قد بنيت على موقع شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة، وبحيرة تونس وأريانة من الجهتين الأخرتين⁽²⁾. كما يحدها من الخلف محمية بمرتفع بيرصة⁽³⁾، والذي بنيت على قمته معبد الإله أشمون⁽⁴⁾.

¹ عبد الحفيظ الميار (1996 م)، "ظاهر استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس الغرب خلال العصر الروماني"، في مجلة آفاق تاريخية، السنة الأولى، العدد الأول، ص 99.
² محمد الصغير غانم (2011)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، الجزائر، ج 3، ص 17.

³ Baradez, J (1958), "Nouvelles recherches sur les portes antiques de Carthage" In Carthago IX, pp 187-196.

⁴ يعتبر الإله أشمون (Echmoun) إلهاً رئيساً في مدينة صيدا، وهو إله الزراعة وكل ما يتصل بها. ويعتبر رمزاً للخصوبة، والشفاء، والعناية الشخصية، وكثيراً من تم ربطه بالشمس، إلى جانب قدرته على المحافظة على الطبيعة الكونية. انتقلت عبادة أشمون إلى مدينة قرطاج، وشيد له معبد فوق قلعة بيرصة. أنظر: محمد الصغير غانم (2005)، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى، الجزائر، ص 100 - 101.

المصادر التاريخية تشير أيضاً إلى أن مدينة قرطاجة لا تتصل باليابسة أو بالأراضي المجاورة لها إلا عن طريق برزخ ضيق يبلغ طوله حوالي 4 كم، الأمر الذي جعل الباحثين يصفونها بأنها مثل السفينة الراسية على الشاطئ⁽⁵⁾.

يبدو في حكم المؤكد أن موقع قرطاجة الاستراتيجي جعلها تؤدي دوراً مهماً في جميع الجوانب الاقتصادية، والسياسية، الاجتماعية في تاريخ شمال أفريقيا القديم. كما أنها كانت بوتقة للتمازج الحضاري بين السكان الأصليين من الليبيين، مع الوافدين من الفينيقيين، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور مجتمع جديد وهو المجتمع البوني، أو الليبو-فينيقي⁽⁶⁾.

من وجهة نظر تاريخية، نرى أن مدينة قرطاجة قد تأسست في الشمال الشرقي من مدينة تونس الحالية، على يد مجموعة من المهاجرين قدموا من مدينة صور الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في عام 814 ق.م. كانت في بداية تأسيسها عبارة عن مستوطنة، أو قرية صغيرة جداً، ومن هنا جاء أسمها الأول (قرط حدشت) (Quart Hadast)، والذي يرمز إلى اسم القرية الجديدة في لغة الفينيقيين⁽⁷⁾.

أما بالنسبة لاسم قرطاجة، فقد أخذ نصيباً كبيراً من الجدل والاختلاف بخصوص ماهيته/معناه، والأصل الذي أشتق منه. في الواقع تعددت الأسماء التي ارتبطت بمدينة قرطاجة مثل قرت حدشت، وكرتاجو، وكارتشادون⁽⁸⁾. وفي السياق نفسه، عرف القرطاجيون في اللغة الإغريقية باسم كارخيدون، أو كارخيدوني، وكارخيدونيون. وعموماً، ومهما اختلف معنى اسم قرطاج في الأدب الكلاسيكي إلا أن المتفق عليه هو أن قرطاج أصبحت خلال الفترة الممتدة من القرن السادس حتى النصف الثاني من القرن الثاني ق.م تقريباً، عاصمة للفينيقيين في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وفوق ذلك، صارت -كما أشرنا سابقاً- تسيطر سيطرة تامة على الحركة التجارية في المنطقة بشقيها البري، والبحري. وفي السياق ذاته، كانت مدينة قرطاجة تقع على السواحل الشمالية من قارة ليبيا⁹، أو أفريقيا الشمالية الحالية¹⁰، وتمتد غرباً حتى

⁵- Appian . In Roman History , LCL , 27.

⁶- Herl (1976), les pheniciens "l'anigueroyaume de la pourpre", ed . fayard , pp.181-183.

⁷-strabo : XVIII – III – 15.

وارمنجتون ، ب . هـ (1985)، العصر القرطاجي، موسوعة تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات أفريقيا القديمة، ترجمة السيد أحمد عبد الرحيم مصطفى، اليونسكو، ص455.

⁸- هارفي بوتر (1991)، موسوعة مختصرة التاريخ القديم ، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص105.

⁹ - قارة ليبيا هي الاسم الذي عرفت به قارة إفريقيا خلال العصور القديمة .

¹⁰ - أطلقها الإغريق على المدن الثلاث الواقعة في غرب ليبيا ينظر



حدود مملكة نوميديا (Numidie)¹¹، وجنوباً حتى أراضي القبائل الليبية، وإقليم المدن الثلاث شرقاً¹².

ومن وجهة نظر جيولوجية، كانت قرطاجة تقع في شبه جزيرة واسعة ذات تكوين جيولوجي قديم، يحيط بها البحر من جميع الجهات ماعدا برزخ عرضه ما بين 3-4 كيلو متر تقريباً¹³، الأمر الذي جعلها محمية وفي مأمن من الغزوات البحرية، وكانت شواطئها ملائمة، وصالحة للملاحة. ووفقاً للمعلومات المتواترة حول المناخ القديم كانت المنطقة تتمتع بمناخ معتدل، تميز بوفرة سقوط الأمطار في أغلب فصول السنة.

أخيراً، وانطلاقاً من وجهة نظر جيوبوليتيك العالم القديم فإن موقع مدينة قرطاجة الاستراتيجية ساعدها في أن تصبح ميناءاً رئيساً يتوسط الحركة التجارية بين شرق، وشمال، وغرب البحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي مكّنها من أن تفرض سيطرتها على التجارة في هذا البحر وما ورائه¹⁴. فوق ذلك، مثل موقع مدينة قرطاج بتنوعاته الجيولوجية، وتضاريسه المختلفة مجالاً مكانياً عاشت فيه جنباً إلى جنب مجموعات من القبائل ذات خصائص ثقافية متعددة، مارست نمط حياة قائم على الزراعة والتجارة. ومن ثم توالى عليه مرة تلو الأخرى مجموعات بشرية من شتى مناطق العالم المتوسطي، حاملين معهم مظاهر/تيارات حضارية جديدة ومختلفة، ليدخلوا (وعلى مدى زمني طويل) في عملية تفاعل بينهم وبين المجتمعات المحلية، هذا التفاعل كان قد اتخذ سلسلة من المسارات المتعددة، فمنها كان سلمياً قائم على التبادلات التجارية، والتحركات والهجرات البشرية. وفي حالات أخرى اتخذ هذا التفاعل مساراً

Herodotu, II, 32. ؛ احمد محمد إنديشة (1993) التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا، ص 15.

¹¹ - مملكة نوميديا (الجزائر حالياً) للمزيد من المعلومات ينظر: Livius, Historie ... 1-8 Sallust, B.I., xviii Roman, (7vol),.

محمد الصغير غانم (1998)، المملكة النوميديّة والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 50-53.

¹² - إقليم المدن الثلاث :- يضم الإقليم ثلاث مدن هي :- مدينة لبدة الكبرى Leptis Magna ، وأويا oea ، ومدينة صبراتة sabrata . ينظر ؛

نجم الدين غالب الكيب (1981)، مدينة لبدة. الاسم والنشأة والتاريخ، طرابلس ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ص 29.

¹³ - عبدالعزيز عبدالفتاح حجازي (1985) ، البحرية القرطاجية ، دراسة في دورها الحربي ومقوماته وعلاقاتها ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، معهد البحوث¹³ والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ص 23.

¹⁴ - Beloch, R. (1960), The origins of Rome, New York, Especially, p.85.

آخر مغايرا/مختلفا قائم على التوسع والحرب، بين الإغريق والفينيقيون-القرطاجيون وكذا الرومان. إلى جانب ذلك، تمتعت المنطقة بجملة من الخصائص الموروفولوجية التي جعلت منها منذ-أزمان ما قبل التاريخ- منطقة جاذبة ومحفة على الاستقرار البشري.

بالانتقال إلى مدينة كركوان فقد كشفت الحفريات الأثرية عن كامل معالم المدينة التي تضمنت المنازل، والجدران الجصية، والشوارع والأفنية... وغيرها. تقع هذه المدينة في معتمدية حمام الغراز في الوطن القبلي، على بعد 12 كم من مدينة قليبية عبر الطريق المؤدى إلى الهوارية¹⁵. من ناحية زمنية يعود زمن تأسيس المدينة إلى حدود القرن السادس قبل الميلاد تقريبا، أي في الفترة البونية. بدأت الحفريات الميدانية بالمدينة فام 1953 م واستمرت لسنوات لاحقة كاشفة على العديد من معالم المدينة، والتي كانت تتمتع بموقع جغرافي متميز، يرتبط ارتباطا وثيقاً بالعالم البحري والأنشطة المتصلة به مثل الصيد والتجارة، فضلاً على أصباغ الأرجوان، والصناعات التقليدية، والأنشطة المتصلة بالطقوس الدينية¹⁶.

وجدت سلسلة من المساكن، والمقابر تغطي كامل الفترة الزمنية من القرن السادس حتى القرن الثالث قبل الميلاد، الاكتشافات الأخيرة قدمت الكثير من المعلومات حول العمارة السكنية مثل مخطط السكن، ومكوناته، والجص المطلي، والقوالب، يضاف إلى ذلك الطرقات، وجزء من الحصن، وأبواب خاصة بالمدينة. كما كشفت أيضاً على مواد صناعية أخرى مثل الفخاريات، والمسكوكات، والتمائيل الصغيرة، بالإضافة إلى مواد أخرى مصنوعة من البرونز أو من الرصاص... وغيرها.

ثانياً: تخطيط وتأسيس البيت الفينيقي-البوني:

المدينة الفينيقية-البونية بشكل عام تشبه رقعة الشطرنج، وتتميز بأبوابها، وشوارعها الفسيحة المستقيمة والمتعامدة. وللمدينة رحاب يلتقي فيها الناس لتبادل الأخبار، والمتاجرة بالسلع، وقد سمي القرطاجيون البوابة شعر، والرحبة مقم، أما كلمة الشارع فلا توجد في النقائش الفينيقية-البونية أي كلمة تشير إليه. وتفتح البنايات على الشوارع فمنها ما هو ذي تصميم رائع ومتميز.

¹⁵ Fantar, m, kerkouane , cite' punique du cap ban (Tunis) , 1Et2, Tunis , 1984.pp1-2-3 .

¹⁶ Ibid.p.3



والبيت في قرطاجة يسمى (بت) ¹⁷، وهذا الاسم معروف عند كل الشعوب السامية. حيث كشفت التنقيبات الأثرية في تلة بيرصه (الشكل:1) في قرطاجة وكركون على وجود استمرارية في التقاليد الخاصة بالبناء كالتي وجدت في مدن صور وصيدا، لعل أهمها تقديمت الآلهة التي دفنت تحت أساسات الأبنية، حيث قسمت تقاليد التقديمت ذات الطابع الطقوسي إلى قسمين: القسم الأول عبارة عن مصباح من الطين داخل وعاء فخاري وضعاً تحت أرضية الساحة الوسطية للبيت (وهذا في الأساس عبارة عن طقس كنعاني مشرق). أما القسم الثاني فهو عبارة عن كسر جرة فخارية كسرت عمداً، ونثر كسرها تحت أرضية المبنى.

التقاليد الفينيقية المشرقية تبدو واضحة وجليّة للعيان في تصميم العمارة في قرطاجة وكركون وغيرها من المدن، وهي تظهر مدى الارتباط العميق بالوطن الأم فينيقيا ¹⁸. فالبيت الفينيقي-البوني يعكس بشكل كبير وجود تشابه كامل مع نمط البيت المشرقي، فهو يمتاز بشكله المستطيل (الشكل:2)، وكان علاوة على ذلك مزود بعتبة تفصله عن الشارع، وبعد اجتياز العتبة تجدد دهليزا طويلا ضيقا يمتد إلى فناء يتعامد معها، وفي خاصية تعامد الفناء بالدهليز تجسيد لمدخل



¹⁷ - إن الأبجدية الفينيقية bet أو bt تعني البيت مشابهة جدا للكلمة lbt، التي كان يقصد منها الدلالة علي المعبد، أو مكان العبادة حيث يترك للسياق تحديد المعني المقصود، بناء عليه تمت الإشارة إلى المصطلح betyle أي بيت الإله؛ والمقصود به الحجارة المقدسة (نُصب) تعبد لها الفينيقيون، ومرجع المعني لكلمتين ساميتين هما bet و el أو il، وكلمة Ei هي للدلالة علي الإله الفينيقي الأعظم في مجمع الآلهة وهو أبو الآلهة، وحتى يومنا الحالي لا يزال هذا المصطلح مستعملا للدلالة علي مكان السكن أي البيت باللغة العربية bayt وفي اللغة العبرية bayit ينظر: علي زين الدين، الثقافة الكنعانية والتأثير المصري خلال عصر البرونز المتأخر، أوراق ثقافية، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، السنة الثانية، العدد السابع، ربيع 2020 م، ص 11.

¹⁸ - Markoe, E. Glenn, (2007). la' tal phe'nicien, lea coupes De'corees, in, " la mediterrane'e. des pheniciens de Tyr a' carthage" paris ...

الشكل:1: بقايا مساكن من مدينة قرطاجة الواقعة على هضبة بيرصة، عن: عبد المالك سلاطنية (د-ت)، "المستوطنات الفينيقية البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ص 205.



الشكل:2: منظر عام للبيوت الفينيقية-البونية، حيث تظهر معالمها، ومكوناتها المختلفة مثل الغرف، والفناء...

وغيرها. عن: Fantar M. H (2005). "Kerkouane". Encyclopédie berbère, 27. P. 2.

معكوف يضمن خصوصية أهل البيت⁽¹⁹⁾، بحيث لا يستطيع المارة مشاهدة الأسرة في محيطها الخاص، وبحسب آراء بعض الباحثين نجد أن مدخل البيوت الفينيقية-البونية لم يكن مفتوحاً لناحية الطريق كما هو الحال في البيوت الرومانية.

شكلت الساحة أو الفناء قلب البيت البوني (الشكل:3)، حيث تقع في منتصفه تماماً، ومنها يتم الدخول إلى الغرف (والتي يتراوح عددها من إثنين إلى ستة غرف منفصلة)، والهدف من وراء وجود الساحة أو الفناء الداخلي هو تأمين دخول الضوء إلى الغرف الجانبية، وتأمين التهوية أيضاً²⁰. كما احتوى الفناء على صهريج أو بئر لغرض امداد الأسرة بالماء الصالح للشرب⁽²¹⁾.

¹⁹ - خليفة الشاطر (2007)، ص 66-67.

²⁰ - Tusa, vict0rya (1999), sicily, in; s.moscati, (ed), "The phoenicians", new York .. :

fantar, mohamad, (1999) north Africa, in; s. moscati, (ed), "The Phoenicians", netiw York.

²¹-الصهريج القرطاجي: هو عبارة عن مستطيل الشكل مهمته تخزين مياه أمطار فصلي الخريف والشتاء، وذلك لتغطية النقص الناتج عن الجفاف، وأيضاً لتوفير المياه العذبة. كما أن القرطاجيين استأجروا سقائين لجلب المياه من العيون والآبار البعيدة، وذلك باستخدام الجرار (القواري) على ظهر الدواب، فقد وجدت تماثيل من الطين محفورة تصور الدواب وهي تحمل الجرار على ظهورها.

Lancel, (1983), Introduction a la connaissance de carthage, La colline de Byrsa a l' époque , editions Recherche sur les civilisations, paris, pp.49-50.



الحمامات كذلك شكلت جزءاً رئيساً في تخطيط وتصميم البيت الفينيقي-البوني، بحيث صارت من الأشياء المألوفة فيه، وقد استخدمت في أغراض الاستحمام⁽²²⁾. الحمامات كانت عبارة عن غرفة فيها حوض على شكل حذاء²³ (الشكل: 4)، فمن أراد الاغتسال اندس فيه، وجلس على مصطبة ثم أخذ الماء من نضح كالمحبس يقام على حافة الحوض.



الشكل:3: منظر عام لأحد البيوت البونية حيث تظهر ساحة الفناء، والدرج الذي يؤدي إلى الطابق العلوي. عن.

Fantar M. H (2005). Op. Cit. p. 5.

²²- محمد فنطر ، من أوغاريت إلى قرطاج، الحوليات الأثرية السورية، عدد خاص، المجلد التاسع والعشرون والثلاثون، المديرية العامة للآثار والمتاحف، سوريا، 1979 – 1980، ص 113 – 114.

²³- إن كل من يزور كركوان لا بد من إن يقف أمام بيت الاستحمام المتركب غالباً من حجرة الثياب، وحوض في شكل قيقاب ومقعد للمستحم. وإن وجوده في كل منزل يشير إلى الاهتمام الذي كان يولييه بونيوكركوان للصحة ولنظافة أجسادهم. ينظر:

Fantar. (1984). P2.



الشكل: 4. حظي موضوع العناية والنظافة الشخصية، باهتمام كبير من جانب سكان المدن الفينيقية-البونية، وفي هذا الشكل يظهر حوض استحمام مزود بمقعد ومساند للذراعين، هذا، وتتكفل الأنابيب، والبالوعات، والمزاريب إمكانية توفير المياه النظيفة، وإزالة المياه القذرة. عن: www.tunisiatourism.info وفي أسفل الحوض مجرى يسري فيه الماء المستعمل، وينصب في قناة محفورة في أحجار مرصوفة متتالية تجتاز الدهليز عبر أحد الجدارين حتى تدرك العتبة فتندس تحتها، وتدفع حمولتها إلى قناة إفراغ رئيسية تشق الشارع حتى تصل إلى نهايته²⁴. وفي السياق نفسه، كان هناك تخطيط خاص للمجاري، وهي عبارة عن تقنيات كانت تعمل على جمع المياه المستهلكة، أو ما يعرف حاليا بمياه الصرف الصحي (الشكل: 5) من كل منزل على حده، أو من المنازل المجاورة لبعضها. بحيث يتم تجميع مياه الصرف في الآبار المحفورة والمدعمة في الرمال، أو الأرضية الطبيعية والبعيدة عن مستوى الأرضية العلوية من الشارع، والتي كانت تعتمد على بعض مواد البناء الخاصة حتى لا تتسرب مياه الصرف الصحي خارج هذه الآبار.

إلى جانب ذلك، أعتمد المهندس الفينيقي-البوني في تخطيطه للمجاري على مجموعة من القنوات التي لم تكن مثل الأنابيب، أو المواسير، ولكنها عبارة مجموعة من الآباريق، والأوعية المتصلة مع بعضها البعض، والتي تعمل على نقل مياه الصرف الصحي من أسفل المنازل إلى شبكة الصرف الصحي الخارجية العمومية. في الواقع، يمثل هذا التخطيط البداية الحقيقية لتطور تقنيات الصرف الصحي والمجاري في المنطقة، وقد تم اكتشاف بقايا بعض هذه التقنيات في الشارع الثاني، والثالث من مدينة قرطاج.

²⁴ - خليفة الشاطر (2007)، ص ص 67 – 68.



علاوة على ذلك، دلت التنقيبات الأثرية على وجود عناية من قبل أهالي قرطاج وكركون بمعالجة وتصريف مياه الأمطار، يمكن في ضوء المعلومات المتوفرة إعادة تركيب الصورة التي يتم بها ذلك، فمياه الأمطار تنساب إلى سطح الطرقات، وبالتالي تم الاعتماد على تصميم، وبناء الشارع أو الطريق بطريقة منحنية، بحيث يعتمد جانبي الطريق على المستوى المنخفض عن باطن الأرض، وذلك من أجل دفع مياه الأمطار نحو جوانب الطريق إلى قنوات التصريف والحفظ الرئيسية. شبكة الاهتمام بتصريف المياه امتدت واتسعت لتشمل حتى مياه الأمطار التي تتساقط خارج نطاق الأحياء السكنية، فقد تميزت مدينة قرطاج بوجود شبكة تصريف لمياه الأمطار التي تتشكل في هيئة مستنقعات، وذلك بهدف حماية المدينة من الحشرات، والأوبئة، والأمراض⁽²⁵⁾.

²⁵- Picard,(1961),p.49.



الشكل: 5. يوضح منظومة التخلص من مياه الصرف الصحي في المدينة الفينيقية-البونية. عن: Fantar M. H (2005). Op. Cit. p.8.

يضاف إلى ذلك، وجد نظام السلالمة (الدرج) في بعض الشوارع، وجاء ذلك بسبب التكيف مع نمط الحياة في الطبيعة الجغرافية للمدن التي تؤسس على الجبال، والمنحدرات²⁶. الحفريات الأثرية دلت أيضاً على وجود مقالب للقمامة، كان السكان يستخدمونها للتخلص من النفايات المنزلية، وهذا النوع من المقالب كان معروفاً في كافة أنحاء العالم القديم ومن بينها مدينة أثينا²⁷.

lbid.pp.28-31. 24-

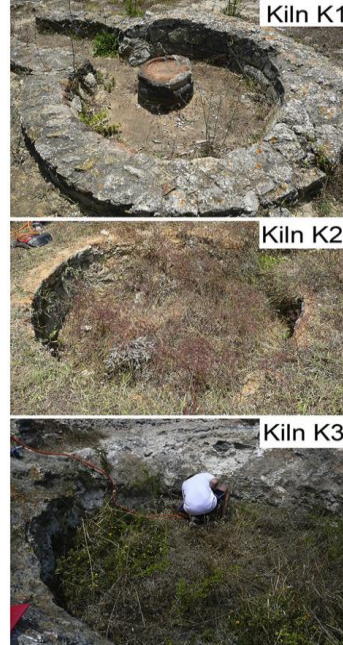
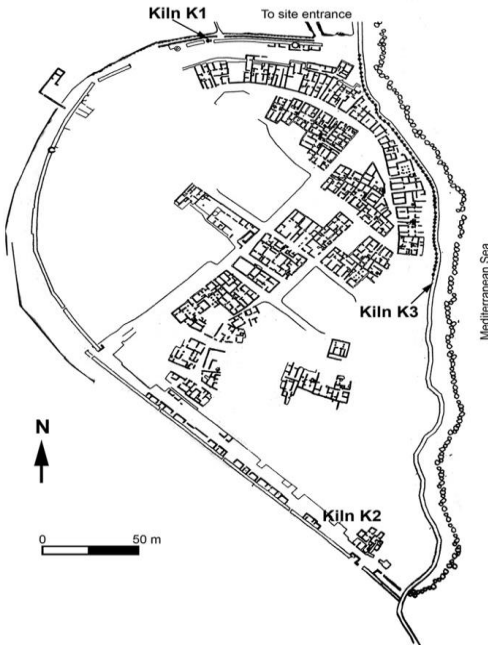
lancel,(1983). pp.32-35. - 27



تختلف البيوت من حيث حجمها، ومكانتها، وعناصرها، وكذلك من حيث منزلة أصحابها الاجتماعية، والاقتصادية. فقد كان بعضها مزوداً بطابق علوي، يستخدم فيه الدرج للصعود إلى سطح المنزل، وذلك لتنفيذ العديد من المهمات من بينها وضع بعض المواد المنزلية من مؤونة وغيرها، لتعرضها لأشعة الشمس، وأبعادها عن مصادر التلوث في فناء المنزل⁽²⁸⁾.

ثالثاً- البيت الفينيقي-البوني ومحتواه الاجتماعي:

يعطي حجم البيوت معلومات حول طبيعة السكان، ومكانتهم الاجتماعية، ففي حال كان صاحب البيت من ميسوري الحال، أو من الطبقة المترفة فينته كان يضم مرحاضاً مزوداً بمقعد ملبس بالكلس. وبشكل عام، فكل المنازل الفينيقية- البونية الكبيرة منها، أو الصغيرة كانت تحتوي على تجهيزات للطبخ مثل الموقد أو الأفران المصنوعة من الحجر (الشكل: 6)، أو من الطين الدائري الشكل، أما الغرف الأمامية فكانت تستعمل للتخزين، أو كمتجر منزلي (دكان).



الشكل: 6: (إلى اليسار) مجسم يوضح موقع مجموعة من الأفران التي كشف عنها في مدينة كركوان وهي (K1 و K2 و K3)، (إلى اليمين) صور لنماذج مختارة من الأفران. عن:

Boutheina Fouzai et al (2013), "Archaeomagnetic data from three Punic sites in Tunisia". In Journal of Archaeological Science, vol. 40. P. 1706.

²⁸ - Ibid.pp.160-161.

كما تم تغطية أرضيات هذه المنازل بمسحوق ناعم جداً ذي لون أحمر²⁹، ويرجع ذلك إلى نوعية المادة الذي تدخل في تكوينه، وهي شظايا القرميد، فضلاً على كسرات الأواني الفخارية، وكذلك الرخام الأبيض³⁰، لقد بلطت أرضيات الحجرات، والقاعات، وغرف الاستحمام، وكذلك الأحواض في المنازل، والفيلات البونية في قرطاجة وكركون بأرضيات من الملاط المدكوك المؤلف من المواد السالفة الذكر، والتي غلب عليها اللون الأحمر بفضل شظايا القرميد.

كما تميزت الأرضيات أيضاً بوجود شكل زخرفي يجسد الإلهة تانيت (الشكل: 7)، صمم من خلال مجموعة من المكعبات الفسيفسائية البيضاء اللون المدمجة ضمن سطح الأرضية المتكون من الملاط وشظايا القرميد³¹، وصار هذا الرمز الديني من أهم السمات الفنية التي تميزت بها أرضيات البيوت، وقيعان الأحواض في مدينة كركوان. في الواقع، هناك إشكالية فيما يتعلق بتوصيف الوظيفة التي قامت بها هذه الأحواض في البيت الفينيقي-البوني بعيداً عن الوظيفة الشائعة لها وهو لغرض الاستحمام، فثمة من يرى بأنها قد استخدمت لغرض إعداد أصباغ الأرجوان³²، ومنهم من يرى بأنها قد استخدمت لغرض تنفيذ بعض الطقوس الدينية، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال الرمز الزخرفي الذي يجسد الإلهة تانيت والذي حفر على سطح قاع الحوض³³.

كما وجد في حي صلامبو معبد للإلهة تانيت يعود زمن إنشاؤه إلى القرن الثامن ق.م. أحتوى زخارف جميلة جداً، ويلاحظ أيضاً أن ثمة منازل متفاوتة في أحجامها كانت قد بنيت على أراضي مطلّة على الشاطئ ربما لها نفس الوظيفة التي تقوم بها البيوت الحديثة المطلّة على الشواطئ⁽³⁴⁾.

²⁹ - غطيت الأرضيات بطبقة من الطين الملون ببودرة القرميد ذات اللون الأحمر. وكسر الرخام الأبيض، عرف هذا النمط من التبليط لدى الرومان بالتبليط البوني (القرطاجي). ينظر؛

Picard, c. Gilbert, (1958) la vie quotidienne a' carthage au temps dhannibal; iiie siècle avant je'sus – Christ, poris.

³⁰ فنطر (1980-1979) ص ص 113-114.

³¹ - Fantar, M'hamed Hassine (1995), Carthage- La Cité Punique, Alif- les Éditions De la Méditerranée, CNRS EDITIONS, Tunis, pp. 45-46.

³² - محمد فنطر (1963 م)، قرطاج: لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية، منشورات دار الثقافة، تونس، ص 32.

³³ - المرجع نفسه، ص 33.

³⁴ - فنطر (1980-1979) ص ص 113-114.



الشكل: 7. رمز الإلهة تانيت كشف عنه على إحدى الأرضيات المبلطة في مدينة كركوان: عن:

www.Dreamstime.com

عملية تأثيث المنزل، وتزيينه كانت ذات أهمية بالنسبة للأسرة حيث تقوم بشرء الأثاث، والالواني، والقوارير، والمنسوجات، والحلي، وغيرها، وهذه المواد -باختلاف المادة المصنوعة منها- تعطي هي الأخرى مؤشرات على المستوى والاقتصادي، والاجتماعي للأسرة التي تعيش داخل البيت، فقد أفتنت الأسر الغنية قطع الأثاث الفاخرة والمزخرفة بالذهب، والفضة، والبرونز⁽³⁵⁾، في حين كانت منازل بعض الأثرياء في قرطاجة قد أنشئت في المناطق الهادئة، والراقية بعيداً عن منازل الطبقات الاجتماعية الأخرى، وكانت تحيطها حدائق كبيرة، وجميلة.⁽³⁶⁾

³⁵ -picard, (1961)p.50.

³⁶ -Ibid.pp43,45.

- الخاتمة:

من خلال ما تم ذكره من معلومات، يمكن اختزال النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة في النقاط التالية:

- 1- امتازت مدينتي قرطاجة و كركوان بموقع جغرافي متميز، وهو الأمر الذي ساعدهما علي تنوع مواردهما الطبيعية، والارتقاء بحياة سكانهما اجتماعيا واقتصاديا .
- 2- . عرف عن المدينة الفينيقية-البونية شوارعها الفسيحة ذات تصميم رائع ومميز.
- 3- ارتبطت كلاهما ارتباطا وثيقاً بمدن الأم (فينيقيا) من حيث العادات والتقاليد.
- 4- عكس البيت البوني بشكل كبير نمط البيت المشرقي في بلاد فينيقيا.
- 5- اتخذت البيوت البونية نمط مميز من ناحية التفاصيل الداخلية للبيت.
- 6- كانت الساحة او الفناء في البيت البوني هي قلب البيت، وأساسه.
- 7- امتازت البيوت البونية بحمامات متطورة استخدم بها الماء، ومجاري صرف صحي، وهذا يدل علي تطور المدينة من الناحيتين المعمارية، والخدمية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً:- المصادر:-

- 1- المصادر الأدبية الكلاسيكية :-

- 1-Appianus,Roman History,(L.C.L).
- 2-Herodotus ,The Histories,(L.C.L).
- 3-Livius ,History of Rome ,(L.C.L).
- 4-Sallustius, Bellum Iugurthium .(L.C.L).
- 5-Strabon, The Geography,(L.C.L).

ثانياً:- المراجع العربية والمعرّبة :-

- 1- أحمد محمد أنديشة (1993)، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، مصراتة ، ليبيا .
- 2- ب.هـ. وارمنجتون (1985) ، العصر القرطاجي ، تاريخ أفريقيا العام ، مج 2، حضارات أفريقيا القديمة ، جين أفريك ، اليونسكو .
- 3- خليفة الشاطر (2007) ، تونس عبر التاريخ (العصور القديمة)، ج1، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس .
- 4- شارل أندريه جولييان (1985) ، تاريخ شمال أفريقيا ،(تعريب محمد مزالي ورفيقه) ، ج 1، الدار التونسية للنشر ، تونس .



- 5- عبد الحفيظ فضيل الميار (2005)، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا.
 - 6- عبد الحفيظ الميار (1996 م)، "ظاهر استمرارية اللغة والثقافة الفينيقية في إقليم طرابلس الغرب خلال العصر الروماني"، في مجلة آفاق تاريخية، السنة الأولى، العدد الأول.
 - 7- عبد المالك سلاطنية (د-ت)، "المستوطنات الفينيقية البونية في الحوض الغربي للبحر المتوسط"، رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
 - 8- محمد أبو المحاسن عصفور (1981)، المدن الفينيقية، بيروت، لبنان.
 - 9- محمد الصغير غانم (2011)، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، دار الهدي، الجزائر.
 - 10- (2005)، الملامح الباكورة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدي، الجزائر.
 - 11- (1998)، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
 - 12- محمد فنطر (1979-1980)، من أوغاريت إلى قرطاج، الحوليات الأثرية العربية السورية، عدد خاص، المجلد التاسع والعشرون والثلاثون، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، سوريا.
 - 13- محمد فنطر (1963 م)، قرطاج: لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية، منشورات دار الثقافة، تونس، ص 32.
 - 14- هارفي بورتر (1998)، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.
 - 15- نجم الدين غالب الكيب (199)، مدينة لبدة، الأسم والنشأة والتاريخ، المنشأة العامة للطباعة والنشر والتوزيع، مصراته، ليبيا.
- 2_ المراجع الأجنبية :-
- 1-Aifred.J , (1886) , church , M.A., carthage or the Empire of Africa , fisher Unwin , G.p.,Putnam s sons, new York.
 - 2-Astour .M. (1965) , " The origin of the Term " canaan" , phoeician" , and "putple" ,in JNES, XXIV, num.4.
 - 3-Boradez .J,(1958), Nouvelles Recherches sur les portes Antiques de Aortthage". In carthago Lx .
 - 4- Beloch ,R. (1960), The origins of Rome , new York, Especially.
 - 5- Boutheina Fouzai et al (2013), "Archaeomagnetic data from three Punic sites in Tunisia". In Journal of Archaeological Science, vol. 40.
 - 6-Carcopin . J, (1943), le maroc Antique ,patis.
 - 7- fantar, M,(1984) , kerkouane, cite' punique du cap bon (Tunis) ,1Et2,Tunis,

- 8- Fantar M. H (2005). "Kerkouane". Encyclopédie berbère, 27.
- 9- Herl ,(1976) , Les pheniciens " lantigue Royaume do la pourpre" , ed . fayard.
- 10- Lancel ,s,(1983), Introduction a la connaissance de carhage , la colline de Byrsa a le'poque , Editions Recherche sur les civilizations, paris.
- 11- picard . G and collette Charles ,(1961), Daily life in of Hannibal , Trahzlatad from the frinsh by A.M.foster Rusk in House Geogre Allen and Uninn LTD ,London .



دراسة علمية لليرقان كمرض وعرض في منطقة بني وليد

ALI MUSBAH MOFTAH

Department of Chemistry, Faculty of Science, Bani Waleed University, PO Box 5338, Libya.

الملخص:

في هذه الدراسة لليرقان تم تسليط الضوء علي مشكلة صحية، كانت ولا زالت منتشرة بين الصغار والكبار في بلادنا عامة ومدينة بني وليد خاصة؛ لذا كان هذا من أحد أهم الأسباب لدراسة هذه الظاهرة المنتشرة، وتعريف الناس بكل مقتضيات هذا الموضوع من جميع الجوانب، من حيث الأنواع، والأسباب، وطرق التشخيص، والوقاية، والعلاج وكذلك تقديم التوصيات للكبار والصغار؛ لتجنب كل ما يؤدي لانتشاره بين أفراد المجتمع. من خلال هذا البحث تم عرض مجموعة من الجداول و التي تتضمن إحصائيات كاملة لسنة (2019) والأشهر الأولى من سنة (2020) والتي أجريت داخل مستشفى بني وليد العام للوقوف على مدى انتشار اليرقان (الصفار) في منطقة بني وليد حيث كانت نتائج التحاليل تشير إلى أن معظم اليرقان الشائع هو عبارة عن يرقان ولادي أي طبيعي حيث يصاب به معظم حديثي الولادة وجزء بسيط من اليرقان نتيجة عارضة لأمراض مختلفة.

المقدمة:

اليرقان (بالإنجليزية: Jaundice) وتعني **أصفر** ويدعى أيضا الصفار، وهو ناجم عن تكون كمية زائدة في الدم من صباغ (Pigment) بني- مائل إلى الصفرة يسمى بيليروبين (Bilirubin) تراكم هذا الصباغ وترسبه في نسيج تحت الجلد وفي الصلبة (الغطاء الليفي الخارجي غير الشفاف للعين Sclera)، يؤدي إلى اصفرار الجلد والعينين، وفي الحالة الجسمانية السليمة يتكون صباغ البيليروبين نتيجة التحلل المستمر لخلايا الدم الحمراء، حيث يصل إلى الكبد من خلال الدم، وتتم معالجته بواسطة عمليات الأيض (الاستقلاب Metabolism)، و يصبح ذوابا (Soluble) ويتم إفرازه من خلال قنوات المرارة إلى الأمعاء.

يصبح اليرقان واضحا عندما تتجاوز نسبة البيليروبين في الدم 2.5-3 ملغ لكل ديسيلتر. وينتج اليرقان بسبب اختلال في أحد مراحل عملية **استقلاب** أو **طرح** البيليروبين، وهو ظاهرة شائعة، غالبا ما تزول من دون مضاعفات. حيث أن نصف الأطفال حديثي الولادة الناضجين وأغلب الخدج يظهر عندهم اليرقان في الأسبوع الأول من ولادتهم، وتصل قمة الإصابة باليرقان عند حديثي الولادة الناضجين بين اليوم الثالث واليوم الخامس من ولادتهم.

أما بالنسبة للبالغين فهناك العديد من الأمراض التي تسبب اليرقان بعضها خطر وقد يهدد حياة المريض ، لذلك يجب أن يخضع أي بالغ يعاني من اليرقان لتقييم طبي شامل لتحديد أسباب ظهوره.

ينتشر اليرقان أو (الصفار) لدى البالغين في كثير من بلدان العالم كالهند وبنغلادش وباكستان وغيرها من الدول النامية في آسيا وأفريقيا ويقل انتشاره جدا في الدول المتقدمة حيث لا ينتشر إلا بين الشادين جنسيا والمدمنين على المخدرات ، أما اليرقان الوليدي فهو أوسع انتشارا ويختلف حسب العرق والدولة حيث تزيد نسبة انتشاره في مجتمعات شرق آسيا والهنود الأمريكيين و في شعوب المناطق المرتفعة بينما يقل في السود بشكل كبير جدا

يحدث اليرقان نتيجة بعض الحالات أو الأمراض الطبية التي تؤثر في التمثيل الغذائي أو إفراز البيليروبين ويتم تشكل البيليروبين عند حدوث تكسر وتدمير لخلايا الدم الحمراء في الدم والتي بدورها تطلق الهيموجلوبين حال تمزقها ليتم تحويل جزئ الهيموغلوبين إلى البيليروبين ثم نقله عبر مجري الدم إلى الكبد ليتم زيادة قدرته علي الذوبان في الماء ثم إلى المرارة ليخزن فيها وبعد ذلك إلى الأمعاء ثم يفرز القليل منه مع البراز أو البول كما ويحدث اليرقان إذا كان هناك خلل في التمثيل الغذائي العادي أو في إفراز البيليروبين أو من خلال خلل وظيفي في الكبد . ويصبح اليرقان ظاهرا لدى الأطفال و البالغين عندما تصل نسبة البيليروبين في الدم إلى أكثر من (2.5) ملليجرام لكل مائة مليلتر عند الأطفال و البالغين ، حيث أن كمية البيليروبين الكلية في الدم عادة تتراوح بين 0.3 و 1.9 ملغ / دل (ملليغرام لكل ديسيلتر).

يصنف اليرقان إلي عدة أنواع من أهمها :

اليرقان الانحلالي: Hemolytic jaundice

هذا النوع من اليرقان يحدث عند زيادة تكسر خلايا الدم الحمراء عن المعدل الطبيعي حيث تزداد نسبة البيليروبين (الغير ذائب في الماء) في الدم عن المعدل الطبيعي (حيث يمكن أن يصل إلى 4-6 ملليجرام لكل ديسيلتر= 68-102 مايكرومول لكل لتر).

اليرقان في هذه الحالة يكون خفيف الشدة لأن الكبد إذا كان بكامل صحته يحاول أن يقوم بأكبر قدر ممكن من تحويل البيليروبين الغير مذاب في الماء إلى مذاب فيه والتخلص منه خارج الجسم.

ومن أسباب حدوث هذا النوع فقر الدم الانحلالي بجميع أنواعه والذي ينقسم إلي نوعين هما:



1- فقر الدم الانحلالي الوراثي:-

ومن أمثلة هذا النوع: أنيميا الفول deficiency anemia G6PD، الثلاسيميا Thalassaemia، خلايا الدم المنجلية sickle cell disease وتكوير الكريات الوراثي Hereditary Spherocytosis.

II- فقر الدم الانحلالي المكتسب:-

ومن أسباب حدوثه: فقر الدم الانحلالي ذاتي المناعة hemolytic anemia Autoimmune، عدم توافق دم الجنين ودم الأم، نقل دم بفصيلة دم غير مناسبة لفصيلة دم المريض، انحلال كريات الدم الدوائي، أو الإصابة بمرض الملاريا أو أمراض أخرى تؤدي إلى تكسر خلايا الدم الحمراء.

الأعراض التي يشترك فيها المرضي المصابين بهذا النوع من اليرقان عبارة عن أعراض فقر الدم مثل: خفقان القلب، الإرهاق والتعب عند بذل أي مجهود، دوخة وضيق في التنفس بالإضافة إلى يرقان خفيف الشدة.

اليرقان الوراثي غير الانحلالي:-

ينقسم هذا النوع من اليرقان إلى قسمين حسب شكل البيليروبين المرتفع وهما:

أ- اليرقان الوراثي الناتج عن تراكم البيليروبين الغير مقترن في الجسم:-

ومن الأمثلة على هذا اليرقان: متلازمة كريجلر- نجار، ومتلازمة جيلبرت.

ملاحظة: في هذا النوع من المتلازمتين تكون وظائف الكبد طبيعية.

وسوف نتحدث بشكل أساسي عن كلا المتلازمتين فيما يأتي:

● متلازمة جيلبرت:- Gilbert's Syndrome

هي عبارة عن اضطراب وراثي يتواجد بالشخص منذ الولادة حيث يكون هناك نقص في الكبد والمسؤول عن تحويل البيليروبين من UDP – Glucuronyltransferase نشاط أنزيم غير مباشر إلى مباشر للتخلص منه خارج الجسم.

هذه المتلازمة هي الأكثر شيوعاً من بين تلك التي تسبب اليرقان الوراثي حيث تصيب ما نسبته من 2 إلى 7 بالمئة من السكان.

وهي متلازمة حميدة؛ في أغلب الأحيان ولا تؤدي إلى مضاعفات تذكر ما عدا اليرقان المتذبذب. يتم كشف هذه المتلازمة عادة عبر التحاليل البروتينية للدم حيث يكون هناك ارتفاع بسيط في مستوى البيليروبين (1-4 مليجرام لكل ديسيلتر = 17-68 مايكرومول لكل لتر).

Grigier Najjar syndrome

• متلازمة كريجلر-نجار:-

هذه المتلازمة تعتبر الوجه الأشد لمتلازمة جيلبرت حيث يكون نشاط الأنزيم نفسه قريب من مستوى الصفرة؛ حينها تكون مستويات البيليروبين الغير متحد في الدم عالية جدا، حيث من الممكن أن تصل هذه المادة إلى الدماغ في المواليد الجدد مسببة لهم الوفاة في أول أيامهم إذا لم يتم التخفيف من مستوى البيليروبين في الدم بسرعة من خلال العلاج الضوئي Phototherapy لحين عمل زراعة للكبد.

هذه المتلازمة نادرة الحدوث إذ تحدث بما نسبته واحد بالمليون من السكان.

ب- اليرقان الوراثي الناتج عن تراكم البيليروبين المقترن في الجسم:-

الأمثلة على هذا النوع هي:

1. متلازمة دوبين جونسون (Dubin Johnson syndrome).
2. متلازمة روتور (Rotor's syndrome).
3. الركود الصفراوي الكبدي الحميد المتكرر Benign recurrent familial intra hepatic holostasis syndrome.
4. الركود الكبدي الصفراوي أثناء الحمل Intra hepatic holostasis of pregnancy.

في هذه الأمراض المشكلة تكمن في فشل إخراج البيليروبين بعد ذوبانه في الماء من خلايا الكبد إلى القنوات الصفراوية، مما يؤدي إلي تجمعها في الكبد والدم أيضا.

Hepato cellular Jaundice اليرقان الخلوي الكبدي:-

اليرقان الخلوي الكبدي يوجد في جميع أنواع التهاب الكبدي الوبائي وتليف الكبد واحتقان الكبد، وسمية الكبدية (hepatotoxicity)، أمراض الكبد الكحولية، الذي يسبب ضعف في تدفق الصفراء إلى الأمعاء.

كما أن نخر الخلية يقلل قدرة الكبد لاستقلاب وإفراز البيليروبين وبالتالي يؤدي إلى تكوين البيليروبين غير المقترن في الدم.

ومن الأسباب الأخرى تليف الكبد الصفراوي الأولي الذي يؤدي إلى زيادة البيليروبين المقترن في البلازما، هذا النوع من اليرقان يتميز ببول غامق أو لون براز طبيعي أو شاحب قليلا.

Obstruective Jaundice اليرقان الانسدادي:

يحدث هذا النوع من اليرقان بسبب توقف العصارة الصفراوية في القنوات الصفراوية نتيجة لوجود انسداد، سواء كان هذا الانسداد بسبب وجود كتلة داخل هذه القنوات تعيق مرور العصارة الصفراوية أو وجود ضغط على القنوات من الخارج يقلل من مساحتها ويمكن أن يغلقها



تماما، عندها تمتص هذه العصارة في الدم وتذهب إلى الكليتين ليتم إخراج جزء منها في البول دون تحويلها في الأمعاء إلى اليوروبيلينوجين.

من أهم أسباب هذا النوع: وجود الحصوات المرارية في القناة الصفراوية المشتركة، أو وجود ورم برأس البنكرياس يضغط على القناة المتجهة إلى الأمعاء.

Cholestasis Jaundice 1-5-5 اليرقان الركودي:

وهو خلل بإنتاج سائل المرارة أو إفرازه من الكبد (chole=مرارة، stasis=ركود) ويتم إنتاج سائل المرارة داخل خلايا الكبد (hepatocytes) ويتم إفرازها عبر جدران خلايا الكبد بواسطة إنزيمات وبروتينات متعددة، إلى قنوات المرارة داخل الكبد، ومن هناك إلى قنوات المرارة خارج الكبد، وإلى كيس المرارة والإثني عشر.

ويمكن لأي خلل في أي من هذه المراحل أن يسبب ارتفاع مستويات البيليروبين المباشر المذاب (conjugated bilirubin) داخل خلايا الكبد (الركود الصفراوي) والدم، وكذلك الارتفاع في مستويات المواد الناتجة عن التحلل، كأملاح المرارة و الكوليسترول وغيرها. وتعتبر مادة البيليروبين التي تتراكم في الكبد مادة سامة، كما أنها تسبب النخر في خلايا الكبد، ولليرقان الركودي عدة أنواع وهي كالتالي:

I- الركود الصفراوي الوراثي داخل الكبد (FIC) (Familial Intra hepatic):

هناك عدة متلازمات وراثية: FIC الكروموزوم 18، FIC الكروموزوم 2q24، و FIC باضطراب بالجين MDR3، في كل هذه المتلازمات هناك اضطراب بإفراز المرارة من الكبد إلى قنوات المرارة. كذلك هناك أيضا، متلازمات تتمثل باضطراب إنتاج أملاح المرارة داخل خلايا الكبد.

II- الركود الصفراوي غير الإنسدادى :-

ينجم عن ضرر يصيب قنوات المرارة داخل خلايا الكبد لعدة أسباب هي:

1. التهاب الكبد (Hepatitis).
2. الخلقي الحاصل لأسباب غير معروفة.
3. التهاب الكبد العدواني (Infective hepatitis).
4. فيروس الهربس (herpes).
5. الفيروس المضخم للخلايا.
6. فيروس شلل الأطفال (Polio).
7. فيروس التهاب الكبد "ب" (Hepatitis B).

تتبع هذه المجموعة من الأمراض والأمراض الأيضية أيضاً، والتي تنتج عن نقص بالإنزيمات في دائرة اليوريا، في عملية هضم البروتينات والسكريات، حيث أن ناتج هذه العمليات الأيضية غير السليمة، عادة ما تكون سامة للكبد، والأمثلة على ذلك: عدم القدرة على تحليل التيروسين (Tyrosinemia)، وجود الجلاكتوز في الدم (Galactosemia)، وجود الفروكتوز في الدم (Fructosemia)، داء ويلسون (Wilson Disease).

III- الركود الصفراوي الناجم عن قلة قنوات الصفراوية داخل الكبدية (Intra hepatic bile duct paucity):

على سبيل المثال، متلازمة "ألجيل" (Alagille syndrome) التي تتسم: بمبنى داخلي ثلاثي، عيوب خلقية في العمود الفقري، عيوب خلقية في القلب، في العيون، وفشل في الكبد، كذلك عيوب في موقع AG1 في كروموزوم 20. التوقعات في هذا المجال إيجابية، وقلة فقط من المرضى قد يصلون إلى وضع الفشل الكبدي التام.

IV- الركود الصفراوي المكتسب:-

هذه الظاهرة تعتبر نادرة جداً بالمقارنة مع الركود الصفراوي الأولي، وأعراضها: تشبه الأعراض المبينة أعلاه، ولكن من الممكن أن تكون، أيضاً آلام في المنطقة اليمينية والعلوية من البطن. أسبابه الأساسية هي:

- الأمراض المتعلقة بالركود الصفراوي كجزء من أمراض أخرى مثل التهاب الأقنية الصفراوية (المرارة) والمتصلبة (Sclerosing cholangitis) على خلفية التهاب في الأمعاء.
- انسداد قنوات المرارة بسبب الحصى المتراكمة فيها نتيجة تكسر الدم، فرط ارتفاع الكوليسترول في الدم (hypercholesterolemia) أو في غالب الأحيان لسبب غير معروف.
- الأدوية المختلفة، الباراسيتامول (paracetamol)، المضادات الحيوية المختلفة وغيرها...
- الأمراض المعدية: كالفيروس المضخم للخلايا (CMV)، فيروس إبشتاين بار (Barr Epstein_virus)، وفيروسات التهاب الكبد أ، ب، ج (Hepatitis A, B, C) وأمراض أخرى.

أسباب اليرقان عند حديثي الولادة:

يُعتبر اليرقان عرضاً من أعراض الإصابة بمرضٍ معيّن، وقد يرتبط بعدم قدرة الكبد على التخلص من مادة البيليروبين لأسبابٍ لا تدعو للقلق وخاصة عند الأطفال حديثي الولادة؛ حيث



يكون الكبد لديهم في المراحل الأولى من بداية عمله لذلك قد يعجز عن إخراج مادة البيليروبين مع البراز. ويمكن تلخيص أسباب حدوث يرقان حديثي الولادة في الآتي:

I- أسباب اليرقان الفسيولوجي أو الطبيعي:-

معظم الأطفال حديثي الولادة يصابون باليرقان، والذي يظهر علي شكل اصفرار خفيف في الجسم بعد الولادة بيومين إلى أربعة أيام وهذا النوع لا يشكل أي قلق، وهو ناجم عن:

— عدم اكتمال نمو الكبد: حيث تكون كمية بروتين ليجاندين المسئول عن الاقتران مع البيليروبين قليلة في الجسم عند الولادة، وكذلك قلة نشاط إنزيم جلوكورونيلترانسفيريز المسئول عن تحفيز عملية اقتران البيليروبين مع حمض الجلوكورونيك.

— قصر عمر خلية الدم الحمراء للجنين إذ يبلغ عمرها 70 يوماً، بينما عمر خلية الدم الحمراء التي تتصنع بعد الولادة هو 120 يوماً، الذي يؤدي إلى تجمع كميات كبيرة من البيليروبين في الدم. ويختفي في هذا النوع من اليرقان من تلقاء نفسه خلال أسبوع إلى أسبوعين من الولادة.

II- أسباب اليرقان المرضي:

1. فقر الدم الانحلالي.

2. نزيف داخلي في أي جزء من الجسم.

3. كثرة كريات الدم الحمراء.

4. عدم توافق العامل الريصي RH

5. عوز نازعة هيدروجين جلوكوز -6- فوسفات.

6. نقص كيناز البيروفات.

7. قلة الرضاعة الطبيعية ونقص التروية.

III- أسباب اليرقان المصاحب للولادة المبكرة :-

هو شائع في حالات الولادة المبكرة ، والتي لم يتم فيها الجنين أشهر الحمل كاملة وسببه الرئيسي عدم قدرة جسم الطفل غير الناضج علي التخلص من مادة البيليروبين ، ولتجنب حدوث أي مضاعفات تتم معالجة هؤلاء الأطفال حتى إذا كان مستوى البيليروبين أقل مما هو عند الأطفال الذين أكملوا أشهر الحمل ولديهم أعراض اليرقان الطبيعي .

IV- أسباب اليرقان المصاحب للرضاعة الطبيعية :-

عدم حصول الطفل حديث الولادة على كمية كافية من الحليب قد يؤدي إلى ظهور أعراض اليرقان ، وهو غير ناتج عن وجود مشكلة في حليب الأم وإنما لعدم حصول الطفل على كفايته

منه، وذلك لصعوبة ما في عملية الرضاعة أو عدم إفراز الحليب في ثدي الأم بالكمية المطلوبة، وفي هذه الحالة يمكن اللجوء إلى الرضاعة الاصطناعية واستشارة الطبيب في الأمر.

٧- أسباب اليرقان المصاحب لحليب الأم :-

يحدث هذا النوع من اليرقان عند نسبة 1-2% من الأطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الطبيعية، وهو ناتج عن وجود مواد في حليب الأم تعيق عمل الأمعاء في التخلص من مادة البيليروبين، وبالتالي ارتفاعها في الجسم وحدوث اليرقان، ويلاحظ ظهور الصفار بعد 3-5 أسابيع من بدء الرضاعة ويخف تدريجياً وبشكل تلقائي خلال 3-12 أسبوع، ولا داعي للتوقف عن الرضاعة في مثل هذه الحالة.

أسباب اليرقان عند البالغين:-

يحدث اليرقان عند البالغين نتيجة للأمراض التي تؤثر على الأيض أو إخراج البيليروبين من الجسم، ويتكون البيليروبين عادة من التكسر اليومي لكريات الدم الحمراء في المجرى الدموي وهذا يؤدي إلى إفراز الهيموجلوبين عند التكسر، يتحول الهيمي إلى البيليروبين ويتم نقله عبر مجرى الدم إلى الكبد للمزيد من الأيض والإخراج، وفي الكبد يتم تحويل البيليروبين إلى مركب أكثر ذائبية في الماء ثم ينتقل إلى المرارة حيث يتم تخزينه، ويتم إخراج بعض من البيليروبين من الأمعاء مع البراز بينما يتم أيضاً البعض الآخر عن طريق البكتيريا الموجودة في الأمعاء ويتم إخرجه مع البول.

أسباب اليرقان الانحلالي ما قبل الكبدي (ما قبل تشكل العصارة الصفراوية في الكبد): يعود ذلك لانحلال كميات كبيرة من كريات الدم الحمراء نتيجة العديد من الظروف المختلفة، هذه الزيادة السريعة في مستويات البيليروبين في الدم تفوق قدرة على استقلاب البيليروبين، وبالتالي تزداد نسبة البيليروبين غير المرتبط مع سائل الجهاز الهضمي (البيليروبين غير المرتبط أي قبل تحوله للعصارة الصفراوية).

تتضمن أسباب انحلال كريات الدم الحمراء هذه، ما يلي:

1. الملاريا (Malaria).
2. فقر الدم المنجلي (التحلي).
3. الثلاسيميا.
4. نقص أنزيم نازعة هيدروجين الجلوكوز 6. فوسفات (G6PD)
5. المخدرات وغيرها من المواد السامة.
6. اضطرابات المناعة الذاتية.



أسباب اليرقان الكبدي:

- يحدث اليرقان في المرحلة الكبدية، عندما يحدث خلل الوظيفي الاستقلاب و إطرار البيليروبين داخل الكبد، مما يؤدي لزيادة مستويات البيليروبين سواء المرتبط مع سائل الجهاز الهضمي وغير المرتبط أيضاً. وتتضمن الحالات الصحية ذات المنشأ الكبدي، ما يلي:
1. التهاب الكبد (Hepatitis) الحاد أو المزمن (عادة نتيجة التهاب الكبد الفيروسي أ، ب، ج، د، هـ، أو نتيجة إدمان الكحول، أو نتيجة لسموم).
 2. تليف الكبد (Cirrhosis)، والذي يحدث بسبب عدة ظروف.
 3. سرطان الكبد (Hepatic cancer).
 4. متلازمة كريغلر-نجار (Crigler -Najjar syndromes) (اضطراب وراثي في استقلاب البيليروبين).
 5. متلازمة جيلبرت (Gilbert syndrome) (شذوذ وراثي في استقلاب البيليروبين).
 6. اضطرابات المناعة الذاتية.
 7. تعاطي المخدرات وغيرها من المواد السامة.

أسباب اليرقان الانسدادي ما بعد الكبدي (بعد تشكل العصارة الصفراوية في الكبد):

ويحدث ذلك نتيجة انسداد أو عرقلة في تصريف وإطرار البيليروبين أثناء انتقاله من الكبد إلى الأمعاء، لذلك يدعى في هذه الحالة اليرقان الانسدادي، مما يؤدي لزيادة مستويات البيليروبين المرتبط مع سائل الجهاز الهضمي في مجرى الدم. تتضمن الحالات الصحية المسببة اليرقان ما بعد الكبد، ما يلي: حصي المرارة. سرطان البنكرياس أو المرارة أو القناة الصفراوية. تضيق القناة الصفراوية. التهاب الأوعية الصفراوية. التهاب البنكرياس. الطفيليات، على سبيل المثال الديدان المثقوبة الكبدية.

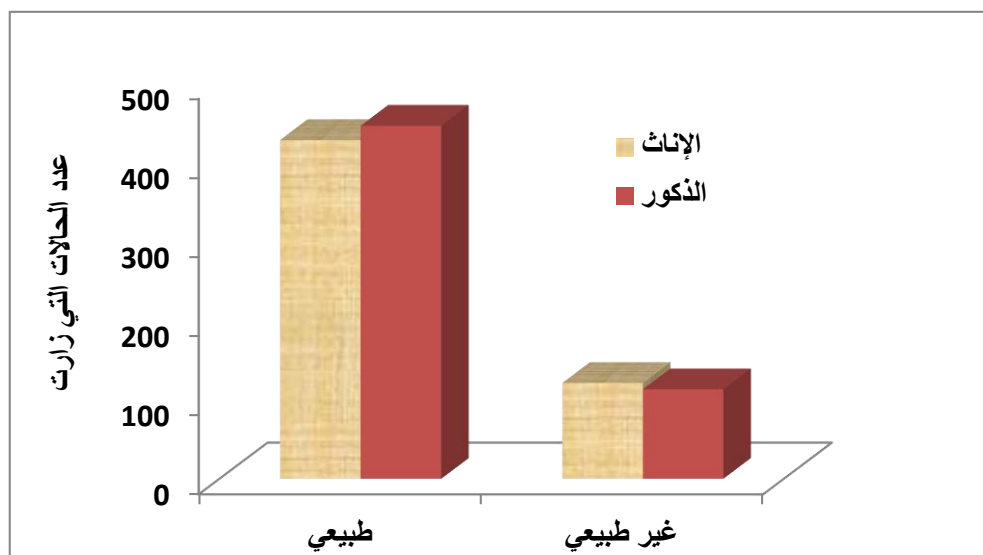
النتائج والمناقشات:

من خلال هذا الفصل سوف نعرض مجموعة من الجداول والتي تتضمن إحصائيات كاملة لسنة (2019) والأشهر الأولى من سنة (2020) والتي أجريت داخل مستشفى بني وليد العام للوقوف على مدى انتشار اليرقان (الصفار) في منطقة بني وليد حيث كانت نتائج التحاليل كالآتي:-

• إحصائيات سنة (2019):

الجدول (1) يوضح عدد الحالات التي زارت المستشفى خلال جميع أشهر 2019

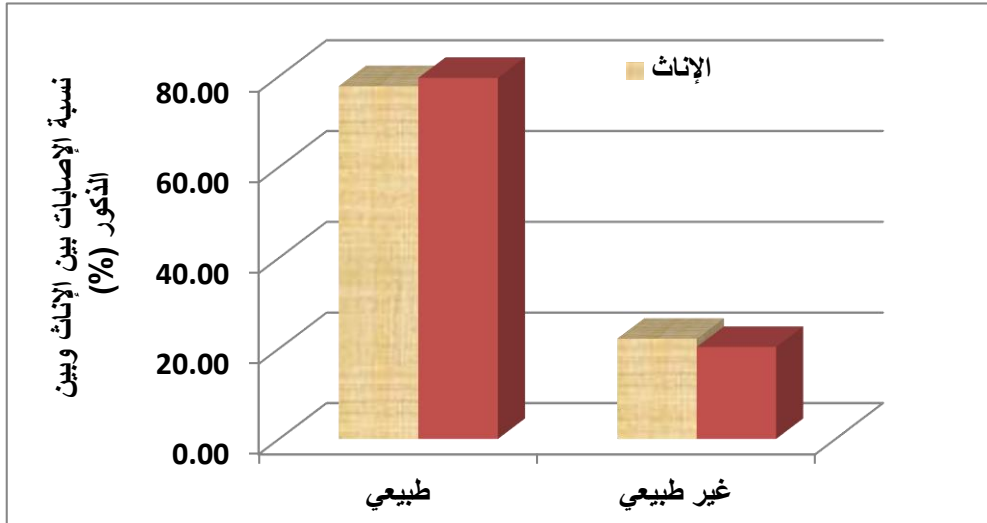
الجنس	عدد الحالات	
	طبيعي	غير طبيعي
الإناث	428	112
الذكور	446	114
مجموع الجنسين	874	236
المجموع		



الشكل (1) يوضح عدد الحالات التي زارت المستشفى خلال جميع أشهر 2019

الجدول (2) يوضح النسبة المئوية (%) للإصابات بين الذكور فيما بينهم وكذلك نسبة الإناث فيما بينهم

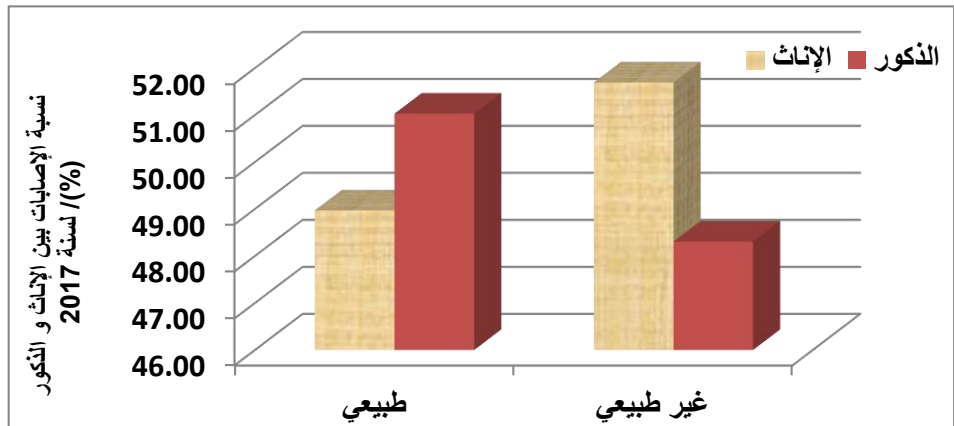
الجنس	النسبة المئوية لعدد الحالات	
	طبيعي	غير طبيعي
الإناث	%77.82	%22.18
الذكور	%79.64	%20.36
النسبة المئوية لكلا الجنسين	%78.74	%21.26
المجموع		



الشكل (2) يوضح النسبة المئوية (%) للإصابات بين الذكور فيما بينهم وكذلك نسبة الإناث فيما بينهم

جدول (3) يوضح النسبة المئوية للإصابات فيما بين الإناث والذكور لسنة 2019

النسبة المئوية لعدد الحالات		الجنس
غير طبيعي	طبيعي	
%48.97	%51.69	الإناث
%51.03	%48.31	الذكور
%100	%100	المجموع



الشكل (3) يوضح النسبة المئوية للإصابات فيما بين الإناث والذكور لسنة 2019

المناقشة:

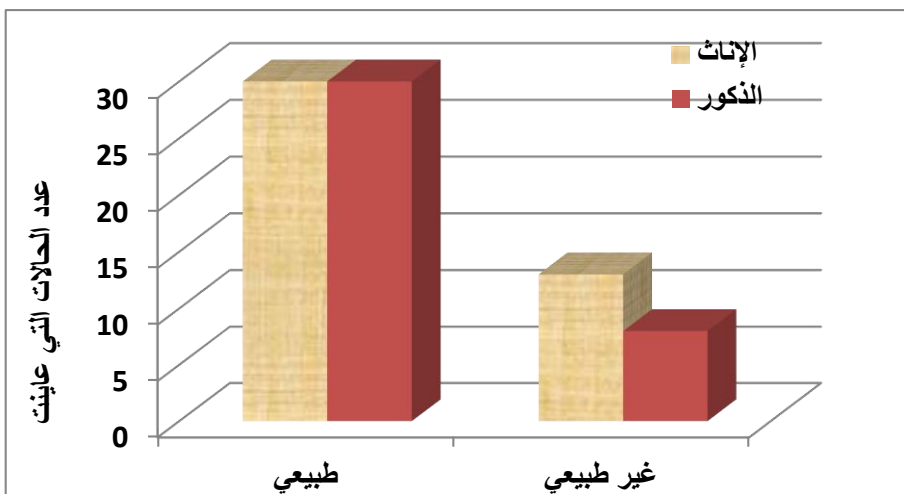
- من خلال الجداول الثلاث لسنة 2017 نلاحظ أن العدد الكلي للأشخاص الذين قاموا بإجراء التحاليل للكشف عن (اليرقان) من خلال فحص البيليروبين في الدم وصل إلى (1110) من كلا الجنسين وكان من بينهم (560) ذكر و المتبقي (550) من الإناث.
- كما أن عدد الذكور الذين وجد فيهم ارتفاع في نسبة البيليروبين (غير طبيعي) هم (114)_(ما نسبته 20.36%). بينما كان عدد الذكور الذين وجد فيهم اعتدال في نسبة البيليروبين (طبيعي) هم (446)_(ما نسبته 79.64%).
 - كما أن عدد الإناث التي كانت نسبة البيليروبين لديهن مرتفعة يصل إلى (122)_(ما نسبته 22.18%). بينما الإناث التي كانت نسبة البيليروبين لديهن طبيعية (428)_(ما نسبته 77.82%).
 - ومن بين الذكور و الإناث وصلت نسبة الإصابة في الذكور (48.31%) بينما في الإناث (51.69%).
 - ونسبة الحالات الطبيعية من بين الذكور والإناث وصلت نسبته في الذكور (51.03%) و في الإناث (48.97%).
 - إحصائيات الثلاث الأشهر الأولى لسنة 2020:

الجدول(4) يوضح عدد الحالات التي زارت المستشفى خلال الأشهر الثلاث الأولى لسنة 2020

الجنس	عدد الحالات	
	طبيعي	غير طبيعي
المجموع		
الإناث	30	13
الذكور	30	8
مجموع الجنسين	60	21
		81

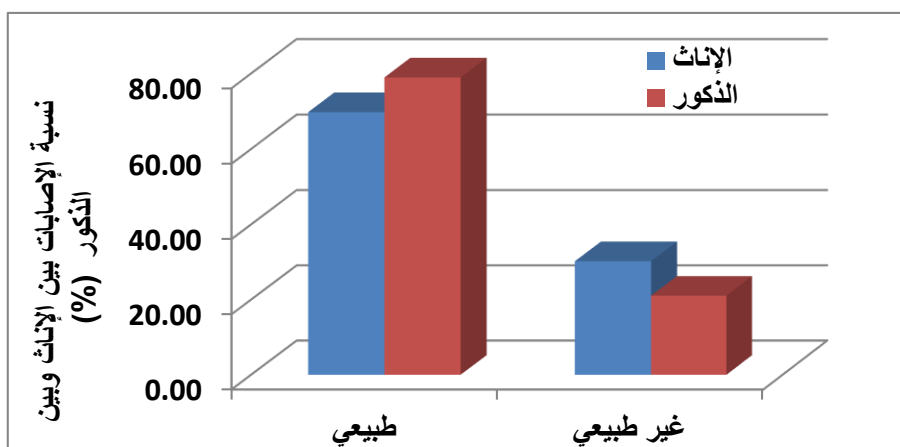


الشكل (4) يوضح عدد الحالات التي زارت المستشفى خلال الأشهر الثلاثة الأولى لسنة 2020



جدول (5) يوضح النسبة المئوية للإصابات بين الذكور فيما بينهم وكذلك نسبة الإناث فيما بينهم

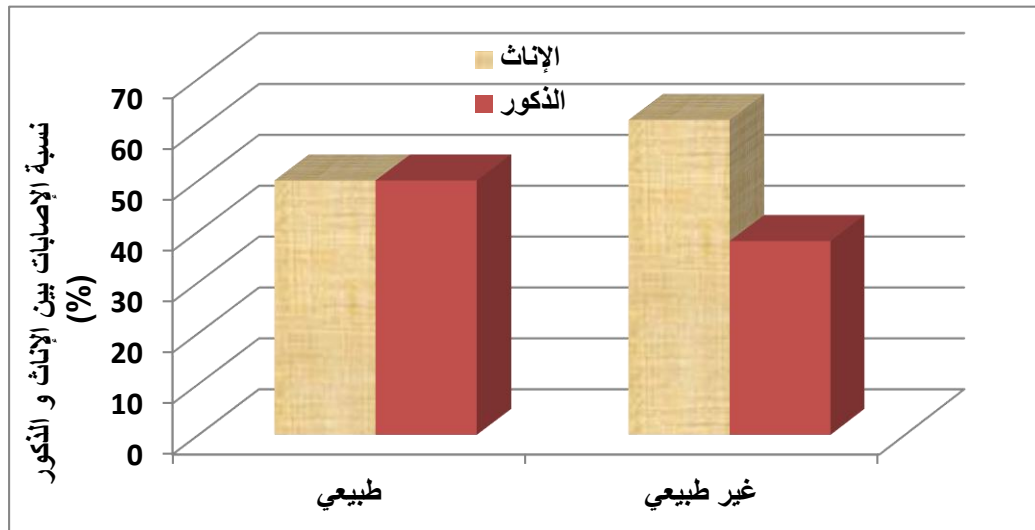
النسبة المئوية لعدد الحالات			الجنس
المجموع	غير طبيعي	طبيعي	
100	30.23	69.77	الإناث
100	21.05	78.95	الذكور
100	25.93	74.07	النسبة المئوية الكلية للجنسين



الشكل (5) يوضح النسبة المئوية للإصابات بين الذكور فيما بينهم وكذلك نسبة الإناث فيما بينهم جدول(6) يوضح النسبة المئوية للإصابات فيما بين الإناث والذكور في الأشهر الثلاث الأولى لسنة 202

النسبة المئوية لعدد الحالات	الجنس	
طبيعي	غير طبيعي	
50	61.90	الإناث
50	38.10	الذكور
100	100	المجموع

الشكل (6) يوضح النسبة المئوية للإصابات فيما بين الإناث والذكور في الأشهر الثلاث الأولى لسنة 2020



المناقشة

من خلال الجداول الثلاث نلاحظ أن العدد الكلي للأشخاص الذين قاموا بالتحاليل للأشهر الأولى لسنة 2018 (81) شخص من كلا الجنسين وكان من بينهم (38) ذكر و(43) من الإناث.

- كما أن عدد الذكور الذين وجد فيهم ارتفاع في نسبة البيليروبين (غير طبيعي) هم (8) ذكور ما نسبته (21.05%) من عدد الحالات بينما الباقي وعددهم (30) ذكر وما نسبته (78.95%) كانت نسبة البيليروبين لديهم طبيعية ، كما هو موضح في الجدول رقم (4) و(5).



- كما أن عدد الإناث التي كانت نسبة البيليروبين لديهم مرتفعة وصل إلي (13) أنثي ما نسبته (30.23%) بينما الإناث التي كانت نسبة البيليروبين لديهم طبيعية (30) أنثي ما نسبته (69.77%)، كما هو موضح في الجدول رقم (4) و(5).
- ومن بين حالات الذكور و الإناث وصلت نسبة الإصابة في الذكور (38.10%) و في الإناث (61.90%)، كما هو موضح في الجدول رقم (6) .
- كما أن نسبة الحالات الطبيعية من بين الذكور و الإناث كما هو موضح في الجدول رقم (6) وصلت نسبة البيليروبين في الذكور (50%) وكذلك كانت لدى الإناث أيضا.

المراجع العربية:

1. رضوان فريد غزال (MD, FAAP) عن كتاب مبادئ طب الأطفال : ترجمة د. عماد محمد زوكار - دار القدس للعلوم - دمشق.
2. قطمة، ظافر- حنيفة، نهى أحمد ،"اليرقان مرض يهدد بمضاعفات خطيرة مثل فقدان السمع وتدمير خلايا المخ"، مجلة النهار، العدد 430، (الإثنين 12 ذو القعدة، 1429هـ الموافق 10 نوفمبر، 2008)، ص 27.
3. مريم اسماعيل كريم. 2015 اليرقان الانحلالي (أبو صفار). MD، جامعة ديالي/كلية التربية للعلوم الصرفة، جمهورية العراق.

المراجع الإنجليزية:

1. Chernecky and Berger: Laboratory Tests and Diagnostic procedures.
2. [Facts about Jaundice and Kernicterus. CDG. February 23, 2015 archived from the original on 8 august 2016.]
3. Jaques Wallach, Interpretation of Diagnostic Tests eighth edition.
4. (Jaundice - Wikipedia, the free encyclopedia[△])
5. [△]nelson's textbook of pediatrics /19th edition/ neonatal jaundice
6. Pashankar, D (July 2001). "Jaundice in older children and adolescents" Pediatrics in Review. 22(7): 219-226. PMID 11435623, doi:10.1542/pir.22-7-219.
7. Smits-Wintjens VE, Walther FJ, Rath ME, et al. Intravenous Immunoglobulin in Neonates with Rhesus Haemolytic Disease: A Randomized Controlled Trial. Pediatrics 2011; 127:680.
8. The Children's Hospital at Westmead, Sydney Children's Hospital, Randwick & Kaleidoscope Children, Young People and Families, This document was last reviewed on 15 May 2015.
9. Zecca E, Barone G, De Luca D, Marra R, Tiberi E, Romagnoli C. Skin bilirubin measurement during phototherapy in preterm and term newborn infants. Early Hum Dev 2009; 85(8):537-540.

المواقع الالكترونية:

1. <http://www.almawk3.com>
2. <http://www.annaharkw.com/annahar/Resources/PdfPages/10-11-2008/P27.pdf>
3. <http://www.cmesaladin.tripod.com/sitebuildercontent/sitebuilderfiles/neonataljaundice.pdf>
4. <http://www.esteshary.com>
5. <http://www.healthychildren.org/English/news/pages/Jaundice-in-Newborns.aspxin.pdf>
6. <http://www.labcorp.com/wps/portal1provider/testmenu>
7. http://www.medicinenet.com/jaundice_in_adults/article.htm
8. <https://www.tbceb.net/health/4054>
9. http://www.webteb.com\children_health\diseases



أخلاق الواجب عند كانط (1724 – 1804)

د. عبد المنعم محمد سالم

تمهيد:

يعتبر (كانط) في مقدمة القائلين بوجهة النظر المثالية ، ويراد بالمثالية في معناها الواسع : وضع المثل العليا التي يسير بمقتضاها السلوك الإنساني ، أو بإقامة مبادئ عامة تستخدم أساسا للقواعد العملية ، التي يتطلّبها سلوكنا الشخصي ، وتقتضيها سيرتنا العملية ، ... ويراد بالمثالية في معناها الضيق : الاتجاه الذي يجعل الأخلاقية غاية في ذاتها ، ويرفض القول بأنها تهدف إلى إسعاد الفرد – كما ذهب قدماء اليونان - ومن أخذ برأيهم من أصحاب المنفعة ، كما قال أتباع المذهب النفعي ، أو تحقيق الكمال كما قال دعاة التطوّر ... فالأخلاقية تهدف إلى غاية موضوعية يتوخاها الإنسان بما هو إنسان ، ومن ثم كانت قيمتها مطلقة وليست نسبية ، وإلا استحال قيام مبدأ أسمى للأخلاقية ، وبهذا تصبح الإنسانية غاية قصوى للواجب بالذات (1) .

وقد أنكر (كانط) ربط الأخلاقية بنتائج الأفعال ، من لذات وآلام أو منافع ومضار ، وجعل قيمة الأفعال قائمة في باطنها ، وليس في الغايات التي تقوم خارجها ، ومن أجل هذا كان مذهبه نظرية في الواجب لا في الخير ... وقد أراد كانط بنظريته في الواجب من أن يحرر السلوك الأخلاقي من قيود الميول والأهواء التي ترتبط بقيمة الأفعال بها حتى تكون قيمة الفعل الأخلاقي باطنية مطلقة ، وبهذا تستبعد اللذة والمنفعة (2) .

وإذا كانت السعادة غاية للأفعال الإنسانية الإرادية فإن الباعث على فعل الواجب لا يقوم فقط على الرغبة في تحقيق غاية بل يقوم على الإرادة نفسها ، ويجب أن يكون محضاً فهو مجرد قانون صوري لا يستفي الواقعي ، ولا يستمد من التجربة ، ومن ثم كان عاماً مطلقاً ويسر للإنسان أن يجعل قاعدة تصرفه قانوناً في كل زمان ومكان (3) .

(1) توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط4 ، القاهرة ، 1985 ، ص 406 .

(2) المرجع نفسه ، ص 407 .

(3) توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 407 .

أولاً: منهج كانط في تناوله للمشكلة الأخلاقية :

نظر (كانط) للأخلاق في ضوء منهجه حيث وجد أن العقل عقلان نظري وعملي ، أما العقل النظري فيتناول الجانب العملي من الوجود ؛ أي: السلوك والأخلاق ، وينقسم بدوره إلى قسمين : العقل العملي بالمعنى الصحيح ، والعقل العملي المحض . يقول (كانط) "إن وظيفة العقل العملية تقوم على توجيه العقل أعمالنا وأفعالنا ، ويتم على نحوين ، فإما أن يفيد العقل العملي من معطيات التجربة ، فيدرك علاقات الحوادث بعضها ببعض ، بغية استثمار ارتباطها وتعاقيها ، وتحقيق هدف ما عند توافر شروطه وأسبابه" (1) .

أما العقل العملي المحض فيقدم لصاحبه الإطار أو الشكل العام لما يترتب عليه فعله ، من غير أن يستند في ذلك إلى معطيات التجربة ؛ بل يعد هذا الإطار بصورة قبلية سابقة لكل تجربة فعلية ، إنه ينص على ضرورة إطاعة الواجب ، أي كانت مادته ، وسواء كانت هذه المادة سارة أم مؤلمة ، وهذا العقل العملي المحض هو في نظر كان "الوجدان الأخلاقي الصحيح ، افعل ما يجب عليك وليحدث ما يحدث" (2) .

ومن هنا يستخدم كانط منهجين مختلفين في معالجة المشكلات الأخلاقية :

الأول : الانطلاق من معطيات التجربة ، ثم الصعود بالتحليل من هذه المعطيات إلى أعم ما استطاع إيجاده من قضايا ، لكي ينسقها ويفسرها .

الثاني : اتخاذ مبادئ العقل وتصوراتهِ للنزول نحو الظاهرة أو المعطى والتجربة (3) .
ويقول (كانط) عن هذا المنهج في مقدمته لكتابه (تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق) "رأيت أنه أنسب المناهج حين يسير الإنسان من المعرفة المشتركة إلى تحديد مبدأها الأعلى بطريقة تحليلية ، وحين يعود فيسير بطريقة تركيبية من امتحان هذا المبدأ ، ومصادره إلى المعرفة العامة التي سيتم تطبيقه عليها" (4) .

(1) معن زيادة ، الموسوعة الفلسفية العربية ، مجلد 2 القسم الثاني ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، 1981 ، ص 967 .

(2) المرجع السابق ، ص 967 .

(3) إيميل بوترو ، فلسفة كانط . ترجمة الدكتور / عثمان أمين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1971 ، ص 321 وما بعدها .

(4) كانط ، تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ، ترجمة عبد الغفار مكاي ، المكتبة العربية ، القاهرة ، 1965 ، ص 13 ، 14 .



ثانيا : عناصر الفلسفة الأخلاقية عند كانط :

تجدر الإشارة بإيجاز ، لفلسفة (كانط) الميتافيزيقية ، لأن مذهبه الأخلاقي كان امتدادا لها ، إن العالم عند (كانط) عالمان : عالم الأشياء كما هي في ذاتها ، وعالم الأشياء كما تبدو لنا ، والعالم الآخر مختلف بالضرورة عن الأول ، لأن العقل وهو بصدد معرفته للأشياء في حقيقتها ، يفرض عليها قالبا من الكيفيات والعلاقات التي لا تتعلق بالأشياء في ذاتها ، فالرجل الذي ولد وعلى عينيه منظار أزرق اللون ، يرى كل شيء من خلاله بنفس اللون ، حتى ولو لم يكن للأشياء نفس اللون . ومن ثم فالعقل يضيف إلى الأشياء التي يتصدى لمعرفتها الصفات التي تبدو له حسب رؤيته هو ، وكما تبدو له . ومن ثم فالإنسان كلما حاول التعرف إلى شيء فرض عليه مقولات عقله هو ⁽¹⁾ .

وإذا جئنا إلى مجال الأخلاق فإن (كانط) يرى أن التجربة الخلقية هي نوع من المعرفة ، ولكنها معرفة يقينية ، لا يرتقي إليها الشك . إنها تنشئ العلم- بما ينبغي- أن نأتيه من أفعال ، سواء أقدمنا على فعله أم حجمناه عنه ، ومن أجل هذا كان الإنسان بهذه المعرفة اليقينية يتصل بعالم الأشياء كما هي في الحقيقة ؛ أي: عالم الأشياء ذاتها ، وهكذا كان اختلاف المعرفة الخلقية عن سائر أنواع المعرفة . وإذا فللإنسان مظهران ، يتمثل أولهما في ذاته التجريبية ، التي تحوي خليطا مشوشا من الرغبات والأهواء وترتبط بعالم الأشياء ، كما تبدو لها ، ونفس صورية (ترنستدنتالية) هي مصدر التجربة الخلقية ، وعن طريقها يشارك في عالم الأشياء كما هي في الواقع ⁽²⁾ .

ومن هنا يمكن القول بناء على رغبة (كانط) أن الشعور الطبيعي لدى الإنسان ، ليس له من الأهلية ما يجعل أفعال الإنسان المترتبة على هذا الشعور أفعالا أخلاقية ، ولكن الأمر ليس مطلقا ؛ فالإنسان مع هذا يتميز من الظواهر الطبيعية بظاهرة ينفردها دون غيره من الكائنات ، وبها يتعذر اعتباره ابن الطبيعة ، التي يخضع لقوانينها ونظمها ، خضوعا كاملا ، فهو إلى جانب ما فيه من دوافع ورغبات ، تحدد ما يأتيه فعلا من تصرفات ، يتميز بالشعور- بما ينبغي- أن يفعله ، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يميز بين ما يرغب في فعله وما ينبغي عليه فعله . ومعنى هذا أن النظر إلى العوامل التي تترد إلى استعداداته : سيكولوجية ، فيسيولوجية ، وترجع إلى الجنس الذي ينحدر منه والطبيعة التي ينتمي إليها ... إلخ يسلمنا ... إلى

(1) توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 412 .

(2) توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 413 .

فهم الطريقة التي يسلكها بطبيعته ، ويتصرف بمقتضاها . ومع هذا كله نقول في كثير من الحالات : إنه كان يستطيع أن يتصرف على نحو آخر : أي: أنه كان يستطيع أن يتصرف بمقتضى مبدأ ، أو وفق ما ينبغي ، ولا يقال هذا إلا مع افتراض قدرته على أن يتصرف على غير النحو الذي أتاه فعلاً⁽¹⁾.

ومن ثم فالإنسان هو الوحيد الذي يستطيع أن يخالف العلية في تصرفاته ويشعر بالزام ، يوجب عليه أن يتصرف وفقاً لمبدأ ، ويخالف بذلك ما كان مقرراً عليه فعله ، فيتحرر بذلك من قيود العلية التي يخضع لها هو جزء من العالم الفيزيقي ، وفي ظل هذه الحرية يأتي واجبه . فإن ما ينبغي على الإنسان فعله ، يتضمن فيما يقول (كانط) ، القدرة على فعله . وإلا كانت وهما وخداعاً وهذا يصبح الإنسان سيد نفسه ورب أفعاله⁽²⁾ .

ويرتبط الشعور بالإلزام الخلقي ارتباطاً وثيقاً بالحرية ، حرية الذات التي تريد (الذات الترنسندنتالية) ، والإنسان بفضل القانون الخلقي يكشف في نفسه شعوراً بالحرية ، وهذا الشعور بالإلزام لا يرتد إلى أصول غير أخلاقية ، كما ظن الأنثروبولوجيون ، والسيكولوجيون ، من قبل ، إنه يرتد إلى مبدأ يستلهمه ، ومثل أعلى يستوحيه ، إن الإنسان حين يأتي ما ينبغي فعله ، لا يستجيب لميوله الفطرية ولا يستسلم لدوافعه النفسية ، وإنما يتحرر من آثار الوراثة والبيئة ومواصفات الظروف التي تحدد نفسيته ... عندئذ يتصرف ككائن أخلاقي ، يخضع سلوكه لمبدأ الواجب ، ويزاول أفعاله بإرادة حرة ، ولا يتقيد بغير نفسه ، التي تعتنق مبدأً أخلاقياً تدين له بالولاء⁽³⁾ .

ومن ثم فإن الأثر الذي يحدثه القانون الأخلاقي في الشعور ، ابتداءً من تحطيم كبريائه الخاطئ ، فانتصاره على الأنانية والغرور ، وما يرافق ذلك من إحساس بالذل والمهانة ، ومراجعة نقدية ، وإمعان النظر في سمو هذا القانون ، مروراً بالإدعان المطلق للأفكار التي ينطوي عليها ، انتهاءً لاحترامه وتبجيله ، يجعل منه شعوراً أخلاقياً ، ثمرة لاتحاده بالقانون الأخلاقي ... ومن ناحية أخرى يحدث القانون الأخلاقي في الحساسية أثرين متناقضين : أحدهما سلبي ، والآخر إيجابي ، أما الأثر السلبي ، فهو إهدار وسحق الميول الذاتية والأنانية والغرور ،

(1) المرجع السابق ، ص 413 ، 414.

(2) توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 414 .

(3) المرجع السابق ، ص 415.



وأما الأثر الإيجابي فهو ما يسمى بالاحترام ، وهو شعور خاص أشبه بعلامة على مثل الأخلاقية في الطبيعة ، ومن هنا يصبح الشعور الأخلاقي شعور احترام للقانون الأخلاقي (1) .

أما عن طبيعة الشعور الأخلاقي هذا وهو الشعور بالإنذار الأخلاقي فهو بالتأكيد ليس شعورا بالذلة ، إذ يتضمن شيئان : الخشية ، وانطباعا للخضوع ، وبواجب الطاعة ، وبالضبط والتضحية ، إن ما نحترمه يفرض نفسه علينا ، وينبهنا إلى أنه قوانين يجب أن ننحني أمامها في صمت ، كذلك الشعور بالواجب ، ... فإنه في اللحظة التي تستولي علينا تلك الرهبة ، نحس أننا علونا وانتشينا ، وأنتا قادرون على أن نرفع أنفسنا فوق أنفسنا ، وفوق الطبيعة كلها(2) .

ويمكن القول أن (كانط) يرى أن أفعال الإنسان ، طبقا لتكوينه الطبيعي ، وتحكمات هذا التكوين ، سواء كانت من الوراثة أو البيئة ، أو الرغبات والميول ، إنما تشكل ، قيوداً على أفعال الإنسان ، بما لا يستطيع معه مخالفتها ، وكأنه أداة في يدها تتحكم به ، أما حين يستلهم الإنسان المبدأ الأعلى ، المتمثل في الواجب الأخلاقي ؛ ففي هذه اللحظة فقط ، يكون الإنسان قد تحرر ، واستمد من القدرة على العلو ما يجعله يعلو فوق ميوله ورغباته وكل قيوده الفيزيائية ، ليخلق في عالم المثل الأخلاقي ، الذي يشعره باحترامه لنفسه ، وسموه على أنانيته المقيدة له . ومن هنا تكون أفعاله ، طبقا لهذا الواجب الأخلاقي ، يأتيها عن إرادة حرة ، راغبا فيها وتزيده في نظر نفسه احتراماً وسموا .

ثالثاً : خطوات مذهب الواجب عند (كانط) :

ترتكز الأخلاق عند (كانط) على المحاور التالية :

أ- الإرادة الطيبة باعتبارها مانحة القيمة للفعل الأخلاقي :

يبدأ (كانط) الفصل الأول من كتابه تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ، بالحديث عن الإرادة الخيرة ، وتعني عنده : العمل بمقتضى الواجب لذاته ، دون النظر إلى نتائجه (3) .

يقول (كانط) : " إن الإرادة الخيرة لا تكون خيرة بما تحدثه من أثر ، أو تحرزه من نجاح ، لا ولا بصلاحيها للوصول إلى هذا الهدف أو ذاك ؛ بل إنها تكون كذلك عن طريق فعل الإرادة وحده ؛ أعني أنها خيرة في ذاتها - وإنها- إذا ونظر إليها في ذاتها ، فلا بد لنا - بلا وجه للمقارنة - أن نقدرها تقديراً يرتفع بها درجات عن كل ما من شأنه أن يتحقق بوساطتها. لمصلحة ميل من

(1) إيميل بوترو ، فلسفة كانط . مرجع سابق ، ص 356 .

(2) المرجع السابق ، ص 356 .

(3) توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 417 .

الميل ، أيا كان ، لا بل لمصلحة كل الميل مجتمعة . وإذا ما شاءت نقمة الأقدار ، أو تقييد طبيعة تتسم بصفات الحماوات ، أن تسلب هذه الإرادة كل قدرة على تحقيق أهدافها ، وإذا ما عجزت برغم أنف الجهود التي تبذلها عن إدراك أي شيء ، ولم يبق إلا الإرادة الخيرة وحدها ... سوف تلمع بذاتها لمعان الجوهرة ، مثل شيء يحتفظ بنفسه لكل قيمته . فلا المنفعة تستطيع أن تضيف إلى هذه القيمة شيئا ولا العقم يمكنه أن ينقص منها في شيء (1) .

ومن هنا ينطلق (كانط) من التسليم بوجود الإرادة الخيرة ، ويعرفها بأنها : تصور يلخص جميع المعاني الأخلاقية الحقيقية ، التي يؤثرها الإنسان على غيرها ، حين يريد الحكم على القيمة الأخلاقية الحقيقية للمعاني ، والتصرفات الإنسانية ، وهي الشروط الضروري الكافي للقيمة الأخلاقية (2) .

ويفرق (كانط) بين الإرادة الخيرة الصالحة والإرادة الشريرة ، أولاهما : محبة تستهدف البناء والانسجام ، وترمى إلى ضبط الميل الفردية ، وتنظيم الدوافع الذاتية ، مستجيبة للقيم ، وثانيهما كراهية تميل إلى فوضى الدوافع والميل والنزوات ، والأفعال التي تصدر عنها تصقل طابعها الأخلاقي ، وتتسم بطابع أناني ذاتي (3) .

ويوضح (كانط) كيف أن الإرادة الخيرة القيمة المطلقة بغض النظر عما تحدثه من آثار ، وذلك بتناوله لدور العقل في تحقيق السعادة للإنسان . يقول نحن نسلم ، عند النظر إلى التكوين الطبيعي ، لكائن عضوي ... بمبدأ أساسي مؤداه أنه ما من عضو فيه جعل للوفاء غاية من الغايات ، إلا وكان أنسب الأعضاء لتحقيق هذه الغاية وأكثرها ملائمة لها . فلو كان الهدف الأساسي الذي تقصد إليه الطبيعة من كائن ذي عقل ، وذو إرادة ، أن توفر له البقاء والهناء ، وبالجمل السعادة ، لكانت قد أساءت الاختيار ، إذ جعلت عقل هذا المخلوق أداة لتنفيذ غرضها ، ذلك لأن جميع الأعمال التي ينبغي على هذا الكائن الحي أن يؤديها ، لتحقيق هذا الغرض ، وكذلك قاعدة سلوكه بتمامها ، كانت ترسمها له غريزته على وجه أدق ... وذلك الغرض كاف بتحقيقه بطريقة أضمن مما كان يعجز عنه العقل لو أنه حاول ذلك ، ولو أن هذا المخلوق وهب العقل ، لما نقصه في شيء إلا في نسج تأملات ، تدور حول الاستعدادات الطبيعية التي وفقه الحظ إليها ، والإعجاب بها ... والتعبير عن شكره لليلة التي أنعمت عليه بها ، لا في إخضاع

(1) كانط ، تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ، مرجع سابق ، ص 19 .

(2) إيميل بوترو ، فلسفة كانط ، مرجع سابق ، ص 312 .

(3) توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 418 .



ملكة الشهاء والرغبة لديه ، لتلك القيادة الضعيفة المضللة، والانحراف بالطبيعة عن قصدها وغايتها⁽¹⁾

ويستطرد (كانط) في هذا التناول بقوله : والواقع إننا نجد أنه كلما انصرف العقل المستنير إلى تحصيل المتعة في الحياة والسعادة ، ابتعد الإنسان عن الرضا الحقيقي ، وهذا هو السبب في أن كثيرا من الناس وبالأخص ، أولئك الذين حصلوا أكبر قدر من التجربة في ممارسة العقل ... إنما حملوا أنفسهم على التعب والشقاء أضعاف ما جنوه من السعادة⁽²⁾ ، وبالتالي ولما كان العقل لا يصلح صلاحية كافية لقيادة الإرادة قيادة رشيدة ، إلى ما تسعى إليه من موضوعات ، وإلى إرضاء جميع حاجاتها ، التي يعمل هو نفسه على الإكثار منها، وكانت الغريزة المفطورة أقدر منه على تحقيق هذا الغرض ... فإن مصيره الحق ينبغي أن يتجه إلى بعث إرادة خيرة فينا ، لا تكون وسيلة لتحقيق غاية من الغايات ، بل تكون إرادة خيرة في ذاتها⁽³⁾

ويستنتج (كانط) من هذا التحليل أنه (من أجل هذا كان وجود العقل أمرا تقتضيه الضرورة المطلقة ، بينما سارت الطبيعة في كل مجال وزعت فيه استعدادات الفطرية ، وفق الغايات التي تسعى إلى تحقيقها . قد لا تكون هذه الإرادة هي الخير الأوحد ، ولا الخير كله، ولكن ينبغي أن تكون بالضرورة الخير الأسى ، والشرط الذي يتوقف عليه كل خير آخر ، بما في ذلك النزوع إلى السعادة)⁽⁴⁾

ويمكننا أن نفهم من ذلك أن الغريزة في الكائن الحي هي الكفيلة بتحقيق السعادة ، بينما العقل لدى الإنسان ، هو الكفيل بتحقيق سعادته ، متى عرف أين تكمن: فهي تكمن في إيجاده وبعثه لتلك الإرادة الخيرة في ذاتها ، والموجودة فينا ، التي توصلنا إلى السعادة بالمعنى الحقيقي ، فالسعادة بالمعنى الغريزي حينما يتدخل العقل فيها فإنه يفسدها ، وعندئذ تكون الغريزة أفضل بتحقيقها من العقل . ولما كان الإنسان قد وهب العقل ، فبالطالي من المؤكد أنه له نوع من السعادة يناسب شرب العقل ، هذه السعادة تكمن في اكتشافه لتلك الإرادة الخيرة في ذاتها .

(1) كانط، ميتافيزيقا الاخلاق، مرجع سابق، ص 19 ، 20.

(2) كانط، ميتافيزيقا الاخلاق، مرجع سابق، ص 21.

(3) المرجع السابق، ص 21 ، 22.

(4) المرجع السابق، ص 22.

وفي ذلك يقول (كانط) (إن الثقافة في العقل التي لا غنى عنها ؛ لتحقيق الغاية الأولى المطلقة تحد من وجوه كثيرة من تحقيق الغاية الثانية المشروطة دائما ، ألا وهي السعادة ، في هذه الحياة على الأقل ، بل قد ينتهي بها الأمر إلى أن تحيلها إلى لا شيء ، والطبيعة في هذا لا تسير سيرها دون غاية ، ذلك لأن العقل الذي يعرف أن هدفه الأسمى ، هو إقامة إرادة خيرة ، إنما يحس عند بلوغ هذا الهدف بنوع من الرضا الذي يناسب طبيعته ، وهو الرضا الذي ينتج عن تحقيق غرضه لا يعنيه إلا العقل نفسه ، وإن ارتبط ذلك بشيء من الضرر الذي يلحق أغراض النوازع النفسية) (1).

والإرادة الخيرة تتجلى في وضوح ، متى اضطرعت مع رغباتنا ودوافعنا الطبيعية ، فمقاومتها في ظل الواجب لذاته إن لم يكن مؤدى هذا أن الخيرية من حيث هي كذلك ، تقوم في قهر النزعات الطبيعية ، فإن الإرادة التي اكتملت خيريتها ، لا تجد أمامها ميولا تتصدى لقهرها ، ومن ثم لا تقال فكرة الواجب التي تتضمن التغلب على نزوات النفس ونزعاتها) على مثل هذه الإرادة الكاملة وهكذا تبدو الأخلاقية حين يضطر الواجب مع الهوى ويتنازع العقل مع الشهوة (2).

وهذه الإرادة الخيرة إنما تستمد من طبيعة الإنسان ، باعتباره كائناً خلقياً ، ينتهي إلى عالم الحقائق كما هي في الواقع . فإذا أطاع القانون الخلقي صدرت طاعته عن ذاته ، باعتباره كائناً ناطقاً حقيقياً ، وليس فرداً في عالم العلل والمعلولات ، وحاسة الإلزام الخلقي حقيقة ، تستمد سلطتها من العالم الحقيقي . فنحن ننتمي إلى هذا العالم ، بمقتضى قدرتنا على إدراك حوافز الإلزام الخلقي وإطاعة أوامره (3).

رابعاً: مبدأ الواجب :

أ- طبيعة الواجب :

يصرح (كانط) بأن الأفعال الإنسانية لا تكون خيراً لأنها صدرت عن ميل مباشر ، أو دفعت إليها رغبة وفي تحقيق مصلحة شخصية ، بل تكون خيراً لأنها صدرت من أجل الواجب . وهذه هي القضية الأولى في مبدأ الواجب ؛ لا يكفي أن يكون العقل الخلقي مطابقاً في نتائجه لمبدأ الواجب ، بل يتحتم أن يجرى طبقاً للواجب ؛ أي: أن يصدر عن احترام لمبدأ الواجب . فكم

(1) كانط ميتافيزيقا الأخلاق ، مرجع سابق ، ص22

(2) توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 418 ، 419 .

(3) توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص419



من أفعال تدفع إليها الرغبة في تحقيق منفعة شخصية ، ومع هذا تتفق في نتائجها مع مقتضيات الواجب ، فلا تكون ، من أجل هذا ، متمشية مع مبدأ الأخلاقية الأسى⁽¹⁾.

ويضرب (كانط) أمثلة عن ذلك بالتاجر الذي لا يرفع السعر على عملائه ، سواء أكان يعرفهم أم لا ، وهذا يعني أن الإنسان هنا يعامل بأمانة ، غير أن هذه المعاملة الأمينة لا تكفي ، على الإطلاق ، لكي تجعلنا نذهب إلى الاعتقاد؛ لأن التاجر قد صدر في مسلكه هذا عن إيمان بالواجب ، وبمبادئ الأمانة . إن مصلحته قد اقتضت ذلك⁽²⁾ كذلك فإن محافظة الإنسان على حياته واجب وهو بالإضافة إلى هذا أمر يشعر كل واحد منا نحوه بميل مباشر ، وحتى هذا ليس فعلاً من الأفعال التي تدخل في نطاق الشعور بالواجب ، وإنما طبقاً لميل مباشر ، وهنا نجد أن الذين يحافظون على حياتهم إنما يفعلون ما يتفق مع الواجب لكنهم لا يفعلون ذلك عن شعور بالواجب ، ... كما أن الإحسان حينما استطاع الإنسان واجب إلا أن هناك نفوساً تجد المتعة في إشاعة السرور حولها ، واللذة في رضا الغير ، غير أنني أزعم (يقول كانط) أن مثل هذا الفعل ، مع مطابقته للواجب ، واستحقاقه للثناء ، لا ينطوي على قيمة أخلاقية حقيقية ، بل يرافق ميولاً أخرى ويلازمها ... فقد استحق الثناء والتشجيع وإن لم يستحق الاحترام والتقدير ، ذلك أن المسلمة ينقصها المضمون الأخلاقي ، أعني أن تؤدي هذه الأفعال لا عن ميل بل عن شعور بالواجب⁽³⁾.

ويرى الباحث أن خلاصة القضية الأولى أن الفعل لكي يكون أخلاقياً ، لا يكفي فقط أن يجئ مطابقاً للواجب ، فقد تتحكم فيه أي ظروف تجعله كذلك ، لكن أن يجئ عن شعور بالواجب غير متأثر بأي ظروف تدفع إليه ، خلاف الشعور بالواجب .

أما القضية الثانية فتكون "الفعل الذي يتم عن إحساس بالواجب ، لا يستمد قيمته الأخلاقية ، من الهدف الذي يرجى بلوغه من ورائه ، بل من المسلمة التي تقرر القيام به وفقاً لها ؛ فهي إذن لا تتوقف على واقعية موضوع الفعل ، بل تعتمد فحسب على مبدأ الإرادة ، الذي حدث الفعل بمقتضاه ، بصرف النظر عن كل موضوعات الاشتباه"⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق ، ص 420.

(2) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 23.

(3) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 24.

(4) المرجع السابق ، ص 27.

ويستنتج (كانط) من ذلك أن الأهداف التي يمكن أن تكون لدينا ، عند القيام بأفعالنا والآثار التي تنجم عنها ، بوصفها غايات ودوافع محركة للإرادة ، لا تستطيع أن تعطي هذه الأفعال أي قيمة مطلقة أو قيمة أخلاقية ⁽¹⁾.

ويرى (كانط) أن القيمة الأخلاقية إنما تكمن في مبدأ الإرادة نافيا عنها أي مادية بل يجعلها صورية محضة. يقول: إن هذه القيمة لا يمكن أن توجد إلا في مبدأ الإرادة بغض النظر عن الغايات التي قد تتحقق ، عن طريق مثل هذا الفعل ، ذلك لأن الإرادة تقف موقفا وسطا بين مبدئها القبلي ، وهو شكلي (صوري) وبين البواعث البعدية الدافعة إليه ، وهي مادية ، وكأنها تقع على مفرق الطرق. ولما كان من اللازم أن تتحدد عن طريق شيء ما ، فلا بد أن تتحدد عن طريق المبدأ الشكلي (الصوري) للإرادة بوجه عام ، حينما يحدث فعل عن واجب ، إذ يكون قد نزع عنه كل مبدأ مادي ⁽²⁾.

وهذه القاعدة إنما هي خلو من أي مادة ، إنها لا تهدف في إشباع رغبة خاصة أو تحقيق نتيجة معينة إنها - بلغة كانط - قاعدة صورية ، فالعمل من أجل الواجب هو العمل بمقتضى قاعدة صورية من غير اعتبار لرغبة أو هوى ، والرجل الفاضل ، يقبل القاعدة المادية أو يرفضها ، وفقا لمدى اتساقها أو تنافرها مع القاعدة الصورية التي تعني بتأدية الواجب لذاته ⁽³⁾.

أما القضية الثالثة فهي بمثابة النتيجة المترتبة على القضيتين السالفتين يقول كانط: "فأستطيع أن أعبر عنها على النحو التالي: الواجب هو ضرورة القيام بفعل عن احترام للقانون (يقصد القانون الأخلاق) حقا إنني قد أجد لدي ميلا للموضوع ، بوصفه أثر من آثار الفعل ، الذي أنوي الإقدام عليه ، ولكنني لن أحمل له احتراما ، والسبب في ذلك أنه مجرد أثر للإرادة ، وليس نشاطا فعلا نقوم به" ⁽⁴⁾.

كما أن (كانط) يستبعد من دائرة الفعل الأخلاقي الجدير بالاحترام ، الأفعال التي تصدر عن ميل ، سواء صدر مني أو من غيري، إنما يرتبط بإرادته مبدأ لها فحسب ، لا أثراً من أثارها أبدا ، ولا يخدم ميلي بل يسيطر عليه ، أو يستبعد على الأقل من حساب الإرادة ، هو الفعل

(1) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

(2) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 27 ، 28.

(3) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 422.

(4) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 27 ، 28.



الجدير بالاحترام ، وإذا فالقانونون المجرد في ذاته ، هو وحده الذي يمكن أن يكون موضوعا للاحترام ، وبالتالي أمرا أخلاقيا ⁽¹⁾.

وبناء على ذلك فإنه ينبغي على كل فعل باعث الواجب أن يستبعد كل أثر للميل ومعه كل موضوع من موضوعات الإرادة، وهنا لن يتبقى شيء، مما يمكن أن يحدد الإرادة إلا أن يكون من الناحية الموضوعية هو القانون، ومن الناحية الذاتية الاحترام الخالص لهذا القانون العملي ، وبالتالي لن يبقى إلا المسلمة التي تأمرني باتباع مثل هذا القانون ، حتى لو أدى ذلك إلى التخلي عن جميع النزعات والميول التي أحملها في نفسي ⁽²⁾.

ومن ثم يرى (كانط) "إن القيمة الأخلاقية للفعل لا تكمن في الأثر الذي ينتظر من ورائه، ولا في أي مبدأ من مبادئ الفعل ، يحتاج إلى استعارة الباعث عليه من الأثر المنتظر. وذلك لأن جميع هذه الآثار المترتبة على الفعل ... يمكن أن تنتج عن أسباب أخرى ، بحيث لا يكون هناك حاجة إلى إرادة كائن حي عاقل ، ففيها وحدها نجد الخير الأسمى والخير المطلق. من أجل ذلك كان تمثل القانون في ذاته وهو ما ينم بالطبع عن الكائن العاقل وحده وجعل هذا التمثل – لا الأثر المتوقع – هو المبدأ المحدد للإرادة " ⁽³⁾.

ويشيد (كانط) بهذا التمثل للقانون بقوله: "أقول من أجل ذلك كان هذا التمثل وحده هو الذي يؤلف ذلك الخير السامي ، الذي نصفه بأنه أخلاقي ، الذي نجده بالفعل حاضرا لدى الشخص الذي يعمل وفقا له ، ولا يصح لنا أن ننتظره أول ما ننتظر من الأثر الناتج عن فعله" ⁽⁴⁾.

وهذا ما يعني أن كانط يريد للفعل الأخلاقي أن يكون بمقتضى قانون صالح لكل كائن ناطق ، مستقلا عن الرغبات الشخصية والمصالح الذاتية ، وهذا القانون يبدو ، بسبب ضعفنا البشري ، قانون الواجب ، يفرض طاعته . مثل هذا القانون المفروض علينا ، لابد أن يثير في نفوسنا وجدانا مشابها لوجدان الخوف ، وباعتباره تشريعا فرضناه على أنفسنا عن طريق طبيعتنا العاقلة ، لابد أن يثير فينا وجدانا مشابها للميل أو الإنجازات ، وهذا الوجدان المعقد هو احترام لا يرتد إلى مؤثر حسي ، ولكنه يرجع إلى الظن بأن إرادته تخضع لمثل هذا القانون

(1) المرجع السابق، ص 28.

(2) ميتافيزيقا الاخلاق، مرجع سابق ، ص 28 ، 29.

(3) المرجع السابق ، ص 29.

(4) المرجع نفسه، نفس الصفحة

العام ، مستقلة عن تأثير الحس في كل صوره . ومن هنا يمكن القول بأن الفعل الخير ، هو الذي يؤدي بوازع من احترام الواجب وأن هذا هو الذي يهبه قيمته الخلقية المطلقة (1)
ب- الأمر المطلق :

يتساءل (كانط) عما عساه يكون هذا القانون الذي لا بد أن يوجد وتمثل له إرادته ، دون التفات للأثر الناجم عنه ، حين يمكن تسمية هذه الإرادة بأنها خيرة على وجه الإطلاق ، ودون تحفز؟ ، وفي هذا يرى (كانط) أن الصورة القانونية العامة للأفعال على الوجه الإجمال التي ينبغي أن تكون مبدأ الإرادة ، أي أنه ينبغي علي دائما أن أسلك السلوك الذي يمكنني ، من أن أريد أن تصبح مسلمتي قانونا كليا عاما . هنا نجد أن مجرد الاتفاق التام مع القانون ، بوجه عام ، هو مبدأ الإرادة وهو الذي ينبغي أن يكون مبدأ لها ، حتى لا يكون الواجب وهما باطلا وفكرة خرافية (2).

هذه هي أول صيغة لمبدأ الأخلاقية الأسمى ، وهو الشرط الأقصى لكل القوانين والأحكام الخلقية ، وهو الأصل الذي تصدر عنه جميع القوانين (3).

وقد عرض (كانط) لتحديد معنى الأمر توطئة لمعرفة الأمر الخلق ، والقول بإمكان قيامه وعدم استحالة ، فيرى أن الأمر يفترض وجود كائن عاقل ، لديه القدرة على أن يتصرف وفقا لفكرته عن القوانين ، والمبادئ ، وهذا هو ما نعينه حين نقول إن لديه إرادة ، وهذه الإرادة ، هي ما نقصده بالعقل العملي ، وبمقدار ما يتوخى الإنسان التصرف بمقتضى المبادئ الموضوعية ، توصف إرادته الفعالة بأنها خيرة ، ولكن الناس لا يخضعون سلوكهم بمثل هذه المبادئ الموضوعية دائما ، ومعنى هذا أن أفعال الإنسان ضرورية من الناحية الموضوعية ، ممكنة من الناحية الذاتية (4)

ويتساءل (كانط) عما ينبغي عمله ليكون الفعل الإرادي خيرا أخلاقيا ، يقول وإذا فالسؤال عما ينبغي أن أعمله ، كي ما يكون فعلي الإرادي خيرا ، من الوجهة الأخلاقية ، لا يحتاج مني للإجابة عليه إلى إرهاف حسي بعيد المدى ، يكفي وأنا عديم الخبرة عن مجرى الكون ، العاجز عن مواجهة كل ما يقع فيه من أحداث ، أن أسأل نفسي هل تستطيع أن تريد مسلمة أن تصبح قانونا عاما ، فإذا كان الجواب بالنفي ، فإن المسلمة جديرة أن تطرح جانبا... لذلك

(1) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 423

(2) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 30 .

(3) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 423 .

(4) توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 424 .



لا تصلح أن تكون مبدأ يجد مكانه في تشريع عام ممكن ، لكن العقل يجبرني على الاحترام المباشر لمثل هذا التشريع ... وإن ضرورة أفعالي التي أقوم بها عن احترام خالص للقانون العملي ، هي ما يؤلف الواجب ، وهو الذي لا يرتد إلى دافع له ، لأنه شرط الإرادة الخيرة في ذاتها التي ترتفع قيمتها فوق كل شيء ⁽¹⁾.

ويقول (كانط) في ذلك: "كل شيء في الطبيعة يخضع لقوانين ، الكائن العاقل وحده هو الذي يملك المقدرة على السلوك بحسب تصور القوانين ؛ أي: بحسب مبادئ ، أو بعبارة أخرى ، هو الكائن الذي يمتلك الإرادة لذلك ، ولما كان العقل مطلوباً لأجل استنباط الأفعال من القوانين ، فليست الإرادة سوى عقل عملي ، وإذا كان العقل بغير نزاع ، هو الذي يعين الإرادة ، فإن الأفعال التي تصدر عن مثل هذا الكائن ، التي تعرف من الناحية الموضوعية بأنها ضرورية ، هي كذلك من الناحية الذاتية يقال ضرورية ؛ أي: أن الإرادة ملكة اختيار ذلك الفعل وحده الذي يعرف العقل ، مستقلاً عن الميول والنوازع ، أنه ضروري من الناحية العملية ، أي: أنه خير ⁽²⁾.

وعلى الرغم هذا من فإن الإرادة لا تلتزم دائماً بهذه الأفعال الضرورية لما ينتابها من دوافع ضرورية ، وفي هذه الحالة فإننا نقول عن الإرادة أن الخير لم يتمكن منها تماماً ، على الرغم من معرفة العقل بضرورة الأفعال التي ينبغي أن تؤتى ، أما الأوامر الأخلاقية المطلقة ، فهي التي يعبر عنها بفعل (يجب) يقول: (كانط) "وكل الأوامر الأخلاقية يعبر عنها بفعل يجب ، وتدل بذلك على علاقة قانون موضوعي للعقل بإرادة ما ، هي بحسب تكوينها الذاتي ، لا تعين بالضرورة بوساطة هذا القانون (إلزام) إنها ... تقول إن من الخير الإقدام على فعل شيء ما ، أو اجتنابه. غير أنها توجه هذا القول لإرادة لا تقدم دائماً على فعل شيء لأنها تصورت أنه من الخير الإقدام على فعله" ⁽³⁾.

أما الإرادة الخيرة ، فهي التي بلغت من ذلك أوفى درجة ، كأنها تظل خاضعة لقوانين الخير الموضوعية ، ولكننا لم نستطع من أجل ذلك أن نصورها ، كما لو كانت ملزمة بالإقدام على أفعال مطابقة للقانون ⁽⁴⁾ ، ومن ثم كانت الأوامر الأخلاقية المطلقة مجرد صيغ شكلية ، في التعبير عن علاقة القوانين الموضوعية بالإرادة بوجه عام ، بالنقص الذاتي في إرادة هذا الكائن العاقل ... أي: في إرادة الإنسان ومعنى هذا أن كل الأوامر الأخلاقية ، تصدر أوامرها

(1) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 32.

(2) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ص 49.

(3) المرجع السابق ، ص 50.

(4) المرجع نفسه ، نفس الصفحة.

بطريقة شرطية ، أو بطريقة مطلقة ... فإن كان الفعل خيراً لمجرد أنه وسيلة لتحقيق شيء آخر ، فإن الأمر المطلق يكون عندئذ أمراً شرطياً ، أما إذا تصورناه بوصفه خيراً في ذاته ، وبالتالي فالإرادة تكون في ذاتها مطابقة للعقل مبدأ لتلك الإرادة ، وأنه يكون عندئذ أمراً مطلقاً (1).

ومن ثم يرى (كانط) أن الأمر المطلق : يبين لي ما هو الفعل الخير ، الذي يمكننا القيام به ، كما يصور لي القاعدة العملية المتعلقة بإرادة لا تبادر بالإقدام على فعل لأنه خير ؛ إما لأن الذات لا تعرف دائماً أنه خير ، وإما لأن المسلمات التي تعتقد فيها – حتى لو كانت تعرف أنه فعل خير – قد تتعارض مع المبادئ الموضوعية لعقل عملي ، وعلى ذلك فإن الأمر الشرطي إنما يعد فحسب عن أن الفعل يكون خيراً بالقياس إلى مقصد ممكن أو واقعي ، فهو في الحالة الأولى مبدأ احتمالي عملي ، وهو في الحالة الثانية مبدأ تقرير عملي ... والأمر المطلق الذي يعلن أن الفعل في ذاته يكون ضرورياً ضرورة موضوعية إذا كان غير مرتبط بأي مقصد . أما إذا كان مجرداً من كل هدف آخر يصلح لأن يكون مبدأً ضرورياً عملياً (2).

وبذلك فإن الأمر المطلق في رأي (كانط) إنما هو الذي يحدد ما ينبغي علينا فعله ، حتى وإن لم نفعله ، نتيجة تأثرنا بأمور ذاتية ، أو أغراض عملية بينما من الممكن أن يكون هذا الذي ينبغي أن يفعله ، هو موضوع الفعل الذي تقدم عليه الإرادة ، متى بلغت من الخيرية حد اعتبار أن ما ينبغي فعله هو الغاية في ذاته بغض النظر عما يترتب عليه من نتائج عملية أو فائدة بالنسبة لهذه الإرادة

وتتركز الأوامر المطلقة للإرادة لدى (كانط) في ثلاثة قواعد هي : البراعة ، والذكاء ، القوانين الأخلاقية ؛ يقول : (يمكن أن نميز الفعل الإرادي ، بمقتضى هذه المبادئ الثلاثة تمييزاً واضحاً ، عن طريق التفاوت في الإلزام الذي تفرضه على الإرادة) و (يجب ترتيبها فنقول إما أن تكون قواعد للبراعة ، أو نصائح للفطنة ، أو أوامر (قوانين) للأخلاق) (3).

ويرى (كانط) أنه من الممكن (أن نطلق على أوامر النوع الأول اسم الفنية ، أي المتعلقة بفن ، وأن نسمى أوامر النوع الثاني : الأوامر العملية ، أو المتعلقة بالرخاء والصالح العام ، وأوامر النوع الثالث ، بالأوامر الأخلاقية ، المتعلقة بالسلوك الحر بوجه عام ؛ أي بالأخلاق .) (4)

(1) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 51.

(2) المرجع السابق ، ص 52.

(3) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 54.

(4) المرجع السابق ، ص 55.



وفي هذا يرى (كانط) أن النوعين الأولين يرتبطان بغاية يرى الإنسان أنها تحقق سعادته الشخصية ، أما الأوامر المطلقة أي النوع الثالث المتمثل في القانون الأخلاقي ، فلا يتيسر تبريرها ، لأنني حين أقول ينبغي أن أؤدي الواجب لذاته ، لا افترض مقدما وجود غاية ، أردت تحقيقها . إن كل كائن أخلاقي عاقل يستجيب لها لمجرد أنه كائن عاقل ... ومن المستحيل إقامة دليل نظري على السبب الذي من أجله ينبغي أن يطاع القانون ، ولو أمكن أن يقام عليه دليل ، لكان - في نظر (كانط) - أمرا مشروطا . ولأصبح وسيلة لتحقيق غاية . ومن هنا تضمن نية الفاعل في أن يعد قاعدة سلوكه قانونا عاما ، تتخطى الزمان والمكان ، في هذا تبدو صورية الأمر المطلق ، لأن سلوك الإنسان يستهدف طاعة القانون في ذاته ، باعتباره قانونا ، ولا يرمي إلى تحقيق رغبة أو إشباع ميل أو إرضاء نزوة ⁽¹⁾

ج- قواعد الواجب باعتباره الأمر المطلق :

بما أن الواجب أمر صوري غير مشروط ، ولا متوقف على رغبات شخصية أو غيرها ، باستثناء الالتزام بفعل الواجب لأنه واجب فإن (كانط) يحدد قواعد هذا الأمر المطلق فيما يلي :

1- قاعدة التعميم :

يقول (كانط) فيها : "لا تفعل الفعل إلا بما يتفق مع المسلمة التي يمكنك ، في الوقت نفسه من أن تريد لها أن تصبح قانونا عاما" ⁽²⁾ . وما يفهم من ذلك في نظر (كانط) هو أن "ما نسميه بالواجب ليس في مجموعه إلا تصورا أجوف ، ... ولما كان شمول القانون الذي تحدث بمقتضاه الآثار والنتائج ، المترتبة عليه هو الذي يؤلف ما نسميه بوجه خاص بالطبيعة ، بالمفهوم الأعم لهذه الكلمة ، ومن الناحية الصورية أو بتعبير آخر وجود الأشياء من حيث تحده قوانين عامة شاملة" ⁽³⁾ . وهذا ما يعني أن الواجب كلي وصوري ، وموجه للإنسان بما هو إنسان ، وهو لا ينطوي على غايات يراد تحقيقها ، ولا يفتقد إلى تجربة تؤيده ⁽⁴⁾ .

(1) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 425 ، 426 .

(2) كانط : ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 61 .

(3) المرجع السابق ، ص 61 ، 62 .

(4) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 426 .

ويستخلص (كانط) من القاعدة الأولى صيغة أكثر تحديدا بقوله: "افعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عام" ⁽¹⁾ إن هذه القاعدة تقتضي بأن يتصرف الإنسان ، وفقا لما توجه الإرادة الخيرة ، وهي التي توجب علينا أن نتصرف في كل حالة بموجب مبادئ عامة ، نعرف عن طريق الحدس أنها ملزمة لنا من الناحية الأخلاقية ، وهذه المبادئ هي الوحيدة التي لا تتناقض مع ذاتها ، ومعنى هذا إن آية السلوك الخلقي عند (كانط) هي إمكان تعميمه ، من غير تناقض ، أما السلوك اللاأخلاقي فإنه إذا عمم ناقض نفسه ، ومصادق هذا أمثلة يسوقها (كانط) نفسه عن تعميم الانتحار أو الوعد الكاذب أو نحوهما ⁽²⁾.

ويمكننا أن نستخلص من أمثلة (كانط) أن الفعل الشرير سواء تعلق بالإنسان نفسه ، أو امتد أثره للآخرين إنما هو متطفل على مبدأ الخير ، ذلك المبدأ المطلق ، ومن ثم الشر متناقض مع ذاته ، ولا يمكننا أن نريده أن يكون قاعدة ، كما أننا حين نرتكبه نعرف أننا نخترق قانونا عاما ، يقول (كانط) في ذلك: "إذا راقبنا أنفسنا في كل مرة ، نخرق فيها واجبا ، لوجدنا أننا لا نريد في حقيقة الأمر ، أن تصبح مسلمتنا قانونا عاما ، لأن هذا شيء يتعذر علينا أن نريده بل الأولى أن يبقى عكس تلك المسلمة قانونا يحمل طابع العموم ، غير أننا قد نعطي لأنفسنا الحق فنجعل منه استثناءً لنا ، أو لصالح ميولنا ، ولو كان ذلك مقصورا على هذه المرة وحدها" ⁽³⁾.

ويرى (كانط) طبقا لذلك أن: "ما يصلح للإرادة مبدأ موضوعياً ، لتحديد نفسها بنفسها هو الغاية ، فإذا كانت هذه معطاة من العقل وحده ، فيجب كذلك أن تكون صالحة لكل الكائنات العاقلة ، أما ما يحتوي - على العكس من ذلك - على مبدأ إمكان الفعل فحسب الذي تكون الغاية نتيجة له فيسعى الوسيلة ، المبدأ الذاتي للرغبة هو الدافع ، والسبب الموضوعي لفعل الإرادة هو الباعث المحرك ، ومن هنا كان الفارق بين الغايات الذاتية التي تقوم على الدوافع ، وبين الغايات الموضوعية التي تستند إلى بواعث صالحة لكل كائن عاقل" ⁽⁴⁾.

ويمكننا أن نفهم من ذلك أن الأفعال التي يقوم بها الإنسان باعتبارها وسيلة لتحقيق غاية ، إنما ليس لها قيمة إلا بمقدار ما تحققه من هذه الغاية ، وهي نوع من الأوامر الأخلاقية الشرطية ، ولكن إذا فرض أن هناك شيئا يكون بوجوده في ذاته قيمة مطلقة شيء يمكن له

(1) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 62.

(2) توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 427.

(3) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 66.

(4) المرجع السابق ، ص 67.



بوصفه غاية في ذاته أن يكون مبدأ الأمر الأخلاقي المطلق الممكن ، أي سنجد فيه مبدأ القانون العملي .

2- القاعدة الثانية : قاعدة الغائية :

يشيد (كانط) بجدارة الإنسان وكل كائن عاقل بقوله: الإنسان وكل كائن عاقل بوجه عام يوجد بهدف في ذاته ، لا مجرد وسيلة ، يمكن لهذه الإرادة أو تلك أن تستخدمه على هواها ولذا يرى أن كل إنسان في أفعاله سواء أكانت هذه الأفعال متعلقة به هو نفسه، أم بغيره من الكائنات العاقلة الأخرى ، ينبغي أن ينظر إليه في الوقت نفسه ، على أنه غاية. ونستخلص من ذلك قوله في الطبيعة العاقلة بأنها غاية في ذاتها يقول وهذا هو الأساس الذي يكون عليه هذا المبدأ: توجد الطبيعة العاقلة كغاية في ذاتها⁽¹⁾

هكذا يتمثل الإنسان بالضرورة وجوده الخاص به أو المبدأ بهذا المعنى يعد مبدأ ذاتيا للأفعال الإنسانية ، ولكن كل كائن عاقل آخر يتمثل وجوده على هذا النحو تبعا لهذا المبدأ العقلي ، الذي يصلح لي أنا أيضا وإذا فهو في الوقت نفسه ، مبدأ موضوعي ، ينبغي أن يكون من الممكن أن يستنبط منه كل قوانين الإرادة ، على أساس أنه مبدأ عملي أعلى⁽²⁾.

وهذا ما يعني أن (كانط) يرى أن الكائن العاقل لا يمكن إلا أن يكون غاية في ذاته ، ومن هنا ينتهي (كانط) من صيغة ثالثة هي غائية الأمر المطلق وهي : " افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي شخص كل إنسان سواك ، بوصفها دائما وفي الوقت نفسه غاية في ذاتها ، ولا تعاملها أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة"⁽³⁾.

ومن هنا فإن الإنسان غاية في ذاته ، وتتمثل هذه الغاية في العمل وفقا لما يقتضيه العقل ، هذا إلى أن قيمة الأشياء مرهونة بمدى حاجة الناس إليها ، ورغبتهم فيها ، أما الإنسان فإن قيمته تكون في ذاته مستقلة عن الحاجات والرغبات جميعا ، قد يؤثر على ما يقوم به من خدمات ، ولكن إرادته لا تقوم بمال ؛ أي أن له كرامة ، وفي هذا يستوي البشر⁽⁴⁾ وبالطبع فإن مجمل قواعد الواجب ، إنما تسير طبقا (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به).

3- قاعدة الحرية :

(1) كانط، ميتافيزيقا الاخلاق، مرجع سابق ، ص 71.

(2) المرجع السابق، ص 72.

(3) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

(4) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، ص 432.

يرتب (كانط) على القاعدتين السابقتين ، قاعدة تقول بحرية الإرادة الإنسانية ، "فإذا كان مبدأ كل تشريع عملي إنما يقوم بطريقة موضوعية على قاعدة الشمول ، أو العموم وشكلها ، التي تجعله بحسب المبدأ الأول ، قادرا على أن يصبح قانونا ، بينما يقوم من الناحية الذاتية على الغاية ، ولكن الذات التي تحمل جميع الغايات ، هي كل كائن عاقل ، بوصفه غاية في ذاتها ، وذلك بحسب المبدأ الثاني : ينتج عن هذا المبدأ العملي الثالث للإرادة بوصفه الشرط الأعلى ، لموافقته للعقل العام ، أعني فكرة الإرادة عند كل كائن عاقل ، إرادة تضع تشريعا عاما" (1).

وبناءً على ذلك فإن الإرادة لا تخضع للقانون فحسب "بل إن خضوعها ينبغي أن ينظر إليه ، في الوقت نفسه ، من حيث أنها هي نفسها مشرعة القانون ، وإنها لا تعد خاضعة له ، وفي استطاعتها أن تعد نفسها صانعة هذا القانون ، إلا لهذا السبب وحده " (2) أي حرية هذه الإرادة فالتحرر من كل منفعة عند فعل الإرادة الصادر عن الواجب ... قد نص عليه في الأمر نفسه ، وذلك من خلال تحديد معين سيكون متضمنا فيه ، وهذا ما يحدث الآن في هذه الصيغة الثالثة للمبدأ ، أي في فكرة إرادة كل كائن عاقل ، من حيث هي إرادة تضع تشريعا كلياً عاماً ... وهكذا نجد أن مبدأ كل إرادة إنسانية ، من حيث هي إرادة تضع تشريعا عاماً ، عن طريق مسلماتها جميعاً. وإذا كان هناك أمر أخلاقي مطلق ؛ أي قانون يسري على إرادة كل كائن عاقل ، فإنه لن يملك إلا أن يلقي أوامره بأن يصدر الإنسان دائما في كل أفعاله عن مسلمة إرادة يمكنها في الوقت نفسه ، أن تجعل نفسها موضوعا لها من حيث هي مشرعة تشريعا عاماً ، عندئذ فقط يكون المبدأ العملي والأمر الذي يطيعه الإنسان غير مشروطين ، فلن يكون ثمة منفعة على وجه الإطلاق يمكن للأمر الأخلاقي أن يقوم عليها (3).

وبذلك فأن تحليلاً لهذا النص أن الغاية التي يهدف إليها الإنسان من أفعاله إنما تقيده وتوجهه إكراها واضطرابا لتحقيقها ، بينما الأمر المطلق غير المشروط ، الذي يطاع لذاته ، وسنه الإنسان لنفسه وللآخرين ، تتجلى فيه حرية الإنسان بشكل واضح ؛ لأن الإنسان تحرر من قيود الميول والمنافع والرغبات ، وجعل إطاعة الواجب غاية في ذاته ، كما أن الإنسان غاية في ذاته وليس وسيلة .

د- الاستقلال الذاتي للإرادة وكرامة الإنسان :

(1) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 76.

(2) المرجع السابق ، ص 77 .

(3) كانط ، ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 78.



يرى (كانط) أن (الأخلاقية هي الشرط الوحيد ، الذي يجعل الكائن العاقل غاية في ذاته ، إذ يستحيل عليه أن يصبح عضوا مشرعا في مملكة الغايات إلا عن طريقها، وهكذا نجد أن الأخلاق الإنسانية من حيث قدرة هذه عليها ، هي الشيء الوحيد الذي يملك الكرامة) (1).

ويرى (كانط) أن الكرامة بالطبيعة الإنسانية هي أفضل من كل القيم التي يمنحها القانون للأشياء . يقول: "ليس لشيء في الواقع قيمة إلا القيمة التي يحددها القانون . ولكن التشريع نفسه الذي يحدد القيم جميعا ، ينبغي لهذا السبب نفسه ، أن تكون له كرامة : أي: قيمة غير مشروطة ، ولا سبيل إلى مقارنتها بسواها ، لا يعبر عنها خير من كلمة احترام ، التي تترجم عن التقدير الذي ينبغي على الكائن العاقل أن يحمله لها ، فالاستقلال الذاتي إذاً هو مبدأ كرامة الطبيعة والإنسان وكل طبيعة عاقلة " (2).

وفي نهاية البناء الأخلاقي الذي شيده (كانط) وتضمن مبدأ الواجب نجده يلم فكرته عن الأمر المطلق بقوله: "اجعل أفعالك مطابقة لمسلمات يمكنها ، في الوقت عينه ، أن تجعل من نفسها موضوعا ، هو بمثابة القوانين العامة للطبيعة . هكذا تتألف طبيعة إرادة خيرة بإطلاق" (3) إن هذه الإرادة في نظر (كانط) "إرادة خيرة بإطلاق وبغير شرط تحفظي" (4).

ويمكننا أن نستخلص من ذلك أنه باتباع الواجب يكون الإنسان قد حقق ذاته باعتباره الوحيد الجدير بالأخلاقية ، طالما أن لديه العقل ، فهو قادر على إصدار القانون الذي يلتزم به وفي الوقت نفسه صالحا لأن يكون ناموسا عاما لكل عاقل ، فهو الوحيد الذي يمكنه تصور ما ينبغي أن يفعل، ولديه الإمكانية على فعله .

ويقول (كانط) في ذلك (يستتبع هذا بغير نزاع أن كل كائن عاقل ، بوصفه غاية في ذاته ، ينبغي أن يكون لديه القدرة على أن يعد نفسه بالقياس إلى جميع القوانين التي قد يخضع لها في الوقت نفسه ، مصدر تشريع عام ، وذلك لأن صلاحية مسلماته لأن تصبح تشريعا عاما هي على التحديد ما يميزه غاية في ذاته ، كما يستتبع أيضا أن عنده الكرامة التي يتميز بها عن سائر الكائنات الطبيعية وهي التي تفرض عليه أن يعد مسلماته على الدوام من وجهة نظره هو ، التي هي في الوقت نفسه وجهة نظر كل كائن عاقل ، بوصفه كائنا مشرعا ، بهذا يمكن قيام عالم

(1) المرجع السابق ، ص 82

(2) كانط: ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 83.

(3) المرجع السابق ، ص 85.

(4) المرجع نفسه ، ص 86.

معقول ، بوصفه مملكة للغايات وذلك عن طريق التشريع النابع عن جميع الأشخاص بوصفهم أعضاء فيه (¹).

هكذا بنى (كانط) مذهبه الأخلاقي في نسق صوري صارم يلتزم العقل مستبعدا المنفعة غاية ، والميول والرغبات دوافع للفعل الأخلاقي ، جازما بوجود إرادة خيرة لدى الكائن العاقل ، تؤهله لأن يكون ليس أخلاقيا فحسب بل تلزمه أيضا بذلك باعتباره الجدير بين الكائنات بهذه الصفة .

(¹) كانط : ميتافيزيقا الاخلاق ، مرجع سابق ، ص 87 .



دور الأخصائي الاجتماعي في مواجهة مشكلة التكوين والبدايات باستخدام البرنامج لجماعات داررعاية الطفل

د. انتصار السنوسي صالح

قسم الخدمة الاجتماعية-كلية الآداب / طرابلس

مشكلة الدراسة:

بما أن مؤسسات الرعاية الاجتماعية التي ينشئها المجتمع هي النظام الاجتماعي البديل الذي يحل محل النظام الأسري عندما يعجز عن أداء وظائفه لسبب من الأسباب، وبالتالي فهي الأسرة البديلة التي تأوي الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية الطبيعية موظفة ببرامج وأساليب رعاية لهؤلاء تستهدف تنشئتهم تنشئة سوية خالية من التوترات والاضطرابات النفسية وما إليها من الأمراض الاجتماعية.

وقد أشارت بعض الدراسات التي أجريت في الأعوام الأخيرة في توصياتها إلى ضرورة إعطاء المزيد من الاهتمام والمتابعة والتقييم لسياسات رعاية الطفولة داخل مؤسسات رعاية الطفولة الإيوائية.

من هنا كان اهتمام العديد من الدراسات السابقة التي تناولت أساليب الرعاية والتنشئة الاجتماعية للأطفال، في حين أكدت نتائج إحدى الدراسات على التوصية بتقديم العمل بدور الرعاية الاجتماعية من حيث الممارسة المهنية لأساليب التنشئة الاجتماعية من حين لآخر. (حديدان، 2011)

وأطفال المؤسسات الإيوائية لديهم مشاكل متشعبة الأسباب بسبب الظروف والأوضاع التي أدت إلى شعورهم بالحرمان والألم من الفقر رغم وجودهم في مؤسسات إيوائية تحت رعاية وإشراف من أفراد متخصصين يهتمون بهم ويعوضونهم ما حرموا منه بفقدان والدهم وعدم معرفتهم بهم. (منقريوس، 2014: 306)

وأكدت دراسة (عبد الرزاق، 2008) أن الأطفال مجهولي النسب لديهم مظاهر سوء تكيف مع المؤسسات الإيوائية تستدعي حاجاتهم لبرامج جماعية تساهم في التخفيف من مظاهر سوء التكيف.

واتفقت معها دراسة (عزت، 2010) في أن الأطفال مجهولي النسب لديهم اضطرابات في الاتصال الاجتماعي بالمحيطين واحتياجاتهم للتقليل من اضطرابات الاتصال عن طريق زيادة تفاعلهم ومشاركتهم وتوطيد علاقاتهم بكلا من الزملاء والإدارة، الأخصائيين الاجتماعيين.

وبينت دراسة (فيصل، 2012) أن مجهولي النسب لديهم بعض مظاهر سوء التوافق النفسي والمتمثل في الشعور بالنقص وسوء التوافق الاجتماعي ممثل في سوء العلاقات الاجتماعية لمجهولات النسب داخل المؤسسة الإيوائية ومع أفراد المجتمع. كما استهدفت دراسة (عاطف خليفة محمد، 2002) اختبار تأثير برنامج التدخل المبني للخدمة الاجتماعية في التخفيف من حدة المشكلات الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها الأطفال مجهولي النسب، وقد توصلت الدراسة إلى أن برنامج التدخل المبني أدى إلى زيادة المشاركة في الحياة الاجتماعية للأطفال مجهولي النسب بالمؤسسات الإيوائية وإلى التخفيف من حدة السلوك العدواني لديهم، وزيادة القدرة على حل المشكلات الاجتماعية، بينما لم يؤدي البرنامج إلى زيادة الانتماء والتخفيف من حدة الانطواء لديهم. (محمد، 2002)

كما أوضحت دراسة (حسن، 2018) فعالية التكتيكات الجماعية في العمل مع المشكلات السلوكية لجماعات الأطفال مجهولي النسب.

ومما لا شك فيه أن الجماعات لا تسير دائماً على ما يرام بل أن مشكلات انفصالها تؤثر على التكوين والبدايات أثناء قيامها بالعمل المنوط بها ومحاولتها الوصول إلى أهدافها، وهذا أمر طبيعي؛ لأن أعضاء الجماعة في التكوين والبدايات لكل منهم مشكلاتهم الخاصة وسماتهم التي تختلف عن بعضهم البعض. (أحمد، 1998: 167)

ففي تكوين الجماعة والبدايات نجد الأعضاء في محاولة لاكتشاف جوانب متعددة في حياة الجماعة والتعدد والمخاوف لدى بعض الأعضاء، وقيام الأخصائي وقيام الأخصائي باستقبال لأعضاء ومحاولة الرد على أسئلتهم واستفساراتهم حول الحياة الاجتماعية والرغبة في تكوين العلاقات مع الأخصائي أو بين الأعضاء بعضهم البعض، والتعبير عن بعض مشاعر الود والقبول لانضمامهم إلى الجماعة (منقريوس، 2009: 274)، وترجع أهمية هذه المرحلة لكونها بداية تجمع أعضاء الجماعة مع بعضهم البعض، وكذلك مع الأخصائي الاجتماعي كما أنها تمثل بداية العمل الجماعي لمجموعة من الأعضاء لا يعرف بعضهم البعض، ويرى (محفوظ، 2010: 38) أن خصائص هذه المرحلة تتمثل في فتور العلاقات بين أعضاء الجماعة، وضعف التفاعل والاتصال بين أعضاء الجماعة اتكالية الأعضاء واعتمادهم على الأخصائي الاجتماعي في العمل مع الجماعات، وظهور بعض أنماط السلوك للفت الأنظار وجذب الانتباه، وتركز الأعضاء حول ذواتهم وأهدافهم الفردية وتخوفهم وحساسيتهم تجاه العمل الجماعي باعتباره خبرة جديدة.



إن مرحلة تكوين الجماعة يجب ألا تقتصر على إشباع حاجات الأعضاء، بل أنها تشمل أيضاً على عدة نواحي أخرى؛ لتنمية شخصياتهم وتزويدهم بالخبرات الجماعية، وزيادة الوعي الاجتماعي، وزيادة الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية مع إحداث تطورات في السلوكيات والاتجاهات.

وكما أشارت إلى ذلك دراسة (سعد، 1992) إلى ظاهرة إجمام الطلاب عن الانضمام للجماعات وعدم توفر الوقت لممارسة الأنشطة الجماعية.

ويتحدد دور الأخصائي الاجتماعي في العمل مع الجماعات في هذه المرحلة في الاستماع الجيد لما يقول أطفال دار رعاية الطفل الإيوائية وما يعبرون عنه، ومناقشتهم في بعض ما يعبرون عنه، وتوضيح أهداف الجماعة وتحديد مكوناتها وتخفيف مشاعر القلق لدى البعض، وقبول ما يعبرون عنه بالقول الفعلي لأفكار ورغبات البعض مع توجيههم إلى ما هو واقعي وصحيح في الحياة الجماعية، وعدم التهوين أو التهويل في الشروط والإجراءات الخاصة بالحياة الجماعية. (منقريوس، 2009: 274)

ولذلك يجب أن يهتم الأخصائي الاجتماعي باليقظة للمشكلات التي تواجه الجماعة والاستعداد للاعتراف بها، ويجب أن يكون له القدرة الخاصة على الشعور بالمشكلات والشفافية على إدراك أبعادهم، كما يجب عليه ألا يماطل أو يؤجل حلها اعتقاداً منه بأنها ستزول تلقائياً وعليه ألا تطرح بدائل ضعيفة لحلها.

ويجب على الأخصائي الاجتماعي أثناء تعامله مع الجماعات أن يراقب سلوكياته وأن يحاول القضاء على ميوله الشخصية نحو المفاضلة بين الأعضاء قبل أن يلاحظها الأعضاء أنفسهم، كما يجب ألا يتخلّى عن فكرة مشاركة الجماعة وأعضائها في مواجهة المشكلات مهما كانت الجماعة ناضجة أو غير ناضجة. (حامد، 2011: 57)

وبما أن خدمة الجماعة إحدى طرق الخدمة الاجتماعية والتي تستخدم الجماعة كوسيلة لتنمية الشخصية وتحقيق التكيف الاجتماعي للفرد خلال عملية التفاعل وتستمر هذه الطريقة العلاقات المتبادلة التي توفرها الجماعة لتحقيق الأهداف الفردية والاجتماعية.

إذ أن الفرد يكتسب شخصيته نتيجة مشاركته في الحياة الجماعية، ومن ثم يتعلم نسق السلوك والمهارات خلال عمليات التفاعل الاجتماعي والقدرة على حل المشاكل، وتستند خدمة الجماعة في ذلك على وسيلة مهمة ألا وهي البرنامج لاستثارة التفاعل بين الأعضاء والذي من خلاله تستثمر طاقات الأعضاء الكاملة لدى الأفراد

واستغلالها إلى أقصى حد ممكن، وهو وسيلة للتدريب على مواجهة المواقف، واتخاذ القرارات وأسلوب التفكير الجماعي. (أحمد، 2003: 11)

فالبرامج من الأدوات المهمة التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعي في العمل مع الجماعات في مساعدة الأعضاء على النحو سواء من الناحية الجسمية أو الاجتماعية أو النفسية أو العقلية، حيث أن البرنامج يتيح للأعضاء أن يتعلموا أو يمارسوا الأدوار الاجتماعية التي ترتبط وتتكامل فيما بينها؛ من أجل تحقيق الأهداف التي تسعى الجماعة لتحقيقها (أحمد، 2003: 13)، ووفقاً لما تم عرضه من أبحاث ودراسات أوضحت سمات وخصائص أطفال دار الرعاية وفي ضوء ما يواجههم من مشكلات أصبح لزاماً على الأخصائي الاجتماعي أن يكون مؤهل علمياً ومهارياً لمواجهة مشكلات التكوين والبدائيات لجماعات دار رعاية الطفل الإيوائية.

وعليه يمكن توضيح دور الممارس المهني للخدمة الاجتماعية بمؤسسة رعاية الطفل الإيوائية من منظور خدمة الجماعة.

1- مساعدة الأخصائي للجماعة باعتبارها الوسيلة الأساسية في نمو شخصية الطفل وتغيرها وتقديمها.

2- يهتم الأخصائي الاجتماعي بالمساعدة من أجل نمو الطفل والتقدم الاجتماعي للجماعة برمتها.

3- استخدام البرامج التعليمية التي من خلالها تم التثقيف والتعليم بهدف فهم العلاقات المتبادلة بين الأطفال.

4- العمل على البرامج الاستشارية الجماعية أو العلاجية الجماعية فهي تهدف إلى خلق بيئة أو وسط اجتماعي يصطبغ بصبغة انضباطية خاصة بحيث يتسنى للأطفال اكتساب خبرات انفعالية تصحيحية بفضلها تستقيم لهم الأمور في حياتهم اليومية. (جمعة، 1889: 163)

وقد قامت الباحثة بعمل دراسة استطلاعية "تقدير موقف" للتعرف على المشكلات التي تواجه الأطفال بمؤسسة رعاية الطفل الإيوائية بأبي هريدة طرابلس باستخدام الإستبار مع العاملين داخل الدار وعددهم (4) أخصائيات اجتماعيات، بالإضافة إلى عدد (1) مديرة الدار.

واستخدام الاستبار مع الأخصائيات الاجتماعيات بمدرسة رابعة العدوية بجانب دار رعاية الطفل أبو هريدة والتي يدرس بها أطفال الدار وكان عددهم (4) أخصائيات اجتماعيات.



فمن خلال ما سبق نجد أن الأطفال داخل مؤسسة دار رعاية الطفل الإيوائية يعانون من قلة القدرة على الانضمام للجماعات من خلال عملية التكوين والبدايات والانسحاب والانعزال من الحياة الاجتماعية وقلة التفاعل الاجتماعي وضعف المشاركة في الأنشطة الجماعية، وعليه فإن هؤلاء الأطفال في أشد الحاجة إلى تدعيم الذات والثقة بالنفس، وتنمية التفاعل الاجتماعي، وتنمية العلاقات الاجتماعية وتشجيعهم على ممارسة الأنشطة والاشتراك فيها، وتنمية المهارات لديهم كمهارة التواصل الاجتماعي ومهارة التفاعل الاجتماعي.

ومن خلال العرض السابق يمكن للباحثة من صياغة مشكلة البحث في التساؤل التالي:

ما دور الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية باستخدام البرنامج لمواجهة مشكلات التكوين والبدايات لجماعات دار رعاية الطفل الإيوائية؟
أهمية الدراسة:

- 1- تكمن أهمية هذه الدراسة في السعي نحو الوصول إلى مؤشرات علاجية لمواجهة المشكلة المراد دراستها.
- 2- أطفال دار رعاية الطفل الإيوائية فئة من الفئات التي تتميز باختلاف خصائصها عن أي فئة أخرى من الفئات التي تتعامل معها الخدمة الاجتماعية فهي تحتاج إلى جانب من الاهتمام.
- 3- الأخصائي الاجتماعي الذي يعمل مع أطفال دار رعاية الطفل الإيوائية هو ممارس يعمل في مجال صعب، وبالتالي فهو بحاجة مستمرة لدراسة المشكلات التي تواجهه وتوفر التدريب اللازم للتعامل مع المشكلات.
- 4- تتعامل هذه الدراسة مع مرحلة عمرية مهمة من عمر الإنسان وهي مرحلة الطفولة، حيث تعتبر من المراحل العمرية المؤثرة في تكوين شخصية الفرد في البدايات الأولى.
- 5- تتمثل أهمية هذه الدراسة من كونها تهدف إلى مساعدة هؤلاء الأطفال في تعليم كيفية التعامل مع المواقف والمشكلات الحياتية وتنمية مهارات التفاعل والتواصل الاجتماعي.
- 6- كما أن هذه الدراسة تعمل على تهيئة هؤلاء الأطفال للانخراط في المجتمع، وتوفير سبل التعاون وعدم اللجوء إلى الانعزال أو رفض الواقع.

هدف الدراسة:

اختبار فاعلية البرنامج في خدمة الجماعة لمواجهة مشكلات التكوين والبدايات لأطفال دار رعاية الطفل الإيوائية.

تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى مواجهة مشكلات تكوين الجماعة وبداياتها باستخدام البرنامج مع الجماعة، وذلك من خلال الإجابة على التساؤل الآتي:

هل يستطيع البرنامج في خدمة الجماعة بما يحتويه من أنشطة ونماذج عملية واستراتيجيات من مواجهة مشكلات تكوين الجماعة وبداياتها لهؤلاء الأطفال؟

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين القياس القبلي والبُعدي باستخدام الأخصائي الاجتماعي البرنامج في مواجهة مشكلات تكوين الجماعة وبداياتها لجماعات دار رعاية الطفل الإيوائية.

مفاهيم الدراسة:

1) مفهوم الدور:

يُعرف الدور بأنه "توجيه أو تفهم عضو الجماعة بالجزء الذي ينبغي أن يلعبه في داخل الجماعة". (قاسم، 2011: 186)

يُعرف الدور بأنه هو "كل ما يقوم به الأخصائي تحقيقاً لأهداف وحدات العمل المهني، كما يتحدد في العقد أو على الأقل كل ما يقرب من تحقيقها. (إبراهيم، 2001: 279)

الدور أيضاً "نمط للسلوك يتوقع من فرد ما في جماعة أو موقف معين وتحدد الأدوار ما يجب أن يؤديه الفرد من نشاط في جماعته في ضوء الثقافة". (الجندي، 2009: 232)

ويمكن تعريف الدور إجرائياً في إطار هذه الدراسة على أنه:

- الجهود المهنية التي يبذلها الأخصائي الاجتماعي مع الجماعة داخل المؤسسة لمواجهة مشكلات التكوين والبدايات باستخدام البرنامج.

- يتضمن القيام بهذه الجهود الاعتماد على تطبيق أسس طريقة العمل مع الجماعات في تكوين الجماعات بدار رعاية الطفل باستخدام البرنامج.

- يشارك في هذه الجهود العاملين بالمؤسسة الإيوائية بمختلف تخصصاتهم.

2) مفهوم مشكلات التكوين والبدايات:

تُعرف المشكلة بأنها "موضوع تحيطه صعوبات بالغة تتطلب استخدام قدر مناسب من المهارة في التفكير للتوصل إلى حل سليم". (سالم وآخرون، 2009: 116)



وتُعرف مشكلات التكوين والبدائيات بأنها "مواقف صراع أو تعارض تحدث في بداية تكوين الجماعة أثناء وضع الأهداف أو تحديد برنامج الجماعة أو عملية اتخاذ القرار". (حامد، 2011: 60)

ويمكن تعريف مشكلات التكوين إجرائياً في إطار هذه الدراسة على أنها:

- مواقف تعترض التكوين والبدائيات في الجماعة ناجمة عن تفاعل الأعضاء مع بعضهم البعض، أو على الأخصائي الاجتماعي أثناء عمله مع الجماعة أو المؤسسة.
- يعتمد الأخصائي الاجتماعي مع الجماعات على الجماعة ذاتها على اجتياز هذا الموقف.

(3) مفهوم البرنامج:

"الأداة التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعي في إطار من قيم ومبادئ ومفاهيم واستراتيجيات خدمة الجماعة، والذي تتضمن مجموعة الأنشطة التي يضعها الأخصائي الاجتماعي بالتعاون مع أعضاء الجماعة لتحقيق أهداف الجماعة". (عطية، 2002: 325)

تعد البرامج من الأدوات المهمة التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعي في مساعدة الأعضاء على النمو سواء من الناحية الجسمية أو الاجتماعية أو النفسية أو العقلية؛ لأنها تتيح للأعضاء أن يتعلموا ويمارسوا الأدوار الاجتماعية التي ترتبط وتتكامل فيما بينها من أجل تحقيق الأهداف التي تسعى لها الجماعة. (هاشم، 1977: 182)

برنامج الجماعة هو نشاط منظم يرتبط بأهداف الجماعة ويتحدد بناءً على التفاعل الاجتماعي داخلها ويهدف في النهاية إلى التنشئة الاجتماعية السليمة لأفراد هذه الجماعة بشكل يخدم الفرد والجماعة والمجتمع، إلا أن هذا النشاط لا يمكن أن يطلق عليه لفظ برامج إلا إذا تم بناءً على خطة مرسومة لها أهداف معينة وأساليب خاصة لتحقيق هذه الأهداف. (جمعة، 2005: 200)

وإن هدف الأخصائي الاجتماعي من تنفيذ البرامج ليس مقصوداً على ممارسة أوجه نشاط معين لإشباع حاجات ورغبات الفرد والجماعة واستغلال أوقات فراغهم، بل غرضه الأساسي هو مساعدتهم على النمو متخذاً البرنامج كأداة ووسيلة للوصول إلى الأهداف المبتغاة والهدف الأساسي هو التفاعلات والعلاقات على اختلافها عند ممارسة النشاط نفسه والذي يمكن أن يستخدمها الأخصائي الاجتماعي لنمو الجماعات وأعضائها وتحقيق الأهداف المخطط لها.

لذلك فإن البرنامج في التعامل مع الجماعات تمثل في الواقع مجموعة الأعمال والأنشطة التي تصنعها الجماعات وتخططها لتكون وسيلتها في تنشئة أفرادها حتى تقوم الجماعات بدورها العملي في تنمية المجتمعات التي تنتمي إليها، وهي بذلك تمثل التفاعل الاجتماعي وبدونه لا يمكن ظان تستمر الجماعة وتنمو وتؤثر في أفرادها لتتبع حاجاتهم وميولهم وتنمي وعيهم وقدراتهم ومواهبهم.

إذن إن برنامج الجماعة هو العمل أو النشاط الذي تمارسه في المجتمع فتغير به القيم والتقاليد والعادات وأنماط السلوك السائد التي تقف في أحيان كثيرة حجر عثرة في طريق تقدم المجتمع وتطوره. (جمعة، 1997: 105)

البرنامج يساعد الأخصائي الاجتماعي في تحقيق غايته وهي مساعدة الفرد على التوافق في الجماعة باعتبارها محور النشاط، ذلك لأن الفرد في نظر الأخصائي الاجتماعي هو بؤرة الاهتمام من أجله تنظيم البرامج وفي سبيله تبذل الجهود.

وأن دور الأخصائي الاجتماعي مع الجماعات هي توجيه برامج الجماعات والتي يجب أن تحقق وتشبع رغبات أعضائها لتحقيق نمواً اجتماعياً للجماعة وأعضائها.

وترجع أهمية البرامج في الجماعة إلى كونه المحور الذي يدور حوله نشاط الجماعة ويلتف الأعضاء من حوله، أضف إلى ذلك أن البرنامج لا يعتبر غاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة مهيأة فعالة في التغلب ومواجهة مشكلات التكوين والبدائيات لأطفال دار رعاية الطفل بالمدرسة، وكذلك تقوية الروابط بين أفراد الجماعة وعن طريق البرنامج يمكن تشجيع العضو المنعزل على الخروج من عزلته وعلى المشاركة مع بقية أفراد الجماعة في نشاطهم، وبذلك فإن البرنامج يعتبر نقطة ارتكاز وتتجمع حولها الجماعات، مما يساعد على خلق الرابطة التي تسمح لتكوين العلاقات وتنميتها بين أعضائها.

التعريف الإجرائي للبرنامج في هذه الدراسة:

البرنامج وسيلة لتحقيق أهداف معينة وليس غاية في حد ذاتها - مجموعة من الأنشطة المتنوعة - أنشطة ثقافية - أنشطة اجتماعية - أنشطة رياضية - أنشطة فنية.

والأخصائي الاجتماعي لا ينظر إلى البرامج على أنها مجرد أنواع من النشاط بل وسيلة لأهداف عليا، ويعرف أن هناك فرق كبير بين النشاط والخطوة والنشاط مظهر للجهد



المبذول على شكل خدمات أو هويات، أما الخطة فتعني الطريقة التي يتعامل بها الأخصائي الاجتماعي مع الجماعة وهي الأساس في طريقة خدمة الجماعة.

- يتيح البرنامج عملية التواصل والتفاعل لتكوين الجماعة وبتدريباتها لأطفال دار رعاية الطفل بالمدرسة والخبرات التي يكتسبها الأعضاء عن طريق مزاولة النشاط.

- يتلاءم البرنامج والإمكانيات البشرية بالمدرسة لممارسة الأنشطة.

- يتيح البرنامج تدليل الأدوار داخل الجماعة وإشباع رغباتهم واحتياجاتهم نتيجة اشتراك الأعضاء معاً في كل لون من النشاط.

مفهوم التدخل المهني:

لقد ظهر مفهوم التدخل المهني في نهاية عقد السبعينات بوصفه واحدة من المحاولات في بناء نموذج شامل للممارسة وكانت له جوانبه الإيجابية بحيث يساعد على تعديل النظرة السابقة نحو الطريقة لتحل محلها أساليب مختلفة للتدخل المهني تجاه مستويات متعددة من اتساق العمل أو العمل الجماعي. (أبو المعاطي، 2009: 10)

فالتدخل المهني هو لب أو أساس العمل مع الجماعات الاجتماعية ويقصد به النشاط أو العمل المهني القائم على تكتيكات فنية وعملية يقوم بها الأخصائي الاجتماعي منذ عمله مع الجماعة. (نبيل، 2003: 141)

ويتحقق التدخل المهني من خلال قيام الأخصائي الاجتماعي بدوره مع الأعضاء والجماعات من خلال المواقف التي تمر بها الجماعة أثناء ممارسة أوجه النشاط مستخدماً مبادئ ومعارف ومهارات وتكتيكات الطريقة لتحقيق أهداف المؤسسة التي تنتهي إليها هذه الجماعة.

4) المؤسسة الإيوائية:

هي "دار لإيواء الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية من الجنسين بسبب اليتيم أو تفكك وتصعد الأسرة وفق ما يشير إليه البحث الاجتماعي".

أيضاً هي "تلك المؤسسات التي تكفل العملاء النزلاء دائمين أو لفترة زمنية محددة تنتهي بانتهاء فترة العقاب التأديبي أو لحين التماثل للشفاء، والعملاء الذين لا عائل لهم لأجل تقديم الخدمات التي يحتاجونها وذلك بتدريبهم أو تأهيلهم أو إصلاحهم أو توجيهم وتوعيتهم لما فيه صالحهم، ومن أمثلة هذه المؤسسات مؤسسات رعاية الأطفال الأيتام". (عقيل، 2006: 112)

التعريف الإجرائي للمؤسسة الإيوائية في هذه الدراسة:

هي " المؤسسة التي يلجأ إليها لإيواء الأطفال الأيتام وفاقدي السند ممن تحول ظروفهم الاجتماعية دون إمكانية العيش داخل الأسرة الطبيعية لأي سبب كان، وتتراوح أعمارهم من يوم وحتى الثانية عشر، ونطلق عليها دار رعاية الطفل بأبي هريدة وتقع بمدينة طرابلس".
والطفل يكون مقيم بالمؤسسة وملتحق بالتعليم - لا يجيد التواصل مع الآخرين - يتسم سلوكه بالانطواء والعزلة - يعاني من ضعف العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين.

الموجهات النظرية للدراسة:

النظرية الاجتماعية ما هي إلا مجموعة من الافتراضات التي تحاول شرح وتفسير العلاقات بين الظواهر الاجتماعية في المجتمع الإنساني. (فرج، 1989: 21)
وهي محاولة متكاملة لصياغة شبكة مترابطة من الخيوط الرفيعة وصولاً إلى الحقيقة. (عبد الخالق، 1999: 409)

وحيث أن موضوع الدراسة يتمثل في مواجهة مشكلات التكوين والبدايات لجماعة دار رعاية الطفل مع الجماعات المدرسية، فإن هذه الدراسة تتخذ نظرية الاتصال ونظرية الأنساق كوجهات نظرية لها.

1) نظرية الاتصال:

تعرف نظرية الاتصال بأنها: مجموعة مترابطة من المفاهيم المرتبطة بشخصيات العملاء وتصرفاتهم لتقدم للأخصائي الاجتماعي فهماً شاملاً لظواهر ومشكلات العملاء في مجالات الممارسة.

كما أنها القواعد والقوانين التي يستطيع الأخصائي الاجتماعي استخدامها لتفسير سلوك العملاء. (خليل، عبد الحفيظ، 2018: 84)

ويمكن القول أن نظرية الاتصال تتمشى مع مراحل نمو الجماعة فعندما يجتمع الأفراد عند بداية تكوين الجماعة يلعب التفاعل والاتصال دوراً جوهرياً ويبدو في بعض الأحيان أن شعور الأفراد بوجود أهداف لا يمكن تحقيقها بالجهد الفردي يجعلهم يميلون إلى الاتصال بعضهم ببعض، حيث يتركز الاتصال والتفاعل حول المشكلة أو الهدف أو الموضوع الذي يثير اهتمام الأعضاء. (عاطف، 2013: 131)
ويتحدد دور نظرية الاتصال في توجيه هذه المرحلة فيما يلي:



أ- العمل على إيجاد التجانس بين الأعضاء في المستوى الثقافي والاقتصادي والتعليمي.

ب- استخدام طرق واضحة للتفاعل والاتصال الجماعي.

ويمكن الاستفادة من نظرية الاتصال في هذه الدراسة كما يلي:

- الاتصال عملية إدارية عن طريقها يتم نقل المعلومات والآراء والتوجهات من الأخصائي الاجتماعي إلى أطفال دار الطفل.

- يساعد الاتصال أطفال دار رعاية الطفل الإيوائية على تنمية الاتجاهات والقيم الإيجابية المرغوبة من خلال البرامج الجماعية المرسومة أو المخططة والتي تهدف إلى تنمية الفرد والجماعة والمجتمع.

- يساعد الاتصال أطفال دار الطفل الإيوائية على إشباع بعض الحاجات الاجتماعية والنفسية ومنها الحاجة للانتماء والحاجة للاطمئنان والاستقرار وتحقيق وتأكيد الذات.

- يساعد الاتصال أطفال دار رعاية الطفل الإيوائية على زيادة مشاركتهم في الأنشطة التي تقدم داخل المدرسة مما يزيد من فرص التفاعل الاجتماعي الإيجابي بينهم وبين الآخرين أو المحيطين بهم والمجتمع ككل.

- يساعد الاتصال على توجيه قدراتهم للأنشطة المناسبة لهم.

(2) نظرية الأنساق:

تركز نظرية الأنساق على النظر إلى كيان الجماعة باعتباره مجموعة متفاعلة من الأعضاء بينهم علاقات تبادلية ونظم محددة تحكم هذا التفاعل في إطار نشاط موجه يمارسه الأعضاء بمساعدة الأخصائي الاجتماعي ويستطيع نسق الجماعة تحقيق أهدافه في ضوء أربعة وظائف أساسية وهي: التكامل والتكيف والحماية، وتحقيق الهدف. (عاطف، 2013: 2)

ويمكن الاستفادة من نظرية الأنساق في هذه الدراسة كما يلي:

المؤسسة الإيوائية نسق اجتماعي يتفاعل مع منظمات أخرى ومع مؤسسات وهيئات يوجد بينها قدر من التعاون والتبادل في تحقيق أهداف كل منهم، فالعلاقة التبادلية بين المؤسسة الإيوائية والمدرسة كمؤسسة تعليمية وأن الطالب هو عضو بالمدرسة يستمد العملية التعليمية من المدرسة ومن خلالها يستمد مزيداً من القيم

والاتجاهات السوية، والتزود بالمهارات الإنسانية والإنتاجية، وذلك عندما يكون عضو في جماعة يمارس الأنشطة والبرامج.

ويمكن تحليل المؤسسة الإيوائية والمدرسة كنسق اجتماعي في ضوء العناصر الآتية:

- المدخلات "أطفال دار رعاية الطفل الإيوائية" ويمكن تحديد مدخلات المدرسة كنسق اجتماعي، وهم الأعضاء داخل المدرسة بالإضافة إلى الإمكانيات المادية والبشرية.
- العمليات التحويلية "البرامج والأنشطة" وهي عملية التفاعل التي تتم بين المدخلات في صورة منظمة من خلال البرامج الموجودة بالمدرسة في بداية تكوين جماعات النشاط لإشباع احتياجاتهم وتنمية قدراتهم وامكانياتهم لأقصى حد ممكن.
- المخرجات "المهارات والخبرات" وهي العائد النهائي والأهداف التي تحققت من العمليات التحويلية ونقصد بالمخرجات المهارات والخبرات التي اكتسبها أطفال دار الطفل الإيوائية، مروراً بمراحل تكوين الجماعة مثل مهارة الاتصال ومهارات تكوين العلاقات الإيجابية ومهارات حل المشكلات والتي ساهمت في صقل شخصياتهم وتطويرها.
- الإجراءات المنهجية للدراسة:

- نوع الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات شبه التجريبية التي تقيس أثر متغير على متغير آخر، حيث استخدمت الباحثة في هذه الدراسة متغير مستقل وهو البرنامج في خدمة الجماعة وأثره على المتغير التابع وهو حل مشكلات التكوين والبدايات للجماعة.

- المنهج المستخدم:

اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج التجريبي، حيث أن الدراسات التجريبية تهدف إلى الكشف عن العلاقات السببية بين المتغيرات والذي يستخدم للتحقق من صحة الفروض التي تربط بين الظاهرة، وبين العوامل المرتبطة بها. وقد استخدمت الباحثة تصميماً تجريبياً وهو التجربة القبليّة - البُعديّة - باستخدام جماعة واحدة حسب القياس القبلي - البُعدي.

- أدوات الدراسة:

اعتمدت الدراسة الحالية على مقياس استخدام البرنامج لحل مشكلات تكوين البدايات بدار الطفل الإيوائية لأطفال دار رعاية الطفل الملحقين بالمدرسة مع الجماعات المدرسية.



وذلك بعد الاطلاع على الوثائق والإحصائيات والسجلات المتعلقة بموضوع الدراسة، وذلك لتحليل ومعالجة البيانات ولتحقيق أهداف الدراسة والوصول إلى النتائج.

– مجالات الدراسة:

المجال المكاني: مؤسسة دار رعاية الطفل أبي هريدة – طرابلس.

المجال البشري: قامت الباحثة بإجراء دراستها بمدرسة رابعة العدوية المجاورة لدار رعاية الطفل أبو هريدة بمدينة طرابلس، والتي يدرسون بها أبناء الدار.

المجال الزمني: تماشياً مع موضوع الدراسة فقد تم تطبيق الدراسة على أطفال دار رعاية الطفل الإيوائية أبي هريدة الدارسين بمدرسة رابعة العدوية، ومن خلال المسح الاجتماعي الشامل للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 9-12 سنة ويدرسون بالفترة الصباحية والبالغ عددهم (10).

وهناك اعتبارات روعيت في تنفيذ البرنامج، ففي ضوء الدراسة الاستطلاعية حددت الباحثة بعض الاعتبارات التي يتعين مراعاتها عند تنفيذ البرنامج وهي:

- تدعم العلاقة المهنية بين الباحثة وأطفال دار رعاية الطفل على أساس من الثقة والاحترام المتبادل بين الطرفين.
- اتباع أسلوب الحوار والمناقشة المفتوحة.
- استخدام اللغة السهلة والبسيطة التي تلائم إدراكهم.
- تحديد إجراءات تطبيق جلسات البرنامج من حيث عدد الجلسات وأهدافها والمدى الزمني لكل جلسة بشكل يمكن أن يحدث تأثيراً إيجابياً على الأطفال.
- وتم تحديد الهدف من موضوع القياس:
- عقد مقابلات مفتوحة مع الأخصائيات الاجتماعيات العاملات بدار رعاية الطفل والأخصائيات الاجتماعيات بمدرسة رابعة العدوية الملحق بها أطفال الدار.
- تم تحديد الاستجابات (موافق بشدة – موافق – إلى حد ما – غير موافق – غير موافق على الإطلاق) مع مراعاة العبارات الموجبة والسالبة.

– الأساليب الإحصائية:

استخدمت الباحثة بعض المعالجات والأساليب الإحصائية كما يلي: المتوسط الحسابي – الانحراف المعياري – معامل ارتباط بيرسون – معامل اختبار ت.

نتائج الدراسة:

عرض ومناقشة النتائج الخاصة بوصف أفراد عينة الدراسة. تقوم هذه الدراسة على عدد من المتغيرات المستقلة المتعلقة بالخصائص الشخصية والنوعية لأفراد عينة الدراسة متمثلة في الصف الدراسي - العمر عند الالتحاق بالدار، وفي ضوء هذه المتغيرات يمكن تحديد خصائص أفراد عينة الدراسة على النحو التالي:

جدول رقم (1)

يوضح توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير الصف الدراسي

الصف الدراسي	العدد	النسبة المئوية (%)
الصف الرابع	-	-
الصف الخامس	3	30
الصف السادس	7	70
الإجمالي	10	100

يتضح من الجدول رقم (1) أن نسبة 70% من عينة الدراسة يمثلون الصف السادس من التعليم الأساسي وهي النسبة الأكبر، بينما الصف الخامس من التعليم الأساسي يمثلون 30% من عينة الدراسة، وهذا يساعد الباحثة على التواصل معهم بصورة أكبر وفهم واستيعاب من قبل المبحوثين.

جدول رقم (2)

يوضح توزيع عينة الدراسة لمتغير العمر عند الالتحاق بالمؤسسة

الصف الدراسي	العدد	النسبة المئوية (%)
أقل من سنتين	8	80
سنتين إلى أقل من عشر سنوات	2	20
الإجمالي	10	100

يتضح من الجدول رقم (2) أن نسبة 80% من عينة الدراسة يمثلون الأطفال الذين التحقوا بالمؤسسة في عمر أقل من سنتين وهذا يشير إلى أن أغلب أفراد العينة تواجدوا ونشأوا معاً بالمؤسسة مما يؤدي إلى قوة الارتباط بينهم كإخوة لبعضهم البعض ومعايشتهم المتشابهة إلى حد كبير لنشأتهم سوياً داخل المؤسسة وأن نسبة 20% من عينة الدراسة تمثل في اثنين من أفراد العينة وهم أخوة قد التحقوا بالمؤسسة في عمر أكثر من سنتين ولا يؤثر ذلك على قوة



الارتباط بين أفراد العينة من حيث النشأة كما أن الإشارة إلى العمر عند الالتحاق بالمؤسسة للتوضيح المرحلة العمرية عند التحاقهم بالمؤسسة وبيان سمات هذه المرحلة والتي تتمثل مرحلة الطفولة المبكرة.

2- نتائج درجات القياس القبلي والبعدي لعبارات حل مشكلة التكوين والبدايات

جدول رقم (3)

يوضح درجات القياس القبلي في حل مشكلات التكوين والبدايات باستخدام البرنامج

الترتيب	القوة النسبية	المتوسط المرجح	مجموع الأوزان	غير موافق على الإطلاق		غير موافق		إلى حد ما		موافق		موافق بشدة		العبارة	ت
				%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
4	52	2.6	26	20	2	20	2	50	5	-	-	10	1	أحاول الانضمام إلى الجماعة	1.
2	56	2.8	28	20	2	10	1	50	5	10	1	10	1	أتردد عند الانضمام للجماعة	2.
2مكرر	56	2.8	28	10	1	20	2	50	5	20	2	-	-	أرغب في الانضمام للجماعة	3.
7	40	2.0	20	-	-	-	-	40	4	20	2	40	4	يجذبني الإعلان عن الجماعة	4.
1	72	3.6	36	-	-	10	1	30	3	50	5	10	1	عدم التزامي بحضور اجتماعات الجماعة	5.
8	36	1.8	18	-	-	-	-	30	3	20	2	50	5	اعتقادي بأنه لا فائدة من اجتماعات الجماعة	6.
2مكرر	56	2.8	28	20	2	10	1	50	5	10	1	10	1	لا أتفق مع أعضاء الجماعة على دور كل شخص	7.
4مكرر	52	2.6	26	30	3	10	1	20	3	30	3	-	-	ليس لدي ثقة في نفسي للاشتراك مع الجماعة في برامجها	8.

ت	العبارة	موافق بشدة		موافق		إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق		مجموع الأوزان	المتوسط المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%				
9.	أختار العزلة بغض النظر عما يترتب على ذلك	2	20	1	10	5	50	2	20	-	-	27	2.7	54	3
10	يضايقي تدخل الأخصائي الاجتماعي في اختيار الأعضاء	-	-	1	10	2	20	1	10	6	60	18	1.8	36	8مكرر
11	أرغب بالانضمام للجماعة	-	-	-	-	3	30	4	40	3	30	20	2.0	40	7مكرر
12	ليس لدي الاهتمام بهذه العملية من الأساس	-	-	1	10	5	50	-	-	4	40	23	2.3	46	5
13	أفضل العمل الفردي على العمل الجماعي	-	-	3	30	2	20	3	30	2	20	26	2.6	52	4مكرر
14	أحاول التصرف بأنماط سلوكية معينة للفت الأنظار وجذب الانتباه	-	-	2	20	-	-	4	40	4	40	20	2.0	40	7مكرر
15	أشارك إخوتي في بعض البرامج أثناء تكوين الجماعة	2	20	4	40	4	40	-	-	-	-	22	2.2	44	6
الدرجة الكلية للبعد												مجموع الأوزان	المتوسط المرجح	القوة النسبية الحسابي	المتوسط الحسابي
												366	24.4	48.8%	2.44

جاءت القوة النسبية لهذا البعد بنسبة (48.8%) ومتوسط مرجح (24.4%) ووسط حسابي (2.44) وتعد هذه النسبة ضعيفة وطبقاً للقوة النسبية التي حصلت عليها عبارات المؤثر في القياس القلبي نجد أنه جاء ترتيب العبارات على النحو التالي:



- 1- في الترتيب الأول جاءت عبارة رقم 51 عدم التزامي بحضور اجتماعات الجماعة وبقوة نسبته (78%) ومتوسط حسابي (3.6).
- 2- في الترتيب الثاني جاءت عبارات رقم (7-3-2) أتردد عند الانضمام للجماعة - أرغب في الانضمام للجماعة - لا أتفق مع أعضاء الجماعة على دور كل شخص وبقوة نسبية (56%) ومتوسط حسابي (2.8).
- 3- في الترتيب الثالث جاءت عبارة رقم (9) اختار العزلة بغض النظر عما يترتب على ذلك وبقوة نسبية (54%) ومتوسط حسابي (2.7).
- 4- في الترتيب الرابع جاءت عبارة رقم (12) ليس لدي الاهتمام لهذه العملية من الأساس وبقوة نسبية (52%) ومتوسط حسابي (2.6).
- 5- في الترتيب الخامس جاءت عبارات رقم (13-8-1) أحاول الانضمام إلى الجماعة - ليس لدي ثقة في نفسي للاشتراك مع الجماعة في برامجها بقوة نسبية (46%) ومتوسط حسابي (2.5).
- 6- الترتيب السادس جاءت عبارة رقم (15) أشارك إخوتي في بعض البرامج أثناء تكوين الجماعة وبقوة نسبية (44%) ومتوسط حسابي (2.2).
- 7- في الترتيب السابع جاءت عبارات رقم (14-11-4) لا يجذبني الإعلان عن الجماعة-أحاول التصرف بأنماط سلوكية معينة لفت الأنظار وجذب الانتباه بقوة نسبية (40%) ومتوسط حسابي (2.0).
- 8- في الترتيب الثامن جاءت عبارات رقم (10-6) اعتقادي بأنه لا فائدة من اجتماعات الجماعة - لدي ثقة في نفسي للاشتراك مع الجماعة في برامجها وبقوة نسبية (36%) ومتوسط حسابي (1.5).

جدول رقم (4)

يوضح درجات القياس البعدي في حل مشكلات التكوين والبدايات باستخدام البرنامج

الترتيب	القوة النسبية	المتوسط المرجح	مجموع الأوزان	غير موافق على الإطلاق		غير موافق		إلى حد ما		موافق		موافق بشدة		العبارة	ت
				%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
6	66	3.3	26	20	2	20	2	50	5	-	-	10	1	أحاول الانضمام إلى الجماعة	
2	78	3.9	28	20	2	10	1	50	5	10	1	10	1	أتردد عند الانضمام للجماعة	
4	70	3.5	28	10	1	20	2	50	5	20	2	-	-	أرغب في الانضمام للجماعة	
7	60	3.0	20	-	-	-	-	40	4	20	2	40	4	يجذبني الإعلان عن الجماعة	
1	86	4.3	36	-	-	10	1	30	3	50	5	10	1	عدم التزامي بحضور اجتماعات الجماعة	
7 مكرر	60	3.0	18	-	-	-	-	30	3	20	2	50	5	اعتقادي بأنه لا فائدة من اجتماعات الجماعة	
4 مكرر	70	3.5	28	20	2	10	1	50	5	10	1	10	1	لا أتفق مع أعضاء الجماعة على دور كل شخص	
7 مكرر	60	3.0	26	30	3	10	1	20	3	30	3	-	-	ليس لدي ثقة في نفسي للاشتراك مع	



الترتيب	القوة النسبية	المتوسط المرجح	مجموع الأوزان	غير موافق على الإطلاق		غير موافق		إلى حد ما		موافق		موافق بشدة		العبارة	ت
				%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك		
														الجماعة في برامجها	
3	72	3.6	27	-	-	20	2	50	5	10	1	20	2	أختار العزلة بغض النظر عما يترتب على ذلك	
10	52	2.0	18	60	6	10	1	20	2	10	1	-	-	بضايقي تدخل الأخصائي الاجتماعي في اختيار الأعضاء	
9	56	2.8	20	30	3	40	4	30	3	-	-	-	-	أرغب بالانضمام للجماعة	
5	68	3.4	23	40	4	-	-	50	5	10	1	-	-	ليس لدي الاهتمام بهذه العملية من الأساس	
4 مكرر	70	3.5	35	-	-	20	2	30	3	30	3	20	2	أفضل العمل الفردي على العمل الجماعي	
8	58	2.9	29	-	-	40	4	40	4	10	1	10	1	أحاول التصرف بأنماط سلوكية معينة للفت الأنظار	

ت	العبارة	موافق بشدة		موافق		إلى حد ما		غير موافق		غير موافق على الإطلاق		مجموع الأوزان	المتوسط المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%				
	وجذب الانتباه														
	أشارك إخوتي في بعض البرامج أثناء تكوين الجماعة	-		4	40	6	60	-		-		26	2.6	52	10 مكرر
الدرجة الكلية للبُعد															
												مجموع الأوزان	المتوسط المرجح	القوة النسبية	المتوسط الحسابي
												489	32.6	65.2	3.26

وجاءت القوة النسبية لهذا البعد بنسبة (65.2%) ومتوسط مرجح (32.6%) ووسط حسابي (3.26) وتعد هذه النسبة متوسطة وطبقاً للقوة النسبية التي حصلت عليها عبارات المؤشر في القياس البعدي نجد أنه جاء ترتيب العبارات على النحو التالي:

1- في الترتيب الأول جاءت عبارة رقم (5) أحاول الانضمام إلى الجماعة وبقوة نسبية (86%) متوسط الحسابي (4.3).

2- في الترتيب الثاني جاءت عبارة رقم (11) أرغب في الانضمام للجماعة وبقوة نسبية (78%) متوسط حسابي (3.9).

3- في الترتيب الثالث جاءت عبارة رقم (9) أختار العزلة بغض النظر عما يترتب على ذلك وبقوة نسبية (72%) متوسط حسابي (3.6).

4- في الترتيب الرابع جاءت عبارات رقم (4-13) يجذبني الإعلان عن الجماعة أتفق مع أعضاء الجماعة على دور كل شخص، أفضل العمل الفردي عن العمل الجماعي وبقوة نسبية (70%) متوسط حسابي (3.5).

5- في الترتيب الخامس جاءت عبارة رقم (10) يضايقني تدخل الأخصائي الاجتماعي في اختيار الأعضاء وبقوة نسبية (68%) متوسط حسابي (3.4).

6- في الترتيب السادس جاءت عبارة رقم (5) عدم التزامي بحضور الاجتماعات الجماعة وبقوة نسبية (66%) متوسط حسابي (3.3).

- 7- في الترتيب السابع جاءت عبارات رقم (4-6-8) يجذبني الإعلان عن الجماعة اعتقادي بأنه لا فائدة من اجتماعات الجماعة، ليس لدي ثقة في نفسي للاشتراك مع الجماعة في برامجها وبقوة نسبية (60%) متوسط حسابي (3).
- 8- في الترتيب الثامن جاءت عبارة رقم (14) أحاول التصرف بأنماط سلوكية معينة للفت الأنظار وجذب الانتباه وبقوة نسبية (56%) متوسط حسابي (2.5).
- 9- في الترتيب التاسع جاءت عبارة رقم (11) أرغب بالانضمام للجماعة وبقوة نسبية (56%) متوسط حسابي (2.8).
- 10- في الترتيب العاشر جاءت عبارات رقم (10-15) يضايقني تدخل الأخصائي الاجتماعي في اختيار الأعضاء، أشارك إخوتي في بعض البرامج أختار تكوين الجماعة وبقوة نسبية (52%) متوسط حسابي (2).
- من خلال قراءة النتائج السابقة المتعلقة بالقياس البعدي لبعث استخدام البرنامج نجد أن هناك ارتفاع في مستوى التكوين والبدايات للجماعة باستخدام البرنامج في القياس البعدي لمقياس المهارات الجديدة لأطفال دار رعاية الطفل الإيوائية بمشاركتهم في البرنامج داخل المدرسة والسبب يرجع إلى فعالية أنشطة برنامج التدخل المبني.
- نتائج خاصة بإثبات صحة الفرض الرئيسي للدراسة:
- قد يؤدي استخدام البرنامج في خدمة الجماعة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند درجة معنوية (0.05) ودرجة ثقة (0.95%) بين متوسط درجات أفراد المجموعة التجريبية على حل مشكلة التكوين والبدايات للجماعة قبل وبعد التدخل المبني باستخدام البرنامج لصالح القياس البعدي.
- جدول رقم (5)

يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات عينة الدراسة في القياس القبلي والبعدي في حل مشكلات التكوين والبدايات باستخدام البرنامج

ت	العبارة	القياس القبلي			القياس البعدي		
		ك	متوسط التكرار	%	ك	متوسط التكرار	%
1.	موافق بشدة	17	1.13	11.3	17	1.13	11.3
2.	موافق	28	1.87	18.7	40	2.67	26.7
3.	إلى حد ما	54	3.6	36	58	3.86	38.6
4.	غير موافق	22	1.47	14.7	31	2.07	20.7
5.	غير موافق على الإطلاق	29	1.93	19.3	4	0.27	2.7
متوسط البعد		36.6			48.9		
الانحراف المعياري		8.64			8.33		

باستقراء بيانات الجدول السابق يتضح أن متوسط درجات البعد في القياس القبلي كانت (36.6) بانحراف معياري (8.64) والذي يعني في القياس القبلي ونجد أن هذه الدرجة ارتفعت إلى (48.9) بانحراف معياري (8.33) في القياس البعدي الذي يعني التحسن في ارتفاع مستوى حل مشكلة التكوين والبدايات، وذلك يعود إلى برنامج التدخل المهني الذي استخدمته الباحثة.

عرض نتائج نسب التحسين في مشكلات التكوين والبدايات بعد التدخل المهني باستخدام البرنامج:

بلغت نسبة تحسن مواجهة مشكلات التكوين والبدايات للجماعة لدى عينة الدراسة (16.4%) وذلك نتيجة اختلاف النسبة المئوية للعبارة في القياس البعدي عنه في القياس القبلي، حيث كانت نسبة الرغبة للانضمام للجماعة قبل التدخل (48.8%) وارتفعت إلى نسبة (65.2%) وهذا يدل على إسهام برنامج التدخل في مواجهة مشكلات التكوين والبدايات لدى أفراد مجتمع الدراسة في القياس البعدي عنه في القياس القبلي من خلال جلسات التدخل المهني وحساب نسبة التحسين لكل فرد قامت الباحثة بحساب مجموع درجات كل فرد في المقياس، ثم حساب النسبة المئوية لكل فرد في القياس القبلي والقياس البعدي وحساب الفرق بينهما.

جدول رقم (6)

يوضح نسبة تحسن كل فرد من عينة الدراسة في مواجهة مشكلات التكوين والبدايات

الترتيب	نسبة التحسن	نسبة الأداء في القياس البعدي (%)	نسبة الأداء في القياس القبلي (%)	رقم المبحوث
6	14.6	57.3	42.7	1.
2	20	76	56	2.
2 مكرر	20	45.3	25.3	3.
1	22.6	81.3	58.7	4.
5	14.7	60	45.3	5.
7	12	69.3	57.3	6.
4	16	72	56	7.
8	10.7	72	61.3	8.
3	17.3	53.3	36	9.
4 مكرر	16	65.3	49.3	10.



ويتضح من الجدول السابق أعلى مبحوث تحسن من برنامج التدخل في هذا البعد هو رقم (4) وهو العضو (م.م) ونسبة تحسن بين القياس القبلي والبعدي بنسبة (22.6%) وأقل مبحوث تحسن من برنامج التدخل هو المبحوث رقم (8) وهو العضو (م.س) بين القياس القبلي والبعدي بنسبة (10.7%).

وتفسير نتائج القياس القبلي لمواجهة مشكلات التكوين والبدايات للجماعة باستخدام البرنامج يتضح وجود مستوى ضعيف في التكوين والبدايات في الانضمام للجماعة ويحتاج إلى مجموعة من الأنشطة المهنية التي تساعد الأطفال أعضاء الجماعة على تحسين عمليات التكوين والبدايات لتصل إلى درجة عالية وهذا ما تسعى إليه الباحثة إلى تفعيله من خلال أنشطة برنامج التدخل المهني لهذه الدراسة.

التوصيات:

- لا بد من توافر تكتيكات وسائل لممارسة أنشطة البرامج من خلال المناقشة الجماعة والحوارات وإقامة المسابقة الثقافية والدينية.
 - العمل على اكتساب الأطفال المهارات والقيم والمعارف من خلال مشاركتهم للبرامج والأنشطة داخل الدار والمؤسسة التعليمية.
 - ضرورة التقييم والمتابعة المستمرة لتقييم الأداء وأدوارهم وحجم إنجازاتهم تجاه المشكلات التي تواجههم أثناء تكوين الجماعات.
- ويجب على الأخصائي الاجتماعي أن تكون لديه مجموعة من المهارات لكي يحقق البرامج.

المراجع

- 1- إبراهيم عبد العزيز فهمي، الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، دار الأقصى للطباعة، القاهرة، 2001.
- 2- إبراهيم، نبيل أحمد، عمليات الممارسة في خدمة الجماعة، مكتبة الشرق، القاهرة، جامعة حلوان، 2003.
- 3- أبو المعاطي، ماهر علي، استراتيجيات وأدوات التدخل المهني في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2009.
- 4- أحمد، محمد شمس الدين، العمل مع الجماعات في محيط الخدمة الاجتماعية، القاهرة، مركز نور الإيمان، 1998.
- 5- أحمد، نبيل إبراهيم وآخرون، العمل مع الجماعات النظرية والتطبيق، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي.

- 6- أحمد، نبيل إبراهيم، عمليات الممارسة في خدمة الجماعة، القاهرة، مكتبة زهراء الشرف، 2003.
- 7- جمعة، سلمى محمود، ديناميكية العمل مع الجماعات، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1997.
- 8- جمعة، سلمى محمود، ديناميكية طريقة العمل مع الجماعات، المكتب الجمعي الحديث، 2005.
- 9- الجندي، كرم محمد، 2009، عمليات الممارسة في العمل مع الجماعات، مكتبة كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان.
- 10- حامد، محمد دسوقي، 2011، قضايا في العمل مع الجماعات، دار إشراق للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 11- حديدان، أمال ميلاد، أساليب التنشئة الاجتماعية المطبقة في المؤسسات البديلة ودور الخدمة الاجتماعية في التعامل معها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم الخدمة الاجتماعية، 2011.
- 12- حسن، هنداي، برنامج تدريبي للتنمية مهارة الأخصائيين الاجتماعيين في ممارسة تكتيكات العمل مع المشكلات السلوكية بجماعات الأطفال مجهولي النسب، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2018.
- 13- خليل، هيام شاكر، وعبد الحفيظ، حنان عشري، مهارات الاتصال في الخدمة الاجتماعية، دار المسيرة، الأردن، 2018.
- 14- خليل، هيام شاكر، نماذج ونظريات في ممارسة خدمة الجامعة، القاهرة، جامعة حلوان، كلية الخدمة الاجتماعية، 2018.
- 15- دسوقي، حامد محمد، قضايا في العمل مع الجماعات القاهرة، دار إشراق للنشر والتوزيع، 2011.
- 16- سالم، سماح، أساسيات الممارسة في خدمة الجماعة، القاهرة، مطبعة الطيب، 2009.
- 17- سعد، محمد الطريف، معوقات دور الأخصائي الاجتماعي المدرسي من دعم الأنشطة الطلابية، القاهرة، مجلة الخدمة الاجتماعية المنظمة المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، 1992، العدد 34، 35.
- 18- عبد الخالق، جلال الدين، الملامح المعاصرة للموقف النظري في طريقة العمل مع الحالات الفردية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 409.
- 19- عبد الرزاق، فاطمة محمد سليمان، تقويم فاعلية برامج العمل مع جماعات الأطفال مجهولي النسب في تحقيق مظاهر سوء التكيف، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2008.
- 20- عزت، دعاء، فعالية نموذج حل المشكلة في علاج اضطرابات الاتصال الاجتماعي لمجهولي النسب، رسالة ماجستير، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2011.
- 21- عطية، السيد عبد الحميد، ديناميكية الجماعات أساسيات نظرية وعمليات الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2002.
- 22- عجيل، عقيل حسين، الهادي، وحيدة علي، خدمة الفرد قديم وحداثة، منشورات جامعة الفاتح "سابقاً"، طرابلس، 2006، ص 112.
- 23- فرج، محمد سعيد، تمهيد في النظرية الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.



- 24- فيصل، نجوى سيد، استخدام نموذج تعديل السلوك من منظور العمل مع الجماعات للتخفيف من بعض مظاهر السلوكيات اللاتوعوية لمجتمعات النسل بالمؤسسة الإيوائية التي تعيق دمجهم بالمجتمع، بحث منشور بالمؤتمر العلمي الدولي الخامس والعشرون، ج2، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2012.
- 25- قاسم، محمد رفعت وآخرون، نماذج ونظريات الممارسة المهنية مع المجتمعات والمنظمات، مكتبة كلية الخدمة الاجتماعية، حلوان، 2011.
- 26- محفوظ مجادي عاطف، العمل مع الجماعات في محيط الخدمة الاجتماعية، الرياض، دار الزهراء، 2010.
- 27- محفوظ، ماجدي عاطف، النظريات الأساسية والمستحدثة والنماذج المهمة في طريقة العمل مع الجماعات، نور الإيمان للطباعة والنشر، القاهرة، 2013.
- 28- محمد، عاطف خليفة، التدخل المهني للخدمة الاجتماعية والتخفيف من حدة المشكلات الاجتماعية والنفسية التي يعاني منها الأطفال مجهولي النسب بالمؤسسات الإيوائية، رسالة دكتوراه، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2002.
- 29- منقريوس، نصيف فهي، 2009، النظريات العلمية والنماذج المهنية بين البناء النظري والممارسة في العمل مع الجماعات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
- 30- منقريوس، نصيف فهي، النظريات العلمية والنماذج المهنية بين البناء النظري والممارسة في العمل مع الجماعات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2009.
- 31- منقريوس، نصيف فهي، تطور الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية، قضايا مهمة وبحوث ميدانية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2014، ص306.

العوامل الاجتماعية المؤدية للطلاق في مدينة ترهونة

دراسة ميدانية على عينة من المطلقات

إعداد د. مصطفى خليفة إبراهيم

رئيس قسم الاجتماع - كلية التربية - جامعة الزيتونة

ملخص الدراسة:

تعد ظاهرة الطلاق من المشكلات الاجتماعية التي بدأت ترتفع في المجتمع الليبي في السنوات الأخيرة والتي قد ترجع إلى مجموعة من الابعاد الاجتماعية لمعالجة هذه الظاهرة على مستوى مؤسسات المجتمع المختلفة، وتكمن أهمية هذه الدراسة في انها سوف تكشف عن مجموعة من العوامل المسئولة عن حدوث حالات الطلاق بين النساء المطلقات، كما يمكن أن تساعد وزارة الشئون الاجتماعية، وصندوق دعم الزواج في تقديم خدمات متعددة للأسر المطلقة وتقديم خدمات للشباب الليبي المعاصر في الحد من هذه الظاهرة مستقبلا.

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على العوامل الاجتماعية المؤدية لظاهرة الطلاق بمدينة ترهونة دراسة على عينة عمدية من المطلقات وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود مجموعة من العوامل الاجتماعية المؤدية إلى ظاهرة الطلاق بمجتمع الدراسة.

منها عدم التكافؤ في المستوى العلمي والعمرى بين الزوجين وسوء الاحوال الاقتصادية والعلاقات العاطفية وقد أوصت الدراسة بأنشاء مكاتب الخدمة الاجتماعية لكل بلدية وفروعها لعلاج هذه الظاهرة بين الاسر المطلقة

مقدمة:-

ترتب عن التغير الاجتماعي ظهور العديد من الظاهر الاجتماعية التي ينبغي دراستها وتحليلها و منها ظاهرة الطلاق التي بدأت تأخذ صدى ارتفاعها فلو نظرنا إلى الاسلام فقد أوصى بالنساء خيرا، وجعل العلاقة الزوجية أسمى العلاقات الإنسانية ومن عقد الزواج ميثاق حب ورحمة و أماناً نفسياً وعشرة طيبة، كما أن الإسلام شرع تعدد الزوجات للرجل فجعله أربعاً شريطة العدل وحسن المعاشرة(1)، وعلى الرغم من أن الطلاق مباح شرعاً وقانوناً، حيث العديد من الأزواج يلجئون إلى الطلاق كحل للمشاكل الأسرية(2) أضف إلى ذلك إن من النظم التي قدرها الاسلام كذلك لتحاشي الطلاق، أنه أمر الزوجين عندما يحدث بينهما شقاق أو نفور، أن يعملوا على إزالته بآثاره دواعي الرحمة والوثام، والالتجاء إلى مجلس عائلي من المحكمين للزوج والزوجة، كما أن الاسلام أحاط المرأة المطلقة بعطف كريم ورعاية رحيمة، وفي العمل دعي إلى حفظ حقوقها



وحمايتها من الاضرار بها، وذلك سنه من نظم رشيدة في النفقة والحضانة والعدة والإرضاع وطرق إيقاع الطلاق وزمنه وما إلى ذلك (3)

لذلك تعد ظاهرة الطلاق من الظواهر الاجتماعية الأكثر انتشاراً في المجتمعات العربية ومنها المجتمع الليبي، فهي تختلف من مجتمع لآخر ومن زمن لآخر نتيجة التحولات والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها تكل المجتمعات والتي اثارها على الأطفال والمرأة المطلقة وكذلك المجتمع ككل. لقد كانت الأسرة في المجتمع التقليدي الليبي مرتبطة بثقافة الزواج الداخلي والذي يحدده الأب والأم لأبنائهما والزواج كان في إطار الأسرة القروية والعائلية والعشائرية، وبالتالي فرص الطلاق محدودة جداً بفضل الاعراف والتقاليد والعادات التي تحكمه وتفرض على الزوج والزوجة الاستسلام لمنع الطلاق وتحمل الظروف التي يعيشون فيها دعماً لحماية الأسرة من التفكك والتصدع وحماية الابناء من التشرذم والانحراف والضياع الاجتماعي، فقد كانت ظاهرة الطلاق قليلة جداً ونسبية اما في السنوات الاخيرة بعد التحولات والتغيرات الاجتماعية والثقافية فقد شهد المجتمع الليبي تغيرات ملحوظة في تعلم الشباب والشابات وفرص العمل مما أدى بأن يكون النسق الثقافي مفتوح لتغير العديد من المفاهيم والثقافة التي كانت سائدة وقبول ثقافة العصر من حرية اختيار شريك الحياة والعمل وتكوين أسرة النواة بدلاً من الممتدة والبعد عن الزواج الداخلي ودور الوالدين في مصير حياتهم، حيث هذه التغيرات الاجتماعية والثقافية كان لها انعكاسها على الكثير من الشباب الليبي في تكون حياتهم واختيار شريك حياتهم ومستقبل الأسرة المعاصرة في إطار التحضر حيث تفتشي في المجتمع ظواهر عديدة منها ازدياد نسبة العاطلين عن العمل، والتأهيل العلمي، والمهني، وتأخر سن الزواج، وارتفاع نسبة الطلاق في المجتمع، وهروب بعض الأزواج من دورهم الاجتماعي والاقتصادي في اعادة أسرهم هذا كله ينعكس على المجتمع بوجود ظواهر سلبية تؤثر على الفرد والأسرة والمجتمع. فالتفكك الأسري له مظاهر متعددة فقد تكون العلاقة الرسمية بين الزوجين قائمة الا أن الأسرة لا تقوم بوظائفها الاساسية أو قد تصل إلى فض هذه العلاقة وذلك بحدوث الطلاق بين الزوجين، ومما يترتب عليه من أثار ونتائج وخيمة على كل عضو من اعضاء الأسرة (4) كما يكون الطلاق بسبب الخلافات والتوترات والمشاكل بين الزوجين والتي تصل إلى درجة استحالة الحياة مع بعضهما وعند ذلك يلجأ الطرفان للطلاق كحل لهذه المشاكل (5).

فالأسرة الليبية تواجه بعض الصعوبات الناتجة عن طبيعة الحياة الحضرية من ذلك اختلاف المستوي الثقافي بين الزوج والزوجة فقد نجد الزوج على درجة عالية من التعليم ولكن

الزوجة علي درجة متدنية من الثقافة و التعليم مما يؤدي الي ظهور بعض المشكلات التي قد تنتهي بها إلي طلاق(6)

الاطر المنهجية و النظرية للدراسة:

أولاً- الاطر المنهجية :

- تحديد مشكلة الدراسة:

تعد مشكلة الطلاق من أكثر المشكلات الاجتماعية التي تواجه المجتمع الليبي في ظل التغيرات السياسية الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية التي يمر بها في غياب السياسات الاجتماعية و القانونية للحد من هذه الظاهرة في المجتمع ، وتمكن مبررات هذه الدراسة في تزايد حالات الطلاق في مدينة ترهونة حيث تشير الاحصائيات الصادرة عن محكمة ترهونة تزايدها في بعض السنوات حيث كانت عدد حالات الطلاق بمدينة ترهونة المركز لسنة 2016-44 مطلقة و ازدادت في عام 2017 إلي 53 مطلقة، ثم تراجعت في سنة 2018 قليلاً حيث وصلت حالات الطلاق إلي 37 مطلقة، ثم في سنة 2019 حتي شهر 10 من نفس العام وصلت إلي 26 مطلقة هذه الارقام المرتفعة من حالات الطلاق علي مستوي مدينة ترهونة المركز نموذجاً ناهيك عن حالات الطلاق في الفروع البلدية بمنطقة ترهونة كالفرع البلدي الداوون وسيدي الصيد وسوق الاحد وسوق الجمعة لو يتم رصيدها لكانت الارقام الاحصائية مخيفة جداً ، وبالتالي من الاهمية دراسة هذه الظاهرة لفهم ابعادها واثارها علي الأسرة المطلقة وأطفالها و المطلقات وعلي المجتمع ككل.

وتكمن مشكلة الدراسة في السؤال التالي:

ما العوامل الاجتماعية المؤدية للطلاق في مدينة ترهونة؟

- أهمية الدراسة:-

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تساعد علي كيفية الحد من ارتفاع حجم هذه الظاهرة في المجتمع الليبي ومجتمع الدراسة ، وبالتالي دراسة هذه الظاهرة تعد من الامور ذات الأهمية في تناولها في هذه الدراسة لأنها تمثل همّاً وطنياً يحتاج الي التشخيص و الفحص و المعالجة قبل أن تستفحل المشكلات في المجتمع قد يصعب استئصالها ،لذلك يجب علي صناع القرار السياسي والاجتماعي الحد منها لما لها أثار علي إنتاجنا الاجتماعي و تهديدها لكيان الأسرة و المجتمع بظهور أمراض اجتماعية فيه، وبالتالي حاجة المجتمع الليبي لمثل هذه الدراسات تعد محاولة للمساهمة في تقصي مشكلات المجتمع ، كما تنوه هذه الدراسة علي افتقار الفكر الاجتماعي العائلي المعاصر للدراسات وابحاث معمقة في هذا المجال.



- أهداف الدراسة:-

- 1- التعرف علي العوامل الاجتماعية المؤدية لظاهرة الطلاق في مجتمع الدراسة.
- 2- التعرف علي الاثار الاجتماعية و النفسية المترتبة علي المطلقات في مجتمع الدراسة.
- 3- التعرف علي طرق علاج ظاهرة الطلاق.

- تساؤلات الدراسة:-

- 1- ماهي العوامل الاجتماعية المؤدية لظاهرة الطلاق في مجتمع الدراسة؟
- 2- ماهي الاثار الاجتماعية و النفسية المترتبة علي المطلقات في مجتمع الدراسة؟
- 3- ما طرق علاج ظاهرة الطلاق؟

- مفاهيم الدراسة:-

- 1-العوامل الاجتماعية: " تتضمن كل ما يتعلق بالمجتمع من قوي سائدة فيه و مهيمنة علي مقوماته في القوي السياسية و القوي الثقافية والدينية التي تؤثر تأثيراً مباشراً وغير مباشرة علي البناء الاجتماعي" (7) .
- و التعريف الاجرائي للعوامل الاجتماعية في هذه الدراسة:-

نقصد بها كل الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي تكون سببا في الطلاق بين الزوجين من مشاجرات أو عنف بينهم أو الاختلاف في الطباع و طريقة تربية الأطفال أو الاختلاف في المستوى التعليمي أو الثقافي أو الفارق العمري بين الزوجين أو تعدد الزوجات وانحياز الزوج لواحده و هجرة الأخرى أو تصدع في العلاقات الزوجية وغياب الجو العاطفي أو شرب الخمر و المخدرات أو تدهور مستوى الدخل و السكن أو كثرة أفراد الأسرة وتعدد متطلبات الزوجة وأبناءها أو بطالة الزوج أو العجز أو المرض .

- 2- الطلاق: يعني الطلاق من الناحية اللغوية حل الوثاق وهو مشتق من الاطلاق و الارسال و الترك. أما تعريفه الشرعي فهو يعني حل رابطة الزواج بلفظ صريح (كأنت طالق). أن الطلاق يمثل وثيقة تخلي ذمة الزوجين من الالتزامات و التكاليف التي فرضتها عليهما وثيقة الزواج.(8)فالطلاق بالمفهوم الاجتماعي " هو انفصال الزوج عن زوجته بسبب منصوص عليه دينياً وشرعاً وقانوناً(9). ونقصد بالمطلقات إجرائاً هن النساء اللواتي تم طلاقهن بصورة رسمية في المحكمة بمدينة ترهونة.

- مدينة ترهونة:-

تحتوي مدينة ترهونة المركز علي عدة قبائل أو محالات سواء في نطاقها الحضري أو مجتمعات الاطراف (الريف) و تحتوي كذلك علي العديد من المناشط الاقتصادية ومنها مراكز خدمات مختلفة وهي جزء من منطقة ترهونة التي تحتوي التقسيم الاداري الذي يشمل فروع بلدية هي الفرع البلدي الداوون، سوق الاحد، وسيدي الصيد، وسوق الجمعة، و ترهونة المركز حيث يبلغ عدد سكان مدينة ترهونة 208476 نسمة، وعدد الأسر 46199 أسرة ، منها 105426 من الذكور في حين الإناث 103050 حسب احصائيات السجل المدني ترهونة لسنة 2017.

- منهج وأداة الدراسة :-

تم الاعتماد علي منهج المسح الاجتماعي بالعينة باستمارة المقابلة لعدد من المطلقات بمجتمع الدراسة، حيث تم الاستعانة بمجموعة من الباحثات في أجراء هذه المقابلات.

- مجتمع وعينة الدراسة:-

بينت الاحصائيات أن عدد المطلقات بمدينة ترهونة في ارتفاع مستمر ونتيجة لصعوبة إجراء الدراسة علي كل المطلقات بمدينة ترهونة و الوصول لهن في اماكن تواجدهن ، ورفض بعض الحالات للخوض في تفاصيل أسباب طلاق فأن الباحث اعتمد علي العينة العمدية في إجراء هذه الدراسة حيث بلغ عددهن 25 امرأة مطلقة.

- مجالات الدراسة:-

1- المجال البشري:

اقتصرت هذه الدراسة علي عينة من مطلقات مدينة ترهونة المركز.

2- المجال الجغرافي:

تم أجراء هذه الدراسة بمدينة ترهونة المركز المجتمع الحضري و الريفي .

3-المجال الزمني:-

تم تنفيذ الدراسة الميدانية خلال الفترة من (12-4-2019) إلي (30-7-2019ف).

ثانيا- الأطر النظرية:-

يرى أصحاب الاتجاه الاجتماعي أن انهيار الأسرة وتفككها وتصدها يرجع في مقامها الأول إلي البعد الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي لحياة الأسرة المعاصرة و أثار التغير الاجتماعي علي أفكار وحياة الناس وطموحاتهم ورغباتهم وعدم النزول لقاعدة التفاهم و الحوار في بناء حياة



أسرية سعيدة يحترم فيها كل من الزوج و الزوجة أسس بناء الأسرة السليمة و الخروج من دائرة هيمنة الزوج علي الزوجة في أمور حياتهم فقد عرض " سيللين " أن ما تتميز به المجتمعات البداية أو الريفية من انسجام ورقابة بين أفرادها جعل منها أنهم يحيون حياة مشتركة تقل و تنخفض فيها النزعات الفردية ويعمل المجتمع لخدمة الجماعة ، وبالتالي فأن درجة وقوع التفكك الأسري و الجريمة أمراً بعيد الاحتمال وأن وجد فهو محدود ، أما في المجتمع الحديث فالأمر مختلف نتيجة تعقده و تصارع الثقافة بين أفرادها بظهور الروح الفردية، بمعنى أن " سيللين " فسر التفكك الاجتماعي و الجريمة الي ما يفتقر إليه المجتمع من انسجام ورقابة كان يتمتع بها في الماضي وظهور التفكك الاجتماعي الذي يتخذ من صور تصارع القيم في الجماعات المختلفة وظهور الانهيار الأسري و الجريمة في المجتمع و خاصة الحديث(10)، ففي ولاية كاليفورنيا بينت نتائج دراسات أن 20% من الاحداث الجانحون بهذه الولاية ينحدرون من أسر تصدعت بالطلاق (11) كما أن التطور الاقتصادي وهجرة العمال من الريف إلى المدن و ارتفاع مستوى المعيشة وتقلبات الاسعار وكذلك الدخول و البطالة و الفقر و العديد من عوامل الكساد الاقتصادي قد تساعد علي انفصال الزوجين و طلاقهما(12)

- العوامل المؤدية إلى الطلاق:-

تتعدد العوامل المؤدية إلى الطلاق في المجتمعات العربية و المجتمع الليبي ومجتمع الدراسة ويمكن حصرها في الآتي:

أولاً- عوامل يمكن ارجاعها إلي الزوج وهي (13)

- 1- سوء المعاملة للزوجية الذي قد تصل احيانا إلى العنف.
- 2- اهمال الزوج أسرته و انشغاله في أمور حياته خاصة وترك واجباته نحو أسرته.
- 3- تأثر الزوج بآراء و أفكار الآخر من حتي يطلق زوجته .
- 4- تعدد الزوجات و الذي قد يسبب في بعض الاحيان مشاكل وصراعات بين الزوجات و الغيرة بينهن علي الزوج وتفضيل الزوج واحدة علي الاخرى.
- ثانياً- عوامل يمكن ارجاعها إلي الزوجة وهي(14)

- 1- عقم الزوجة أو انجابها بنات فقط إذ غالبا تؤدي إلي الطلاق.
- 2- اهمال شؤون الأسرة و اهمال الاعمال المتزايدة وسوء التدابير و التبذير .
- 3- مرض الزوجة بمرض مزمن.
- 4- تعدد مطالب الزوجة.
- 5- عمل الزوجة وهذا الجانب قد تكون من ضمن الابعاد المؤدية إلي طلاق الزوجة.

6- الخيانة الزوجية.

الاثار المترتبة على الطلاق :-

تعدد الاثار المترتبة على الطلاق ويمكن حصرها في الاتي(15).

1- التمزق العاطفي للأطفال بين حبيهم لكل الوالدين وعدم قدرتهم على الانجاز الجانب دون الآخر.

2- اصابة الاطفال بإحساس عميق بالتهديد و الخوف نتيجة لما يصاحب الطلاق من اضطراب كبير في أوضاع الأسرة المختلفة.

3- استخدام الأطفال للانتقام و الايذاء المتبادل بين الزوجين.

4- ينظر الطفل الى المجتمع من خلال أسرته ومن تجاربه فيها يترسب في نفسه الكثير الانطباعات التي يتخذ منها احكاما عامة تؤثر في سلوكه.

5- تفقد المرأة الكثير من مكانتها في المجتمع وهذا يعطلها عن الزواج خاصة لو كان لديها أطفال وقد لا تجد من يعولها مما قد يضطرها للسلوك الشائن

الدراسة الميدانية:

جدول رقم (1) بين توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب العمر

العمر	التكرار	النسبة
أقل من 25	7	%28
25-35	9	%36
35-45	7	%28
46 فأكثر	2	%8
المجموع	25	%100

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (1) أن نسبة عمر أفراد مجتمع الدراسة من المطلقات من فئة اعمارهن 25-35 قد بلغت %36 وهي الاعلى نسبة، بينما تساوت نسبة اللاتي اعمارهن اقل من 25، ومن 35-45 حيث بلغت %28، بينما نسبة المطلقات من فئة 46 فأكثر قد بلغت %8.

ونستنتج من ذلك أن أكثر النساء المطلقات في مجتمع الدراسة كانت من فئة 35 فأقل والذي قد يرجع إلي عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية في عدم مساعدة كل طرف من الزوجين كل منهم للآخر.



جدول رقم (2) بين توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب المستوى التعليمي

النسبة	التكرار	المستوى التعليمي
24%	6	تعليم أساسي
40%	10	تعليم متوسط
36%	9	تعليم جامعي فما فوق
100%	25	المجموع

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (2) أن نسبة أفراد مجتمع الدراسة من المطلقات اللاتي تعلمن أساسي قد بلغت 24%، بينما اللاتي تعلمن متوسط قد بلغت 40%، ونسبة 36% تعلمن جامعي فما فوق. ونستنتج أن مجتمع الدراسة أكثر المطلقات هن من ذوي التعليم المتوسط فما فوق وبالرغم من ارتفاع المستوى التعليمي فالطلاق قد يكون راجع إلى حرية الرأي والتفكير وطموحات المرأة.

جدول رقم (3) بين توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب مكان السكن

النسبة	التكرار	مكان السكن
64%	16	داخل المدينة
36%	9	خارج المدينة
100%	25	المجموع

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (3) أن نسبة أفراد مجتمع الدراسة اللاتي يسكنن داخل المدينة قد بلغت 64%، بينما نسبة 36% يسكنن خارج المدينة. ونستنتج أن أغلب المطلقات هن من سكان المدينة المركز الحضري والذي قد يرجع إلى عدم التوافق والتطابق في الطباع وضغوط الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

جدول رقم (4) بين توزيع أفراد مجتمع الدراسة حسب الحالة الزوجية

النسبة	التكرار	أنت متزوجة من
96%	24	رجل ليبي
3%	1	رجل أجنبي

المجموع	25	%100
---------	----	------

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (4) أن نسبة أفراد مجتمع الدراسة المتزوجات من الليبيين قد بلغت 96%، ونسبة 3% متزوجات من الاجانب. ونستنتج أن أغلب المطلقات هن متزوجات من ليبيون.

جدول رقم (5) بين توزيع إجابة أفراد مجتمع الدراسة حول عدد سنوات الطلاق

كم سنة لك مطلقة؟	التكرار	النسبة
أقل من سنة	4	%16
سنتان	8	%32
ثلاث سنوات	7	%28
أكثر من أربع سنوات	6	%24
المجموع	25	%100

يتضح من البيانات الواردة من الجدول رقم(5) أن نسبة المطلقات اللواتي لهن أقل من سنة لأفراد مجتمع الدراسة قد بلغت 16%، ونسبة 32% مطلقات لهن سنتان ، ونسبة 28% مطلقات لهن ثلاث سنوات، ونسبة 24% مطلقات لهن أكثر من أربع سنوات. ونستنتج من ذلك عن ارتفاع نسبة المطلقات بعد التغيير الذي حدث في المجتمع الليبي بعد سنة 2011 وتم من خلاله حذف أو تعديل بعض القوانين الخاصة بالزواج في المجتمع الليبي. جدول رقم (6) بين إجابة أفراد مجتمع الدراسة عن السؤال هل لديك أطفال؟

هل لديك أطفال؟	التكرار	النسبة
نعم	21	%84
لا	4	%16
المجموع	25	%100

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم(6) أن نسبة أفراد مجتمع الدراسة من المطلقات اللواتي أجبن بنعم بأن لديهن أطفال قد بلغت 84%، ونسبة 16% أجبن بلا . ونستنتج من ذلك حجم المعاناة النساء اللواتي مطلقات ولديهن أطفال وأثار هذا الطلاق علي المرأة نفسها وأطفالها و الذي قد يعود عليهن وعلي أطفالهن بأمراض عضوية و سيكولوجية واجتماعية

جدول رقم (7) بين توزيع أفراد مجتمع الدراسة الذين أجابوا بنعم لديهم أطفال

كم عددهم	التكرار	النسبة
----------	---------	--------



طفل واحد	4	%19
طفلان	6	%29
ثلاث أطفال	11	%52
أربعة أطفال فأكثر	4	%19
المجموع	21	%100

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (7) أن أفراد مجتمع الدراسة اللاتي أجبت بنعم لديهن أطفال ، حيث بلغت نسبة اللاتي لديهن طفل واحد قد بلغت 19%، ونسبة 29% لديهن طفلان ، ونسبة 52% لديهن ثلاث أطفال ، ونسبة 19% لديهن أربعة أطفال فأكثر ونستنتج من ذلك أهمية العناية بالنساء المطلقات و أطفالهن في ظل ارتفاع المعيشة ومتطلبات الاسرة

جدول رقم (8) بين إجابة أفراد مجتمع الدراسة عن أسباب الطلاق

برايك أسباب الطلاق بينك وبين زوجك ترجع إلي		نعم		لا		المجموع	
ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
7	%36	18	%72	25	%100	25	%100
11	%44	14	%56	25	%100	25	%100
13	%52	12	%18	25	%100	25	%100
18	%72	7	%28	25	%100	25	%100
9	%36	16	%64	25	%100	25	%100

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (8) أن نسبة رأي أفراد مجتمع الدراسة عن أسباب الطلاق بين الطرفين نجد اللاتي أجبن بنعم يرجع إلى الفارق العمري بين الزوجين قد بلغت 28% ونسبة 72% أجبن بلا ، بينما نسبة اللاتي أجبن بنعم عن أسباب الطلاق الذي يرجع الي الفارق في المستوى العلمي بين الزوجين قد بلغت 44% ، ونسبة 56% أجبن بلا ، أما بنسبة اللاتي أجبن بنعم عن أسباب الطلاق الذي يرجع الي تدخل أهل الزوج في الحياة الزوجية قد بلغت 52% ، ونسبة 48% أجبن بلا ، بينما نسبة اللاتي أجبن بنعم عن أسباب الطلاق الذي يرجع الي تدني الاحوال المعيشة و السكن قد بلغت 72% ، ونسبة 28% أجبن بلا ، أما نسبة اللاتي أجبن بنعم عن أسباب الطلاق الذي يرجع الي اختلاف علي طريقة تربية الأطفال فقد بلغت 36% ، ونسبة 64% أجبن بلا .

ونستنتج من ذلك أن أسباب الطلاق في مجتمع الدراسة راجعه الي تدني الاحول المعيشية و السكن أولا ثم تدخل أهل الزوج في حياة الزوجين يلها الفارق في المستوى التعليمي بين الزوجين

جدول رقم (9) بين إجابة أفراد مجتمع الدراسة عن السؤال هل زوجك كان يساعدك في تربية الأطفال و أعمال المنزل؟

هل زوجك كان يساعدك في تربية الأطفال وأعمال المنزل؟	التكرار	النسبة
نعم	10	40%
لا	15	60%
المجموع	25	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (9) حول إجابة أفراد مجتمع الدراسة عن السؤال هل زوجك كان يساعدك في تربية الأطفال وأعمال المنزل؟ فنسبة اللاتي أجبن بنعم قد بلغت 40%، ونسبة اللاتي أجبن بلا قد بلغت 60%.

ونستنتج من ذلك لا زالت ثقافة الزوج التقليدية في توزيع الادوار بين الرجل و المرأة مما بين حجم معاناة المطلقات

جدول رقم (10) بين إجابة أفراد مجتمع الدراسة عن السؤال هل كان يحدث بينك وبين زوجك مشاجرة؟

هل كان يحدث بينك وبين زوجك مشاجرة؟	التكرار	النسبة
دائما	13	52%
احيانا	7	28%
أبدا	5	20%
المجموع	25	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (10) حول إجابة أفراد مجتمع الدراسة عن السؤال هل كان يحدث بينك وبين زوجك مشاجرة؟ فتبين أن نسبة اللاتي أجبن دائما قد بلغت 52% ، نسبة 28% احيانا، ونسبة 20% أبدا.

ونستنتج من ذلك ثقافة الحوار و التفاهم لدي الأزواج و المطلقات كانت في اغلبها حدوث المشاجرات.

جدول رقم (11) بين إجابة أفراد مجتمع الدراسة عن الصفات التي كان يتميز بها الأزواج.

زوجك كان دائما يتميز		نعم		لا		المجموع	
ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
9	36%	16	64%	25	100%	كثرة العاطفة عليك	
6	24%	19	76%	25	100%	بالعصبية و الصراخ	
10	40%	15	60%	25	100%	اصطحبك معه لزيارة الاقارب و الاصدقاء	



اصطحابك معه في التنزه و التسوق	11	%44	14	%56	25	%100
كثرة التدخين	16	%64	9	%36	25	%100
كثرة التعاطي و السكر	4	%16	21	%80	25	%100

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (11) عن إجابة أفراد مجتمع الدراسة عن صفات التي كان يتميز بها أزواجهن فنسبة اللاتي أجبن بنعم بأنه كان يتميز بكثيرة العاطفة قد بلغت %36، ونسبة %64 أجبن بلا، بينما اللاتي أجبن بنعم أنه يتميز بالعصبية و الصراخ قد بلغت %24، ونسبة %76 أجبن بلا، اما اللاتي أجبن بنعم أنه يتميز باصطحابك معه لزيارة الاقارب و الاصدقاء قد بلغت %40، ونسبة %60 أجبن بلا، بينما اللاتي أجبن بنعم أنه يتميز باصطحابك معه في التنزه و التسوق قد بلغت %44، ونسبة %56 أجبن بلا، أما اللاتي أجبن بنعم أنه يتميز بكثيرة التدخين قد بلغت %64، ونسبة %36، أجبن بلا، بينما اللاتي أجبن بنعم أنه يتميز بكثرة التعاطي و السكر قد بلغت %16، ونسبة %80 أجبن بلا.

ونستنتج من ذلك أن أغلب ازواج المطلقات كانوا غير مؤهلين بصورة جيدة لبناء حياة أسرية تتميز بالعاطفة وثقافة الحوار و التفاهم.

جدول رقم(12) يبين رأي أفراد مجتمع الدراسة في العوامل الاجتماعية المؤدية للطلاق في

المجتمع الليبي

العوامل الاجتماعية المؤدية للطلاق في المجتمع الليبي ترجع الي	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
النظرة الدونية للمرأة من قبل الزوج	15	%60	10	%40	25	%100
كثرة انشغال المرأة في عملها واهمال الأطفال و الزوج	13	%52	12	%48	25	%100
استقلالية المرأة بمرتبها وكثرة طموحاتها	17	%68	8	%32	25	%100
كثرة مطالب الزوجة ونفاد مدخرات الأسرة	16	%64	9	%36	25	%100

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (12) حول رأي أفراد مجتمع الدراسة في العوامل الاجتماعية المؤدية للطلاق في المجتمع الليبي فنجد نسبة اللاتي أجبن بنعم ترجع الي النظرة الدونية للمرأة من قبل الزوج قد بلغت %60، ونسبة %40 أجبن بلا، بينما نسبة اللاتي أجبن بنعم ترجع الي كثرة إنشغال المرأة في عملها و أهمال الأطفال والزوج قد بلغت %52، ونسبة %48، أجبن بلا، اما نسبة اللاتي أجبن بنعم ترجع الي استقلالية المرأة بمرتبها وكثرة طموحاتها قد بلغت %68، ونسبة %32، أجبن بلا، بينما نسبة اللاتي أجبن بنعم ترجع الي كثرة مطالب الزوجة ونفاذ مدخرات الأسرة قد بلغت %64، ونسبة %36 أجبن بلا.

ونستنتج من ذلك تعدد الابعاد المؤدية للطلاق في المجتمع ومنها عمل المرأة و طموحاتها ، و خروجها عن الموروث الثقافي التقليدي، وكثرة مطالب الزوجة، ونفاذ مدخرات الأسرة في ظل التغيرات الاجتماعية التي يمر بها المجتمع الليبي.

جدول رقم(13)يبين إجابة أفراد مجتمع الدراسة علي السؤال هل تعاني من أمراض بعد الطلاق؟.

هل تعاني من أمراض بعد الطلاق؟	التكرار	النسبة
نعم	14	%56
لا	11	%44
المجموع	25	%100

يتضح من البيانات الواردة في الجدول(13) أن نسبة أفراد مجتمع الدراسة اللاتي أجبن بنعم علي السؤال هل تعاني من أمراض بعد الطلاق ؟ قد بلغت%56، ونسبة %44أجبن بلا. ونستنتج من ذلك أن ظاهرة الطلاق لها أثار علي المرأة المطلقة بأمراض عضوية و سيكولوجية و اجتماعية.

جدول رقم (14)يبين أنواع الأمراض التي أصابت أفراد مجتمع الدراسة اللاتي أجبن بنعم.

تعاني من الأمراض التالية؟	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
ضغط الدم	4	%29	10	%71	25	%100
مرض السكري	3	%21	11	%79	25	%100
أمراض نفسية (قلق- صداغ- احباط- كثرة انفعال)	11	%79	4	%29	25	%100

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم(14) حول الأمراض التي يعاني منها أفراد مجتمع الدراسة فنجد نسبة اللاتي أجبن بنعم يعانين من ضغط الدم قد بلغت %29، ونسبة %71 أجبن بلا ، بينما نسبة اللاتي أجبن بنعم يعانين من مرض السكري قد بلغت %21، ونسبة %79أجبن بلا ، بينما نسبة اللاتي أجبن بنعم يعانين من الأمراض النفسية قد بلغت %79، ونسبة %29أجبن بلا.

ونستنتج من ذلك سيطرة الأمراض النفسية علي أغلب أفراد مجتمع الدراسة.

جدول رقم (15) يبين وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة في طريقة علاج ظاهرة الطلاق.

من وجهة نظرك المرأة قبل أن تتزوج يجب		مهم		مهم جدا		غير مهم		المجموع	
		ك	%	ك	%	ك	%	ك	%



التعرف علي خطيبها وطبائعه فترة سنة علي الاقل	5	20%	18	72%	2	8%	25	100%
التعرف علي سلوكيات الخطيب وظروفه الصحية	4	16%	20	80%	1	4%	25	100%
معرفة أصدقاء الخطيب	7	28%	7	28%	11	44%	25	100%
معرفة مدي قدرة الخطيب علي بناء الأسرة	9	36%	13	52%	3	12%	25	100%
التعرف علي سمعت الخطيب الاجتماعية في الأسرة و المحيط الاجتماعي	8	32%	6	24%	11	44%	25	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (15) حول وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة أن المرأة قبل أن تتزوج يجب التعرف علي خطيبها و طبائعه فترة علي الاقل سنة فنجد أن نسبة اللاتي أجبن مهم قد بلغت 20%، ونسبة 79% أجبن مهم جداً، ونسبة 8% أجبن بغير مهم، بينما نسبة اللاتي أجبن مهم حول فقرة يجب التعرف علي سلوكيات الخطيب وظروفه الصحية قد بلغت 16%، ونسبة 80% أجبن مهم جداً، ونسبة 4% أجبن بغير مهم، أما نسبة اللاتي أجبن بمهم حول فقرة معرفة أصدقاء الخطيب قد بلغت 28%، وتساوت معها نسبة مهم جداً، ونسبة 44% أجبن بغير مهم، بينما نسبة اللاتي أجبن بمهم حول فقرة معرفة مدي قدرة الخطيب علي بناء أسرة قد بلغت 36%، ونسبة 52% أجبن بمهم جداً، ونسبة 12% أجبن بغير مهم، أما بنسبة اللاتي أجبن بمهم حول فقرة التعرف علي سمعت الخطيب الاجتماعية في الأسرة و المحيط الاجتماعي قد بلغت 32%، ونسبة 24% أجبن بمهم جداً، ونسبة 44% أجبن بغير مهم.

ونستنتج أن علاج ظاهرة الطلاق يجب أن تبني علي ترتيبات قبل حدوث الزواج بين الطرفين تفادياً لهذه الظاهرة.

جدول رقم (16) يبين وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة عن الحاجات التي يجب علي الزوج توفيرها قبل الزواج.

الحاجات التي يجب علي الزوج توفيرها قبل الزواج							
مهم		مهم جداً		غير مهم		المجموع	
ك	%	ك	%	ك	%	ك	
9	36%	13	52%	3	12%	25	100%
11	44%	10	40%	4	16%	25	100%
6	24%	8	32%	11	44%	25	100%
10	40%	13	52%	2	8%	25	100%

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (16) حول وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة عن الحاجات التي يجب علي الزوج توفيرها قبل الزواج فنجد نسبة اللاتي أجبن بمهم عن فقرة السكن

المستقل قد بلغت 36%، ونسبة 52% أجبن بمهم جداً، ونسبة 12%، أجبن بغير مهم، بينما نسبة اللاتي أجبن بمهم عن فقرة تأثيث المنزل قد بلغت 44%، ونسبة 40% أجبن بمهم جداً، ونسبة 16% أجبن بغير مهم، أما نسبة اللاتي أجبن بمهم عن فقرة سيارة قد بلغت 24%، ونسبة 32% أجبن بمهم جداً، ونسبة 44% أجبن بغير مهم، بينما نسبة اللاتي أجبن بمهم عن فقرة مرتب ثابت قد بلغت 40%، ونسبة 52% أجبن بمهم جداً، ونسبة 8% أجبن بغير مهم. ونستنتج من ذلك تركيز أغلب المطلقات على أهمية توفير السكن المستقل و الدخل الأسري بأهمية عالية لكل القادمين على الزواج.

جدول رقم (17) يبين رأي أفراد مجتمع الدراسة عن متطلبات علاج ظاهرة الطلاق.

المجموع	غير مهم		مهم جداً		مهم		هناك من يرى أن علاج ظاهرة الطلاق يتطلب
	ك	%	ك	%	ك	%	
100%	25	16%	4	52%	13	32%	8 تشديد الاجراءات القانونية في عقود الزواج
100%	25	8%	2	48%	12	44%	11 إنشاء مكاتب للخدمة الاجتماعية في كل مدينة و فروعها
100%	25	4%	1	56%	14	40%	10 تفعيل دور صندوق دعم الزواج وحله للمشكلات المترتبة على الطلاق

يتضح من البيانات الواردة بالجدول رقم (17) حول رأي أفراد مجتمع الدراسة عن متطلبات علاج ظاهرة الطلاق فنجد نسبة اللاتي أجبن بمهم عن فقرة تشديد الإجراءات القانونية في عقود الزواج قد بلغت 32%، ونسبة 52% أجبن بمهم جداً، ونسبة 16% أجبن بغير مهم، بينما نسبة اللاتي أجبن بمهم عن فقرة إنشاء مكاتب للخدمة الاجتماعية في كل مدينة و فروعها قد بلغت 44%، ونسبة 48% أجبن بمهم جداً، ونسبة 8% أجبن بغير مهم، أما نسبة اللاتي أجبن بمهم عن فقرة تفعيل دور صندوق دعم الزواج وحله للمشكلات المترتبة على الطلاق قد بلغت 40%، ونسبة 56% أجبن بمهم جداً، ونسبة 4% أجبن بغير مهم. ونستنتج من ذلك أهمية تشديد الإجراءات القانونية في عقود الزواج منعاً أو الحد من الطلاق، وأهمية دور مكاتب الخدمة الاجتماعية، وكذلك دور صندوق دعم الزواج في معالجة المشكلات الأسرية ودعم بناء الأسرة المستقرة.



جدول رقم (18) يبين وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة حول متطلبات الزوجة المطلقة.

المجموع		غير موافق		أوافق بشدة		أوافق		من وجهة نظرك متطلبات الزوجة المطلقة تتمثل في:
%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	
%100	25	-	-	%52	13	%48	12	توفير سكن مستقل لها ولأطفالها
%100	25	%8	2	%52	13	%40	10	توفير دخل ثابت
%100	25	%28	7	%44	11	%32	8	الحصول علي أوراق الاحوال الشخصية لها ولأطفالها
%100	25	%4	1	%52	13	%44	11	الاعانات المادية في المناسبات والازمات من وزارة الشؤون الاجتماعية
%100	25	%16	4	%48	12	%36	9	زيارة الاخصائيين الاجتماعيين للأسر المطلقة وتقصي أوضاعها المعيشية وتوفير الدعم النفسي الاجتماعي لهم
%100	25	%40	10	%28	7	%32	8	إصلاح العلاقات الزوجية بين الزوجين بعد الطلاق وبناء دعائم الأسرة من جديد

يتضح من البيانات الوارد بالجدول رقم (18) حول وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة عن متطلبات الزوجة المطلقة فنجد نسبة اللاتي أجبن بأوافق علي فقرة توفير سكن مستقل لها ولأطفالها قد بلغت %48، ونسبة %52 أجبن بأوافق بشدة، بينما نسبة اللاتي أجبن بأوافق علي فقرة توفير دخل ثابت قد بلغت %40، ونسبة %52 أجبن بأوافق بشدة، ونسبة %8 أجبن بغير موافق، بينما نسبة اللاتي أجبن بأوافق علي فقرة الحصول علي أوراق الأحوال الشخصية لها ولأطفالها قد بلغت %32، ونسبة %44 أجبن بأوافق بشدة، ونسبة %28 أجبن بغير موافق، أما بنسبة اللاتي أجبن بأوافق علي فقرة الاعانات المادية في المناسبات والازمات من وزارة الشؤون الاجتماعية قد بلغت %44، ونسبة %52 أجبن بأوافق بشدة، ونسبة %4 أجبن بغير موافق، بينما نسبة اللاتي أجبن بأوافق علي فقرة زيارة الاخصائيين الاجتماعيين للأسرة المطلقة وتقصي أوضاعها المعيشية و توفر الدعم النفسي و الاجتماعي لهم قد بلغت %36، ونسبة %48 أجبن بأوافق بشدة، ونسبة %16 أجبن بغير موافق، أما بنسبة اللاتي أجبن بأوافق علي فقرة إصلاح العلاقات الزوجية بين الزوجين بعد الطلاق وبناء دعائم الأسرة من جديد قد بلغت %32، ونسبة %28 أجبن بأوافق بشدة، ونسبة %40 أجبن بغير موافق.

ونستنتج من ذلك تركيز أفراد مجتمع الدراسة علي توفير السكن والدخل لهن، ودور وزارة الشؤون الاجتماعية في دعم الاسر المطلقة وتقضي احوالها ودعمها نفسيا و اجتماعيا، بالرغم

من أن هناك من يرى أهمية إصلاح العلاقات الزوجية بين الزوجين بعد الطلاق وبناء دعائم الأسرة من جديدة.

نتائج الدراسة:

- 1- أظهرت نتائج الدراسة أن أعمار أفراد مجتمع الدراسة أغلبيهم أقل من 35 فأقل وأكثرهم مستوى تعليم متوسط فما فوق و كأنن يقطن خارج المدينة ، و متزوجات من ليبون.
 - 2- بينت نتائج الدراسة أن أغلب أفراد مجتمع الدراسة هن مطلقات لهن سنتان فأكثر و لهن أطفال.
 - 3- بينت نتائج الدراسة أن أسباب الطلاق في مجتمع الدراسة كانت بسبب تدني الأحوال المعيشة و السكن و تدخل أهل الزوج في حياة الزوجين ، وأغلب أفراد مجتمع الدراسة أجابوا بكثرة التشاجر بين الزوجين و العصبية و التدخين.
 - 4- كشفت نتائج الدراسة أن أغلب أفراد مجتمع الدراسة يعانون من أمراض سيكولوجية بعد طلاقهن.
 - 5- أظهرت نتائج الدراسة أن علاج ظاهرة الطلاق من وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة ينبغي أن تبنى على ترتيبات قبل حدوث الزواج بين الطرفين.
 - 6- كشفت نتائج الدراسة في رأيهم في الحد و علاج ظاهرة طلاق يتطلب توفير السكن المستقل و الدخل بأهمية عالية لكل القادمين علي الزواج.
 - 7- بينت نتائج الدراسة أن متطلبات أفراد مجتمع الدراسة في علاج ظاهرة الطلاق هي تشديد الإجراءات القانونية في عقود الزواج، و دور مكاتب الخدمة الاجتماعية ، وكذلك دور صندوق دعم الزواج في معالجة المشكلات الأسرية، وأن متطلبات المرأة المطلقة أهمية تكاثف دور مؤسسات المجتمع و وزارة الشؤون الاجتماعية.
- توصيات الدراسة:

- 1- العمل علي تشديد الإجراءات القانونية الخاصة بعقود الزواج و تفعيل دور صندوق دعم الزواج للأسر و تقصي أوضاعها المعيشية.
- 2- تدعيم البلديات و فروعها بمكاتب الخدمة الاجتماعية لمعالجة المشكلات الأسرية ، ونشر ثقافة الحوار و التفاهم للشباب و الفتيات القادمين علي الزواج
- 3- إتاحة الفرصة للشباب و الفتيات القادمين علي الزواج التعرف علي طبائع بعضهم فترة طويلة دعماً لاستقرار الأسرة و الحد من الطلاق



- 4- العمل علي تدعم المرأة المطلقة وأبناءها بالسكن و الدخل الشهري الثابت وإصلاح العلاقات الزوجية من جديد بعد الطلاق.
- 5- وضع استراتيجية متكاملة لمعالجة ظاهرة الطلاق تشترك فيها كافة المؤسسات الاجتماعية و الدينية و الاعلامية و التربوية و الثقافية في المجتمع وتشجيع آليات الصلح والواسطة و نشر الوعي لدي الأزواج.

الهوامش:-

- 1- ثروت محمد شلبي، الطلاق و التغير الاجتماعي في المجتمع السعودي، جدة، دار المجتمع العلمي، 1990، ص13.
- 2- جلال الدين عبد الخالق، الجريمة و الانحراف الحدود و المعالجة، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص ص 203، 204.
- 3- سلوي عثمان عباس الصديقي، أميرة منصور يوسف علي، المدخل الاجتماعي للسكان والأسرة، مطبعة البحيرة، 2007، ص280.
- 4- سلوي عثمان عباس الصديقي، أميرة منصور يوسف علي، المدخل الاجتماعي للسكان والأسرة، مرجع سابق، ص281.
- 5- سلوي عثمان عباس الصديقي، أميرة منصور يوسف علي، المدخل الاجتماعي للسكان والأسرة، مرجع سابق، ص 282.
- 6- عبد الرحمن محمد أبو توته، الاحداث الجانحون، المفهوم و العوامل، القاهرة، مكتبة الأحمدي للنشر، ط1، 2007، ص 147.
- 7- عبد الرحمن بن سعد بن عبد الرحمن، الاجرام دراسة تطبيقية تقويمية، الرياض، مكتبة البيكان، ط1، 1989، ص192.
- 8- علي عبد الواحد وافي، الأسرة و المجتمع، دار النهضة مصر للطبع و النشر، ص ص 150، 152.
- 9- علي الهادي الحوات واخرون، دراسات في المشكلات الاجتماعية، معهد الخدمة الاجتماعية طرابلس، ص 272.
- 10- علي الهادي الحوات واخرون، دراسات في المشكلات الاجتماعية، مرجع سابق، ص 289.
- 11- علي الهادي الحوات واخرون، دراسات في المشكلات الاجتماعية، مرجع سابق، ص 290.
- 12- فيضي عمر المرابط، أثر النمو الحضري علي بناء ووظائف الأسرة بمدينة طرابلس، معهد البحوث و الدراسات العربية، قسم الدراسات الاجتماعية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 1996، ص 45.

- 13- محمد مهيم درويش، الغريزة الجنسية وتأثير علي ارتكاب الجرائم، دار النور للنشر و التوزيع ، ط1، 2010، ص ص 90 95.
- 14- محمد مهيم درويش، الغريز الجنسية وتأثير علي ارتكاب الجرائم، مرجع السابق، ص 99
- 15- ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1991، ص 253



المعوقات التي تواجه قيام الدولة الليبية في مرحلة ما بعد 2011 (من منظور قياسي)

د. فوزي عمر الجابري ، أ. خليفة صالح خليفة

محاضر بقسم العلوم السياسية-كلية الاقتصاد والعلوم السياسية (سوق الأحد)، جامعة الزيتونة.

Abstract:

The social values in general and the political values in particular still represent (according to the social contract theorists) the backbone of building political societies. These thinkers assert in their meticulous studies that human beings move from a brutal state to a civil state so that they can create a political society characterized by security and stability, and this what known in the theory of political values (the civil spirit). After completing this stage, this society moves to the stage of political permitting, which means acceptance by each party for the other parties in order to coexist with each other and accept any political, ethnic, sectarian or any other difference. By creating these two values, it is natural to create within this emerging political community a new value called the value of political affiliation. This paper seeks primarily a deep study of the Libyan society and its value system in order to identify the political value, which represents its absence the main reasons for the state of division in the Libyan state since the political change in 2011.

ملخص:

أن القيم الاجتماعية بشكل عام والقيم السياسية على وجه الخصوص لاتزال تمثل (وقفاً لمنظري العقد الاجتماعي) العمود الفقري لبناء المجتمعات السياسية، حيث يؤكد هؤلاء المفكرين في دراساتهم المتعمقة أن البشر ينتقلون من الحالة الهمجية إلى الحالة المدنية حتى يتمكنوا من خلق مجتمع سياسي يتسم بالأمن والاستقرار وهذا ما يعرف في نظرية القيم السياسية (الروح المدنية). بعد إنجاز هذه المرحلة، ينتقل هذا المجتمع إلى مرحلة القيمة السياسية والتي يطلق عليها (السماح السياسي) والتي يقصد بها قبول كل الأطراف التعايش مع بعض وقبول أي اختلاف بينهم سواء كان سياسي أو اثني أو طائفي أو أي خلاف آخر. من خلال إيجاد هاتين القيمتين، فإنه من الطبيعي أن تنشأ داخل أفراد هذا المجتمع السياسي الناشئ قيمة

جديدة من أهم القيم السياسية وهي التي تسي بقيمة الانتماء السياسي. هذه الدراسة تسعى بالدرجة الاولى الى دراسة عميقة للمجتمع الليبي ومنظومته القيمية من أجل التعرف على القيمة السياسية التي يمثل غيابها أبرز الأسباب الرئيسية لحالة الانقسام التي تعاني منها الدولة الليبية منذ التغيير السياسي في عام 2011.

المقدمة:

يمكن القول أن قيام الدولة في ليبيا أعتبر نقطة تحول فارقة في تاريخها السياسي حال باقي الدول العربية التي لم تظهر بهذه المحددات الجغرافية الا بعد اتفاقية سايكس بيكو في عام 1916، والتي رسمت هذه الاتفاقية خارطة الدويلات العربية بعد الخروج من الاحتلال العثماني التي أستمتر لأكثر من أربع قرون، حيث كان مصير تلك المقاطعات العربية أن تكون ضمن المخطط الاستعماري الأوروبي. إلا إن الدويلات العربية ما إن خرجت من تلك الحقبة الاستعمارية وأرادت للحاق بركب الحضارة حتى وقعت فريسة للتشتت في كافة المجالات المختلفة، لا سيما الشق السياسي منها المتمثل في بناء الدولة القومية لكل كيان عربي على حده.

على هذا الأساس، جاءت المحاولات النظرية والعملية على السواء لبناء دولة المؤسسات بشكلها المعاصر، فكان منها الليبرالي والاشتراكي وذات الرؤية الاسلامية (سواء الاصولية أو التقدمية أو الاصلاحية والتوفيقية منها) والتي سميت بعصر النهضة العربية وحتى وقتنا المعاصر. إلا أن الغلبة العسكرية جاءت سريعة إلى المشهد السياسي في أغلب الدول العربية، حيث كانت الأنظمة السياسية في هذه الدول ذات أسلوب دكتاتوري في نمط حكمها، مما أدى الى عرقلة حركة الحراك الاجتماعي في أغلب المجتمعات العربية ولم تفلح كل تلك الجهود النظرية والعملية التي بذلت من أجل إخراج الكيانات العربية من مرحلة التخلف ونقلها إلى مرحلة التطور والتنمية. في نفس السياق، استمرت الأوضاع السياسية العربية على نفس النمط حتى ظهور الانتفاضات العربية أو ما يعرف (الربيع العربي) في عام 2010 التي جاءت تحت شعار التحرر من مرحلة الاستبداد السياسي وللحاق بموجات التحول الديمقراطي حسب تعبير المفكر الأمريكي صمويل هنتغتون (Samuel Huntington) في كتابه (موجات التحول الديمقراطي). وفقاً لذلك، قامت هذه الثورات في مصر وتونس وليبيا واليمن وسوريا، حيث لم تنجح (إلى حد الان على الأقل) في تحقيق أهدافها التي استندت عليها عند قيامها في هذه المجتمعات، بل على العكس دمرت الانتفاضات مقدرات هذه الدول، كما هو الحال في سوريا، حيث دمرت مدنها نتيجة الحروب الاهلية المتواصلة، كذلك دول شهدت بروز جماعات مسلحة ذات توجهات أثنية وعرقية أو جهوية أو قبلية أو حتى إيديولوجية كما هو الحال في ليبيا واليمن.



في هذا الإطار، تعتبر ليبيا من أبرز الدول العربية فشلا في ثورتها التي قامت في 17 فبراير 2011 والتي جاءت من أجل إسقاط نظام القذافي (1969-2011)، حيث رأي قادة هذا التغيير أن النظام السابق لم يحقق تنمية حقيقية بالبلد في كافة المجالات، لكن هذا التغيير لم يأتي بجديد على المجتمع الليبي، حيث ساءت الأحوال أكثر وفقدت الدولة الليبية أمنها واستقرارها وأصبحت تعاني من الحروب الداخلية وتدخلات الدول الإقليمية والكبرى منذ التغيير السياسي في 2011. وفقاً لذلك، تعثرت مسألة الإصلاح السياسي في ليبيا وتعرقلت الجهود المؤدية إلى التحول الديمقراطي لأسباب داخلية؛ تجسدت بالأساس في المركب الثقافي أو المنظومة القيمية للمجتمع الليبي وأسباب خارجية؛ تمثلت في تلك التدخلات الإقليمية والدولية، ولذلك وصلت البلاد إلى ما يمكن تسميته بالدولة الفاشلة.

مشكلة الدراسة:

مما تقدم فإن الدراسة تنطلق من تساؤل رئيسي مفاده: "ما هي الاسباب الرئيسية (الداخلية والخارجية) التي تعيق قيام دولة مؤسسات في ليبيا في مرحلة ما بعد 2011؟"

فرضية الدراسة

من خلال التساؤلات التي تثيرها الدراسة، فإنها تعتمد فرضية رئيسية مفاده: "إن غياب قيم التسامح السياسي والروح المدنية والانتماء السياسي داخل منظومة القيم السياسية بالمجتمع الليبي أدت إلى الحيلولة دون قيام الدولة المدنية في ليبيا في مرحلة ما بعد 2011 مما أدى إلى واعتبارها دولة فاشلة".

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من خلال الجانبين العلمي والعملية، حيث الأهمية العلمية للدراسة تأتي من خلال إبراز المضامين الثقافية السياسية للمجتمع الليبي وخاصة قيمتي الروح المدنية والسماح السياسي، ودورهما في البناء السياسي لأي مجتمع يسعى إلى الاستقرار والديمومة. أما الأهمية العملية، فهي تتمثل في محاولة الباحث تقديم إضافة متواضعة لأثراء المكتبة العربية بشكل عام والليبية بشكل خاص بموضوعات ذات علاقة بالمجتمع الليبي وتركيبته الثقافية، ومحاولة تقديم حلول أكاديمية قد تساعد صانعي القرار في الدولة الليبية من أجل إنهاء حالة التشظي والانقسام داخل الإقليم الليبي، لا سيما وأن هذا النوع من الدراسات ربما يتجنب الكثير من المتخصصين بهذا المجال الخوض فيها.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة على وجه الخصوص إلى تسليط الضوء على وصف وتحليل للحالة الليبية في مرحلة ما بعد 2011 وما ألت إليه من انقسامات وظهور للجماعات المسلحة مما أدى الى تحول الكثير من الثوار إلى جماعة مهيمنة على مفاصل الدولة. هذه الدراسة تهدف أيضاً الى فهم أسباب ضعف وكثرة الحكومات المتعاقبة في ليبيا بعد 2011، وذلك من خلال تفكيك المكون الثقافي والسياسي الليبي والتعرف على مضامينها وذلك لفهم العراقيل التي تحول دون قيام الدولة المدنية المنشودة في ليبيا.

منهجية الدراسة:

وفقاً لطبيعة هذه الدراسة وأهدافها، فإن المعالجة التحليلية تتطلب من الباحث أتباع المنهج الوصفي التحليلي "Descriptive Analytical Method" من أجل تفكيك الواقع الليبي بعد الثورة ووضع تحت المجهر التحليلي للتعرف على كل جزئياته وتوصيفه وصفا دقيقا في محاولة لتوضيح الصورة للمهتمين بالمجتمع الليبي ولصناع القرار في ليبيا.

كما أن المشكلة التي تطرحها الدراسة تقود أيضاً الى الاستعانة بالمدخل التاريخي (Historic Entrance) في بعض الاحيان للاستدلال بشواهد من المختبر التاريخي لفهم وتحليل الظواهر السياسية محل الدراسة. أخيراً، هذا البحث يتطلب استخدام المدخل الثقافي لكون هذه الدراسة تبحث في منظومة القيم السياسية للمجتمع الليبي.

التعريفات الاجرائية:

لاستكمال جوانب هذه الدراسة وضعت تعريفات اجرائية للمفاهيم الرئيسية ذات العلاقة بالموضوع قيد البحث حتى تكون مؤشرات قابلة للقياس، وهي على النحو التالي:

1. الثورة: هي التغير الجذري والحاسم في مناحي المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
2. القيم السياسية: تعرف القيم السياسية بأنها إطار فكري مثالي الأهداف.
3. الروح المدنية: هي السلوك المدني الذي يحكم العلاقات التفاعلية داخل المجتمع فيما بين أعضائه على أساس من الثقة والاحترام المتبادل بينهم والمساواة والندية.
4. التسامح السياسي: هو عملية التنسيق التي يفرضها النظام السياسي والضوابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع بغية توفير الحد الأدنى من القيم التي تكفل التضامن والتعايش السلمي الهادفة إلى المحافظة على التنوع الثري والتعدد الخصب لأجل بقاءه واستمراره والوصول بالمجتمع إلى قيام الحكم الصالح الرشيد.



5. الانتماء السياسي: يعنى العلاقة الايجابية والحياتية التي تؤدي الى التحقق المتبادل تنتفي منها المنفعة بمفهوم الربح والخسارة، وترتقي الى العطاء بلا حدود ويصل الى حد التضحية.

6. الدولة الفاشلة: هي الدولة ذات حكومة غير قادرة على فرض هيمنتها على محيطها وبيئتها السياسية، وليس لها شرعية كاملة على الدولة وغير قادرة على تحقيق الامن والاستقرار والتنمية.

حدود الدراسة:

تتخصر الحدود المكانية في هذه الدراسة حول التغيير السياسي داخل ليبيا في عام 2011 ومعرفة مدى هذا التغيير في تحقيق أهدافه المرجوة. أما الحدود الزمانية للدراسة؛ فأنها تقتصر على الدولة الليبية وما يحدث فيها من تطورات مختلفة في مرحلة ما بعد 2011.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي تناولت بشكل أو بآخر العراقيل والصعوبات التي تواجه قيام الدولة الليبية منذ التغيير السياسي في 2011، وفيما يلي أبرز هذه المساهمات:

1-دراسة صادق حجال بعنوان " الدولة الفاشلة واشكالية التدخل الانساني في المنطقة دراسة حالة ليبيا 2012-2013"، حيث تناولت هذه الدراسة حالة الفشل التي تعاني منه الدولة الليبية بسبب انتشار الجماعات المسلحة وغياب واضح لسلطة مركزية قادرة على امتلاك وسائل القهر الشرعي، الامر الذي قاد الدولة الليبية (وفقا لهذه الدراسة) إلى حافة الانهيار بسبب اندلاع الحروب داخل هذه الدولة والتي أدت في النهاية الى هيمنة هذه الجماعات على مصادر الثروات الطبيعية في ليبيا. هذه الدراسة ركزت أيضاً على دور العامل الخارجي في فشل قيام الدولة الليبية، حيث توصلت إلى نتيجة مفادها أنه لا يمكن الحديث على أمن الدولة ولا قيامها إلا بوجود العدالة الاجتماعية والقضاء على الفساد.

2-دراسة زهير الحامدي بعنوان " ثلاث سنوات على الثورة الليبية: التحديات والمآلات"، سياسات عربية (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات-الدوحة)، (العدد 7 مارس-2014). هذه الدراسة ركزت على سوء الأوضاع الأمنية التي تمر بها ليبيا في ظل غياب المؤسسة العسكرية الفاعلة المبنية على أسس وطنية. الدراسة اعتبرت أن هذا الأمر ترك الساحة الليبية بشكل عام ساحة لفوضى جماعات العنف والميليشيات المسلحة المتناحرة على اختلاف مسمياتها وتوجهاتها السياسية والإيديولوجية مما ساهم في تعثر المسار الديمقراطي وجعل الساحة الليبية أكثر انكشافاً أمام تجاذبات مصالح القوى الإقليمية والدولية. هذه الدراسة أكدت بأن المخاطر التي أصبحت تهدد الأمن الليبي تستدعي الاهتمام بإعادة بناء المؤسسة العسكرية وفق أسس وطنية من أجل تجنب البلاد تبعات العنف المستمر منذ عام 2011.

حيث توصلت الدراسة بأن أكبر تهديد للأمن الليبي هو الفشل في عدم التوصل إلى توافقات حول المسائل والقضايا الرئيسية المتصلة بالانتقال الديمقراطي. وإلا فإن العنف وعدم الاستقرار سوف يستمر بوتيرة متزايدة من قبل هذه الجماعات المسلحة الواقعة تحت تأثير العامل الخارجي.

3-دراسة مقدمة عبر مركز دراسات الشرق الاوسط .الأردن بعنوان " ليبيا إلى أين " العدد الثالث عشر (مارس-2017)، حيث سلطت هذه الدراسة الضوء على بداية خلفيات الأزمة في ليبيا من خلال وصّف الأزمة وأسبابها. هذه الدراسة سعت الى الإشارة الى أبرز المواقف العربية والإقليمية والدولية منها، ورسمت وفقاً لذلك السيناريوهات المتعلقة بتطور الأزمة وشروط تحقق كل منها وتداعيات تحققها على المستوى الداخلي والإقليمي، وأخبرا يقدم عددا من التوصيات للأطراف المعنية على المستوى الليبي والاقليمي والدولي.

تعقيب الباحثين على الدراسات السابقة: على الرغم من أهمية كل الدراسات السابقة التي سعت الى التعمق في فهم وتحليل أسباب الأزمة الليبية ومحاولة طرح حلول ربما تساعد على إيجاد حلول جذرية لها، إلا أن كل هذه الدراسات لم تركز بالذات على القيم السياسية والثقافية للمجتمع الليبي التي تعتبر (من وجهة نظر الباحثين) الاساس والمرتكز الرئيسي في تحليل وفهم الازمة الليبية التي تعاني منها البلاد منذ عام 2011.

تقسيمات الدراسة:

من خلال المشكلة التي يطرحها هذا البحث، فإن الدراسة قسمت على النحو التالي:

المطلب الأول/ تحديد المفاهيم وامكانيات قياسها.

المطلب الثاني/ قيمة الروح المدنية داخل منظومة القيم السياسية للمجتمع الليبي.

المطلب الثالث: قيمة التسامح السياسي داخل منظومة القيم السياسية للمجتمع الليبي.

المطلب الرابع: قيمة الانتماء السياسي داخل منظومة القيم السياسية للمجتمع الليبي.

المطلب الاول: تحديد المفاهيم وامكانيات قياسها

مما لا شك فيه أن بناء المجتمع الاجتماعي إجمالاً والسياسي بشكل خاص يتطلب توافر مجموعة من القيم السياسية والاجتماعية حتى ينمو ويتكون بشكل طبيعي، وهذه القيم تأتي وفق سياق مرتب وتتابعي، حيث تأتي القيم ضمن الأولويات، حيث تأتي الروح المدنية التي تعتبر ضمن المضامين الثقافية لأي تجمع بشري يرغب في أن يجسد نظامه السياسي. بعد ذلك، تأتي القيمة السياسية المتمثلة في السماح السياسي، فهذه القيمة تعتبر العمود الفقري لأي نظام



سياسي يسعى لتحقيق الأمن والاستقرار. وأخيراً تأتي قيمة الانتماء لذلك المكون السياسي، حيث تعتبر هذه القيمة نقطة مفصلية لا بد من تجدها داخل المنظومة القيمية للمجتمع ككل. وفيما يلي سيتم تناول هذه القيم وفق الأولوية التي تفرضها البنية الاجتماعية والسياسية أي أن قيم الروح المدنية والسماح السياسي ثم الانتماء السياسي.

1. الروح المدنية: استخدمت الروح المدنية من قبل علماء الاجتماع الانجليز للدلالة على المجتمع المتمدن والمتحضر والتي تعتبر نقيض المجتمع الهمجي البربري، وقد تم تعريف مصطلح الروح المدنية بأنها تعني تحول المجتمع من حالة الهمجية إلى حالة التحضر، كما تعني في المقام الأخير احترام مشاعر الآخرين الشركاء في الوطن،⁽¹⁾ أما عالم الاجتماع اروين تشاغراف (Erwin Chargaff) 1905-2002 يعرف الروح المدنية بأنها الاحترام الأصيل لحقوق وكرامة كل الشركاء والزملاء في المجتمع، وان العلاقة بينهم تقوم على المساواة في التمتع على الحقوق والمحافظة على فهم ومعاييرها التي تنظم العلاقة بين أفرادها. في حين نجد المفكر زوباخ يري أن مفهوم الروح المدنية يزيد على الانتقال من حالة إلى حالة أخرى عدة شروط منها الالتزام السياسي والقدرة على العيش في حياة مشتركة يسودها الإخاء.⁽²⁾

من خلال ما تقدم من تعريفات فإن مفهوم الروح المدنية يمكن اعتباره الكفيل بتوفير علاقات سليمة بين كافة أطراف المجتمع بغض النظر عما بينهم من اختلافات وصراعات، حيث تصبح الروح المدنية جزءاً من الوعي الاجتماعي لدى الجماعة السياسية ككل، والتي بمقتضاها يعتبر الفرد نفسه جزءاً من الجماعة، وبالتالي تجنب المجتمع حالات التفسخ وانتشار التطرف والعنف. في نفس الإطار، يلاحظ أن كافة النظم تقوم على ضرورتين هما (الخاص والعام)، حيث تتمثل ضرورة الخاص في المصلحة الخاصة، أي أنها تتجه بنفعها نحو الذات، بالمقابل تتمثل ضرورة العام فتتمثل في المصلحة العامة، بمعنى أنها تتجه لتحقيق مصلحة الذات والغير في نفس الوقت.

على هذا الأساس، يمكن اعتبار أن الروح المدنية تقوم بخلق تكامل بين ضرورتي الخاص والعام، وبذلك تكون الروح المدنية سابقة لأي عقد اجتماعي يقوم بين أفراد المجتمع كونها الأساس الأول لخلق وعي جماعي يربط بين أعضاء المجتمع بغية الوصول إلى الحياة المشتركة التي تسودها روح الأمن والاستقرار، حياة تقبل بالتنوع والتعدد والاعتراف للأخر بحق الاختلاف،

⁽¹⁾ هويدا عدلي رومان بطرس، المقاومات الثقافية للمجتمع المدني في مصر - دراسة في التسامح السياسي لدى النخبة السياسية من 1982 - 1993، أطروحة دكتوراه غير منشورة (القاهرة: كلية العلوم السياسية جامعة القاهرة، 1998) ص 29.

⁽²⁾ هويدا عدلي رومان بطرس، حول مفهوم التسامح السياسي، (مجلة الديمقراطية، العدد الثاني، صيف 2001)، ص 191.

رافضة بذلك التفسخ والتعصب السياسي الهادر للطاقت الإنسانية الخلاقة والذي يتأتى عبر النزاعات والخلافات الداخلية المتعددة التي دافعها في الغالب الانتقام والثأر. بكلمة أخرى، أن قيمة الروح المدنية تسعى الى الوصول بالمجتمع إلى الحياة المثلى التي نادى بها فلاسفة الفكر السياسي على مر العصور وقيام الحكم الصالح والامثل، إلا أن إشكالية غرس هذه الروح لدى المواطنين سواء نخبة أو مواطنين تعد من الصعوبة وتحدي كبير، حيث لا يوجد مجتمع يلتزم كل مواطنيه بالروح المدنية والسلوك المدني، ومع ذلك فهناك فئات معينة في المجتمع ربما تتوفر فيها هذه الفضيلة بشكل راسخ مثل: رجال القضاء وكبار موظفي الدولة والمشرعين والأكاديميين والصحفيين، حيث يمكن عبر هذه النخبة يمكن أن تنتقل الروح المدنية إلى باقي أفراد المجتمع.⁽³⁾

وفقاً لما ذكر أعلاه، يمكن القول أن الروح المدنية تهدف إجمالاً إلى إخراج المجتمع من حالة الفوضى والهمجية إلى حالة التمدن والتحضر وتسعى إجمالاً للوصول بالمجتمع إلى الدولة المدنية وإجماع الأمة وإرادتها المشتركة وتصبح دولة قانون تطبقه من خلال إرساء مبادئ العدل والمساواة وألا يخضع أي فرد فيها لانتهاك حقوقه من قبل فرد آخر أو طرف آخر، حيث توجد سلطة عليا (سلطة الدولة) يلجأ إليها الأفراد عندما تنتهك حقوقهم أو تهدد بالانتهاك بحيث تحفظ هذه السلطة الحقوق لكل الأطراف، وتمنع الأطراف من أن يطبقوا أشكال العقاب بأنفسهم، ومن ثم تجعل من القانون أداة تقف فوق الأفراد جميعاً متساوون فيها في الحقوق والواجبات.

2. السماح السياسي:

يمكن القول أن قيمة السماح السياسي تعني بشكل عام الاحترام والقبول للتنوع للثقافات الأخرى ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية الموجودة، وهذا يتعزز عبر المعرفة وحرية الفكر والضمير والمعتقد، والتسامح ليس واجبا أخلاقيا فحسب بقدر ما هي واجب سياسي وقانوني باعتباره وسيلة هامة لإحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب.⁽⁴⁾

في نفس الإطار، يعرف كريك التسامح أو السماح السياسي بأنه الاستعداد لاحتمال الأشياء التي نعارضها والسماح بالتعبير عن الأفكار والمصالح التي نختلف معها. في حين عرف هيرسون وهوفستيتير التسامح السياسي بأنه "استعداد المرء لتحمل آراء الآخرين وممارستهم كأحد

⁽³⁾ هويدا عدلي رومان بطرس، المقامات الثقافية للمجتمع المدني في مصر، المرجع السابق، ص 33.

⁽⁴⁾ انطوان مسرة، الأمن الإنساني: عناصر استراتيجية معاصرة للتسامح، (المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 11، أبريل 2006)



أساسيات العقيدة الديمقراطية. أما شامير فقد عرفه بأنه الاستعداد لتحمل جماعات أو أفكار يعارضها المرء والإقرار لها بالوجود ولأصحابها بممارسة حقوقهم السياسية التي لا تتمتع بشعبية أو تشذ عن القيم السائدة في المجتمع"، كما عرفه كل من وسوليفان وبارنم بأنه "اعتراف المواطنين بحق الجماعات المكروهة في المجتمع في التمتع بكافة الحقوق السياسية"⁽⁵⁾.

في السياق نفسه، اعتبر جون لوك (John Locke 1632- 1704) بأنه لا يمكن أن نبني جماعة سياسية بدون التسامح، فهو قوام المجتمع السياسي، أما مفهوم اليوم فيعود إلي ما رفعته الثورة الفرنسية من شعارات مثل الحرية والمساواة والإخاء، ومع اتساع دائرة المواطنة أضحى مفهوم التسامح حق مكتسب،⁽⁶⁾ حيث يري دوميت أن التسامح ليس فضيلة أو قيمة يجب تتوفر فيما بين أعضاء المجتمع فحسب، بل هي لابد أن تتوافر لدي الدولة، فالدولة التي يقتصر تحديد هويتها علي جنس أو دين أو لغة واحدة دون اعتبار للأقليات الموجودة فيها تنتهك قيمة التسامح انتهاكا شديدا، بل وتهدر قيمة المواطنة لدي هذه الأقليات. لذلك أصبح أساس التسامح هو الإقرار بالمساواة بين كل المواطنين وما يترتب عليه من التمتع بكافة الحقوق وتحمل كل الواجبات. وتأكيدا لذلك، يرى المفكر ديفيز أن توافر التنوع والتعدد في أنماط السلوك وطرق التفكير يجعل العالم أكثر ثراء في التفاصيل والاختيارات وبالتالي الممارسة الأوسع للحرية.⁽⁷⁾

استنادا على ذلك، يمكن تحديد مضامين هذا التسامح في المجاورة والثقة، بحيث تعنى الثقة التغيير في السلوك أو المعتقد بما يتوافق أو يتماثل مع الجماعة، أي هناك تأثيرا على الفرد من قبل الجماعة بحيث يتجسد هذا التأثير الاجتماعي في التأثير المعلوماتي من خلال مجاورة الآخرين والاستجابة لما يحملونه من معلومات عن الواقع، وعلى أساس الاعتقاد في صحة هذه المعلومات من جانب من يسعى للمجاورة.

3. الانتماء السياسي:

يمكن اعتبار الانتماء السياسي بمثابة الوعاء الذي يضم كافة القيم السياسية الاخرى التي في تشكل مجملها الثقافة السياسية لأي مجتمع سياسي، حيث يتشكل من خلالها الانتماء بين السليبي والإيجابي، وأن العلاقة بينهم تكون دائما طردية، فكلما كانت القيم السياسية داخل

⁽⁵⁾ هويدا عدلي، حول مفهوم التسامح، المرجع السابق، ص 192.

⁽⁶⁾ هويدا رومان، المقومات الثقافية للمجتمع المدني في مصر، المرجع السابق، ص 33.

⁽⁷⁾ المرجع نفسه، ص 195.

المجتمع موجبة ودافعة الى الثقافة السياسية المشاركة كلما كان الانتماء السياسى موجبا وحالة المجتمع السياسى ايجابية ومعافه، بالمقابل كلما كانت القيم السياسية السائدة فى المجتمع سالبة كان الانتماء السياسى سلبياً ومتدنياً.

على هذا الاساس، يعرف الانتماء بشكل عام " بأنه الانتساب الحقيقى الى أمر معين فكراً"، أما الانتماء السياسى فإنه يعرف " بالانتساب الحقيقى للفرد لوطنه فكراً ويتجسد ذلك عبر ممارساته وأفعاله. يتضح من التعريف السابق أن هناك علاقة ترابطية بين الفرد والدولة من خلال فكرتى المواطنة والانتماء، كما ينمى هذا الترابط فكرة الروح المدنية داخل أفراد المجتمع الواحد. تبعاً لذلك، يلاحظ أن الانتماء بهذا الشكل نصت عليه المادة الخامسة عشرة من الاعلان العالمى لحقوق الانسان القاضية بأن لكل فرد الحق فى جنسية واحدة لا يجوز حرمانه من تغييرها أو تجريده منها بطريقة تحكمية.⁽⁹⁾

فى نفس السياق، يعرف الانتماء السياسى بطريقة أخرى حيث يتم التركيز على الجوهر وليس على الشكل، بمعنى أن الفرد قد يكون عضواً فى جماعة ولكنه لا يقبل بمعاييرها وقواعده المنظمة لحياته ولا يتواجد معها ولا يشاركها ميولها واهتماماتها. ووفقاً لذلك، يكون هذا الفرد مرتبطاً مع الجماعة شكلاً وليس مضموناً، وهنا يكون ارتباطه بهذه الجماعة انتماء زائف بسبب أن انتمائه الحقيقى لجماعة أخرى أو معتقدات أخرى.⁽¹⁰⁾

مما سبق، يمكن القول أن الانتماء السياسى لمجتمع سياسى معين يمثل أوائل التوجهات السياسية التى يكتسبها الفرد وأكثرها ثباتاً واستقراراً، حيث يكون الانتماء فى الغالب مصحوباً بإحساس قوى بالولاء والمشاعر الايجابية تجاه المجتمع السياسى،⁽¹¹⁾ بمعنى آخر، أن السلوك السياسى متجذراً فى الطبيعة الانسانية على الرغم من أن الدراسات السلوكية لم تبرز إلا مع الثورة السلوكية فى أوائل الخمسينيات من القرن الماضى.⁽¹²⁾ فى هذا الإطار، يرى روزنبرج أن عدم المشاركة الفاعلة لكثير من أفراد المجتمع راجع إلى عوامل عدة أهمها انخفاض الوعي بأهمية النشاط السياسى كأن يرى الفرد أن النشاط السياسى مهدد لبعض جوانب حياته أو

(9) الامم المتحدة، الاعلان العالمى لحقوق الانسان، ضمن الوثيقة الدولية لحقوق الانسان، نيويورك، 1981، ص 12.

(10) فرج طه، موسوعة علم النفس والتحليل النفسى، (الكويت: دار سعد صباح، 1993)، ص 119.

(11) رتشارد داو سون وآخرون، التنشئة السياسية، ترجمة مصطفى خشيم، محمد زاهى المغيري، (بنغازي: منشورات جامعة قاربونس، 1990)، ص 67.

(12) لويس مليكه، سيكولوجيا الجماعة والقيادة، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989)، ص 213.



يؤثر على مكانته الاجتماعية، أي أن هذا الفرد قد يرى أن اللامبالاة السياسية هي الأسلوب الأكثر ملاءمة له نتيجة ضغوط متعددة.⁽¹³⁾

أن الانتماء السياسي يعتبر من أهم الانتماءات (إن لم يكن أهمها على الإطلاق) حيث أصبح الانتماء السياسي السمة الغالبة في الكثير من الدول الكبرى، التي تعطي أبنائها جنسية معينة ينتمون إليها. وفقاً لذلك، يعرف حسن منصور الانتماء السياسي بأنه "الانتماء الفعلي أو الواقعي الذي يعيشه الفرد والذي يربطه بالدولة التي يحمل جنسيتها".⁽¹⁴⁾ من هذا المنطلق، يمكن القول أن يؤدي عجز الجماعة على تحقيق الإشباع لأفرادها إلى إضعاف انتمائهم لها، وهذا قد يؤدي إلى زيادة عجزها وضعفها بما يهدد وجودها في حد ذاته. بالتالي، أن هذا الوضع قد يدفع أفراد هذه الجماعة إلى السعي نحو مصادر بديلة تتوجه إليها مشاعرهم الانتمائية، ولا يعني انتفاء وإنما يعني الاغتراب عنها، أي غلبة المشاعر الفردية "الآنية" لدى أفرادها وما قد يصاحب ذلك من مشاعر السلبية واللامبالاة نحو الجماعة.

في نفس الإطار، يمكن أيضاً تعريف الانتماء بأنه العلاقة الايجابية والحياتية التي تؤدي إلى التحقق المتبادل تختفي فيها المنفعة بمفهوم الربح والخسارة وترتقي إلى العطاء بلا حدود الذي يصل إلى حد التضحية. إن هذا الانتماء يتجلى بصورة عالية عندما يتعرض الوطن لأي اعتداء خارجي. وفقاً لذلك، يمكن القول أن الانتماء قد يكون طبيعي فطري عند الإنسان العادي بفعل الوجود الإنساني واستمرار البقاء في ظل الوطن وضمن النظام الاجتماعي، وقد يكون أيضاً انتماء عاطفي تجاه موقف أو ظرف طارئ، إلا أن أرقى أنواع الانتماء هو الانتماء المنطقي الناتج عن المعرفة وإعمال العقل، ونسبة المتمتعين بهذا النوع من الانتماء تعتبر في المجمل ضئيلة إلا أنها دائماً فاعلة ومؤثرة في حركة المجتمعات.⁽¹⁵⁾

المطلب الثاني: قيمة الروح المدنية داخل منظومة القيم السياسية للمجتمع

الليبي

تمت الإشارة في سياق الإطار النظري للدراسة بأن المجتمع لكي ينتقل من الحالة الأولى (حالة الهمجية والفوضى) لابد له من توافر الروح المدنية كقيمة سياسية من داخل الثقافة السياسية لأي مجتمع يرغب أن يكون مجتمعاً سياسياً مستقراً وآمناً، وبما إن المجتمع الليبي

⁽¹³⁾ طارق عبد الوهاب، "دراسة نفسية بين المشاركين وغير المشاركين سياسياً" (سيكولوجيا المشاركة السياسية)، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 1999)، ص 32.

⁽¹⁴⁾ حسن منصور، الانتماء والاغتراب، (الرياض: دار جرش، 1989)، ص 145.

⁽¹⁵⁾ فتحي سيد فرج، الحوار المتمدن، المجتمع المدني، العدد 15 - 2006، ص 21.

مجتمع قبلي بطابع امتيازي، حيث تلعب فيه القبيلة دور فعال في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فإن هذا الأمر يجعل من مسألة بناء الدولة بشقيها القانوني والمؤسسي على المحك، وهذا الأمر يؤدي إلى عجز النظريات والنماذج النظرية في تفسير ظاهرة الدولة داخل المجتمعات القبلية.

في هذا الإطار، تشير بعض الدراسات التي أجريت على تركيبة المجتمع الليبي بأن عدد القبائل في المجتمع الليبي تقدر بنحو 150 قبيلة تتفاوت من حيث عدد السكان ومساحة أراضيها، كما أنها تتباين في قربها وبعدها عن مركز السلطة ودوائر الحكم (سواء كان الحال مع نظام سبتمبر أم فبراير)، حيث تختلف درجات الولاء لنظام الحكم بين القبائل، فهناك قبائل تحسب على نظام ما قبل 2011، وهناك قبائل تعرف بولائها للنظام السياسي الحالي.⁽¹⁶⁾

إن المتتبع للتاريخ السياسي الليبي يلاحظ بشكل واضح أن المجتمع الليبي يعتبر مجتمع قبلي الولاء فيه يكون بالاساس للقبيلة قبل الوطن، حيث مازالت العائلة والقبيلة تمثلان أقوى الهويات في ليبيا،⁽¹⁷⁾ وهذا يعتبر ربما مؤشر خطير على ما ستؤول إليه التحالفات والصراعات نتيجة الانقسام السياسي في ليبيا في هذه المرحلة التي ازداد فيها أكثر هذا الانتماء. وكمثال على هذا التطور الخطير، نستشهد هنا بأحد المواطنين الليبيين الذي يمثل نموذجا لعقلية الانتماء القبلي، حيث صرح معبراً عن مدى انتماؤه لقبيلته التي ساهمت بشكل مباشر في نجاح التغيير السياسي في 2011 بالقول (لو قبيلتي ذهبت لهدم الكعبة لذهبت معها).⁽¹⁸⁾

إن المتابع للتطور السياسي الليبي منذ الاستقلال عام 1951، يلاحظ أن القبائل الليبية فقد تم توظيفها سياسياً في ليبيا (لاسيما في مرحلة نظام القذافي)، حيث الذي عمل على تسخير "الحياة السياسية"، من خلال مفاهيمه الأيديولوجية "من تحزّب خان"، و"الحزبية إجهاض للديمقراطية"، والتمثيل السياسي تدجيل"، وغير ذلك من المقولات السياسية الأيديولوجية. إن هذا الأمر تكرر مرة أخرى مع النظام السياسي في مرحلة ما بعد 2011، حيث أصبح هذا النظام تحت سيطرة القبيلة في كل العمل السياسي والبرلماني والمجتمعي. وتبعاً لذلك، شهدت ليبيا حروب داخلية متتالية. ونتيجة لذلك، أصبح المجتمع الليبي يخاف من سقوط وانهار الدولة الليبية في حد ذاتها وليس فقط السلطة، خصوصاً بعد أن أصبحت ليبيا تصنف منذ عام 2013

⁽¹⁶⁾ محمد نجيب بو طالب، الأبعاد السياسية للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية: مقارنة سيولوجيا للثورتين التونسية والليبية، "سلسلة دراسات وأوراق بحثية"، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011)، ص 13.

⁽¹⁷⁾ آمال سليمان، الهوية في ليبيا: دراسة ميدانية، (مجلة المستقبل العربي، العدد الخامس، 2001)، ص 141-154.

⁽¹⁸⁾ ماجدة العربي، الآثار الاجتماعية للانقسام السياسي في ليبيا، (طرابلس: المنظمة الليبية للسياسات الاستراتيجية، 2015)، ص 8.



ضمن أسوأ خمس دول في العالم من حيث تردي الأوضاع الأمنية وانتشار الفساد، حيث احتلت المرتبة 172 ضمن 177 دولة لسنة 2013 حسب تقرير منظمة الشفافية الدولية.⁽¹⁹⁾

إن المتتبع لتطور الأحداث السياسية التي اندلعت في فبراير 2011، يلاحظ أن القبيلة قد تم توظيفها سياسياً من كلا طرفي النزاع (سواء نظام القذافي أو فبراير)، حيث كان كليهما يعلن عبر وسائل اعلامه أن جل القبائل الليبية تؤيده وتناصره، وذلك بغية توسيع دائرة نفوذ كل منهما، مما أدى الى استغلال القبيلة والانتماء القبلي في تدمير كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الليبي عبر عسكرة المجتمع وتسليح القبائل. بكلمة أخرى، أصبح قيام الدولة وبناء مؤسساتها أمر في غاية الصعوبة بعد هيمنة الجماعات المسلحة على مجريات الاحداث السياسية والاقتصادية، مما قاد الى انتشار السلاح وعسكرة المجتمع الليبي وهذا ما يمثل نصف لأي مشروع ديمقراطي داخل الدولة الليبية.⁽²⁰⁾

كل هذه التطورات أثرت سلباً على طبيعة وسلوكيات المجتمع الليبي، حيث أضحي امتلاك السلاح من أولويات الحياة الكريمة لدى العديد من التكوينات القبلية، بل أن بعض هذه الجماعات أصبح لديها ما يمكن تسميته (عصابات إجرامية منظمة) تمتن السطو المسلح سواء على المؤسسات والأموال العامة أو الخاصة بهدف تحقيق مكاسب مادية بل وحتى مكانة اجتماعية ومناصب قيادية. كل هذه الأوضاع زادت من عمق التناقضات وأصبحت تهدد الاستقرار الهش بالبلاد، حيث قاد ذلك البلاد الى مزيد من الأزمات مثل العنف والاعتقالات والفساد. إلى جانب ذلك، أدى تطور هذه الخلافات الى زيادة حدة الأزمة الليبية لتؤدي إلى تصاعد أعمال العنف ساهمت عوامل خارجية أيضاً في تفاقم هذه الأزمة عبر دعم قوى إقليمية ودولية لأطراف سياسية ليبية على حساب أطراف أخرى، سواء كانت تلك الاطراف الليبية جماعات مسلحة أم قبائل.⁽²¹⁾

مما سبق، يمكن القول إن اختلال العامل الاجتماعي وخاصة في مسألة تصنيف القبائل بين مؤيد ومعارض لنظام ما بعد 2011 كان فيما يبدو سبب رئيسي في عملية زعزعة الاستقرار والامن للمجتمع الليبي برمته، بل أصبح يمثل معضلة في قيام الدولة الليبية حتى الان. في هذا الإطار، تمثل نزاعات مسلحة مثل النزاع المسلح بين قبيلتي الزنتان وككلة والنزاع بين مصراته وتاورغاء (وغيرها من الصراعات في شمال البلاد وجنوبها) معوقات واضحة أمام عودة النسيج الاجتماعي

(19) محمد نجيب بو طالب، مرجع سبق ذكره، ص 13.

(20) المرجع نفسه، ص 14-15.

(21) علي عبد اللطيف أحمد، "غياب الحوار الوطني في ليبيا: تحديات وعوائق"، ليبيا المستقبل (مارس، 2014).

وبناء الدولة الليبية في المدى القريب على الأقل. وفي إطار تطورات هذه الأحداث، انفصلت العديد من التشكيلات عن التشكلات المسلحة القبلية، حيث أصبح لها سطوة وهيبة داخل الدولة، بل ومنها من استطاع السيطرة والتحكم في سياسات العديد من الوزارات، وذلك بغية إصدار قرارات تقضي بتبعية تلك التشكلات لها وهذا الوضع قاد الدولة إلى الفوضى والانفلات الأمن.⁽²²⁾

بعد سقوط نظام القذافي ونجاح فبراير، تشكلت المجالس العسكرية في معظم المدن والقبائل الليبية، حيث كان ولائها فقط لقادتها فقط، هذا الامر قاد إلى أحداث تصدعا في بنية الدولة وقاد الى استحالة اقامة هذه الدولة في المدى القريب في أحسن التقديرات. هذا الأمر أدى الى تفتيت ولاء وانتماء السواد الاعظم من المجتمع بين تلك المجالس، كما ساعد في ذلك الانقسامات السياسية للمجتمع الليبي بين حكومات الغرب والشرق. هذه التطورات، قادت المجتمع الليبي تدريجياً ليصبح مجتمع فوضى غير مستقر الامر الذي يجعل من قيام الدولة ومؤسساتها صعب التحقيق في الوقت الحالي. أمام هذه الأوضاع، تجدر الإشارة هنا الى الحالات الاولى السابقة على قيام المجتمعات السياسية التي أشار إليها فلاسفة العقد الاجتماعي، حيث أبرم أفراد هذه المجتمعات عقد ضمناً مقابل أمنهم واستقرارهم من أجل تشكيل مجتمع سياسي شكل الدول الحديثة في أوروبا وغيرها.

إن هذه الدراسة المتواضعة ترى أن هذا الاتفاق أو العقد هو في الواقع عبارة عن مجموعة من القيم السياسية التي يجب أن تتوفر في المجتمع حتى يخرج من دائرة التخلف والصراع والعنف، وطالما أن من أولويات تلك القيم قيمة الروح المدنية التي توفر شعور الانتماء إلى الجماعة وتحمي المجتمع من التفسخ والانحلال. فإن المجتمع الثقافي الليبي (طالما لا يزال فاقداً لقيمة الروح المدنية وخارج دائرة الحضرة والمدنية وبعيدا عن تأسيس دولة المواطنة والمؤسسات)، سوف يبقى في الفساد السياسي والاداري حتى تنهار الدولة الليبية، لكن إذا تجاوز هذا المجتمع (لا سيما قاداته) الأنانية والأطماع الضيقة فأن الفرصة لاتزال متوفرة أمامه عبر اهتمام النخب السياسية بنشر القيم السياسية التي تحتاج لأجيال حتى تبلور على أرض الواقع لتحقيق حالة من الاستقرار والأمن. وما إن تتحقق تلك الفضيلة في تلك النخب وخروج المجتمع إلى دائرة الحضرة والتمدين وقيام المجتمع السياسي، فإن الامر يستوجب التركيز على قيمة التسامح السياسي بين تلك النخب، وهو ما سيتم تناوله في المطلب التالي.

(22) بيتر كول، فوضى خطوط الحدود: تأمين حدود ليبيا، (أوراق كارنيغي، أكتوبر 2012)، ص 13.



المطلب الثالث: قيمة التسامح السياسي داخل منظومة القيم السياسية للمجتمع الليبي

يمكن القول أن النظام الليبي ما قبل 2011 كان يعتبر من أشد النظم السياسية شمولية، حيث كانت ليبيا غائبة عن المناخ الديمقراطي، فلاوجود للأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني وجماعات الضغط ولا وجود أيضاً للحريات الأربعة، (حرية الرأي والتعبير، حرية العبادة، التحرر من الحاجة، التحرر من الخوف). إن الحياة السياسية في ليبيا (الجماهيرية) كانت تقوم على الحزب الواحد والبرلمان الواحد (مؤتمر الشعب العام – واللجنة الشعبية العامة)، كما أن التوجه الأيديولوجي للدولة كان مخالف لمفاهيم الديمقراطية، فمن خلال مقولاته "من تحزب خان – والحزبية اجهاض للديمقراطية" تم إلغاء التنوع والتعددية داخل المجتمع السياسي، وهكذا لم يكن هناك وجود للتسامح السياسي الذي يعتبر بمثابة العصب الرئيسي للحياة السياسية للمجتمعات المعاصرة.

بعد وتشكيل المجلس الانتقالي وسقوط نظام القذافي، وبعد الانتهاء من انتخابات أعضاء المؤتمر الوطني، وبعد تعثر الحكومات المتعاقبة في تشكيل حكومة قادرة على تحقيق الأمن والاستقرار، ومن خلال الثقافة السياسية الهشة للنخب السياسية الليبية، فقد عجزت كلها في إيجاد مخرج للفراغ السياسي الذي سيطر على الدولة الضعيفة التي هي في الواقع نتاج طبيعي للحقبة السابقة. في نفس السياق، صدر قانون العزل السياسي (الذي تم اعتماده تحت تهديد السلاح)، حيث يحدد هذا القانون من يستطيع أن يشارك في الحياة السياسية في ليبيا ومن لا يحق له المشاركة بموجب هذه القانون.⁽²³⁾

ووفقاً لهذا القانون، إنشأت هيئة تسمى (هيئة تطبيق معايير النزاهة في تولي المناصب العامة) التي أقصت عبر مقرها بالعاصمة طرابلس عدد من كبار المسؤولين مما أدى إلى فقدان أكثر البيروقراطيين خبرة في ليبيا لوظائفهم بحجة انتمائهم للنظام السابق وهو ما ترتب عنه انخفاض في القدرات المؤسسية الإدارية والسياسية في الدولة الليبية.⁽²⁴⁾

⁽²³⁾ زهير حامدي، ثلاث سنوات على الثورة الليبية: التحديات والمآلات، (الدوحة: مجلة سياسات عربية، العدد 7، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مارس 2014)، ص 91.

⁽²⁴⁾ رومان ديفيد، هدى مزبودات، إعادة النظر في قانون العزل السياسي في ليبيا: تغيير في الوجوه أم تغيير في السلوك، (جامعة ستانفورد للتحويلات العربية، سلسلة أوراق رقم 4، مارس 2014)، ص ص 3-5.

من ناحية أخرى، تأججت العديد من الصراعات القبلية بعد سقوط نظام القذافي بسبب الرغبة في السيطرة على النفوذ السياسي وملكية الأراضي العامة، حيث تم الاعتداء على عدة قبائل كانت محسوبة على النظام السابق بحجة أن القبائل المهاجرة لم تحصل على امتيازات قبل 2011 كما حدث لقبائل مثل بني وليد وتاورغاء وككله، وورشفانة وهذا أعتبر ضربة قوية في مقوم السماح السياسي للمجتمع.⁽²⁵⁾

أما بخصوص مسألة تداول السلطة بين الحكومات المتعاقبة وفقدان النخب السياسية لقيم الثقافة السياسية المشاركة والمواطنة الفاعلة والنضج السياسي وقيمة التسامح السياسي (لاسيما لدى المتصدين للمشهد السياسي) أدي كل ذلك خلق نظام سياسي في ليبيا تمثل في برلمانين وحكومتين ومصرفين مركزيين للدولة، وبذلك تنتقل ليبيا من دولة ضعيفة من دول العالم الثالث إلى دولة فاشلة بسبب فقدان النخب المسيطرة لقيمة التسامح السياسي وعجزهم في ايجاد الاستقرار السياسي والاقتصادي للبلاد.

المطلب الرابع: الانتماء السياسي داخل منظومة القيم السياسية للمجتمع الليبي:

يعرف الانتماء السياسي بأنه الانتماء الى الاوطان أو الدوائر السياسية الاخرى، فالانتماء للوطن يعبر عنه بالوطنية، أما الانتماء لنظم الحكم والاتجاهات السياسية فأنها تدخل تحت مظلة الايديولوجيا، غير أن الانتماء (بنظرة أكثر عمقا) مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافة السياسية بل يعتبر من أبرز مضامينها، بمعنى أن الانتماء يكون دائماً نتيجة للقيم السياسية الاخرى، فمثلا تدني مستوى السماح السياسي أو الروح المدنية وحتى المواطنة داخل الثقافة السياسية لمجتمع معين فإن ذلك يؤدي إلى تدني مستوى قيمة الانتماء السياسي لدى أفراد المجتمع السياسي.

وفقاً للتوجهات أو التفسيرات الماركسية، يمكن اعتبار الانتماء السياسي بمثابة نقيض الاغتراب السياسي، حيث تصف الفرد في حالة اغتراب عن بيئته التي يعيش فيها لكونه لا يمتلك وسائل الانتاج، فهو يعمل لصالح الغير. وفقاً لذلك، الانتماء السياسي يعني المواطنة والسماح السياسي والروح المدنية وكل القيم السياسية مثل الثقافة السياسية والمشاركة السياسية. بالمقابل، فإن أكثر مؤشرات ضعف الانتماء السياسي يكمن في التفكك الاسري وتفسخ العلاقات الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد وعدم الشعور بالارتباط بالوطن علامة واضحة عن غياب

⁽²⁵⁾ خالد حنفي علي، دولة مزروعة السيطرة: محفزات وكوابح تفكك ليبيا بعد الثورة، (القاهرة: ملحق مجلة السياسة الدولية، تحولات استراتيجية، العدد 195، يناير 2014)، ص20.



الروح المدنية، في حين أن عدم المبالاة بالشأن العام وغياب المشاركة الفاعلة في البناء والتنمية وربط الهوية والانتماء بالمردودات المادية والاقتصادية البحتة تعد مؤشر عن تدني مستوى المواطن. وأخيراً، يعتبر التعصب إلى الانتماءات القبلية والجهوية والايديولوجية وعدم قبول الآخر دليل على تدني مستوى السماح السياسي.⁽²⁶⁾

في هذا الصدد، يمكن القول أن الأدبيات ذات العلاقة تشير بأن الانتماء السياسي يعتبر من أهم مؤشرات تكامل المجتمع السياسي، حيث المجتمع الذي تسودها ثقافة سياسية مشاركة يتميز أفرادها بولائهم نحو الدولة ككل بما يتضمنه ذلك من شعور بالمسؤولية العامة وإعلاء المصلحة العامة على المصلحة الخاصة. أما المجتمعات التي تسودها ثقافة سياسية تقليدية يغلب على أفرادها الولاء المحلي، حيث يتمحور على أسرته أو قبيلته أو جماعته، وعادة ما يصاحب ذلك غياب الشعور بالمسؤولية العامة والانغلاق على المصالح الذاتية والمحلية.⁽²⁷⁾

وبالتركيز على المجتمع الليبي، ترى هذه الدراسة أن الارتباط بالدولة القطرية ككيان يعتبر منخفض بين الطلاب الليبيين، وأن الانتماء السياسي للدولة يعتبر ضعيفاً، ومرد ذلك كله يعود إلى قوة الانتماء للعروبة والإسلام من ناحية، وديمومة أهمية الوحدات التقليدية للهوية كالقبلية والعائلة، التي تمثل شبكة للمصالح الشخصية لكونها تمثل البديل عن مؤسسات الدولة الرسمية، وذلك من خلال قدرتها على تجميع وتحقيق المصالح بالنسبة لأفرادها.⁽²⁸⁾

وطالما إن الثقافة السياسية ذات مضامين مترابطة مع بعضها البعض، بحيث أي خلل في أحد القيم السياسية يؤدي بالضرورة إلى الإخلال بباقي القيم السياسية للمجتمع، فغياب قيمة الانتماء السياسي داخل المنظومة القيمية للمجتمع السياسي سيقود بلا شك إلى انهيار كامل في باقي القيم السياسية. بمعنى آخر، كلما كانت قيمة الروح المدنية غائبة عن القيم السياسية في المجتمع الليبي، كلما أدى ذلك إلى ضعف واضح في الانتماء والولاء للدولة. وعليه، فإن حالة الفوضى التي يعاني منها المجتمع الليبي (بسبب غياب قيمة الروح المدنية) دفعت المجتمع إلى حالات الانقسام وتجزئة الانتماءات والولاءات.

وفقاً لما ذكر أعلاه، يمكن القول أن تدني قيمة السماح السياسي لدى النخب السياسية التي تصدر سدة الحكم في الدولة الليبية، أسهم بشكل كبير في عملية انقسام المجتمع إلى انتماءات

(26) نادية مصطفى، وآخرون، دوائر الانتماء وتأسيس الهوية، القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، 2013، ص 12-15.

(27) كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين، أطروحة دكتوراه. القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1978، ص 29.

(28) أمال سليمان، التنشئة السياسي لطلبة المدارس في ليبيا، رسالة ماجستير (غير منشورة)، بنغازي: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة قارون، 1991، ص 152-154.

ولاءات مختلفة أدت في المجمل الى دفع بالمجتمع الليبي إلى حالة قد توصف بالحرب أهلية بين المكونات السياسية داخل البناء السياسي للدولة الليبية، فالحكومتان والبرلمانان والمصرفين المركزيين ووزارتي الخارجية أدت في نهاية المطاف أن تكون الدولة الليبية ساحة للصراع الدولي.

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة الى تحليل منظومة القيم السياسية للمجتمع الليبي، وذلك بغية التعرف على تركيبة هذه المنظومة القيمية وأهم مقوماته ومدى تأثير هذه القيم على بنية المجتمع الليبي وفاعليتها على إعادة بناء الدولة بعد ثورة السابع عشر من فبراير 2011، حيث تم التركيز في هذه الدراسة على القيم السياسية المتمثلة في قيمة الانتماء السياسي وقيمة الروح المدنية وقيمة السماح السياسي، والتي تعتبر من أهم القيم السياسية والتي يستوجب توافرها داخل كل منظومة قيمية لأي مجتمع سياسي يسعى لبناء دولة سياسية معاصرة ومتماسكة.

من خلال هذه الدراسة، تم التركيز بالأساس على قيمة الروح المدنية (التي تعنى الانتقال من الفوضى والعنف إلى الحياة المدنية والمتحضرة) داخل المجتمع الليبي خلال مرحلة ما بعد 2011، حيث توصلت عبر ما تم عرضه وتحليله من مؤشرات حول هذه القيمة السياسية إلى نتيجة مفادها أن المجتمع الليبي مازال غير مؤهل للوصول إلى المجتمع السياسي. أما بخصوص قيمة السماح السياسي وما تجسده من مؤشر رئيسي في بناء الدولة الديمقراطية المنشودة، فإن الدراسة توصلت إلى مؤشرات على ما يبدو بأن مسألة الاستقرار السياسي في ليبيا تعتبر (وفقاً للأدلة التي تمت دراستها) صعبة التحقيق في ظل الظروف التي تعيشها البلاد في هذا الوقت.

وكنتيجة لذلك، طالما أن قيمتي الروح المدنية والسماح السياسي غير متوافرتين في النسق القيمي للمجتمع الليبي خلال هذه المرحلة، فإن قيمة الانتماء السياسي للدولة تصبح هي الأخرى غائبة بسبب ارتباطها الوثيق بالقيمتين السابقتين لها. وعليه فإن المجتمع الليبي في طريقه ربما إلى مزيد من التفكك والانحلال في علاقاته الاجتماعية، وأن هذا المجتمع متجه إلى التفسخ في علاقاته الاجتماعية طالما هناك عدم إحساس ومبالاة بالشأن العام وغياب المشاركة الفاعلة في البناء والتنمية داخل الدولة.

إلا أن هذه الدراسة ترى هناك احتمالية قائمة يمكن من خلالها إعادة قيام الدولة الليبية المرجوة، وهذه تتمثل في التركيز على النخب السياسية الوطنية الليبية والعمل على تقويه وتعزيز القيم السياسية المتمثلة في الروح المدنية والسماح السياسي وقيمة المواطنة داخل المجتمع الليبي.



النتائج والتوصيات:

من خلال الادوات المنهجية المتبعة في الدراسة من مناهج ومداخل، فإن هذه الدراسة توصلت بعض النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي:

أولاً: النتائج/

1. تدني مستوى قيمة الروح المدنية داخل المكون الثقافي للمجتمع الليبي، الامر الذي أدى الى أن يكون هذا المجتمع خارج إطار التحضر والمدنية وهذه تعتبر (وفقاً لهذه الدراسة) أحد أهم المعوقات في طريق تأسيس دولة المواطنة والمؤسسات.
2. غياب قيمة التسامح السياسي لدى المتصدرين للمشهد السياسي الليبي أدى الى خلق بيئة سياسية في المجتمع الليبي لا تتقبل بأي شكل الطرف الآخر غير قادرة على تقبل الآخر.
3. طالما هناك تدني في قيمتي الروح المدنية والسماح السياسي داخل المنظومة الثقافية السياسية للمجتمع الليبي، فإن هذه الدراسة ترى مسألة قيام الدولة الليبية المنتظرة تعتبر فيما يبدو غاية صعبة التحقيق في المدى المنظور.

ثانياً: التوصيات/

1. توصي هذه الدراسة بضرورة السعي على تقوية قيمة الروح المدنية لدى القادة السياسيين والنخب السياسية في المجتمع الليبي باعتبارها السبيل الأمثل لإخراج المجتمع من حالة التشظي والانقسام والوصول الدولة الليبية الى حالة الاستقرار والامن السياسي.
2. هذه الدراسة تؤكد على أهمية العمل على تثقيف النخب السياسية الليبية وتعريفهم بقيمة السماح السياسي وضرورة تقبل الآخر، الى جانب ترسيخ مبدأ روح المنافسة السليمة بين الاحزاب السياسية.
3. الدراسة توصي بضرورة العمل على توعية المجتمع الليبي بالثقافة السياسية المشاركة، باعتبارها أداة هامة لتنمية وتعزيز الانتماء بين أفراد المجتمع الليبي وأن يكون الولاء فقط للدولة الليبية.
4. هذه الدراسة توصي بضرورة إقامة استراتيجيات وخطط مدروسة على مستوى الدولة الليبية تهدف الى تقوية الشعور والوعي بالمسؤولية العامة وإعلاء المصلحة العامة على المصالح الأخرى سواء كانت مناطقية أو فئوية.

المراجع:

1. أمال سليمان، التنشئة السياسي لطلبة المدارس في ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، (بنغازي: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة قاريونس، 1991).
2. أمال سليمان، الهوية في ليبيا: (دراسة ميدانية، مجلة المستقبل العربي، العدد الخامس-2001).
3. إنطوان مسرة، الأمن الإنساني: عناصر استراتيجية معاصرة للتسامح (المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 11، أبريل 2006).
4. بيتر كول، فوضى خطوط الحدود: تأمين حدود ليبيا، (أوراق كارنيغي، أكتوبر 2012).
5. حسن منصور، الانتماء والاغتراب، (الرياض: دار جرش، 1989).
6. خالد حنفي علي، دولة مزووعة السيطرة: محفزات وكوابح تفكك ليبيا بعد الثورة، (القاهرة: ملحق مجلة السياسة الدولية، تحولات استراتيجية، العدد 195، يناير 2014).
7. خليل عبد الرحمن المعايضة، علم النفس الاجتماعي (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2000).
8. رتشارد داوسون وآخرون، التنشئة السياسية، ترجمة مصطفى خشيم، محمد زاهي المغربي، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1990.
9. رومان ديفيد، هدى مزيودات، إعادة النظر في قانون العزل السياسي في ليبيا: تغيير في الوجوه أم تتغير في السلوك، (جامعة ستانفورد للتحولات العربية، سلسلة أوراق رقم 4، مارس 2014).
10. زهير الحامدي، ثلاث سنوات على الثورة الليبية "التحديات والمآلات"، (الدوحة: سياسات عربية (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد السابع، مارس 2014).
11. زهير حامدي، ثلاث سنوات على الثورة الليبية: التحديات والمآلات، (مجلة سياسات عربية، العدد 7، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، مارس 2014).
12. سميح الكراسنة، وآخرون، الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة، (عمان: المجلة الاردنية في الدراسات الاسلامية، العدد الثاني، 2010).
13. طارق عبد الوهاب، دراسة نفسية بين المشاركين وغير المشاركين سياسياً " سيكولوجيا المشاركة السياسية" (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 1999).
14. علي عبد اللطيف أحميدة، "غياب الحوار الوطني في ليبيا: تحديات وعوائق"، (ليبيا المستقبل مارس-2014).
15. فرج طه، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، (الكويت: دار سعد الصلاح، 1993).
16. كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين، أطروحة دكتوراه، (القاهرة: جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1978).
17. لويس مليكه، سيكولوجيا الجماعة والقيادة (الجزء الأول)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989).



18. ماجدة العربي، الآثار الاجتماعية للانقسام السياسي في ليبيا، (طرابلس: المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، 2015).
19. محمد نجيب بو طالب، الابعاد السياسية للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية: مقارنة سوسيولوجية للثورتين التونسية والليبية، سلسلة دراسات وأوراق بحثية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011.
20. هويدا عدلي رومان بطرس، حول مفهوم التسامح السياسي، (القاهرة: مجلة الديمقراطية، العدد الثاني (صيف 2001).
21. هويدا عدلي، حول مفهوم التسامح، (مجلة الديمقراطية، العدد الثالث، ربيع-2001).
22. هويدا عدلي، رومان بطرس، المقاومات الثقافية للمجتمع المدني في مصر – دراسة في التسامح السياسي لدى النخبة السياسية من 1982 – 1993. أطروحة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة: كلية العلوم السياسية جامعة القاهرة، 1998).

واقع الإبداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد من وجهة نظر المعلمين والمعلمات.

أ. صالح عبد الرحمن صالح أبو كراع

جامعة بني وليد - كلية التربية - قسم الإدارة التعليمية والتخطيط التربوي

أولاً: الإطار المنهجي للبحث:

● مقدمة البحث:

إن المحور الجوهري للمنظمات المعاصرة المبدعة يقوم على تطويرها لبيئة تنظيمية تعمل على بلورة الاتجاهات الإبداعية في منهج فكري وعلمي، يقوم على قيم ومعايير وممارسات وظيفية تنعكس على تحسين أداء العاملين في المنظمة.

والنظام الإداري المرن الذي لا يتصف بالتعقيد أو الجمود، والمناخ التنظيمي الذي تسوده الثقة بين العاملين والتي هي أساس تنمية الاتصال المفتوح الذي يساعد بدوره على تدفق المعلومات وحل المشكلات، من شأنها أن تؤثر على السلوك الإبداعي وتحسين أداء المنظمة على حد سواء.

والإبداع والابتكار من الضرورات، والعناصر المهمة، والسمات الأساسية التي ينبغي توفرها في مدير المدرسة العصري، وذلك نتيجة لتزايد الطموحات، وتعدد الحاجات، وتنوعها، وتشكل ظاهرة العولمة وما تفرضه من تحديات في نواحي الحياة ومجالاتها جميعاً نقطة جوهريّة في ضرورة الأخذ بالإبداع والابتكار في إدارة العملية التعليمية، وقيادة مدرسة العصر. وهي بلا شك أحوج ما تكون إلى أسلوب يحمل بين طياته الإبداع والابتكار والتجديد في مناحي العمل الإداري كلها⁽¹⁾.

إن مدير المدرسة العصري لا ينبغي أن يقف عند حد معين من الكفاءة والفعالية ولا أن يقتنع بما وصل إليه من أدائه لعمله بإخلاص، إذ لا بد أن يكون لديه الطموح والدافعية لأبعد من ذلك بكثير، ومن ذلك أن يكون على استعداد تام للتكيف مع متطلبات العصر، من خلال تفجيره للطاقات الإبداعية الكامنة في النفس، وحفز القدرات الابتكارية في العاملين معه، بحيث يصبح

(1) عبد الفتاح الخواجا، تطوير الإدارة المدرسية، دار الثقافة، عمان، المملكة الأردنية 2004م



الإبداع والابتكار والتجديد والمرونة المحك الأساسي الذي يدير به العملية التعليمية بمدرسته، وفي تحركاته في المجتمع المدرسي⁽¹⁾.

• مشكلة البحث وتساؤلاته:

من خلال إشراف الباحث على برنامج التربية العملية الخاص بكلية التربية في العديد من مدارس التعليم الثانوي بمدينة بني وليد لاحظ أن الأسلوب الإداري التقليدي لا يزال سائداً في أغلب الإدارات المدرسية، وهو أسلوب لم يعد قادر على مواكبة التطورات والتحديات نظراً لاتصافه بالجمود والمركزية، والتقييد بالأنظمة واللوائح والقوانين التي تعيق عملية الإبداع الإداري. يأتي هذا البحث للتعرف على واقع الإبداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد، من خلال الإجابة عن التساؤل التالي:

- ما واقع الإبداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد وفق الأبعاد التي تم تحديدها في البحث وهي: (الطلاقة، المرونة، الأصالة الحساسة والمشكلات)؟

• أهداف البحث: تتلخص في التعرف على واقع الإبداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد وفق أبعاد البحث.

• أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

1- التعرف على نقاط القوة والضعف في أداء المهام الإدارية لمديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي.

2- قد يساعد في تحديد المعايير والأسس التي يتم من خلالها اختيار مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي وتعيينهم.

3- قد يساهم في الكشف عن مدى الحاجة لتدريب مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي.

- حدود البحث:

1- الحدود الموضوعية: التعرف على واقع الإبداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد من وجهة نظر المعلمين والمعلمات.

2- الحدود البشرية: وهي عبارة عن عينة عشوائية من مجتمع معلمي ومعلمات مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد.

(1) محمد حسن شقور، الإدارة المدرسية في عصر العولمة، ط 3، دار المسيرة، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية

- 3- الحدود المكانية: مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد.
- 4- الحدود الزمنية: تم تطبيق هذا البحث العام الدراسي 2019-2020 م.

- مفاهيم ومصطلحات البحث:

- **الإبداع:** هو العملية التي يمر بها الفرد عندما يواجه مواقف ينفعل بها، ويعيشها بعمق، ثم يستجيب لها بما يتفق وذاته، مما يؤدي إلى تحسين أدائه وتطويره، ويعبر عن تفرد⁽¹⁾.
- **التعريف الإجرائي للإبداع الإداري:** هو استجابات عينة الدراسة من معلمي ومعلمات مرحلة التعليم الثانوي لواقع الإبداع الإداري كما حددته أداة الدراسة.
- **مدير المدرسة:** هو فرد في المدرسة مسؤول عن أداء مجموعة من المرؤوسين بغرض تحقيق أهداف المدرسة وذلك من خلال ما يقوم به من وظائف للعملية الإدارية من تخطيط وتنظيم وصنع واتخاذ القرار وقيادة وتوجيه ثم الرقابة مع الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة في المدرسة⁽¹⁾.

ثانياً: الإطار النظري للبحث:

- **مفهوم الابداع الإداري:** يعرف الابداع في اللغة على انه يأتي من بدع، وبدع الشيء بمعنى أنشأه أولاً، فالمبدع هو الذي يأتي أمراً لم يسبقه أحد فيه⁽²⁾.
- و عرف (حوامدة وحراشة) الابداع الإداري بأنه "جميع العمليات التي يمارسها الفرد داخل المنظمة وتسم بالأصالة والطلاقة والمرونة والمخاطرة والقدرة على التحليل والخروج من المألوف، سواء للفرد نفسه أو للمنظمة التي يعمل بها، والحساسية للمشكلات التي تنتج عن التفاعل مع البيئة المحيطة"⁽³⁾.

(1) خبراء مركز الخبرات المهنية للإدارة، منهج الإدارة العليا: التفكير الإبداعي وقرارات الإدارة العليا، ط3، مركز الخبرات المهنية للإدارة، القاهرة، 2004م

(1) خالد الحر، الإدارة والمدير، منشورات مركز إدارة الموارد البشرية، الرياض، 2005م

(2) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، 1997م، ص330

(3) باسم حوامدة، محمد حراشة، مستوى الابداع الإداري لدى القادة التربويين في مديريات التربية والتعليم في الأردن، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد (18)، الرياض، 2006م، ص494



وعرف (محمد وموسى) الابداع الإداري في المدرسة بأنه "قدرة المديرين والعاملين بالمدارس على استخدام أساليب التفكير الحديثة والقدرات العقلية والذهنية لابتكار طرق وأساليب جديدة للعمل لم تكن معروفة من قبل، وتكون أكثر كفاءة وفاعلية في رفع كفاءة المؤسسات التعليمية، وتجويدها باستمرار وزيادة قدرتها التنافسية"⁽⁴⁾.

وعرف (جروان) الإبداع بأنه عبارة عن "مزيج من القدرات والاستعدادات والخصائص الشخصية التي إذا وجدت بيئة مناسبة، يمكن أن ترقى بالعملات العقلية لتؤدي إلى نتائج أصيلة ومفيدة للفرد، أو المنظمة، أو المجتمع، أو العالم" وعرفه أيضاً بأنه "سمات استعدادية تضم الطلاقة في التفكير والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات وإعادة تعريف المشكلة وإيضاحها بالتفصيلات أو الاسهاب"⁽¹⁾.

• مدير المدرسة المبدع: يعرف (حوامدة وحوارشة) المدير المبدع بأنه "قدرة المدير على إيجاد واستخدام أساليب وأفكار ووسائل ومهارات مفيدة للعمل بحيث تلقى هذه الأفكار والأساليب التجاوب الأمثل من قبل العاملين، وتحفز ما لديهم من قدرات ومواهب لتحقيق الأهداف الإنتاجية والأدائية الأفضل"⁽²⁾. أما (أنجود) فعرفته بأنه "قيام مدير المدرسة بوضع استراتيجيات مبتكرة لإجراء تحسين وتجديد شامل في السياسات والإجراءات والوسائل والتقنيات وأساليب العمل وفي منهجية التعامل في البيئة المدرسية بما يسهم في جودة الأداء والوصول إلى حلول مبتكرة جديدة للقضايا والمشكلات التي تحدث في البيئة المدرسية وهذا من شأنه تفعيل العملية التعليمية وزيادة قدرة المدرسة على التكيف والتميز"⁽³⁾.

• أهمية الابداع الإداري: إن الإبداع يُغني حياة الأفراد ويمنحهم القوة على الإنتاج الأفضل لهم وللآخرين، ويرى (ديفز) أن الإبداع نمط حياة، وسمة شخصية، وطريقة لإدراك العالم،

(4) ماهر محمد، عمر موسى، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالإبداع الإداري للقيادات الإدارية، المجلة العلمية لكلية التربية، مجلد(28)، العدد(2)، أسيوط، مصر، أبريل 2012م، ص28

(1) فتحي جروان، الابداع (مفهومه، معايير، نظرياته، قياسه، تدريبه، مراحل العملية الإبداعية)، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 2009م، ص21-22

(2) باسم حوامدة، محمد حراحشة، مستوى الابداع الإداري لدى القادة التربويين في مديريات التربية والتعليم في الأردن، مرجع سابق، ص497

(3) أنجود بلواني، دور الإدارة المدرسية في تنمية الابداع في المدارس الحكومية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008م، ص14

فالحياة الإبداعية تتمثل في تطوير مواهب الفرد، واستخدامه لقدراته وتوظيفها في إنتاج الجديد المختلف والمفيد، وتظهر أهمية الإبداع في المجالات الآتية:

- 1- تطور قدرة الفرد على استنباط الأفكار الجديدة، وتطوير الحساسية لمشكلات الآخرين.
- 2- يساعد الفرد في الوصول للحل الناجح للمشكلة بطريقة أصيلة.
- 3- يعد مهارة حياتية يمارسها الفرد يوميا، ويمكن تطويرها من خلال عملية التعلم والتدريب.
- 4- يُسهم في تحقيق الذات الإبداعية وتطوير النتاجات الإبداعية، والإسهام في تنمية المواهب وإدراك العالم بطريقة أفضل.
- 5- يجعل الفرد يستمتع باكتشاف الأشياء بنفسه.
- 6- يُسهم في تطوير اتجاهات إيجابية نحو حلول المشكلات، والتحديات التي تواجه الأفراد في حياتهم العادية.
- 7- يؤدي إلى الانفتاح على الأفكار الجديدة، والاستجابة بفاعلية للفرص والتحديات والمسؤوليات لإدارة المخاطر والتكيف مع المتغيرات.
- 8- يسهم في مساعدة الأفراد على تلبية ميولهم ومواهبهم وتنميتها.
- 9- يسهم في تطوير قدرة الفرد على التعامل مع التحديات والمواقف الحياتية بطريقة أكثر إبداعية⁽¹⁾.

• أنواع الإبداع الإداري: يصنف الإبداع الإداري في المنظمات تبعاً لمجال (موضوع) الإبداع:

- 1- إبداع يرتبط بالأهداف ويتضمن الغايات التي تسعى المنظمة لتحقيقها.
- 2- إبداع يرتبط بالهيكل التنظيمي، ويتضمن القواعد، والأدوات، والإجراءات، وإعادة تصميم العمل، وتحسين العلاقات بين الأفراد والتفاعل فيما بينهم.
- 3- إبداع يرتبط بالمنتج أو الخدمة، ويتضمن إنتاج منتجات وخدمات جديدة.
- 4- إبداع يرتبط بخدمة المستفيدين، ويتضمن التركيز على تقديم خدمات للمستفيدين تفوق توقعاتهم.
- 5- إبداع يرتبط بالعملية، ويركز على الكفاءة والفاعلية، ويتضمن عمليات متطورة داخل المنظمة، تشمل عمليات التشغيل وإدارة الموارد البشرية.

⁽¹⁾ حسين الشاعر، الإبداع الإداري وعلاقته بالمهارات القيادية لدى مديري مدارس وكالة الغوث الدولية بمحافظة غزة رسالة ماجستير "غير منشورة" كلية التربية، جامعة الأزهر، فلسطين 2016، ص 22-23



6- وقد يكون الإبداع جذرياً، يؤدي إلى إيجاد تغيرات جوهرية في المدرسة، أو قد يكون جزئياً يؤدي إلى تغيرات ثانوية، كما قد يكون الإبداع غير مخطط له⁽²⁾.

• مكونات الابداع الإداري: لكي نتعرف على الابداع الإداري بشكل أدق لابد من التعرف إلى مكوناته أو القدرات التي يتكون منها وهي:

- 1- **الطلاقة:** وتعني القدرة على خلق أفكار أو بدائل جديدة بشكل أسرع، ومن أنواعها:
- **الطلاقة اللفظية:** وتعني قدرة الفرد على إنتاج أكبر عدد ممكن من الكلمات التي تتصف بصفات محددة.
- **الطلاقة الفكرية:** وتعني قدرة الفرد على إعطاء أكبر عدد ممكن من المعاني أو الحلول لمشكلة أو عناوين لفقرة أو استعمالات ممكنة لشيء ما.
- 2- **المرونة:** وتعني قدرة الفرد في التفكير في أكثر من اتجاه، كما تعني قدرة الفرد على التغير بسهولة من موقف إلى آخر وتتضمن عاملين هما:
- **مرونة التكيف:** وتعني قدرة الفرد على تحويل تفكيره إلى اتجاه آخر ويبدأ الحل بطريقة أخرى قد توصله للحل النهائي.
- **المرونة التلقائية:** وتشير إلى سرعة الفرد في إعطاء استجابات متنوعة تنتهي إلى اتجاه واحد أو مظهر واحد.
- 3- **الأصالة:** وتعني قدرة الفرد على إعطاء استجابات جديدة ومتنوعة، ونعتبر هذه الخاصية من أكثر الخصائص ارتباطاً بالتفكير الإبداعي.
- 4- **الحساسية وحل المشكلات:** وهي القدرة على إيجاد المشكلات واكتشافها وتحديد المعلومات الناقصة، وطرح التساؤلات الجيدة⁽¹⁾.
- **نظريات الابداع الإداري:** يرى (البرجاوي) أن نظريات الابداع ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب، وهي كثيرة ومتعددة وتمتد جذورها ببواكير الفلسفة وارهاساتها الأولى المتغلغلة في أعماق التاريخ، فهير اقليطس وسقراط وأفلاطون وأرسطو كانوا أول من تحدثوا عن هذه

⁽²⁾ علي الحاجز وآخرون، دور القيادة المدرسية في تنمية الابداع لدى معلمي مرحلة المدارس الثانوية بمحافظة غزة،

مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد(18) عدد(1) 2010م ص 1-37

⁽¹⁾ هند العشري، مقترح لاستخدام مدخل الابداع الإداري بمدارس التربية الخاصة بمصر، مجلة كلية التربية، جامعة

دمياط، العدد (75) أكتوبر، مصر 2020م ص 336

النظريات، وقد اختلفت النظريات في تفسير الابداع وتحديد معناه وتباين معالمه، وفيما يلي عرض لبعض هذه النظريات:

1- **نظرية الإلهام والعبقرية:** تفترض هذه النظرية أن الأعمال الإبداعية تظهر بشكل فطري في لحظات إحياء، بغض النظر عما أنجز سابقاً، وبمَعزِل عن التجارب والخبرات المتوفرة عند المبدع، وبناء على ذلك فإن المبدع - حسب هذه النظرية - يستحضر الخيال الخصب، لكن يستلزم التنظيم والتوجيه والقدرة على الحكم.

2- **نظرية التحليل النفسي (السيكولوجية):** هذه النظرية تزعمها (سيجموند فرويد) تهتم بدراسة الدوافع النفسية، أي العوامل الداخليّة (وليس الخارجية) التي تدفع بالمبدعين إلى إنجاز أعمالهم الإبداعية، وترتكز على أن الصراعات الداخلية للفرد والتي ظُلت مكبوتة تولّد عنده الإبداع في مرحلة معيّنة، وكأنه تفجيرٌ للمشاعر والأحاسيس والغرائز، وكأنه يحاول إشباع غرائزه بجَرِّ هذا الإبداع.

3- **النظرية العقلية:** تذهب هذه النظرية إلى أنّ الإبداع نتاج العقل ووليد الفكر، وأن أي عمل مبدعٍ كائنًا ما كان لا يمكن أن يرى النور إلا إذا مسّته عصا العقل البشري، وإلا خضع لتأمل وروية، وإرادة وإصرار.

ورأى (جيلفورد) - وهو من أبرز أصحاب هذه النظرية - أن الإبداع هو تنظيم يتكون من عدد من القدرات العقلية، منها الطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية تجاه المشكلات.

4- **نظرية القياس النفسي:** تعتبر هذه النظرية امتدادًا لحركة القياس النفسي، والتي بدأت مع العالم الفرنسي (ألفرد بينيه) في تطوير أول اختبار لقياس الذكاء، وترتكز على قياس الذكاء وعلى وجود علاقة بين السلوك والذكاء والإبداع، وعلى أن الإبداع - كما الذكاء - يجب أن يخضع للبحث التجريبي والقياس، وهو موجود لدى كل الأفراد وبنسبٍ متفاوتة، حيث يمكن قياسه وتحديده.

5- **النظرية الاجتماعية:** تؤكد هذه النظرية على دور المناخ والوسط الاجتماعي في عملية الإبداع وفي النتائج الإبداعي، وتأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للإبداع، وكذلك تأثير العوامل التربوية.

لقد أشار (جيرارد) إلى ذلك بقوله: "إن تصوراتنا المبدعة بكاملها ليست نتاجًا لدماغ معزول، بل لدماغ كان مرتبطًا بالتفاعل مع الناس الآخرين وبتاريخ الحضارة بكاملها".

6- **نظرية حل المشكلة بطريقة إبداعية:** تفترض هذه النظرية أن العملية الإبداعية هي عملية إيجاد حل إبداعي لمشكلة غير عادية، وقد اعتمد هذا الأسلوب في إجراء دراسة



مكتّفة حول طبيعة العملية الإبداعية وتعليم الإبداع، حيث انعكس بصورة إيجابية على تطوير برامج تربوية بهدف تقوية الإبداع لدى المتعلمين خلاف من يعتقد أن تفعيل القدرة على التخيل هي المفتاح لعملية الحل الإبداعي لأي مشكلة⁽¹⁾.

• معوقات الإبداع الإداري: يرى (المعاني) أن هناك مجموعة من العوامل التي تحد من

- الإبداع بشكل عام وتحول دون تنميته وتمنع استفادة المنظمات المختلفة منه وهي:
- 1- الخوف من التغيير ومقاومة المنظمات له، وتفضيل حالة الاستقرار وقبول الوضع الراهن.
- 2- انشغال المديرين بالأعمال اليومية الروتينية، ورفض الأفكار الجديدة واعتبارها مضيعة للوقت.
- 3- الالتزام بحرفية القوانين والتعليمات والتشدد في التركيز على الشكليات دون المضمون.
- 4- مركزية الإدارة، وعدم الإيمان بتفويض الأعمال الروتينية البسيطة للعاملين.
- 5- عدم الإيمان بأهمية المشاركة من قبل العاملين.
- 6- نبذ الزملاء، إن الانجاز والتفوق الزائد الذي يتجاوز قدرات الزملاء في مجال العمل، يشعروهم بالخطر والتهديد مما يحفزهم على النيل من الفرد المبدع بالسخرية منه، والتهكم على آرائه والكيد له أو الابتعاد عنه وعزله.
- 7- قلة الحوافز المادية والمعنوية، خاصة المادية منها ما يجعل العاملين منشغلين بتدبير أمورهم الحياتية ومصادر رزقهم وتجنبهم للعمل الإبداعي الذي سيجلب لهم مزيداً من النبذ والمحاربة والعوز.
- 8- القيادات الإدارية غير الكفؤة حيث إن الإدارة تعتبر صاحبة الدور الأساسي في تحفيز العاملين وتوجيههم وإشراكهم في وضع وتنفيذ الأهداف التنظيمية، وخلق التعاون، وإيجاد البيئة المناسبة داخل المنظمة، فإذا ضعفت كفاءة الإدارة، ضعف مقدار الإبداع لدى العاملين.
- 9- الفواصل الرئاسية، أو عدم سهولة الاتصال بين العاملين والمسؤولين في الإدارة العليا ما يعوق وصول الأفكار والمقترحات ويصعب مناقشتها وإيجاد الحلول لمشكلاتها.

(1) سناء السوداني، درجة إدارة الإبداع وعلاقتها بالأداء الإداري لدى مديري المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين 2016م، ص 33-34.

10- معوقات تنظيمية، وتتمثل في تحديد سلوك العاملين بأمور متوقعة وفق الأدوار الرسمية، أي أن الإدارة ترى أن الأدوار والسلوك يجب أن تناقض التوقعات الرسمية في المنظمة، وعليه فكلما زادت هذه الأدوار تحديداً قل مجال الإبداع، وصغرت دائرته، فعندما يحدد الرئيس للموظف أو العامل كل خطوات العمل وتفصيله فإنه لا يترك له مجالاً للإبداع أو طرح الأفكار الجديدة.

11- معوقات مالية تحول دون بذل تكاليف محتملة كتكاليف تغيير الآلات أو تبديل الأنظمة الموجودة أو النماذج أو غير ذلك.

12- ضعف الولاء التنظيمي، مما يؤدي إلى الاكتفاء بإنجاز الحد الأدنى من المهمات الموكلة للمعني ما يجعل منه فرداً متقاعساً غير مبال لا يتوقع منه إبداعاً.

13- التفكير غير المتعمق، كثيراً ما تشكل العادات في التفكير عائقاً أمام الإبداع أو نشوء أية أفكار جديدة، إذ أن التعامل مع الأفكار دون تعمق واعتبار الأفكار والأحداث مسلمات غير خاضعة للبحث والنقاش يشكل حاجزاً كبيراً في وجه الإبداع⁽¹⁾.

ثالثاً: الدراسات السابقة: لقد استطاع الباحث الحصول على عدد من الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت الإبداع الإداري لدى مديري المدارس، وفيما يلي استعراض لتلك الدراسات:

- الدراسات العربية:

1- دراسة بانعمة (2012) بعنوان " القيم المحفزة للإبداع الإداري لدى مديرات المدارس في التعليم الثانوي العام حكومي وأهلي بمكة المكرمة "، واستخدمت المنهج الوصفي المسحي، وصممت استبانة أجاب عنها (517) من مديرات ومعلمات المدارس الثانوية في مدينة مكة. وهدفت الدراسة للتعرف على القيم المحفزة للإبداع الإداري لدى مديرات المدارس، وكانت من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن القيم التنظيمية المحفزة للإبداع الإداري وجدت بدرجة عالية جداً من خلال أبعاد الدراسة (الحرية والاستقلالية في الأداء، والدعم والتحفيز على الانجاز، وروح الفريق والعمل الجماعي، وروح الود والعلاقات الإنسانية الإيجابية، وتكريم الإبداع وتقدير الموظفين)، وتوصلت الدراسة إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط استجابات أفراد عينة الدراسة حول الممارسات التي يمكن أن تحقق الحرية والاستقلالية في الأداء وروح الفريق والعمل الجماعي وإشاعة

(1) أيمن المعاني، الولاء التنظيمي: سلوك منضبط وإنجاز مبدع، مركز أحمد ياسين الفني، عمان، الأردن 1996 ص 91-93



روح الود والعلاقات الإنسانية الايجابية لصالح المديرات مقابل المعلمات، وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط استجابات عينة الدراسة حول الممارسات التي يمكن أن تحقق إشاعة روح الود والعلاقات الإنسانية الايجابية تعزى لمتغير مجال الدورات التدريبية لصالح أصحاب الدورات التدريبية في مجال الإدارة التربوية مقارنة بباقي المجالات.

2- دراسة الهذلي (2010) بعنوان: " إدارة الذات وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى مديرات ومساعدات ومعلمات مدارس المرحلة الثانوية بمدينة مكة المكرمة من وجهة نظرهن"، وتكون مجتمع الدراسة من جميع مديرات المدارس الثانوية والبالغ عددهن (53) مديرة وجميع مساعدات مديرات المدارس والبالغ عددهن (92) مساعدة، وقامت باختيار عينة من معلمات المدارس الثانوية بمدينة مكة المكرمة والبالغ عددهن (214) معلمة، واستخدمت الاستبانة أداة لهذه الدراسة كما استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة: إن مديرات ومساعدات مدارس المرحلة الثانوية يمارسن الإبداع الإداري بدرجة عالية وهناك علاقة ارتباطية موجبة بين درجة ممارسة إدارة الذات ودرجات الإبداع الإداري، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء عينة الدراسة حول درجة ممارسة إدارة الذات والإبداع الإداري تعزى إلى المتغيرات التالية: المؤهل العلمي، وسنوات الخبرة في مجال العمل الإداري، والحالة الاجتماعية.

3- دراسة الليثي (2008): والتي هدفت الى التعرف على دور الثقافة التنظيمية لمدير المدرسة في الإبداع الإداري من وجهة نظر مديري مدارس التعليم الابتدائي بمدينة القدس، وانتهج المنهج الوصفي، وعينة الدراسة كانت من مديري المدارس الابتدائية وبلغ عددهم (115) مديراً، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن درجة ممارسة عنصر الأصالة من عناصر الإبداع الإداري كان بدرجة كبيرة جداً من وجهة نظر المدراء، كما توصل إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات عينة الدراسة حول عناصر الإبداع الإداري لمدير المدرسة وفقاً لمتغير عدد سنوات الخبرة لصالح الذين لهم خدمة بلغت (16) سنة فأكثر، وكذلك نتائج المتوسط لعبارات عناصر الطلاقة، والأصالة، والحساسية للمشكلات، والتحليل، والمخاطرة كان بدرجة كبيرة جداً، إلا أن النتائج لمتوسط عبارات المرونة، والخروج عن المألوف، كان بدرجة كبيرة أيضاً، وأنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابة عينة الدراسة حول عناصر الإبداع الإداري لمدير المدرسة وفقاً لمتغير المؤهل العلمي، وأنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة حول عناصر الإبداع الإداري لمدير المدرسة وفقاً لمتغير

طبيعة المؤهل العلمي (تربوي/غير تربوي)، وكانت الفروق لصالح التربويين على غير التربويين، أيضاً توصلت إلى أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات عينة الدراسة حول عناصر الإبداع الإداري لمدير المدرسة وفقاً لمتغير عدد سنوات الخبرة لصالح الذين خبرتهم (16) سنة فأكثر، بينما لم تظهر أي فروق ذات دلالة إحصائية لصالح الذين خبرتهم أقل من (5) سنوات.

- الدراسات الأجنبية :

4- دراسة بوثا جي (2013) J.R.Botha، والتي تهدف إلى اصلاح المدرسة في ضوء قيادة مدرسية إبداعية واستخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي وتم تطبيقها في مدارس جنوب افريقيا وكانت عينة الدراسة من المديرين، وتوصل في نتائجه: أن مدراء المدارس الآن لا يمكن أن يقودوا مدارسهم بطرق تقليدية قديمة ولذا فإن عليهم أن يستخدموا ممارسات إدارية أكثر إبداعاً، وأنه إذا أردنا نوعية أفضل في مدارسنا فإنه يستوجب علينا أن نقود مدارسنا بشكل مختلف تتطلب طرقاً خلاقة من التفكير.

5- دراسة ترويمان (2003) Toremén هدفت إلى التعرف على العوامل التي يمكن أن يستخدمها المديرون لتكوين بيئة إبداعية في المدرسة، والخصائص التي تميز المناخ التنظيمي الإبداعي في منطقة جوهانسبرغ التعليمية في جنوب أفريقيا. وأستخدم فيها المنهج الوصفي الوثائقي بالاعتماد على الكتب والدراسات ذات العلاقة بموضوع الدراسة. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: إن من العوامل التي تساعد المديرين على تكوين بيئة إبداعية في المدرسة وتقويم الإنجازات بعدالة، وإتاحة الفرصة للعاملين على الرغبة في المجازفة، وعدم الخوف من الفشل، والتعامل مع أخطاء العاملين بالتسامح والرحمة، والحد من البيروقراطية بتركز السلطات في يد واحدة، وتوفير نظام اتصال يسمح بتبادل الخبرات والأفكار، وتشجيع الإبداع الفردي، وتقديم الدعم النفسي، وإعطاء وقت كاف للمبدعين، ومنح الحوافز للمبدعين، وتوفير الإمكانيات المادية اللازمة للإبداع. كما بينت الدراسة أن الإبداع يمكن تعلمه من خلال الجو المساعد والدعم، وأن من الخصائص التي تميز المناخ التنظيمي الإبداعي للعلاقات الإنسانية الإيجابية بين المديرين والعاملين، والاتصال المفتوح، والتعاون، وتجنب الانتقاد، والرؤية الواضحة من قبل الإدارة للمستقبل.

6- دراسة فونتنس (1996) Fuentes ركزت الدراسة على القيادة الإدارية من أجل تنمية الابداع والتغيير، من خلال برنامج خاص طبق على عينة من مديري المدارس الأمريكية



ومساعدتهم، بلغت (500) بولاية أركنساس، وتكساس، ولويسيانا، ونيومكسيكو، وأوكلاهوما، وأستخدم فيها المنهج الوصفي الميداني، وجمعت بياناتها من خلال المقابلات، والاستبيانات، والملاحظات. وتكاملت هذه الأدوات مع بعضها البعض من أجل وضع تصور علمي يهدف إلى تحسين الأداء لدى قيادات هذه المدارس، وما تشمله من مديريين تربويين ومساعدين، ووضعت هذه الدراسة مجموعة من التوصيات التي يمكن أن تفيد هذا المجال عند العمل بها. وأشارت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) من حيث القيادة الإدارية من أجل تنمية الإبداع والتغيير تعزى إلى متغيرات الجنس والخبرة.

التعليق على الدراسات السابقة: في ضوء ما استعرض الباحث من دراسات سابقة، تتضح بعض النقاط التالية :

- من حيث زمن إجراء الدراسة: أجريت في الفترة من 1996 إلى 2013.
- اهتمت الدراسات بالتعرف على الإبداع الإداري وتنميته والمعوقات التي تواجهه.
- تناولت الدراسات الأجنبية تنمية الإبداع الإداري في المؤسسات التعليمية لخلق بيئة مدرسية مبدعة.
- كل الدراسات السابقة أجريت على مديري ومديرات مدارس التعليم الثانوي.
- منهج الدراسة المتبع في جميع الدراسات السابقة هو المنهج الوصفي القائم على الاستبانة كأداة رئيسة لجمع المعلومات وبعضهم أستخدم الملاحظات والمقابلات لجمع بيانات الدراسة.

وبعد استعراض وتحليل الدراسات السابقة يتضح أن هذا البحث ينسجم مع الدراسات السابقة في كونه طبق على عينة من معلمي ومعلمات مرحلة التعليم الثانوي، كما أنه تشابه مع الدراسات السابقة في استخدامه للاستبانة أداة للبحث، واختلف في المحاور التي تبنها البحث وهي (الطلاقة، المرونة، الأصالة، الحساسية والمشكلات).

وقد تمكن الباحث من اطلاعه على الدراسات السابقة أن يستفيد منها في عدة أمور منها:

1. بناء الإطار النظري للبحث الحالي.
2. تعريف مصطلحات البحث.
3. اختيار منهج البحث.
4. بناء أداة البحث المناسبة وهي الاستبانة، وتحديد محاورها وفقراتها.

5. التعرف على نوع المعالجات الإحصائية المناسبة للبحث.

6. عرض ومناقشة النتائج وتفسيرها، وتقديم التوصيات والمقترحات.

رابعاً: الإطار الإجرائي للبحث:

- **منهج البحث:** استخدم الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لدراسة واقع الابداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد من وجهة نظر المعلمين والمعلمات، وذلك لكون هذا المنهج يتناسب مع طبيعة البحث.

- **مجتمع وعينة البحث:** اشتمل مجتمع البحث على كافة معلمي ومعلمات مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد، والبالغ عددهم (499) معلماً ومعلمة، قام الباحث باختيار عينة عشوائية بلغت (125) من معلمي ومعلمات مرحلة التعليم الثانوي ويشكلون نسبة (27.05) من مجتمع البحث.

- **أداة البحث:** إن طبيعة موضوع البحث واهتمامه بالتعرف على الابداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد ، فرض نوعاً محدداً من أدوات جمع البيانات وتحليلها وهي أداة البحث، حيث إن دقة ومصداقية البيانات التي يتم جمعها يعتمد على حسن اختيار الباحث للأداة التي تستخدم لذلك مع الحرص على صياغة مجموعة من الأسئلة بهدف الحصول على بيانات تخدم أساساً دراسة الموضوع من خلال مشكلة البحث والتساؤلات المعدة لذلك، وقد اعتمد الباحث في تحديد محاور الاستبانة على مراجعة أدبيات الإدارة التربوية ، والاطلاع على الدراسات السابقة في المجال، ومن ثم تمكن الباحث من بناء الأداة وتحديد أبعادها كما موضح في الجدول (1).

جدول (1)

يبين عدد فقرات الاستبانة والنسبة المئوية لكل مجال

النسبة المئوية	عدد الفقرات	المجال
0.23	7	الطلاقة
0.27	8	المرونة
0.23	7	الأصالة
0.27	8	الحساسية والمشكلات
100%	30	المجموع



وقد حرص الباحث أن تكون بيانات الاستبانة وثيقة الصلة بموضوع البحث وأهدافه مع وضوح الأسئلة المطروحة والبعد عن الغموض حتى يسهل للمبحوث فهمها.

-الصدق والثبات: بعد أن تم تطوير استمارة الاستبانة مرحلة أولى، عمد الباحث التأكد من مدى صحة وصدق الاستمارة، فاعتمد على الصدق الظاهري لقياس صدق فقرات المقياس، فقد تم عرض استمارة الاستبانة على مجموعة من الأساتذة المتخصصين في مجال الإدارة التربوية وعلم النفس التربوي والمهتمين بمناهج البحث العلمي والبالغ عددهم (5)، وبعد أن تم جمع آراء وملاحظات الأساتذة المحكمين على فقرات الاستبانة عمل الباحث على الأخذ بهذه الملاحظات وبعد التعديل والحذف والإضافة فيما يتعلق بفقرات الاستبانة أصبح المقياس جاهزاً للتطبيق.

وقد تم حساب ثبات استمارة الاستبانة باستخدام معادلة (آلفا كرونباخ) وقد بلغ معامل الثبات (0.79) وهو عامل دال إحصائياً.

-الأساليب الإحصائية المستخدمة في التحليل: تم ترميز إجابات أفراد العينة على أسئلة الاستبانة وإدخالها إلى الحاسب الآلي وذلك من خلال أوراق العمل الملحقة بالبرنامج الإحصائي SPSS (حزمة البرامج الإحصائية للعلوم الاجتماعية)، كذلك البرنامج الإحصائي EXCEL والمعد خصيصاً لهذا الغرض، تم استخدام الأساليب الإحصائية الملائمة لطبيعة البيانات وبما يحقق أهداف البحث، وفيما يلي عرض لها:

1- التكرار والنسبة المئوية.

2- الوسط الحسابي.

3- الانحراف المعياري.

4- معامل ألفا كرونباخ للثبات.

-ترميز وتحليل البيانات: تم جمع الإجابات وترميزها حسب طبيعة العبارة، وقد وضعت خمسة مستويات للإجابة موزعة على فقرات الاستبانة يمثل كل مستوى وزناً للإجابة تتدرج من (5:1) وذلك لغرض التحليل الإحصائي.

خامساً: عرض النتائج وتفسيرها:

القسم الأول: التوصيف الإحصائي للمتغيرات الخاصة بأفراد العينة:

*الجنس: يبين الجدول (2) توزيع العينة حسب الجنس حيث بلغ عدد أفراد العينة (125) مبحوثاً (ذكوراً وإناثاً) وبلغ عدد الإناث (86) بنسبة (69%) وبلغ عدد الذكور (39) من أفراد العينة بنسبة (31%).

جدول (2)

يبين توزيع العينة بحسب الجنس

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	39	0.31
أنثى	86	0.69
المجموع	125	% 100

*التخصص: يبين الجدول (3) توزيع أفراد

العينة حسب التخصص، فمن الجدول يتضح أن (67) من المبحوثين كانت تخصصاتهم (علوم إنسانية) بنسبة 54% وهي الأكبر، وأن (58) من المبحوثين كانت تخصصاتهم (علوم تطبيقية) بنسبة 46%.

جدول (3) يبين توزيع العينة بحسب التخصص

التخصص	ر	النسبة المئوية
علوم إنسانية	67	40.5
علوم تطبيقية	58	0.46
المجموع		% 100

القسم الثاني: الإجابة عن تساؤلات البحث:

أولاً: ما واقع الإبداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد من وجهة نظر المعلمين والمعلمات المتعلق بمحور الطلاقة؟:

جدول (4) يبين الوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية واتجاه عينة البحث المتعلقة بمحور الطلاقة

ت	المحور الأول / الطلاقة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	اتجاه العينة	رتبة السؤا ل
---	------------------------	---------------	-------------------	----------------	--------------	--------------

4	يملك القدرة على الدفاع عن أفكاره بالحجة والبرهان.	3.88	0.82	77.6	موافق	1
3	يملك القدرة على إقناع المعلمين أثناء التعامل معهم بأفكار جديدة.	3.72	0.96	74.4	موافق	2
5	يوظف الخبرات القديمة في ابتكار أساليب للتعامل مع المواقف الجديدة.	3.58	0.97	71.68	موافق	3
7	يملك القدرة على اقتراح الحلول السريعة لمواجهة مشكلات العمل.	3.50	0.93	70.08	موافق	4
6	يتمتع بمهارة فائقة في النقاش دون أن يكون نقاشاً مثمراً.	3.17	1.04	63.36	موافق	5
2	يطور المدير أساليب جديدة لحل المشكلات.	2.90	1.06	57.92	محايد	6
1	يبحث مدير المدرسة باستمرار عن الأفكار الجديدة المبدعة.	2.89	0.80	57.76	محايد	7
محور الطلاقة		3.38	0.94	67.54	موافق	

الجدول (4) يتبين التكرارات والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية لإجابات عينة الدراسة حول المحور مرتبة تنازلياً، ويلاحظ من خلال النسب المئوية والمتوسط الحسابي أن إجابات المبحوثين كانت تشير إلى وجود الطلاقة وبدرجة جيدة حيث إن أغلب العبارات (4،3،5،6،7) كانت تشير إلى موافقة عينة الدراسة عليها وبدرجة جيدة، أما العبارتان (1،2) وكانت الموافقة عليها بدرجة متوسطة. وهذا واضح من خلال مجمل المحور، فقد بلغ المتوسط الحسابي (3.38) الذي يشير بالمجمل إلى درجة جيدة للطلاقة التي يتمتع بها مدرء مدارس مرحلة التعليم الثانوي من وجهة نظر عينة البحث على فقرات المحور.

كما تشير النتائج في مجال الطلاقة إلى أن معظم مدرء المدارس يمتلكون القدرة على الدفاع عن أفكارهم بالحجة والبرهان كما أنهم يمتلكون القدرة على إقناع المعلمين أثناء التعامل معهم بأفكار جديدة، ويوظفون الخبرات القديمة في ابتكار أساليب للتعامل مع المواقف الجديدة، كما أظهرت النتائج أن مدرء المدارس لا يبحثون باستمرار عن الأفكار الجديدة المبدعة ولا يقومون بتطوير أساليب جديدة لحل المشكلات التي تواجههم داخل المدرسة، ولعل ذلك ما يفسر ضعف الاطلاع على النظريات والأفكار والاساليب الحديثة والتي من شأنها أن ترفع من مستوى الابداع الإداري لديهم.

ثانياً: ما واقع الابداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد من وجهة نظر المعلمين والمعلمات المتعلقة بمحور المرونة؟ :

جدول (5) يبين الوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية واتجاه عينة البحث

المتعلقة بمحور المرونة

ت	المحور الثاني / المرونة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	اتجاه العينة	رتبة السؤال
4	يتميز بالمرونة في تنفيذ القوانين والأنظمة.	3.50	1.10	70.08	موافق	1
5	يتميز بالمرونة الكافية لتغيير موقفه عندما يقتنع بعدم صحته.	3.42	0.94	68.48	موافق	2
2	يملك القدرة على التكيف مع طبيعة المواقف المختلفة في العمل.	3.38	0.70	67.68	موافق	3
7	يقوم بتفويض الصلاحيات للمعلمين.	3.30	1.04	66.08	موافق	4
1	يتبنى مدير المدرسة أفكاراً جديدة لتطوير العمل بيسر.	3.28	0.77	65.6	موافق	5
6	يتبنى الأفكار الإبداعية الصادرة من قبل المعلمين.	3.22	0.99	64.32	موافق	6
8	يتبنى كل ما هو جديد في علم الإدارة.	3.22	0.97	64.32	موافق	7
3	يملك القدرة على رؤية الأشياء من زوايا مختلفة.	3.18	0.88	63.68	موافق	8
	محور المرونة	3.39	0.92	66.38	موافق	

الجدول (5) يتبين التكرارات والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية لإجابات عينة الدراسة حول المحور مرتبة تنازلياً، ويلاحظ من خلال النسب المئوية والمتوسط الحسابي أن إجابات الباحثين كانت تشير إلى وجود المرونة بدرجة جيدة حيث إن كل العبارات (4، 5، 2، 7، 1، 6، 8، 3) كانت تشير إلى موافقة عينة الدراسة عليها وبدرجة جيدة،، وهذا واضح من خلال مجمل المحور، فقد بلغ المتوسط الحسابي (3.39) والذي يشير بالمجمل إلى درجة جيدة لمحور المرونة التي يتمتع بها مدراء مدارس مرحلة التعليم الثانوي من وجهة نظر عينة البحث على فقرات المحور.



كما تشير النتائج في مجال المرونة إلى أن معظم مدراء المدارس يتميزون بالمرونة في تنفيذ القوانين والانظمة كما أنهم يتميزون بالمرونة الكافية لتغيير مواقفهم عندما يقتنعون بعدم صحتها، ويمتلكون القدرة على التكيف مع طبيعة المواقف المختلفة في العمل، كما أظهرت النتائج أن مدراء المدارس يمتلكون القدرة على رؤية الأشياء من زوايا مختلفة، ولعل ذلك ما يفسر الخبرة الطويلة لمدراء المدارس في مجال العمل الإداري التربوي والتعليمي.

ثالثاً: ما واقع الابداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد من وجهة نظر المعلمين والمعلمات المتعلق بالأصالة؟ :

جدول (6) يبين الوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية واتجاه عينة البحث المتعلقة بمحور الأصالة

ت	المحور الثاني / الأصالة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	اتجاه العينة	رتبة السؤال
3	يتحدث بتوسع وثقة كبيرة حول المواضيع المتعلقة بالمدرسة.	3.65	0.75	73.0	موافق	1
4	يتصرف بالحكمة في الظروف المختلفة.	3.64	0.71	72.8	موافق	2
2	يضع مقترحات وبدائل عديدة لحل المشكلة الواحدة.	3.50	1.04	69.9	موافق	3
1	يملك القدرة على اقتراح الحلول المنطقية لمواجهة مشاكل العمل.	3.34	0.87	67.0	موافق	4
6	ينجز أعماله بأسلوب متطور.	2.91	0.89	58.2	موافق	5
5	يقدم أفكاراً إبداعية لتطوير المدرسة.	2.89	0.82	57.8	محايد	6
7	ينبغي لدى المعلمين أفكاراً جديدة حول طرق انجاز الاعمال.	2.78	1.12	55.6	محايد	7
	محور الأصالة	3.24	0.89	64.87	موافق	

الجدول (6) يتبين التكرارات والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية لإجابات عينة الدراسة حول المحور مرتبة تنازلياً، ويلاحظ من خلال النسب المئوية والمتوسط الحسابي أن إجابات المبحوثين كانت تشير إلى وجود الطلاقة وبدرجة عالية حيث إن أغلب الإجابات حول العبارات (6،1،2،4،3) كانت تشير إلى موافقة عينة الدراسة عليها وبدرجة جيدة، أما العبارتان (7،5) كانت الموافقة عليها بدرجة متوسطة. وهذا واضح من خلال مجمل المحور، فقد بلغ المتوسط الحسابي (3.24) والذي يشير بالمجمل إلى درجة جيدة للأصالة التي يتمتع بها مدراء مدارس مرحلة التعليم الثانوي من وجهة نظر عينة البحث على فقرات المحور. كما تشير النتائج في مجال الأصالة إلى أن معظم مدراء المدارس يتحدثون بتوسع وثقة كبيرة حول المواضيع المتعلقة بالمدرسة كما أنهم يتصرفون بالحكمة في مواجهة الظروف المختلفة،



ويضعون المقترحات والبدائل العديدة لحل المشكلات الإدارية والتربوية داخل مدارسهم ، كما أظهرت النتائج أن مدراء المدارس لا يقدمون أفكارا ابداعية لتطوير مدارسهم ، ولا يعملون على تنمية أفكار جديدة حول طرق إنجاز الأعمال لدى المعلمين، ولعل ذلك ما يفسر عدم تلقي مدراء المدارس لأية دورات تدريبية في مجال تخصصهم طيلة فترة توليهم لمنصب مدير المدرسة والتي من شأنها أن تطلعهم على الأفكار والأساليب والاتجاهات الحديثة في مجال الإدارة المدرسية المعاصرة للرفع من مستوى الابداع الإداري لديهم.

ثالثاً: ما واقع الابداع الإداري لدى مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي بمدينة بني وليد من وجهة نظر المعلمين والمعلمات المتعلق بمحور الحساسية والمشكلات ؟ :

جدول (7)

يبين الوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية واتجاه عينة البحث المتعلقة بمحور الحساسية والمشكلات

ت	المحور الرابع / الحساسية والمشكلات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	اتجاه العينة	رتبة لسؤال
7	يظهر الحماس في التعامل مع حل مشكلات العمل.	3.43	1.11	68.64	موافق	1
8	يستطيع تشخيص أماكن الضعف والقوة في الكادر المدرسي.	3.16	1.21	63.2	موافق	2
4	يقوم برصد التهديدات المؤثرة على العمل المدرسي للقضاء عليها.	3.06	1.09	61.28	موافق	3
5	يملك رؤية دقيقة وكافية لمشكلات العمل.	3.05	1.06	60.96	موافق	4
3	يطلع على كل ما هو جديد لزيادة القدرة على مواجهة المشكلات المستقبلية.	3.02	1.20	60.32	موافق	5
6	يحرص على معرفة أوجه القصور أو الضعف فيما يقوم به من أعمال.	2.88	1.15	57.6	محايد	6
2	يقوم برصد الفرص في العمل المدرسي لاستثمارها.	2.87	0.98	57.44	محايد	7
1	يتوقع مشكلات العمل قبل حدوثها.	2.62	1.05	52.32	محايد	8
	بمحور الحساسية والمشكلات	3.07	1.11	61.34	موافق	

الجدول (7) يتبين التكرارات والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية لإجابات عينة الدراسة حول المحور مرتبة تنازلياً، ويلاحظ من خلال النسب المئوية والمتوسط الحسابي أن إجابات المبحوثين كانت تشير إلى وجود الحساسية والمشكلات وبدرجة تتراوح بين المتوسطة والجيدة حيث إن أغلب الإجابات حول العبارات (3،5،4،8،7) كانت تشير إلى موافقة عينة الدراسة عليها وبدرجة جيدة، أما العبارات (1،2،6) كانت الموافقة عليها بدرجة متوسطة. وهذا واضح من خلال مجمل المحور، فقد بلغ المتوسط الحسابي (3.07) والذي يشير بالمجمل إلى درجة جيدة لمحور الحساسية والمشكلات التي يتمتع بها مدرء مدارس مرحلة التعليم الثانوي من وجهة نظر عينة البحث على فقرات المحور.

كما تشير النتائج في مجال الحساسية والمشكلات إلى أن معظم مدرء المدارس يظهرون الحماس في التعامل مع حل مشكلات العمل كما أنهم يستطيعون تشخيص أماكن الضعف والقوة في الكادر المدرسي، ويقوم برصد التهديدات المؤثرة على العمل المدرسي ويعملون على القضاء عليها، كما أنهم يمتلكون رؤية دقيقة وكافية لحل ومواجهة مشكلات العمل كما أظهرت النتائج أن مدرء المدارس لا يحرصون على معرفة أوجه القصور أو الضعف فيما يقومون به من أعمال ولا يعملون على رصد الفرص في العمل المدرسي لاستثمارها، كما أنهم لا يتوقعون مشكلات العمل قبل حدوثها، ولعل ما يفسر ذلك عدم مراجعة مدرء المدارس لما يقومون به من أعمال وخاصة فيما يتعلق بحل المشكلات واتخاذ القرارات وربما يرجع ذلك إلى أن معظمهم أو جلهم من الأفراد غير المتخصصين في مجال الإدارة التربوية.

- نتائج البحث: من خلال العرض السابق لنتائج التحليل الإحصائي، خرج البحث بجملته من النتائج نذكرها فيما يلي:

- وجود درجة تتراوح بين الجيدة والمتوسطة حول محور الطلاقة لدى مدرء المدارس الثانوية في مدينة بني وليد فمعظمهم يمتلكون القدرة على الدفاع عن أفكارهم بالحجة والبرهان كما أنهم يمتلكون القدرة على إقناع المعلمين أثناء التعامل معهم بأفكار جديدة، ويوظفون الخبرات القديمة في ابتكار أساليب للتعامل مع المواقف الجديدة، كما أظهرت النتائج أن مدرء المدارس لا يبحثون باستمرار عن الأفكار الجديدة المبدعة ولا يقومون بتطوير أساليب جديدة لحل المشكلات التي تواجههم داخل المدرسة.
- وجود درجة جيدة حول محور المرونة لدى مدرء المدارس الثانوية في مدينة بني وليد وتشير النتائج في هذا المجال إلى أن معظم مدرء المدارس يتميزون بالمرونة في تنفيذ القوانين والانظمة كما أنهم يتميزون بالمرونة الكافية لتغيير مواقفهم عندما يقتنعون بعدم صحتها،



ويمتلكون القدرة على التكيف مع طبيعة المواقف المختلفة في العمل، كما أظهرت النتائج أن مدراء المدارس يمتلكون القدرة على رؤية الأشياء من زوايا مختلفة.

- وجود درجة جيدة حول محور الاصاله لدى مدراء المدارس الثانوية في مدينة بني وليد وتشير النتائج في هذا المجال إلى أن معظم مدراء المدارس يتحدثون بتوسع وثقة كبيرة حول المواضيع المتعلقة بالمدرسة كما أنهم يتصرفون بالحكمة في مواجهة الظروف المختلفة، ويضعون المقترحات والبدائل العديدة لحل المشكلات الإدارية والتربوية داخل مدارسهم، كما أظهرت النتائج أن مدراء المدارس لا يقدمون أفكاراً ابداعية لتطوير المدارس الثانوية، ولا يعملون على تنمية أفكار جديدة حول طرق إنجاز الاعمال لدى المعلمين.
- وجود درجة تتراوح بين الجيدة والمتوسطة حول محور الحساسية والمشكلات لدى مدراء المدارس الثانوية في مدينة بني وليد ، فأغلب مدراء المدارس يظهرون الحماس في التعامل مع حل مشكلات العمل كما أنهم يستطيعون تشخيص أماكن الضعف والقوة في الكادر المدرسي ، ويقومون برصد التهديدات المؤثرة على العمل المدرسي ويعملون على القضاء عليها ، كما أنهم يمتلكون رؤية دقيقة وكافية لحل ومواجهة مشكلات العمل كما أظهرت النتائج أن مدراء المدارس لا يحرصون على معرفة أوجه القصور أو الضعف فيما يقومون به من أعمال ولا يعملون على رصد الفرص في العمل المدرسي لاستثمارها كما أنهم لا يتوقعون مشكلات العمل قبل حدوثها.

-التوصيات والمقترحات: على ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج يوصي الباحث بما يلي :

- 1- إطلاع مدراء المدارس الثانوية في مدينة بني وليد على نتائج البحث الحالي لتحقيق مبدأ التغذية العكسية.
- 2- تعزيز المهارات والقدرات الإدارية في مختلف المجالات من خلال إقامة دورات تدريبية وورش عمل من شأنها أن ترفع من مستوى الابداع الإداري لدى مديري المدارس الثانوية.
- 3- تزويد مدراء المدارس الثانوية بالأفكار الجديدة المبدعة والأساليب الحديثة والمعاصرة في مجال الإدارة المدرسية.
- 4- إتباع الأسس العلمية أثناء صناعة واتخاذ القرارات الإدارية، وتزويد مدراء المدارس الثانوية بالبيانات والمعلومات الحديثة والمتجددة التي تساعد على اتخاذ القرارات السليمة داخل مدارسهم.

- 5- اعتماد المعايير الموضوعية أثناء تقويم أداء مدراء المدارس الثانوية، والإشادة بالمتميزين وذوي الكفاءة العالية منهم والعمل على تكريمهم من فترة إلى أخرى.
- 6- إجراء دراسات مستقبلية على الموضوع نفسه مع تعديل محاور البحث بحيث تتناسب مع طبيعة المؤسسة وأهداف البحث، وفي المراحل التعليمية المختلفة.

-المصادر والمراجع:

- 1- عبد الفتاح الخواجا، تطوير الإدارة المدرسية، دار الثقافة، عمان، المملكة الأردنية 2004م
- 2- محمد حسن شقور، الادارة المدرسية في عصر العولمة، ط 3، دار المسيرة، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية 2002م
- 3- خبراء مركز الخبرات المهنية للإدارة، منهج الإدارة العليا: التفكير الإبداعي وقرارات الإدارة العليا، ط3، مركز الخبرات المهنية للإدارة، القاهرة، 2004م
- 4- خالد الحر، الإدارة والمدير، منشورات مركز إدارة الموارد البشرية، الرياض، 2005م
- 5- فتحي جروان، الابداع (مفهومه، معايير، نظرياته، قياسه، تدريبه، مراحل العملية الإبداعية)، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان 2009
- 6- أيمن المعاني، الولاء التنظيمي: سلوك منضبط وإنجاز مبدع، مركز أحمد ياسين الفني، عمان، الأردن، 1996

الرسائل العلمية:

- 1- أنجود بلواني، دور الإدارة المدرسية في تنمية الابداع في المدارس الحكومية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008
- 2- حسين الشاعر، الابداع الإداري وعلاقته بالمهارات القيادية لدى مديري مدارس وكالة الغوث الدولية بمحافظات غزة رسالة ماجستير "غير منشورة" كلية التربية، جامعة الأزهر، فلسطين 2016
- 3- سناء السوداني، درجة إدارة الابداع وعلاقتها بالأداء الإداري لدى مديري المدارس الحكومية في محافظات شمال الضفة الغربية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين 2016

المجلات العلمية والمؤتمرات:

- 1- باسم حوامدة، محمد حراشة، مستوى الابداع الإداري لدى القادة التربويين في مديريات التربية والتعليم في الأردن مجلة جامعة الملك سعود، مجلد (18)، الرياض، 2006
- 2- ماهر محمد، عمر موسى، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالإبداع الإداري للقيادات الإدارية، المجلة العلمية لكلية التربية، مجلد (28)، العدد (2)، أسيوط، مصر، أبريل 2012
- 3- علي الحاجز وآخرون، دور القيادة المدرسية في تنمية الابداع لدى معلمي مرحلة المدارس الثانوية بمحافظة غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد (18) عدد (1) 2010
- 4- هند العشري، مقترح لاستخدام مدخل الابداع الإداري بمدارس التربية الخاصة بمصر، مجلة كلية التربية، جامعة دمياط، العدد (75) أكتوبر، مصر 2020

4. H. M. Al-Allak, A. W. Brinkman, H. Richter, D. Bonnet, J. Crystal Growth 159 (1996) 910-915.
5. Y. Y. Loginov, K. Durose, Al-Allak, S. A. Galloway, S. Oktik, A. W. Brinkman, H. Richter, D. Bonnet, J. Crystal Growth 161 (1996) 159-163.
6. I. M. Dharmadasa, N. B. Chaure, O. Islam, J. Wellings, T. Maddock and I. Gee, Proceedings of the 21st EU Conference on PV, Dresden-Germany, 4-8 September 2006.
7. I. M. Dharmadasa, R. P. Burton and M. Simmonds, Solar Energy Materials & Solar Cells 90 (2006) 2191-2200.
8. N. W. Duffy, L. M. Peter, R. L. Wang, D. W. Lane, K. D. Rogers, Electrochimica Acta 45 (2000) 3355.
9. N. W. Duffy, D. Lane, M. E. Ozsan, L. M. Peter, K. D. Rogers, R. L. Wang, Thin Solid Films 361-362 (2000) 314.
10. H. R. Moutinho, M. M. Al-Jassim, F. A. Abulfoltuh, P. C. Dippo, R. G. Dhere, L. L. Kazmerski, Proc. 26th IEEE Photovoltaic Specialists Conf. Anaheim California 1997.
11. H. R. Moutinho, M. M. Al-Jassim, D. H. Levi, P. C. Dippo, L. L. Kazmerski, J. Vac. Sci. Technol. A. 16 (3) (1998) 1251-1257.
12. M. K. Rabadanov, I. A. Verin, Y. M. Ivanov, V. I. Simonov, Kristallografiya 46 (2001) 703.
13. A. L. Farenbruch, R. H. Bube, Fundamentals of Solar Cells, Academic Press, London, (1983).
14. A. Kampmann, P. Cowache, J. Vedel, D. Lincot, Journal of Electroanalytical Chemistry 387 (1995) 53-64.

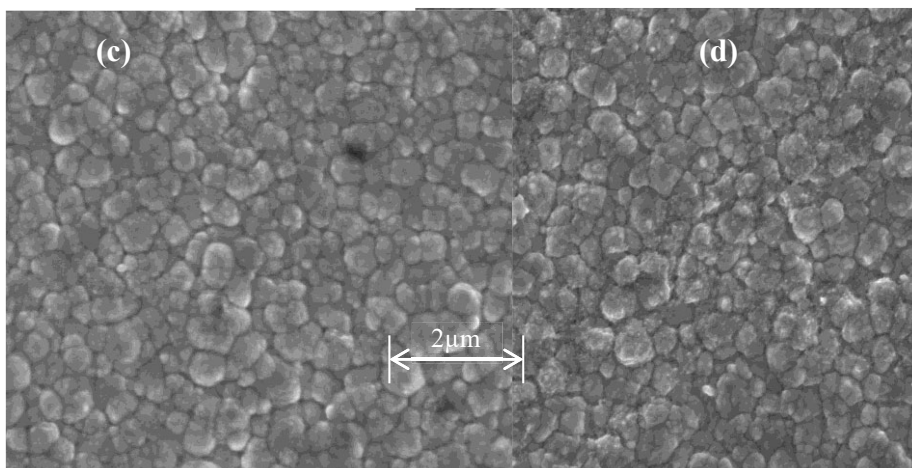


Figure 10: SEM images of annealed chlorine treated CdTe deposited at (a) 1450, (b) 1500, (c) 1580 and (d) 1585 mV.

3.4 Conclusion

The two electrode system for the preparation of chlorine treated CdTe layers in presences of chlorine and the influence of heat-treatment was investigated. The CdTe layers were deposited at 1450, 1500, 1570, 1580 and 1585 mV and annealed at 350°C for 20 minutes in air. The as-deposited and annealed layers were studied using various techniques: XRD, optical absorption, SEM and I-V measurements. It was found that a deposition voltage of 1570 mV gives an almost stoichiometric material, resulting in a high quality device. These layers showed the highest preferential reflection from the (111) plane, and a band gap energy of 1.50 eV with a good absorbance slope. Crystalline and uniform grains were also observed after annealing.

3.5 References

1. S. A. Ringel, A. W. Smith, M. H. MacDoughal, A. Rohatgi, J. Appl. Phys. 70 (2) (1991) 881-889.
2. R. Sudharsanan, A. Rohatgi, Solar Cells, 31 (1991) 143-150.
3. R. W. Birkmire, B. E. McCandless, S. S. Hegedus, Int. J. Solar Energy 12 (1992) 145-154.

Figure 8: SEM images of chlorine treated CdTe (a) as-deposited and (b) annealed, deposited at 1570 mV.

Figure 9 shows SEM pictures of the CdTe surface after annealing for untreated and chlorine treated layers deposited at 1570 mV. The chlorine treated CdTe layer appear to have larger surface grains than the untreated layer.

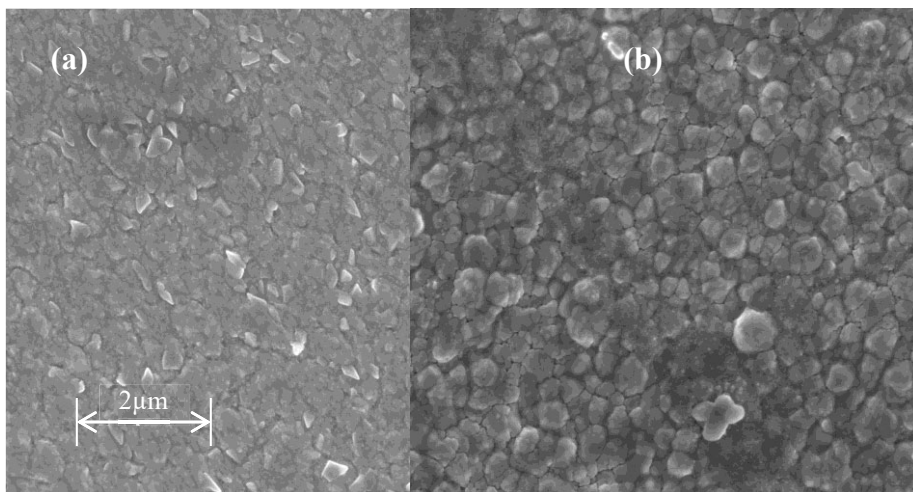
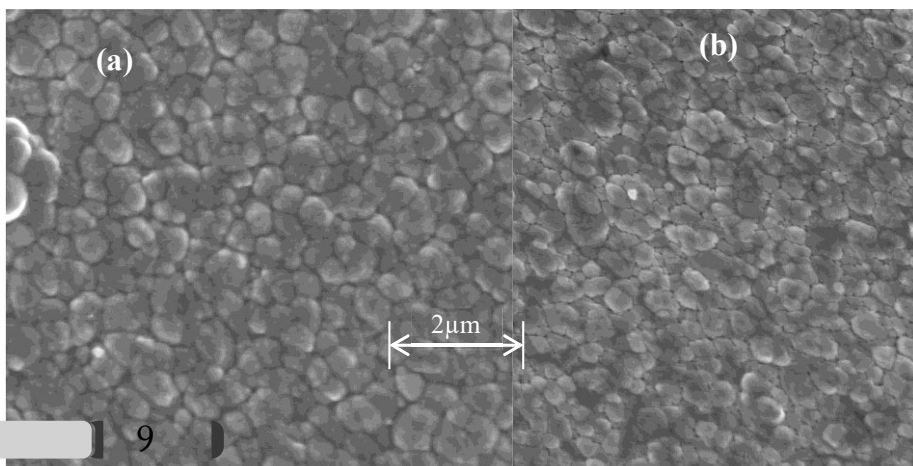


Figure 9: SEM pictures of annealed CdTe layers, deposited at 1570 mV for (a) untreated and (b) chlorine treated.

Figure 10 shows the morphology of annealed CdTe layers (320°C for 20 minutes in air) deposited at 1450, 1500, 1570, 1580 and 1585 mV. Although the growth voltages varied, the overall layers are uniform with similar grain sizes. This result is consistent with the results obtained from XRD, which showed similar grain sizes. All layers do not appear to have large surface clusters as in the as-deposited layers.



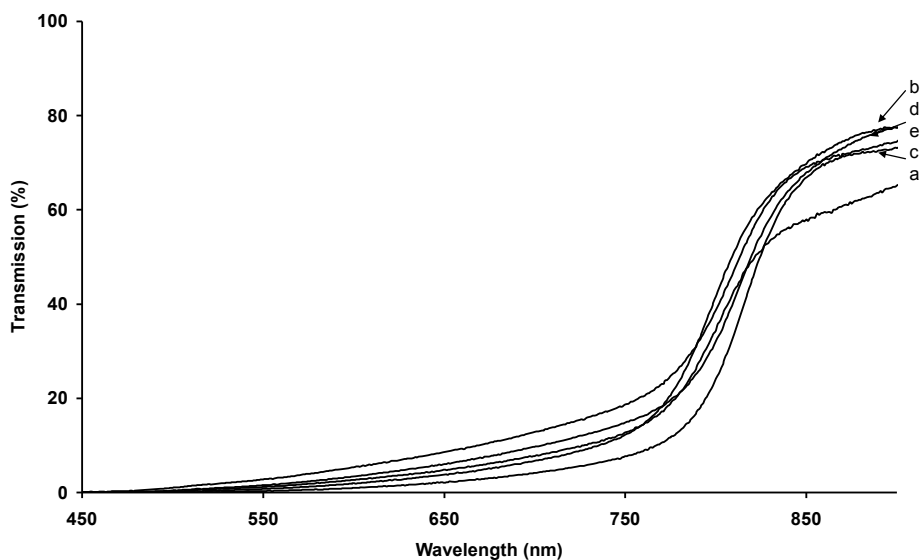


Figure 7: Transmission vs light wavelength of annealed chlorine treated CdTe (350°C for 20 minutes in air) deposited at: (a) 1450, (b) 1500, (c) 1570, (d) 1580 and (e) 1585 mV.

3.3 Scanning electron microscopy

Figure 8 shows SEM pictures of the CdTe surface before and after annealing for layers deposited at 1570 mV on a glass/FTO/CdS substrate. The XRD and optical spectra obtained for this layer showed the highest and narrowest reflection peak from the (111) plane and a good slope in optical absorption, respectively. The as-deposited layer (figure 8a) shows clusters with small 'nodules like'. After annealing the CdTe in air for 20 minutes at 350°C most of clusters and nodules disappear and the grains become more crystalline indicating the presence of polycrystalline CdTe.

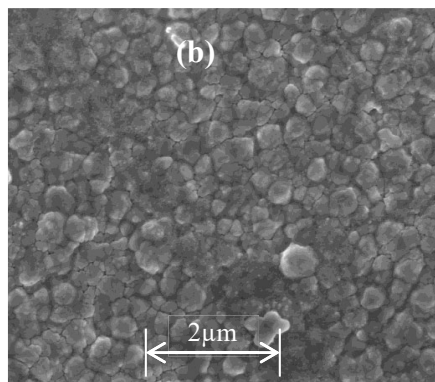
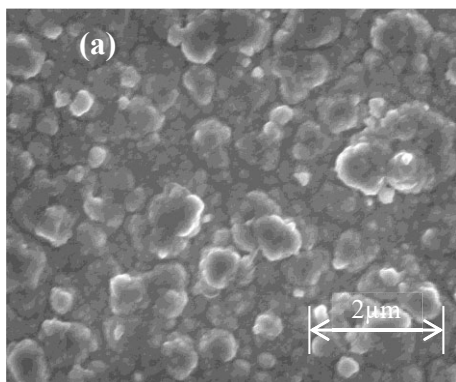


Table 3: Band gap energy as a function of the growth voltage for annealed CdTe layers.

Growth voltage (mV)	1450	1500	1570	1580	1585
Band gap energy (eV)	1.52	1.48	1.50	1.54	1.52

Figure 6 shows the transmission spectra for glass/FTO/CdS/CdTe for CdTe deposited at 1450, 1500, 1570, 1580 and 1585 mV. It can be seen from the figure that the transmissions of incident photons fluctuate between ~76 and ~65%. Kampmann showed that the transmission of incident photons changes with growth voltage [14]. These changes occur due to changes in composition. The maximum transmission was observed for layers deposited at 1585 V and decreased to ~65% for the layer deposited at 1450 mV. The influence of annealing (350°C for 20 minutes) on the transmission spectra of CdTe has been studied to assess the change in the transmission of the incident photon edge. Figure 7 presents the transmission spectra for glass/FTO/CdS/CdTe for annealed CdTe deposited at 1450, 1500, 1570, 1580 and 1585 mV. The transmission for the layer deposited at 1585 mV has shifted to 74%, while a maximum transmission of 77% was observed from layers deposited at 1500 mV and a minimum transmission of ~65% was recorded from layers deposited at 1450 mV. The change in transmission percentage and absorption edge is most likely due to a change in the CdTe thickness or a change in the composition after annealing.

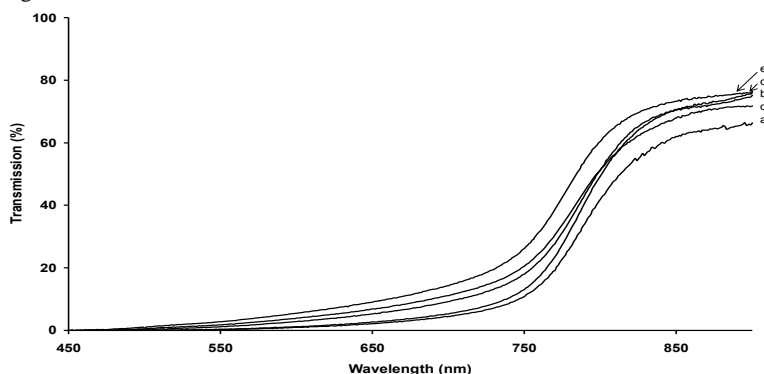


Figure 6: Transmission vs light wavelength for chlorine treated as-deposited CdTe for layers deposited at: (a) 1450, (b) 1500, (c) 1570, (d) 1580 and (e) 1585 mV.

Table 2: Band gap energy as a function of the growth voltage for as-deposited CdTe layers.

Growth voltage (mV)	1450	1500	1570	1580	1585
Band gap energy (± 0.02 eV)	1.55	1.55	1.56	1.56	1.56

In order to investigate the effect of annealing on chlorine treated CdTe, optical absorption was carried out on glass/FTO/CdS/CdTe. The layers were annealed at 350°C for 20 minutes in air. Figure 5 shows the optical spectra for glass/FTO/CdS/CdTe for annealed CdTe deposited at 1450, 1500, 1570, 1580 and 1585 mV. Table 3 shows the band gap energy as a function of the growth voltage for annealed CdTe layers. Figure.5 shows that the band gap energy fluctuated between 1.52 and 1.54 eV, within experimental error of ± 0.02 eV. The band gaps were lower than for as-deposited layers indicating the influence of the annealing process. The largest band gap energy was recorded for layers deposited at 1580 mV and the smallest band gap energy was recorded for layers deposited at 1500 mV. The band gap energy of layers deposited at voltages of 1450, 1500 and 1480 mV increased, while the band gap energy of the layers deposited at 1585 mV remained the same. The maximum theoretical efficiency is observed for material having a band gap energy in the range 1.4 to 1.5 eV [13]. This range encompasses the values measured for layers deposited at 1500 and 1570 mV.

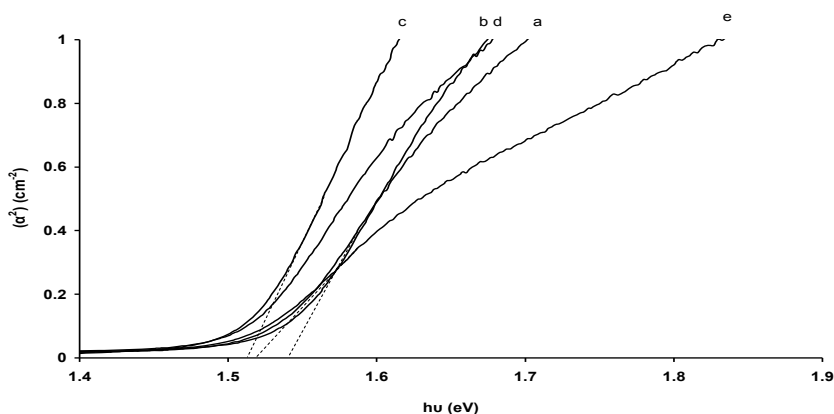


Figure 5: Optical absorption measurement for annealed chlorine treated CdTe for layers deposited at (a) 1450, (b) 1500, (c) 1570, (d) 1580 and (e) 1585 mV.

3.2 Optical properties

Optimisation of preparative parameters for CdTe material was carried out by observing the influence of growth voltage on band gap energy for layers deposited using a two electrode system. Figure 9.4 shows the optical absorption curves of glass/FTO/CdS/CdTe for CdTe deposited at 1450, 1500, 1570, 1580 and 1585 mV. All the layers were deposited onto a glass/FTO/CdS substrate for a period of 7 hours. It is evident that the rapid increase in the absorbance occurs at different photon energy presenting a different band gap energy of CdTe. The smallest band gap energy of 1.55 eV was obtained for the layer deposited at 1450 mV. The largest band gap energy of 1.56 eV obtained for layers deposited at 1570, 1580 and 1585 mV. The steepest absorbance slope was observed for layers deposited at 1450 and 1570 mV and the poorest absorbance slope was shown by the layer deposited at 1585 mV. Table 2 shows the band gap energy as a function of growth voltage for as deposited CdTe layers. Layers deposited at high cathodic voltages show a decrease in the band gap energy indicating that chlorine is more effective where Cd^+ is expected to be deposited more than Te. This result in line with the result observed from XRD spectra, regarding the improvement of crystallinity at high cathodic voltage in the range 1570-1580 mV.

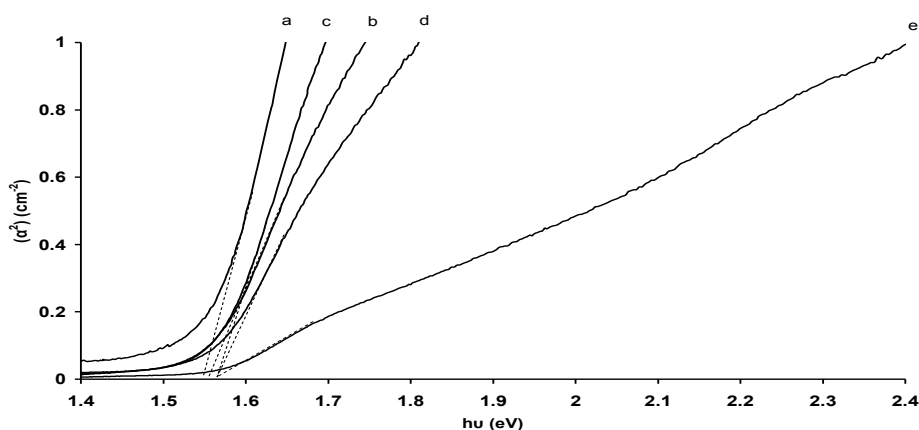


Figure 4: The optical absorption curves for chlorine treated CdTe for layers deposited at: (a) 1450, (b) 1500, (c) 1570, (d) 1580 and (e) 1585 mV.

Table 1: Peak position, FWHM and grain size for as deposited CdTe layers.

Growth Voltage (mV)	2θ (deg)	FWHM (deg.)	Grain size (nm)
1450	23.59	0.35	23
1500	23.60	0.35	23
1570	23.63	0.35	23
1580	23.59	0.35	23
1585	23.59	0.35	23

Figure 3 shows the XRD patterns of as-deposited and annealed CdTe deposited at 1570 mV. Annealing was carried out at 350°C for 20 minutes in air. It is clear that there is an improvement in the major preferential reflection peak height after annealing. The estimated grain size remained at 23 nm. The XRD data for as-deposited and annealed CdTe layers were analysed using standard data obtained from the online Deresbury Chemical Database Service [12]. The lattice parameters were calculated using the major reflection peak related to the (111) plane and the cubic d-spacing equation presented in chapter 3 (3.3), giving $a = 6.53 \text{ \AA}$.

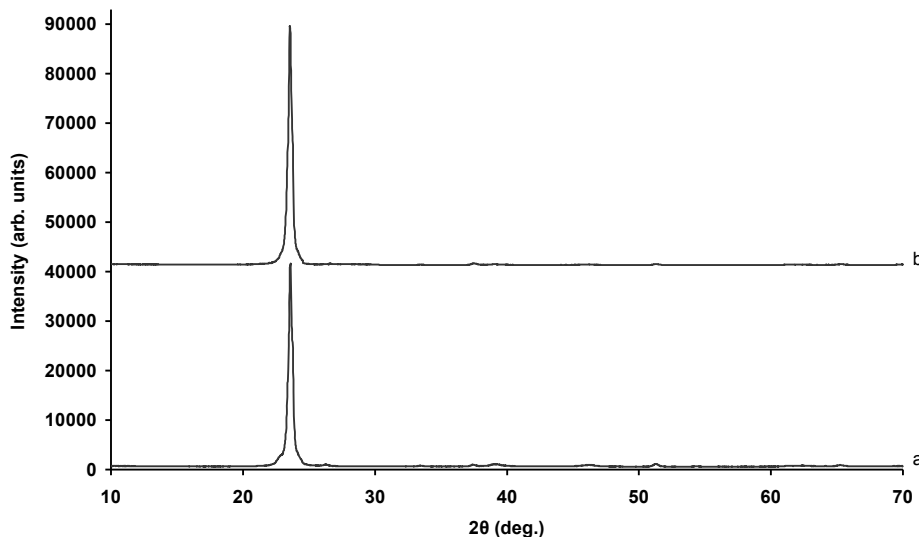


Figure 3: XRD pattern for chlorine treated CdTe for (a) as-deposited and (b) annealed (350°C for 20 minutes) dTe deposited at 1570 mV.

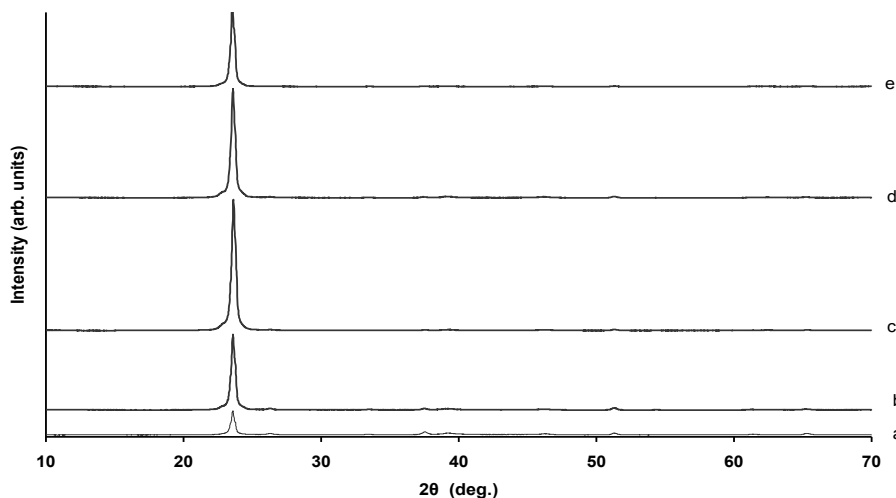


Figure 1: Typical XRD patterns for chlorine treated CdTe for layers deposited at (a) 1450, (b) 1500, (c) 1570, (d) 1580 and (e) 1585 mV.

Figure 2 presents the (111) peak height as a function of cathodic voltage for chlorine treated as-deposited CdTe layers. Table 1 gives peak position, FWHM and grain size for CdTe layers deposited at various deposition voltages. The Scherrer equation was used to calculate the grain size. Although the major preferential reflection peak height belonging to the (111) plane varied, the FWHM and the grain size values were the same for all growth voltages.

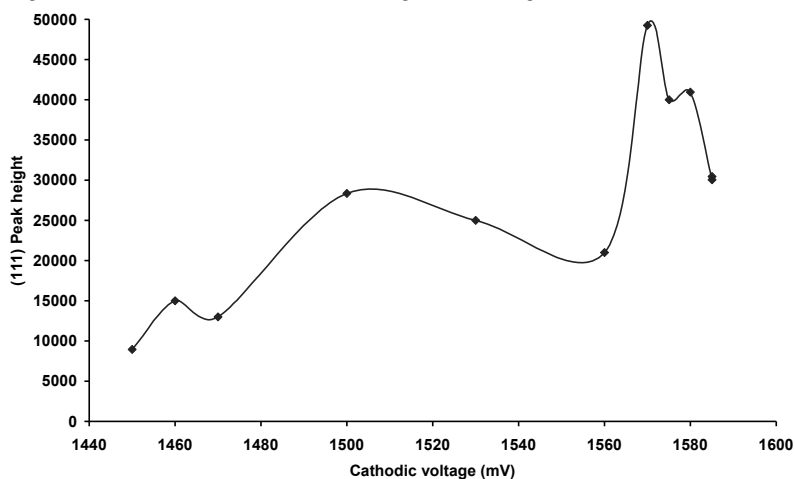


Figure 2: Variation of the (111) peak height against cathodic voltage for as-deposited and annealed CdTe layers.

of time in order to optimise the best heat treatment condition before etching.

In order to develop CdTe based solar cells, electrodeposited films and completed devices have been characterised by the following techniques: XRD, Optical absorption and SEM for material characterisation

3. Characterisation of treated CdTe material with chlorine

3.1 X-ray diffraction

Figure 1 shows the XRD pattern for as-deposited chlorine treated CdTe samples deposited at 1450, 1500, 1570, 1580 and 1585 mV. All used deposition voltages are shown to produce CdTe layers with a preferential orientation of (111) plane and identified to have a cubic structure, which is in agreement with the literature [8,9]. The (111) peak height varies with changes in the growth voltage and attains a maximum value for layers deposited at 1570 mV. The layer deposited at 1450 mV shows the lowest intensity. This variation in the peak height may also be attributed to changes in the layer composition. This indicates that chlorine treatment improves crystallinity of CdTe layers deposited using a two electrode system. In 1997 and 1998, Moutinho et al utilized XRD in order to highlight how structural changes in the CdTe layers were enhanced in the presence of CdCl_2 [10,11]. In this way, Moutinho et al were able to establish that recrystallization was behind the changes that occurred. This recrystallization is a process involving lattice strain energy and the time and temperature of heat treatment. For the purpose of this experiment, the time and temperature were kept the same for the non treated and CdCl_2 treated samples. The conclusion reached from this experiment was that the CdCl_2 effectively caused an increase in the initial strain energy of the material which enabled the recrystallization to take place.

Electrodeposition n-Type Doping of CdTe-Grown by Two Electrode System

G. E. A. Muftah

Bani Waleed university, Faculty of science, Physics department

1. Introduction

The two electrode system is a suitable method for growing solar cell materials. It has been shown that the chlorine treatment of CdTe can significantly improve solar cell parameters using the three-electrode system [1,2,3,4,5]. Making use of the two electrode system, Dharmadasa et al reported that it is possible to grow absorber materials in the presence of iodine [6,7]. In order to investigate whether chlorine treatment could be a factor to improve solar cell quality using the two-electrode system, this paper presents the material properties and initial device behaviour of hetero-structures of glass/FTO/CdS/CdTe/Au.

2. Experimental Aspect

The electrodeposition of CdTe layers was performed from an aqueous solution containing 0.8 M cadmium sulphate ($3\text{CdSO}_4 \cdot 8\text{H}_2\text{O}$) and 50 ppm tellurium dioxide (TeO_2) with a purity of 5N (99.999%). The pH value was adjusted to 2.0 using high-purity sulphuric acid (H_2SO_4). The solution was purified at a cathodic voltage of 600 mV vs SCE for 100 hours in order to remove impurities. The temperature was maintained at 70°C throughout the experiment. To enhance Te deposition, the solution was stirred by a magnetic stirrer. The CdTe was deposited of 600 ppm of CdCl_2 .

CdTe films were prepared using a three electrode system. The counter electrode was a high purity graphite rod. The reference electrode was saturated calomel (SCE) which has been filled with cadmium chloride (CdCl_2) solution instead of potassium chloride (KCl) solution and the substrate was glass/FTO/n-CdS. The electrodeposition experiments and cyclic voltammetry were carried out using a potentiostat. The CdTe films were annealed in air atmosphere at various temperatures for different periods